السّماع والمصطلحات والرّموز الصوفية

عند عبد الكريم الجيلي وابن العربي

مع تحقيق كتاب (غنية أرباب السّماع)
لعبدالكريم الجيلي

تحقيق وتأليف
عبد الباقي مفتاح
الجزائر

تقديم
د. محمد التهامي الحرّاق



٢٠١٨

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل وسلم على سيدنا محمد الفاتح الخاتم، وعلى آله وصحبه

تقديم

د. محمد التهامي الحرّاق

السّماع مصطلح مشترك بين حقول معرفية عدة، فهو في علوم الحديث واحد من طرق نقل الحديث وتحمله، ويعتبر، حسب "مقدّمة ابن الصلاح"، القسم الأوّل من هذه الطرق «وهو أرفع الأقسام عند الجماهير»[1]. وهو عند النحاة خلافُ القياس، إذ السماعي «ما لم يذكر فيه قاعدة كلية مشتملة على جزئياتها»[2]، ومن ثمّ فإنه يُسمع ويُستعمل في كلام العرب ولا يقاس عليه غيره، ويرد مصطلح "السماع" في استعمال علماء الكلام بمعنى السّمع والنقل والرّواية، وأهله على خلاف مع من يفسِّر ويتأوّل اعتمادا على الرأي والعقل[3]؛ فيما يتخذ "السماع" دلالة اصطلاحية مخصوصة بين أهل التصوّف، بحيث غالبا ما يشيرون به إلى «استماع الأشعار بالنغم والموسيقى»[4]. وقد ساد هذا المدلول وانتشر بحيث كلـّما ذكر اصطلاح السماع اليوم، انصرَفت جُلّ الأذهان إلى قرنه بدلالة الإنشاد والطرب الصوفيين، وخصَّته بكونه "استماع الأشعار بالنغم والموسيقى" على حدّ عبارة الشيخ أحمد ابن عجيبة.

غير أنّ العوْدة بالاصطلاح إلى "عُشِّهِ الغرَامي" وسياقه الذوقي الرّوحاني وتأصيلاته العرفانية، والتي وصلت أوجهَ تبلورِها مع الشيخ الأكبر محمد محيي الدين بن العربي، تكشف أنّ مدلول "الاستماع إلى الأشعار بالنغم والموسيقى"، ليس سوى المظهر المقيَّد لمفهوم السماع، لكونه يحصره ويقيِّده بالنغمات المستحسنات التي يتحرّك لها الطبع بحسن قبوله، فيما "السماع إذا تقيّد لا

---

(1) "**مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث**"، عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري، علق عليه وشرح ألفاظه وخرج أحاديثه، صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1/ 1416هـ-1995م. ص. 98.

(2) **التعريفات**"، علي بن محمد الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان، بيروت، 1978م: ص. 127.

(3) Encyclopédie de l'Islam, E.J. Brill, Leiden, 1995, (T: VIII)., P. 1052.

(4) **الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية**"، أحمد بن عجيبة، دار الفكر، القاهرة، (د.ت): 2/ 273.

يُعوّل عليه"[1]؛ ذلك أنّ سماع الأكابر، هو السماع المطلق، إذ «هو الذي عليه أهل الله، ولكن يحتاجون فيه إلى علم عظيم بالموازين حتى يفرّقوا بين قول الامتثال وبين قول الابتلاء، وليس يدرك ذلك أحد، ومَن أرسله من غير ميزان ضلّ وأضلّ»[2].

من هنا يبدو الملمحُ الأوّل من ملامحِ أهمية الكتاب الذي بين أيدينا، إنه يعيدُ الاعتبار إلى السّماع المطلق، بما هو سماع إلهيّ بالأسرار، ومن حيث هو سماع من كلّ شيء وفي كلّ شيء وبكلّ شيء؛ ذاك السماع الذي قال في حقه العز بن عبد السلام المقدسي: «من ادّعى السماع ولم يسمع من صوت الطيور، وصرير الباب، وتصفيق الريح، فهو مفترٍ، فالعارف يسمع ألطف الإشارات من أكثف العبارات»[3]. ومن بحر إطلاق هذا السماع بقسميْهِ الإلهي والرّوحاني، كما فصّل ذلك الشيخ الأكبر وأثبته هذا الكتاب، كان العارفون يفهمون عن الله وبالله وفي الله كلَّ الإشارات الطبيعيّة، ومعاجم العلوم، ودلالات الأشعار ومعاني الأوتار.

فإذا نظرنا إلى الطبيعة من حيث نظرةُ القوم، وجدناها في أسرارهمْ قرآنًا منشوراً وتسبيحات متوهّجة مصداقا لقول محبوبهم: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: 44]. لذا كان الكون في سرِّ العارفِ "كتاب رموزٍ، مُستودَع إشاراتٍ، مَسرح دلائل، مجلى آياتٍ، مرْأى شواهدَ تشير جميعُها إلى الحقّ المحبوبِ بديعِ السماواتِ والأرض، إذ هو الظاهرُ والباطنُ، الجليّ والخفيّ، المرئيّ واللامرئيّ، فهو لا مرئيٌّ بالوهْمِ، لكنه مُتحقِّقُ الوجود بالتحقيقِ في أَنِيَّةِ الأشياءِ والأسماء؛ إذ هو عينُ كل أنيّة (أي كلّ الإنـيّات قائمة به إذ لا وجود لها إلا به)، وذاتُ كلّ هوية، وجوهرُ كلّ التعيّنات، وماهيّةُ كلّ الموجودات (...) الكونُ كلّه صحيفةً منشورةً أمام الصوفيّ، يقرأ فيها بعينِ قلبه، دلالةً أحديّة، وأنيّة صمديّة، إليها يؤولُ كلُّ تعدّدٍ أو تكثُّرٍ أو شفْعِيّة"[4].

---

(1) **رسالة لا يعول عليه**، ضمن "**رسائل ابن العربي**"، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، ط.خاصة/ 2001م.: 1/ 299.

(2) **الفتوحات المكية**، محيي الدين بن عربي، ضبطه وصححه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999م،: 3/ 549.

(3) **حل الرموز ومفاتيح الكنوز**، العز بن عبد السلام المقدسي، مج. مخ. بخزانة المكتبة الوطنية للملكة المغربية بالرباط، رقم 85ج: و.31/ ب.

(4) **إني ذاهب إلى ربي...مقاربات في راهن التدين ورهاناته**، محمد التهامي الحراق، دار أبي رقراق، الرباط، 2016، ص،225-226.

وفي ضوء هذه "النظرة"، راح القوم يتلقون، من حيثُ التلقي "أخذك ما يرد من الحق عليك"[1]، معاجمَ جمّ من العلوم، حيث صارت هذه الأخيرة في سماعهم المطلقِ إشاراتٍ ذوقية ومخاطبات علويّة لها في أسرارهم من الفيض العرْفاني ما يخرج عن طوق الحصر في الدلالات الاصطلاحية المخصوصة بتلك العلوم. وهو ما يندرجُ ضمن ظاهرة سائدة وسائرة في الحقل الصوفي؛ كنا قد أطلقنا عليها ظاهرة "التصويف" من حيث هي "سماع مطلق" يشمل كثيرا من المصطلحات والفنون والموضوعات، ويصرف دلالاتها الدنيوية المخصوصة إلى دلالات إشارية ذوقية مستمدّة من طبيعة الحقل الصوفي العرفاني ومجاله التداولي المتميّز. وهو ما شمل بعض العلوم كالنحو، مثلما يدلّ على ذلك كتابا "**نحو القلوب الصغير**" و"**نحو القلوب الكبير**" لأبي القاسم القشيري؛ وشروح القوم الإشارية على بعض المتون النحوية مثل شروح محمد بن خليل القاوقجي وأحمد زروق الفاسي وعلي بن ميمون الإدريسي الحسني الغماري وأحمد بن عجيبة ومحمد بن عبد الكبير الكتاني على "**متن الآجرومية**"، وشرح أبي بكر بناني على ألفية ابن مالك المعنون بـ"**تحفة الملوك والممالك في شرح ألفية ابن مالك**". مثلما شمل أيضا هذا "التصويف" معجم علم الفقه كما هو شأن كتاب أحمد بن المصطفى المعروف بابن عليوة المستغانمي، المعنون بـ"**المنح القدوسية في شرح نظم المرشد المعين بإشارة الصوفية**"، وعلم المنطق كما هو شأن "شرح خاتمة السلم للأخضري بطريق الإشارة" للمكي البيطاوري، وكذا معجم علم العروض كما يظهر ذلك في بعض إشاراتِ الشيخ الأكبر في مقدمة "**ديوان المعارف الإلهية**" التي حققها الأستاذ سيدي عبد الباقي مفتاح في هذا الكتاب.

أمّا بخصوص الأشعار، فإننا نسجّل أنّ السماع لدى القوم، بما هو إنشاد وتطريب، لم يكن، خلال القرون الخمسة الأولى، يستند في الغالبِ إلى نصوص أسماء شعرية صوفية، بقدر ما كان يعتمد أشعارا "مُصَوَّفَةً"؛ أي أشعارا غير صوفيةٍ تم تلقيها تلقيًا إشاريًا فصُرفت دلالاتها الدنيوية اللاهية إلى دلالات روحية إلهية، وذلك ضمن مفهوم "السماع المطلق" بما هو سماع إلهي يثمر فهْمًا عن الله يتصل بوجد الصوفي ووقته. وليس من شرط هذا الوجدِ، إذا تعلق بالشعر، مراعاةُ مراد الناظم وقصده، إذ الصوفية «ينطقون من حيث وجدُهم، ويشيرون من حيث قصدهم وصدقهم

---

[1] **اصطلاحات الشيخ محيي الدين ابن عربي**، تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي، دار الإمام مسلم، بيروت، ط.1/ 1990: ص 69.

وإلى ما يليق بحالهم، ولا يخطر ببالهم قصدُ الشاعر في شعره ومراد القائل بقوله»[1]، وهو ما سيؤكده الغزالي حين سيعتبر أنّ وجد الصوفي «بحسب فهمه، وفهمه بحسب تخيّله، وليس من شرط تخيّله أن يوافق مراد الشاعر ولغته، فهذا الوجد حقّ وصدق»[2].

من هنا تواتر كثير من الحكايات الصوفية التي تصف تواجد القوم وانقداح أحوالهم انطلاقا من سماعهم المطلق لأشعار دنيوية حسّية أكانت غزلية أم خمرية. من ذلك ما أورده السراج الطوسي، قال: «سمعت الدقى يقول: سمعت الدراج يقول: كنت أنا وابن الفوطى مارَّين على الدجلة بين البصرة والأُبُلة، وإذا بقصر حسن له منظر وعليه رجل بين يديه جارية تغني وتقول:

كُلَّ يَوْمٍ تَتَلَوَّنْ غَيْرُ هَذَا بِكَ أَجْمَلْ
فِي سَبِيلِ اللهِ وُدٌّ كَانَ مِنِّي لَكَ يُبْذَلْ

قال: وإذا شاب تحت المنظر بيده ركوة وعليه مرَقّعة يتسمّع، فقال: يا جارية بالله وبحياة مولاك إلا أعدت عليّ هذا البيت، قال: فأقبلت الجارية وهي تقول هذا البيت:

كُلَّ يَوْمٍ تَتَلَوَّنْ غَيْرُ هَذَا بِكَ أَجْمَلْ

وكان الشاب يقول: هذا والله تلوّني مع الحق في حالي، قال: فشهق شهقة، وحمَّد، فتأمّلناه فإذا هو ميّت»[3].

إن وجد هذا الشاب، كما يتبدّى من الحكاية، قد نبع من كامن سرّه لا من قول الشاعر ومرَاد القائل، ذلك أنّ «هذا الشخص ــ وكما يشرح ذلك الغزالي ــ كان مستغرق الوقت بحاله مع الله تعالى، ومعرفة عجزه عن الثبوت على حسن الأدب في المعاملة، وتأسّفه على تقلب قلبه، وميله عن سنن الحق، فلما قرع سمعه ما يوافق حاله سمعه من الله تعالى كأنه يخاطبه، ويقول له:

---

(1) **اللمع**، أبو نصر السراج الطوسي، تحقيق عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1998: ص. 370.

(2) **إحياء علوم الدين**، أبو حامد الغزالي، دار الخير، بيروت، ط.4/ 1997: 2/ 393.

(3) **اللمع**، م.س. ص. 358.

كـــــُلُّ يَـــــــوْمٍ تَتَلَـــــــوَّنْ غَيْـــرُ هَـــذَا بِـــكَ أَجْمَـــلْ»[1]

ومن نماذج "السماع المطلق" للقوم على شعر الخمريات الحسية، ما أورده ابن عطاء الله في "**لطائفه**" من «أنّ الشيخ مفتي الأنام تقي الدين محمد بن علي القشيري - رحمه الله- قال: كان ببغداد فقيه يقال له جوزي، يقرئ اثني عشر علما، فخرج يوما قاصدا لمدرسته، فسمع منشدا ينشد:

إِذَا العِـشْرُونَ مِـنْ شَعْبَـانَ وَلَّـتْ فَوَاصِـلْ شُــرْبَ لَيْلِـكَ بِالنَّهَـارِ
وَلاَ تَـشْرَبْ بِأَقْـدَاحٍ صِـغَارِ فَقَـدْ ضَـاقَ الزَّمَـانُ عَلَـى الـصِّغَارِ

فخرج هائمًا على وجهه حتى أتى مكة، ولم يزل مجاورا بها حتى مات»[2].

ويمكن القول إن "سماع" القوم للأشعار الغزلية ثم الخمرية سماعا مطلقاً وتلقيها تلقيا تصويفيا بصرف دلالاتها الحسية الدنيوية إلى معان روحية ربانية، قد شكّل أحد العوامل الرئيسة التي أنعشت نظم القوم للشعر وحفزَهم على الانتقال من "السماع" التصويفي للقريض إلى العناية أكثر بالنظم الصوفي، وذلك محاولة منهم لقول "ما لا ينقال" من أحوالهم الصوفية، و"التعبير" عن تجاربهم الروحية، و"الإسفار" عن أسفارهم الباطنية. وهو ما وصل أوجَه وبلغ ذروته خلال القرنين السادس والسابع للهجرة مع شعراء وعارفين كبار أمثال أبي مدين الغوث، وعمر بن الفارض، ومحيي الدين بن العربي، وأبي الحسن الششتري وغيرهم، حيث أصبحنا أمام مُنشَدَات شعرية صوفية لشيوخ روحانيين وسكارى إلهيين، يوقعونها بدم تجاربهم، ويرقمونها بأبجدية مواجيدهم، ويكتبونها بمداد أذواقهم.

ويعدُّ الشيخُ الأكبر أكبرَ من يجسِّد هذا التحوّلَ بامتيازٍ، حيث جمع بين تقديم سماعات تصويفية على نسيب مهيار الدمشقي وكثير عزّة وغيرهما، وبين البرَاعة في النظم العرفاني فصيحاً موزونا وتوشيحاً، وبين شرح رموز شعره الغزلية ودلالاتها الربانية العلوية، لينتهي إلى اشتراط النيّةِ الربانية في الشعرِ المُنْشَدِ، مؤكدا أنهُ "لا ينبغي لواعظ أن يُنشِد إلاّ الشعر الذي قصد فيه ذكر الله بلسان التغزل أو بغيره، فإنه من الكلام الذي يقوله أهل الله، فهو حلال قولا وسمعا، فإنه ممّا ذكر

---

(1) "**إحياء علوم الدين**"، م.س.: 2/ 400.

(2) "**لطائف المنن**"، ابن عطاء الله السكندري، تحقيق عبد الحليم محمود، دار المعارف، القاهرة، 1992: ص. 137.

اسم الله عليه. ولا ينبغي أنْ ينشد في حق الله شعرا قصد به قائله في أوّل وضعه غير الله، فإنه بمنزلة من يتوضأ بالنجاسة. فإنّ القول في المُحدَث حَدَث بلا شك، فإنّ للنية أثر في الأشياء"[1].

في ضوء نفس السماع المطلقِ الذي شمل الطبيعة ومعاجم العلوم والأشعار، نفهم أيضا حضور إشارات الأوتارِ، ونغمات العود وترنيمات النّايِ. يقول سلطان العاشقين عمر بن الفارض مضمّنا ذلك في إطار تغنيه بشهود الوحدة:

تَـرَاهُ إِنْ غَـابَ عَنِّـي كُـلُّ جَارِحَــــةٍ ... فِـي كُـلِّ مَعْنـىً لَطِيـفٍ رَائِـقٍ بَهِـجِ

فِـي نَغْمَـةِ العُـودِ وَالنَّـايِ الـرَّخِيمِ إِذَا ... تَــأَلَّفَـا بَيْنَ أَلْحَـانٍ مِـنَ الهَـزَجِ[2]

ويقول العارف أبو مدين الغوث كاشفا عن هذه الرمزية الصوفية:

لاَ تَحْـسِبِ الزَّمْـرَ الْحَـرَامَ مُرَادَنَـا ... مِزْمَارُنَـا التَّـسْبِيحُ وَالأَذْكَـارُ

وَشَـرَابُنَا مِـنْ لُطْفِـهِ وَغِنَاؤُنَـا ... نِعْـمَ الْحَبِيـبُ ألْوَاحِـدُ الْقَهَّـارُ

وَالْعُـودُ عَـادَاتُ الْجَمِيـلِ وَكَأْسُـنَا ... كَـأْسُ الْكِيَاسَـةِ وَالْعُقَـارُ وَقَـارُ

فَتَـأَلَّفُوا وَتَطَيَّبُـوا وَاسْتَغْنِـمُوا ... قَبْـلَ ألْمَمَـاتِ فَـدَهْرُكُمْ غَـدَّارُ[3]

ونقرأ الإشارة عينَها عند الشيخ أبي الحسن الششتري الذي ينبهنا إلى أنّ غناء الأوتـار، في سماع القوم، ليس سوى تهليل وتلبية وذكر وتسبيح، ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: 44]، يقول:

وَاسْـمَعْ إِذَا غَنَّـتِ المَثَـانِي ... تَقُـولُ يَـاهُو لَبَّيْـكَ يَـاهُو[4]

---

(1) "الفتوحات المكية"، م.س: 5/ 487.

(2) ديوان ابن الفارض"، تحقيق عبد الخالق محمود، منشورات عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 1995م: ص. 333.

(3) ديوان أبي مدين الغوث"، جمعه العربي بن مصطفى الشوار التلمساني، مطبعة الترقي، دمشق، ط.1/ 1357هـ-1938م: ص. 63.

(4) ديوان أبي الحسن الششتري"، تحقيق علي سامي النشار، تحقيق علي سامي النشار، منشأة المعارف، الاسكندرية، ط.1/ 1377هـ-1958م: ص.79 .

ولمّا كان الغالبُ على سماع الناسِ تقيُّدَهم بالنغماتِ عن معانيها وانحجابهم بالآلات عن إشاراتها، وانحصارهم في السماع المقيّد لمواءمته لميولات النفس الطبيعية ونزوعاتها، ظلّ الشيخُ الأكبرُ يُحذّر من الوقوف بالسّماعِ عندَ عزف المعازف أو نقر الآلات بدل استبطان الإشارات العليا، والمعارف العلوية في السماع المطلق؛ فذاك الوقوفُ يحجب عن السماع الحقِّ المستمد من الكلام المتعالي المطلق. ذاك ما تنضحُ به أبياتٌ أكبريةٌ صدّر بها أيضا الأستاذ عبد الباقي مفتاح كتابه هذا:

ما الدّين بالدفّ والمزمار واللعب — لكنما الدّين بالقرآن والأدب
لمّا سمعتُ كتاب الله حرّكني — ذاك السّماع وأدناني من الحُجُب
حتى شهدتُ الذي لا عين تبصره — إلا الذي شاهد الأنوَار في الكتب

ضمن هذا الأفق العرفاني العالي الرّحب، إذن، يأتي كتاب الشيخ عبد الباقي مفتاح "**السّماع والمصطلحات والرّموز الصوفية عند عبد الكريم الجيلي وابن العربي... مع تحقيق كتاب (غنية أرباب السّماع) لعبدالكريم الجيلي**". ويُعدُّ المؤلِّفُ من صفوة من يكتبون اليوم في المعارف الأكبرية؛ ذلك أنه جمع بين العلم والذوق، بين اكتناه أسرار أذواق الشيخ الأكبر، والمعرفة العميقة بغميس كتبه ودقيقِ إشاراته. والمطالِعُ لمختلف كتاباتهِ لا محالة واقفٌ عند عمقِ ما ترشحُ به من فتوحاتٍ في فهم معارفِ صاحبِ "**الفتوحات**" غير مسبوقةٍ ولا مطروقة. والكتابُ الذي بين أيدينا أسطع بيّنة على ما نقول، فقد جمع فيه بين "التحقيق" و"التأليف"، حيث حقق المؤلفُ كتاب العارف عبد الكريم الجيلي "**غـُنية أرْباب السّماع في كشف القناع عن وجوه الاستماع**"، وهو كتاب نفيس في بيان رموز القوم في أشعارهم وفتوحات قوافيهم، سواء من خلال التعريف بالبعد الإشاري في مختلف الحقول المعجمية المستعملة من لدن القوم، أو من خلال شرح بعض القصائد العرفانية وفق منهاجِ القوم في الفهم والإشارة. كما حقّق الأستاذ مفتاح في الجزء الثاني من هذا الكتاب مقدمة "**ديوان المعارف الإلهية**" للشيخِ الأكبر محيي الدين بن العربي، وهي من أعزّ ما يطلبُ في باب فهم مكانة الشعر في النسق العرفاني العالي مما لا يُقاسُ بنظيرٍ أو شبيه. ولكي تكتملَ الصورةُ راح المؤلف يجمعُ اصطلاحاتٍ أخَر من مؤلفاتِ الشيخين الجيلي وابن العربي، ويقدّم معرفة شافية بكلّ ما يتعلق بـ "السماع" وأصولهِ ومراتبهِ ومناطاته وأذواقهِ ورموزه ومصطلحاتهِ المبثوثة والمبَدَّدَةِ في مؤلفات الشيخ الأكبر ورسائله، ليثبت لنا مسردا بمائتي كلمة من اصطلاحات الشيخ الأكبر المضيئة لفهم

رموزه العرفانية، ثم نماذج من شروحه لبعض القصائد العرفانية على طريق أهل الإشارة، وخصوصا من شرحه على ديوانه "**ترجمان الأشواق**". والأستاذ عبد الباقي مفتاح، إذ يسلك هذا المسلك في التحقيق والتأليف ضمن هذا الكتاب، فإنه يسهم في تحقيق مقاصد رئيسة وغاياتٍ رفيعة هذه بعضها:

أ- تذكير الخاصة والمتخصصين وتعريف غالب القرّاء بنصوص تأسيسيّة في فهم أشعار القوم، وفكِّ رموزهم، وإبراز لطائفِ المعاني على مقتضى ما يرمون ويرومون من التلميح و الإشارة .

ب- ترشيد كثير من انحرافات فهم النصوص الشعرية الصوفية اليوم سواء من لدن من حَجَبَهم ظاهرُ اللفظ عن روحه، أو من غلبت عليهم نزواتُهم في تأويل النصوص وتقويلها ما لا تقولُ، أو من خانتهم أدواتهم المنهاجية المستعارَة فوقعوا في الإسقاط وليِّ أعناقِ النصوص، أو مَن حَسُن ظنهُم بالقوم دون امتلاك مفاتيح الاقتراب من كتاباتٍ أسراريةٍ لابدّ فيها من العلم والذوق كيما تبوح بقُلٍّ من جُلّ معانيها، وتكشفَ عن قطرة من يَـمّ مذاقاتها.

ج- تقديمُ منهاج قويم في "قراءة" النصوص الشعرية العرفانية، وقوامه الإصغاء إلى أهلِها، واستنباط أدوات القراءة من طرائقِ اقترابهم من فهم نصوصهم، فالأمر يتعلق بـ"هيرمينوطيقا" خاصة، لها مفاهيمها المتولدة من خصوصية السياق العرفاني وطبيعة حضور واشتغال متميّزينِ للغةِ في نسقه، مفاهيم تستمد مداليلَها من منظومة اصطلاح القوم الموصولة بتجاربهم العرفانية وأذواقهم اللدنية. أشير هنا تمثيلا إلى اصطلاحات "التلقي"، و"الفهم"، و"السماع"، و"الوقت"، و"الوجد"...، وغيرها مما يؤطِّر تعاملهم مع أشعارهم؛ بل إنّ مفهوم الشعرِ نفسهُ يتخذ كينونة مخصوصة في سياقهم على "أرض المعاني"، وهو ما انتبهتْ له أخيرا بعض الدراسات المعاصرة، مما تُعَدُّ مقدمة "**ديوان المعارف الإلهية**" ميثاقا استثنائيا فيه وتأسيسا نظريّا له[1].

د- تظهير أفق تأويلي عرفاني رفيع، يفتح باب الفهم على اللانهائي، ويشترط استيعاب خصوص هذه النصوص الواشجة بين المعرفة والذوق، بين الشريعة والحقيقة. فهذا الشيخ الجيلي عند مفتتح شرح جمّ من القصائد يؤكد على انشراح النص على فهوم وهبية لا

---

(1) راجع مثلا: "**الكتابة والتصوف عند ابن عربي**"، خالد بلقاسم، دار توبقال، الدار البيضاء، ط.1/ 2004م.

نهائية، دون أن يحصرها في ما يدبّجه من سماعات مراتب الإدراك الأربع، للناسك والسالك والمحبّ والمجذوب؛ يقول مثلا في تصديره لشرح القصيدة الثالثة وهي من نوع الحماسة: "... وجعلت ذلك ليكون للسامع أنموذجا إلى معرفة أقوالهم، فلا يتوقف عن سماعها، بل أرجو من فضل الله – تعالى- أنْ يفتح على من وقف على كتابي هذا بتأويل سائر كلام الشعراء حسب ما يقتضيه حاله إن شاء الله – تعالى-". ويقول في فصل (التوسّع في مفهوم تباين أحوال السّامعين): "...اعلمْ أنه لا يُشترط أنْ يتوقف أهل السّماع من كلّ مرتبة على ما شرحناه في حقه، بل يمكن أنْ يفسح الله على الأذن بسماع الأعلى، ويحتمل أنْ يلوح الأعلى معنى غريبا في النزول إلى السّماع في مرتبة الأدنى. ثم إنه ليس أحد من هذه المراتب المذكورة من النسك والسلوك والمحبّة والجذب إلا وله رائحة من باقي هذه المراتب، لكن الحُكم على كلّ أحد بما غلب عليه، ولكلّ في مقامه استماعات كثيرة وتوجيهات متعدّدة لا يمكن حصرها...". غير أنّ الجيلي يشترط في هذا التحرير التأويلي لـ"سماع" النصوص التزامَ باب "الشريعة" الذي ما فتئ يؤكد عليه القوم، وذلك حتى يتمّ النأي عن كل فهم قد يتمسك بظاهر اللفظ فيوهم بالتشبيه أو التجسيم أو التعطيل أو الانحرافِ عن واجب التنزيه الكامل للذات الإلهية العليّة. يقول الجيلي في مستهلّ الباب الثاني من "**غنيته**": "..فليكن تأمّلك فيه بالفهم والتمييز منوطا على حفظ الأصول الدينية، من غير خروج إلى تشبيه أو تعطيل، أو ابتداع أو اعتزال. وإنْ فهمتَ في كلامي شيئا من ذلك فأنا بريء من ذلك الفهم، لم أردْه ولا أقول به ولا أجيزه ولا اعتقده؛ بل أعتقد أنّ الله – تعالى- واحد لا شريك له ولا شبيه له، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11] له الأسماء الحسنى والصفات العلى". فالأمر، إذن، يتعلق بشعر أداته الاستعارة، أو قُلْ بلغة القوم، سبيله الإشارة، وكذا بلغة هويتها رمزية، تقول ولا تقول، أو تروم قول ما لا ينقال بالعبارة، ومعلومٌ أن كلام القوم إشارةٌ "وإذا صار عبارة خَفِيَ" كما قال الرّوذباري. ومن ثمَّ وجبَ التنبيهُ على أنّ تحريرالأفق التأويلي للنص الشعري العرفاني معناهُ حملهُ على ما يفتحُ اللهُ به من فتوح الفهم على سامعِه حسبَ مشربه ومدركه، ولكن من غير تحميله ما لا يتناسبُ وشرطَ التنزيه للذات العليّة كما تستلزمه الشريعةُ التي لا ولوجَ للحقيقةَ من غير بابها.

هـ- تحرير اصطلاح "السماع" اليوم من قصره على الغناء والأوتار والموسيقى، إذ لا تكتسب هذه "الموسيقى" مدلولَها السياقي الروحي والتربوي في السماع إلا بالوصل بين هذا السماع المقيَّد

بالنغم والسماع المطلق كما بيَّنا ذلك آنفا، وهو ما يعني إسهام هذا الكتاب التحفـةِ في تجـاوز نسيان المرجعية العرفانية التي تضمن لمفهوم السماع حياته المفهومية والذوقية في آن، و هو مـا يفيد أيضا أيّما إفادةٍ في تحرير التعامل مع "السماع" في السياق المعاصر ممّا نسمّيهِ آفة "الإفـشائية"، من حيث هي إخراج وإفشاء لكلام القوم خارج سياقاته العرفانيـة دون احـترازات تثقيفيـة وتأهيلية للمتلقي ليستقبل و"يسمع" إشارات كلام القوم وأحوال العارفين وفق شـرائط تلقيهـا الروحاني؛ وكذا تحرير هذا التعامل ممّا نسمّيه آفة "الفلكلورية"، من حيثُ هـي فـصل للـسماع المقيَّد عن مرجعيته العرفانية واستبقاء رُسومه وطقوسه مقطوعة عن كل سرٍّ ذوقـيّ أو معنـى روحانيّ علوي[1].

ليست هذه اللمعاتُ سوى بسطٍ لبعض الدلالات التي تجعل من هذا الكتاب نبراسا نادرا، يستهدي به الصوفيّ والشاعر والناقد والدارس والمسمّع، من أجل إعادة اكتشاف أشعار القوم وفـقَ سماعاتهم، ومصداقا لطرائقهم في الترميز والفهم والـذوق والتلقـي، ممّـا مـن شـأنه يقـرنَ الوهـب والكسب في هذا التلقي، ويجعلَ، من ثمَّ، هذا الكتابَ لبنةً أخرى ضمن لبنات الـشيخ عبـد البـاقي مفتاح في بناء أفق معرفي وعرفاني، أصيل ومنفتح، مؤسِّس ومؤَسَّس؛ أفقٍ يعيد الاعتبار للمعرفـة في التعامل مع الحقل الصوفي، بما يفتح آفاق جمالية وعرفانية متوهجة، يحتاجُهـا عـصرنا بإلحـاح لإبـراز الأبعاد الروحانية الجمالية والرحموتية الكونية لديننا، ولا سيما في سياق الالتباس العـالمي الـرّاهن في التعامل مع الإسلام، بل ومع أسئلة الإنسانِ والمعنى والتعالي في اللحظة الكونيّة المعاصرة.

---

[1] "لمزيد تفصيل بخصوص هذين الآفتين، يمكن الرجوع إلى: "**إني ذاهب إلى ربي...**"، م.س، ص، **213-219**.

مــدخــل

بنية الكتاب:

يتألف هذا الكتاب من جزْأين، ويشتمل على أعلى وأدقّ ما كـُتب في المنظور العرفاني السّامي حول السّماع عموما، وبالأخص السّماع الصوفي، كما يحتوي على دلالات أكثر من خمسمائة لفظة من مصطلحات التصوّف ورموز حقائق العرفان، هذا باعتبار ما تضمّنته شروح القصائد العشرَة في الجزء الأوّل، زيادة على التعريفات المباشرة في الجزأين الأوّل والثاني. وهي الدلالات التي بيّنها وفصّلها أشهر من كتبوا في التصوّف العرفاني الأعلى، أي الشيخ المحقق عبد الكريم الجيلي (767- 832هـ) والشيخ الأكبر محمد محيي الدّين بن العربي (590- 638هـ.).

وللتعرّف على الشيخ الأكبر نحيل إلى كتابنا (ختم القرآن محيي الدّين بن العربي) وقد طُبع في المغرب ولبنان والأردن، وكـُتبت حوله مئات التآليف والبحوث.

أمّا الشيخ عبد الكريم الجيلي- نسبة إلى موطن أسلافه في جيلان بإيران- فقد عاش في اليمن، وساح في الشرق الأوسط بين الجزيرة العربية وفارس والهند ومصر، وسلك الطريق الصوفي عند شيخه اليمني إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي (توفي سنة 806هـ/ 1405م)، وكتب تصانيف في غاية الأصالة وأشعار بديعة، يوجد بعضها في هذا الكتاب، ومن أشهر تآليفه كتاب "الإنسان الكامل"، وكتاب "الكملات الإلهية في الصفات المحمّديّة"، وكتاب "المناظر الإلهية"، وكتاب "القاموس الأقدم والناموس الأعظم" في ما لا يقلّ عن أربعين جزءا، وله أشعار رائعة غزيرة منها قصيدته النادرات العينية في 540 بيتا.

لقد اتضح الاهتمام بجمع مصطلحات التصوّف وبيان معانيها خصوصا خلال القرن الرّابع الهجري وما بعده، كما هو مدوّن في كتب ذلك العصر، مثل كتاب (اللمع في التصوّف) لأبي نصر السّراج الطوسي (ت: 378 هـ.)، وكتاب (التعرّف لمذهب أهل التصوّف) لأبي بكر محمد الكلاباذي (ت: 380 هـ.)، وكتاب (تهذيب الأسرار) لعبدالملك بن محمد النيسابوري (ت: 407هـ)، والعديد من كتب أبي عبد الرحمن محمد السلّمي (ت: 412 هـ.)، ولاسيما (الرسالة القشيرية) لأبي القاسم عبد الكريم القشيري (ت: 465هـ.).

وقد تتبّع ابن العربي ترتيب القشيري في رسالته، للتعريف بالمقامات ومصطلحاتها، وذلك في أبواب الفصل الثاني من "الفتوحات المكّية" المشتمل على 116 بابا (من الباب 74 إلى الباب 189)، فخصّص لكل مقام بابا، ويتلوه بباب يبيّن فيه كيف يتجاوز السالك ذلك المقام بعد أنْ يستوْعبه ويتحقق به. وخصّص الفصل الثالث للتعريف بالأحوال ومصطلحاتها، وهو يشتمل على ثمانين بابا، لكل حال باب (من الباب190 إلى الباب 269). أمّا رموز العبادات ودلالاتها الباطنية الرّوحية والوجودية والسلوكية والعرفانية في الجناب الإلهي، أي المتعلقة بالطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج، فقد أفاض فيها بغزارة وأصالة لم يسبقه فيها سابق ولا لاحق، وذلك في الأبواب الواسعة الكبيرة من "الفتوحات المكية"، التي أرقامها على التالي: 68-69-70-71-72... وخصّص كتابه (التنزلات الموصلية) لبيان دلالات رموز الطهارة والصلوات الخمس في المجال العرفاني السّامي؛ كما أعطى في كتابه (التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية) وكتابه (عنقاء مغرب في ختم الولاية وشمس المغرب) توضيحات عن الدلالات الرّمزية للحوادث الكونية والإنسانية.

وكما هو الوضع بالنسبة لجميع المجالات التي سبرَتها معارف التصوّف، لم يأت بعد الشيخ الأكبر من أضاف إلى تراثه العرفاني فتوحًا جديدة من حيث الكيف والمستوى، ما عدا بعض المسائل القليلة المحدودة في بعض تآليف الشيخ عبد الكريم الجيلي.

الجزء الأوّل من هذا الكتاب:

هذا الجزء الأوّل يشتمل على تحقيق لكتاب نفيس للشيخ عبدالكريم الجيلي، كتبه بمصر سنة 803 هـ. وعنوانه: (غنية أرباب السّماع، في كشف القناع، عن وجوه الاستماع). ولهذا الكتاب عدّة مخطوطات في مكتبات المشرق والمغرب، والمخطوط الذي اعتمدناه في تحقيقه هو الموجود في الخزانة الملكية بالرّباط عاصمة المغرب تحت رقم: 1727/ 3.

مقصد هذا الكتاب:

والغرض من هذا الكتاب يقول عنه مؤلفه: [أهمّ مقاصدي مِن وضع هذا الكتاب: فهْم تأويل كلام الله - تعالى- كما هو مرَاد له، بما دلّت السّنّة السّنيّة عليه، ممّا يُقرّب إلى الله، ويعرف العبد به - سبحانه وتعالى- وبما أخبر عنه من الأمور التي آمنّا بها غيْبا. ولمّا كان مجال الكلام في تأويل القران ضيّقا لأمور لا تحصى، وكان الحديث تابعا للقران في هذا الحكم، تحدّثنا على تأويل الأشعار، فإنّ السّماع عند الأكثرين رُكن من الأركان المعظمة الشعار. وما اختلف من

اختلف فيه غالبا إلا لقصوره عن فهم حقيقة السّماع، واحتجابا بظاهر حكم الطّـار والمزمار. فمتى فتُح على المريد الفهم عن الله في السّماع، وظهر له تأويل ذلك فيما يناسـب مطلوبـه بحكـم حـسن الاستماع، يجد بذلك قوة في قابليته لفهم الكتاب العزيـز علـى قـدر مـا يُعلِّـمه الله مـن تأويلـه في ذلك].

وقد لخّص الموضوع العامّ الذي عليه مدار الكتاب فقال:

[أجمعَ أهل الله - تعالى- أنّ الفهم عن الله على قدر مقام العبد عند الله، ولم يختلفوا في أنّ الكلمة الواحدة الدالة على معنى مخصوص، قد يفهم منها العبد عن الله معاني كثيرة لا تحصى، وكلهم قائلون أنّ المستمع لا ينبغي له أن لا يستمع إلا في الله، أو في نبيّه - صلى الله عليه وسلم - أو فيما يتعلق بطريقه إلى الله – تعالى-؛ ولا ينبغي له أن يقتصر على ظاهر الألفاظ دون العبور على بواطن معانيها، إلا إذا كانت الألفاظ ظاهرة المعنى في المقصود. ويجب على الفقير أن لا يستعمل التكلف في التأويل، بل يتوجّه إلى الله - تعالى- بباطنه، ويقبل ما يرد من ذلك الجناب بكليته، ولا يشتغل بألحان المغاني، ولا بتحسينات الأغاني، ولا يلتفت إلى الإعراب، ولا إلى تصريف الألفاظ، فيفوته بذلك لبّ المعاني؛ ولا ينبغي له أن يستمع في شيء من الأكوان ممّا يتعلق بالدنيا أو الآخرة، كالحُور والقصور، فإنّ جميع ذلك راجع إلى شهوة النفس وزيادة الحظ، وطريق الرّجـال بخـلاف ذلك].

والذي يتميّز به هذا الكتاب بالخصوص هو البرَاعة التي يبديها مؤلفه في كـلّ فقرَاتـه حـين يميّز بدقة الفوارق في سّماع أربعة أصناف من أهـل الله – تعـالى- يعتبرهـا كأمّهـات لكـلّ دوائـرهم الأخرى، وهم أهل النّسك والعبادة والزهد، وأهـل الـسلوك مـن المريـدين الـسائرين عـبر منـازل الأحوال والمقامات، وأهل المحبّة في الجناب الإلهي، وأهل الجذب الأعلـى أي المنجـذبين إلى التحقـق بالمعرفة العظمى وأئمّتهم هم الرّجال الكمّل.

ويتألف هذا الكتاب من تمهيد ومقدّمة وثلاثة أبواب:

ففي المقدّمة وضـّح اختلاف مراتب السّامعين في الفهم عند سمـاعهم لكـلام الله تعـالى أو كلام الخلق. وقد رجع إلى هذا الموضوع في البـاب الثالـث عنـد تعريفـه للكلمـة الثانيـة والعـشرين المتعلقة بالسّماع، فأفاض في تفاصيله، وبيان أنواع الحركات الباطنية والظاهرية عند السّماع بواعثهـا ونتائجها. وفي آخر الباب الثاني عمّم الاعتبارات الكثيرة للدلالات التي فصّلها في شروحه لقـصائد هذا الباب، فقال: [لا يُـشترط أنْ يتوقف أهل السّماع من كل مرتبة على ما شـرحناه في حقـه، بـل

يمكن أنْ يفسح الله على الأذن بسماع الأعلى، ويحتمل أنْ يولح الأعلى معنـى غريبًـا في النـزول إلى السّماع في مرتبة الأدنى. ثم إنه ليس أحد من هذه المراتب المذكورة من النسك، والـسلوك، والمحبّـة، والجذب، إلا وله رائحة من باقي هذه المراتب، لكن الحُـكم على كل أحد بما غلب عليـه، ولكـلّ في مقامه استماعات كثيرة وتوجيهات متعدّدة لا يمكن حصرها؛ وإنما ذكرنـا طرَفـا مـن ذلـك لمـن أراد التشبّه بهم؛ وإلا فأصل السّماع مبنيّ على عدم التصنـّع، لأنّ القلوب تتخلى - بالخاء الفوقية- عـن معلوماتها، فتقف في حضرة العجز والافتقـار بـين يـدي الله - تعـالى-، فيتفـضّـل الحـق -سبحانه وتعالى- عليها بما هو أهله، فترد الموارد الإلهامية فتحًا من الله - تعالى- من غير تصنّع ولا اجـتلاب ولا تأويل ولا احتمال، بل يُـفاجأ العبد من الله - تعالى- بما لا يستطيع دفعـه... وإنمـا أردنـا بهـذه التوجيهات تعليمًا للمتواجد، وتنبيها لمن أراد أن يتطلـّع على اخـتلاف مـشارب القـوم في الـسّماع على أنها كثيرة لا تحصى، ولئلا ينبهم الأمر على الحاضرين فيما إذا تحرّك المبتدئ والمنتهـي في بيـت واحد، فلا شك أنّ للمنتهي غرائب لا يصل إليها فهم المبتدئ، ولو تطوّر غايـة الأطـوار أو تـسلـّق فوق نهاية الأكوان والأدوار فإنّ لسان حال المنتهي يقول له:

تنـــدبون اللِـــّوى وأنـــدبُ سَلـْــعا　　　كـلّ عـــين تبكـى علـى مـا شجـــاها

والباب الأوّل من هذا الكتاب فصّل فيه تأويل مائة لفظة ولفظة في كلّ واحدة من مراتبها الأربعة، أيْ تأويلها عند النـّاسك، ثمّ عند السّالك، ثمّ عند المحبّ، ثمّ عند المجذوب العـارف. وهـي نماذج ليقيس عليها السّـامع ما عداها من الألفاظ. وهي ألفاظ معتادة جارية على ألـسن كـلّ النـاس (مثل: السّـماء، الرّياح، العقل، الأذن، الرّأس، جهة اليمين، الأمّ، الدّار....)، إلاّ أنّ كلّ واحد مـن أولئك الأربعة يؤوّلها حسب مقتضى مقامه وحاله.

والباب الثاني يشتمل على شروحه وفق هذه المرَاتب الأربعة، لعشرة قـصائد مـن نظمـه، مجموع أبياتها مائة بيت وبيت، وهي مشحونة بالمصطلحات والرّموز المتنوّعة.

والباب الثالث فصّل فيه بأسلوب مركـّز مع دقـّة تامّة وإيجـاز جـامع أربعـين مقامـا مـن مقامات أهل السلوك جُـملا وُكيفية اختلافها في أرباب الـدرجات، وطرفـا مـن كينونـة الرّجـال في سائر المقامات والأحوال". وقد أشرنا مع كلمة إلى رقم الباب الذي يناسبها وفيه تفصيل واف حولهـا في موسوعة ابن العربي الكبرى: "الفتوحات المكّية".

وقد أضفنا في آخر هذا الكتاب ملحقين: الأوّل يشتمل على بيان معاني نحو أربعين مصطلحا من أهمّ المصطلحات التي خصّص الجيلي لها أبوابا في كتابه "الإنسان الكامل". والملحق الثاني تابع لكلمة "الذكر" التي ركّز الجيلي عليها، نوذلك ظرًا للأهمّية الأساسية في السلوك بذكر اسم الجلالة الأعظم المفرد.

وأخيرا فالملاحظ أنّ الشيخ الجيلي كرّر في كتابه هذا مرّات متعدّدة تحذيره من التأويل الخاطئ والفهم المنحرف لمقاصد أهل الله في اصطلاحاتهم ورموزهم، فيقول مثلا: [وقد فتحت لك بابا كبيرًا إلى معرفة طرق من التأويلات السابقة التي هي لأرباب السّماع، ولكن على شرط التنزيه، وعدم الخروج عن قيود التشريع، من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تسمية لفظ بما يؤوّله به، بل إذا سمع شيئا من الألفاظ المذكورة انتقل ذهنه بالكلية منها إلى تلك المعاني الواردة، فيسمع فيها لا على شرط اللزوم والتقييد والتسمّي والتشبيه والتمثيل، بل على حكم الوفاء بما يجب لله من تنزيهه وتقديسه من غير نظر إلى ظاهر اللفظ ولا إلى مفهومه، بل أن يكون هذا اللفظ سببا له إلى ذكر ذلك المعنى].

الجزء الثاني من الكتاب:

يشتمل هذا الجزء الثاني:

أوّلا: على ما فصّله الشيخ الأكبر محيي الدّين بن العربي في مختلف كتبه حول السّماع وحول علاقته بالجمال، كما يتضمّن تبرير الشيخ لاستعمال العارفين الإشارات والرّموز في أقوَالهم واشعارهم.

ثانيا: علي أهمّية الشعر في التعبير عن المواجيد والحقائق التي يتعذر الإفصاح عنها في النثر، وبيان لأهمّية الشعر ورموزه في الميدان الصوفي العرفاني؛ والمقدّمة الرّائعة التي كتبها ابن العربي لديوانه الجامع الكبير: "ديوان المعارف الإلهية".

ثالثا: على توضيح دلالات المصطلحات الصوفية والرّموز العرفانية كما فصّلها ابن العربي في الباب 73 من"الفتوحات المكية" (وعددها نحو مائتي مصطلح) ومن شرحه "ذخائر الأعلاق" لديوانه "ترجمان الأشواق" (عددها: 132).

رابعا: على نموذجين لفهم تلك المصطلحات والرموز، حلّل فيهما الشيخ قصيدة من "ترجمان الأشواق" وأبيات شعرية من الباب 198 من "الفتوحات المكية".

وكتمهيد لموضوع الرّمزيّة عموما نورد في ما يلي مـا كتبـه حولهـا العلامـة العـارف الكـبير الفرنسي أصلا ومولدا، والمـصري مهجـرا ووفـاة الـشيخ عبدالواحـد يحيـى (رنيـه جينـو: 1886-1951):

علاقة الرّمز بالكلام الإلهيّ

هذا مقال عنوانه: (الكلمة الإلهية والرّمز) للشيخ عبد الواحد يحيى نشرَه بالفرنسية في شهر جانفي من سنة 1926 في مجلة "ريغنابيت" التي كانت تصدر في فرنـسا، وترجمنـاه إلى العربيـة مـع 75 مقالة له جُمعت في كتابه الذي عنوانه: "رموز العلم المقدّس". وفيه يقول (التعقيبات التي تحت الـسطر في أسفل كلّ صفحة من كلام المترجم لا المؤلـّف):

تظهر لنا الرَمزيّة كأنها ملائمة بالخصوص إلى مقتضيات الطبيعة الإنسانية، التي ليست هـي طبيعة عِـرْفانية خالصة، ولكنها تحتاج إلى قاعدة محسوسة لترتفع نحو المجالات العليـا، كمـا ينبغـي أنْ تـُؤخذ الترْكيبة الإنسانية كما هي عليه، فهي بتعقيدها الواقعي واحدة ومتعدّدة في نفس الآن؛ وهـذا غالبا ما يُتوَجّه إلى نسيانه، منذ أنْ زَعم (الفيلسوف الفرنسي) "ديكارت" إقامة فاصل جـذريّ ومطلـق بين الرّوح والجسم. وبالتأكيد، فإنه بالنسبة لعقل (روحانيّ مجرّد) خالص، لا يـُشترَط لفهـم الحقيقـة وجود أيّ شكل خارجيّ وأيّ عبارة، ويصحّ هذا حتى لتبليغ مـا فهمـه إلى عقـول أخـرى روحانيّـة مجرّدة خالصة مثله، بمقدار ما يسمح به التبليغ؛ لكن ليس هذا بالمُتاح بالنـسبة للإنـسان (العـادي). وفي الصّميم، ما من عبارة، وما من صياغة، مهما كانت، إلاّ وهي رمز للفكر، وهي المترجمة عنـه في الخارج؛ فاللغة نفسها - بهذا المعنى- ليست بشيء سوى رَمزيّة. وبالتالي لا ينبغي أنْ يوجد تنـاقض بين استعمال الكلمات واستعمال الرّموز التصويرية، بل إنّ كلّ واحد من هذين التعـبيرين مُـكمِّل للآخر؛ ويمكن لهما أنْ يتداخلا معاً، حيث أنّ الكتابة في أصـلها كتابـة تـصويريّة رَمزيّـة، حتـى أنهـا أحيانا حافظت على طابعها هذا، كما هو الحال في الصّين.

وبصفة عامّة فإنّ صياغة النطق لها شكل تحليلي (استدلالي منطقي غير حَدْسـي) كمـا هـو حال العقل الإنساني الذي يستعمل النطق كأداة خاصّة به، تابعة لـه، ومستنـسخة لمـساره بـأدقّ مـا

يمكن[1]، وبالعكس فإنّ الرَمزيّة بحصر المعنى هي في الأساس تركيبية تأليفية، وبالتالي فهي "حدْسيّة" إذا صح القول، وهو ما يجعلها أحسن ملائمة من الكلام لتُوَظَّف كنقطة ارتكاز للحدس العرفاني الذي هو أعلى من العقل، والذي يجب الحذر من خلطه مع هذا الحدس السفليّ الذي يستدعيه العديد من الفلاسفة المعاصرين.

وبالتالي، إذا لم نكتف بملاحظة فارق [بين التعبير بالكلام والتعبير بالرّمز]، وإذا أرَدنا تعيين الأعلى مهما، فإنّ الرَمزيّة التأليفيّة، مهما زَعم البعض، هي الأعلى، وهي التي تفتح إمكانيّات من المفاهيم لا نهاية لها حقّا، بينما الكلام، بدلالاته الأكثر تحديدًا وتقييدًا، يضع دائما للفهم وللإدرَاك حدودًا ضِيقها يزيد أو ينقص.

فلا ينبغي إذن الذهاب إلى قول أنّ الصيغة الرَمزيّة لا تصلح إلا للعامّي، بل العكس هو الصحيح، بل أكثر من هذا، هي صالحة أيضا للجميع، لأنها تساعد كلّ واحد على فهم الحقيقة التي تمثّلها، بكيفية يزيد كمالها وعمقها أو ينقص، بحسب الاستعدادات الرّوحيّة والمعرفية الخاصّة بكلّ شخص. وهكذا فإنّ أعلى الحقائق التي لا يمكن أصلا تبليغها أو توصيلها بأيّ وسيلة أخرى، تصبح قابلة للتبليغ إلى حدٍّ مّا عندما تكون- إنْ أمكن القول- مندرجة في رموز تسترُها على الكثير من الناس بلا رَيب، ولكن في نفس الوقت تكشفها بكل جلاء للأبصار التي تعرف كيف تنظر.

فهلْ هذا يعني أنّ استعمال الرَمزيّة يعتبر ضرُوريًّا؟ هنا ينبغي القيام بالتمييز التالي: من حيث هو وبكيفية مطلقة، فإنّ أيّ شكل خارجيّ لا يُعتبر ضروريّا، فكلّ الأشكال هي على السّوَاء عَرَضيّة وغير جوْهريّة بالنسبة لِما تعبّر عنه أو تمثّله. وهكذا، فإنّ شكلاً ما، مثلا رمز إلى كذا أو كذا من مظاهر الألوهية، لا ينبغي أنْ يُعتبَر إلا "قاعدة"، أيْ نقطة ارتكاز للتدبّر، وبالتالي فهو لا يعدُو أنْ يكون "مساعدًا" لا أكثر (...) فالرّموز مثلها مثل الحصان الذي يُتيح للشخص القيام بسفر بكيفيّة أسرع وأقلّ عناء من القيام به بوسائله الخاصّة. وبلا شك، فلو لم يكن لهذا الشخص حصان، فإنه يمكنه رَغم ذلك بلوغ هدفه، لكن كم هو أصعب مِن لو استعمل حصانا! وَلو كان بإمكانه استعمال حصان، فِمن الخطأ الكبير أنْ يرْفضه بحجّة أنّ الأجدر به أنْ لا يلجأ إلى أيّ مساعدة؛ أليس هكذا يتصرّف بالتحديد المشنِّعون على الرَمزيّة؟ وحتى في حالة السّفر الطويل المرْهق الذي لا يستحيل القيام به على الأرجل استحالة مطلقة، فإنّ بلوغ غايته قد يكون مستحيلا عمليّا. وهكذا هو الأمر

---

[1] يلاحظ هنا العلاقة بين لفظتي (نطق) و(منطق)، وفي اليونانية بين لفظة (لوغوس: الكلمة) و(لوجيك: المنطق) واللفظة العربية (لغة) واللاتينية (لينغا) المشتق منها في الفرنسية لفظه (لونغ: لسان)...

بالنسبة للشعائر والرّموز، أيْ أنها ليست ضروريّة ضرورة مطلقة، ولكنها ضـروريّة ضـرورة تـلاؤم وتناسب ولياقة بالنسبة لأوضاع الطبيعة الإنسانية.

لكن للنّفوذ إلى أقصى مدى الرَمزيّة، لا يكفي اعتبارُها من الجانب الإنسانيّ فحسب، كمـا فعلنا حتى الآن، وإنما اللائق هو النظر إليها أيضا من الجانب الإلهيّ، إنْ يُـسمَح بمثـل هـذا التعـبير. وقبل ذلك، عندما نلاحظ أنّ للرَمزيّة أساسها في طبيعة الكائنات والأشياء نفسها، وأنها مطابقة تمامًا لسُـنن هذه الطبيعة، وإذا تدبّرْنا في كوْن القوَانين الطبيعيّة مـا هـي في الجملـة إلا تعـبير عـن الإرادة الإلهية فكأنها تمثّـِل مظهرها الخارجي، أفلا يسمح لنا هذا بإثبات أنّ لهذه الرَمزيّة أصلاً "غير بشريّ"، أو بعبارة أخرى، بأنّ مبدأها يصعد إلى ما هو أبعد، وإلى ما هو أعلى من البشريّة؟

وليس بدون سبب أنْ نُـذكِّـر في شأن الرَمزيّة بالكلمات الأولى من إنجيل يوحنّـا وهي: "في البدء كانت الكلمة". والكلمة، "اللوغوس"، هي في الآن الواحد فكـرة وقـوْل. وَالكلمـة الإلهيـة، مـن حيث هي، إنما هي الإرادة الإلهية المتوجّهة على "حضرة الممكنـات"[1]؛ وبالنـسبة إلينـا فهـي تتجلـَّـى وتعبّر عن ذاتها من خلال الخلق، حيث تتحقق في الوجود العينيّ الحاضر بعض تلك الممكنـات الـتي هي من حيث ذوَاتها مندرجة فيها [أيْ في الإرادة الإلهية أو الكلمة]. فـالخلق منفعـل عـن الكلمـة، فهو بالتالي أيضا مجلى تجلِّـي الكلمة وتعبيرها الخـارجي، ولهـذا فكـأنّ العـالم كـلام إلهـيّ عنـد مـن يحسنون فهمه. والفيلسوف "بركلاي"[2] لم يكن إذن مخطئا عندما قال بـأنّ العالـَم هـو "الكـلام الـذي ينطق به الرّوح اللامتناهي المطلق إلى الأرواح المتناهية المقيّدة"؛ لكنـه أخطـأ عنـدما اعتقـد بـأنّ هـذا الكلام ما هـو إلا مجموعـة علامـات اصـطلاحية، بينمـا في الحقيقـة لا وجـود بتاتـاً لأيّ اصـطلاح اعتباطيّ حتى في الكلام البشريّ؛ فما من دلالة إلا وأصلها مؤسّس بالضرورة في توافـق أو انـسجام طبيعيّ بين العلامة وبين ما تدلّ عليه [أو بين الاسم والمسمّى] [3]. ولكون آدم [عليه السلام] تلقـّى من الله – تعالى– معرفة طبيعة كلّ الكائنات الحيّة استطاع أنْ يعطي لها أسماء (سـفر التكـوين: 20-

---

(1) قال تعالى في الآية 117 من سورة البقرة: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾. فالكلمة الإلهية الخلاّقة هي: "كن".

(2) "بركلاي" (جورج): قسّيس وفيلسوف إرْلندي، ولد بالقرب من توماستاون (1685-1753).

(3) علم التصرّف بواسطة الحروف والكلمات وأعدادها كلـّه قائم على مبدء التطابق بين الاسم والمسمّى، والاسم الحقيقي لكل شيء هو تقدير إلهيّ حكيم لا مجال للاصطلاح أو الصدفة فيه. يقول الشيخ محي الدين بن العربـي في جوابـه عـن السؤال 141 من أسئلة الحكيم الترمذي (الباب 73 من كتابه "الفتوحات المكّية") وهو يتعلق بترتيب الحروف: (... ونحن إنما ننظر في الأشياء من حيث أنّ الباري واضعها، لا مـن حيـث يـد مـن ظهـرت منـه. فـلا بـدّ مـن القـصد في ذلـك والتخصيص، فشرْحنا لِكوْن الحق هو الواضع لها لا غيرُه).

19-2) [1] وكلّ الملل القديمة الأصيلة متـّفقة في الإرشاد إلى أنّ الاسم الحقيقيّ للكائن لـيس سـوى تعبير عن طبيعته وذاته نفسها.

وإذا كانت الكلمة الإلهيّة مقولة في مبدء الدّهور، فالطبيعة بجملتهـا يمكـن أنْ تؤخـذ كرَمـز للحقيقة التي هي فوق الطبيعة. فكلّ ما هو كائن، مهما كان نمطه، بحُكم أنّ مبـدأه موجـود في العلـم الإلهي، فهو يترجم هذا المبدأ أو يمثِّله بالكيفيّـة المناسـبة ووفـق نمـط وجـوده؛ وهكـذا، مـن مرتبـة وجودية إلى أخرى تتلوها، تتسلسل كلّ الأشياء وتتناسق لتساهم في الانسجام الكلِـّي العـامّ الـذي هو كالانعكاس أو كالظلّ للوحدة الإلهيّة نفسها. وهذا التناسب هو الأساس الحقيقيّ للرَمزيّة. ولهذا فإنّ قوَانين مجال سفليّ مّا، يمكن دائمًا أنْ توَظـّف لترْمز إلى حقـائق مـن طـراز سـام، حيـث توجـد علـّتها الأصـليّة الـتي هـي مبـدؤها وغايتهـا في نفـس الآن. وفي هـذا الـسياق ننبّـه إلى خطـأ تفسيرات"المذهب الطبائعي"[2] الحديثة، للتعاليم الترَاثية العتيقة الأصيلة، وهي تفسيرات تقلـب بكـلّ بساطة رَأسًا على عقب ترتيب النِسّب بين مختلف مرَاتب الحقائق الوجوديّة. مثال هذا: لم يكن أبـدًا للرّموز أو للأقاصيص دور تمثيل لحرَكة النجوم، وإنما الحقّ هو أننا في كـثير مـن الأحيـان نجـد فيهـا صورًا مستلهَمة من تلك الحركة، والقصد منها التعبير قياسيّا على أمر آخر مختلف تمامًا، وذلـك لأنّ قوانين هذه الحركة تترْجِـم - على مستوى الطبيعة [فيزيائيّا]- عن مـا تـرتبط بـه مـن مبـادئ علـى مستوى ما فوق الطبيعة [الميتافيزيقا]. فالسفليّ يمكن أنْ يرمز إلى العلويّ، لكن العكس مستحيل[3]. زدْ على هذا أنه لو لم يكن الرّمز أقرَب إلى الميدان المحسوس ممّا يمثِّله، كيـف يمكـن لـه عندئـذ القيـام بالوظيفة المنوطة به؟ ففي الطبيعة يمكن للمحسوس أنْ يرْمز إلى ما فوق المحسوس؛ والميدان الطبيعـيّ بجملتـه كـذلك يمكـن أنْ يكـون رمـزًا للمجـال الإلهـي. ومـن ناحيـة أخـرى، إذا اعتبرنـا الإنـسان بالخصوص، أليس من المشروع القول بأنه هو أيضا رَمز لكونه مخلـوق علـى الـصورة الإلهيـة (سـفر

---

(1) قال تعالي في الآية 31 من سورة البقرة: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾. وحول خصوصيات آدم عليه السلام ينظر أجوبة الشيخ محي الدين بن العربي على أسئلة الحكيم الترمذي: 40/ 41/ 42/ 43/ 44/ 45/ 46 والفصل الأوّل من كتابة (فصوص الحكم).

(2) المذهب الطبائعي مذهب فلسفي يعتبر الطبيعية المبدأ الأول.

(3) هذا المعنى نجده في الآيتين: الآية 35 من سورة النور: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾.

التكوين: 1 ,26-27) [1] ثمّ إنّ الطبيعة لا تكتسب كلّ دلالتها إلا إذا رَأيناها توفِّر وسيلة ترْفعنا إلى معرفة الحقائق الإلهيّة، وهذا هو أيضا بالتحديد الدّور الجوْهري الذي عرَفناه للرَمزيّة[2].

إنّ بالإمكان التوسّع في هذه الاعتبارَات إلى مالا نهاية تقريبًا، لكننا نفضل أنْ نترك لكلّ واحد القيام بجهد في التدبّر الشخصيّ، فذلك هو الأجْدى حقّا؛ وهذه الملاحظات، مثلها مثل موضوعها أيْ الرّموز، لا ينبغي أن تكون سوى نقطة انطلاق للتأمّل. زد على هذا أنّ الكلمات لا تسمح بالإفصاح عن المقصود إلا بكيفيّة ناقصة؛ لكن رَغم هذا سنحاول تبليغ فهمه، أو على الأقلّ استشعاره ببيان موجز.

الكلمة الإلهية، كما ذكرنا، تترْجَم في الخلق؛ وهذا، مع اعتبار الفارق، مماثل قياسيّا للفكرة التي تترْجَم في أشكال تحجبها وتظهرها في نفس الآن (ولم يبق هنا مجال للتمييز بين الكلام والرّموز بحصر المعنى). والوحي الأصلي الأوّل، المنبثق كعمليّة الخلق من الكلمة الإلهية، يندرج هو أيضا في رموز تـُوُورثتْ جيلا تلو جيل منذ الأصول الأولي للإنسانية؛ وهذه السّيرُورَة هي أيضا مماثلة في مجالها، لسيرُورَة عملية الخلق نفسها.انتهى.

---

(1) ورد في الحديث الصحيح قول النبي – صلى الله عليه وسلم–: (خلق الله آدم على صورته) وفي رواية أخرى: (على صورة الرحمن).

(2) ربما لا يخلو من الفائدة التنبيه على أنّ هذه الوجهة من النظر التي تعتبر الطبيعة كَرَمز لِما فوق الطبيعة، ليست بالجديدة بتاتا، وقد كانت بالعكس شائعة جدّا في القرون الوسطى، بالخصوص في المدرسة الفرنسيسكانية ولا سيما عند القديس بوفانتور*. ولنلاحظ أيضا بأن المماثلة (بطريق القياس)، بمعناها عند توما الأكويني، وهي التي تسمح بالترقي من معرفة المخلوقات إلى معرفة الله (تعالى)، ليست بأمر آخر سوى كيفية من التعبير الرّمزي المؤسسة على التناسب بين المجالين الطبيعي وما فوق الطبيعي (من كلام المؤلّف).

*) الفرنسيسكان رهبانية أسّسها القدِّيس "فرنسيس الأسيزي" (1210 م.)، وجعل الفقر أساسًا لحياتها. وقد تجرّد رُهبانها للتعليم وللتبشير خصوصا في كبرى مدن الشرق الأوسط (المترجم).

**) في القرآن والنصوص الشرْعية والصوفية مالا يحصى من التعابير الدالّة على ما ذكره الكاتب هنا. يقول تعالي في الآية 53 من سورة فصلت: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾. وفي الآيتين 20– 21 من سورة الذاريات: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾. ويقول الشاعر:

تأمّلْ سطور الكائنات فإنها … من الملإ الأعلى إليك رسائل

(المترجم).

وفي الباب الأوّل من كتابه (السلطة الرّوحيّة والحُكم الزمني) الذي كتبه سنة 1929، يتكلم الشيخ عبد الواحد يحيى عن رمزيّة الوقائع التاريخيّة فيقول:

إنّ كلّ ما هو موْجود، من أيّ نمط كان وُجوده، يستند بالضرورة إلى المبادئ الكلـّيّة، التي هي الأعيان (أو الماهِيّات) الأزليّة الثابتة في الآن الدّائم في العلم الإلهيّ القديم. ولهذا يمكن القول أنّ جميع الأشياء، مهما كان حالها العارض الحادث بالنسبة إليها، تترْجِم أو تمثِّل المبادئ حسب مظهرها ومرْتبة وجودها، إذ لولا ذلك لكانت محض عدم. وعلى هذا النحو، من مرتبة وجودية إلى أخرى تتلوها، تتسلسل وتتناسب جميع الأشياء لتتضافر في الانسجام الكلـّي الشامل، لأنّ الانسجام – كما سبق قوله- ليس سوى انعكاس للوحدة المبدئيّة في كثرة العالم الظاهر؛ وهذا التناسب هو الأساس الحقيقيّ للرّمزيّة. ولهذا يمكن دائمًا أخذ قوَانين مرتبة دُنْيا كرُموز لحقائق من مرتبة عُلـْيا، حيث تكمن عِلـّتها العميقة التي هي في نفس الآن مبدأها ومنتهاها. وبهذه المناسبة نشير عَرَضا إلى خطإ التفاسير «الطبائعيّة» الحديثة للمذاهب التراثية العتيقة، وهي تفاسير تَـقـْـلِبُ بكلّ بساطة ترَاتب العلاقات بين مختلف أنماط الحقائق الوجوديّة. وكمثال، إذا لم نعتبر سوى النظريات الأكثر شيوعا في أيّامنا هذه، فإنّ الرّموز أو القِصص الميتولوجية لم يكن لها أبدًا دورٌ في تمثيل حرَكة الكواكب، ولكن كثيرًا ما نجد فيها صُوَرًا مستلهمَة منها، وهدفها التعبير قياسيّا عن أمر آخر مختلف تمامًا، لأنّ قوانين هذه الحركة تترْجِم فيزيائيّا المبادئ الميتافيزيقية المستندة إليها؛ وعلى هذه المفهوم كان يعتمد علم النجوم الحقيقيّ عند القدامى. فما هو أدنى يمكن أنْ يرْمز إلى ما هو أعلى، والعكس مستحيل. ولو كان الرّمز أبعد من الوَاقع المحسوس ممّا يمثله، بدلا أن يكون أقرب، كيف يمكنه أداء وظيفته الذي هو جعل الحقيقة أقرب إلى تناول الإنسان بتوفيرها «مستندًا» لتصوّرها؟ ومن جانب آخر، وبالعوْدة إلى نفس المثال، فمن البديهي أنّ استعمال الرّمزيّة الفلكية لا يمنع بتاتا أنْ تكون الظوَاهر الفلكية على ما هي عليه، وأنْ يكون لها في مرتبتها الخاصّة واقعها الموْجود فعليّا. ونفس الشيء تمامًا بالنسبة للوَقائع التاريخيّة، لأنها كغيرها تعبّر وفق نمطها عن الحقائق العليا وتنسجم مع قانون التناسب الذي سبق ذكره. فهذه الوقائع هي أيضا موجودة فعليّا، لكنها في نفس الوقت رموز. وفي نظرنا، كونها رموز هي أجدر بالاهتمام من حيث كونها وقائع؛ ولا يمكن غير هذا عندما نتفق على ربط كلّ شيء بالمبادئ، وهنا بالتحديد – كما شرحناه في موضع آخر (12)- الفارق الجوهري بين «العلم المقدّس» و«العلم الظاهري».

الجزء الأوّل

ألا إنّ الرّمـــــوز دليــــل صــــدق　　　　علــى المعنــى المغيّــب في الفــؤاد

- الباب 26 من "الفتوحات المكّية" لابن العربي-

كتاب غُنية أرْباب السّماع

في كشف القناع عن وجوه الاستماع

للإمام المحقق عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلى رحمه الله - تعالى- ورضي عنه.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه



الحمد لله الذي أقام في مقامات القرب أقدام الرّجال، وثـبّـتـهم لِما بـرز منه علـيهم مـن عطفات الجمال وسطوات الجلال، فجعلهم في الوجود صورة شهوده بمعاني الكمال، تجلّى علـيهم بذاته، فتحلّـوا بأسمائه وصفاته، سبقت لهم عنايته في الأزل والآباد، فغابوا في شهود وحدانيتـه عـن سائر الأمداد. أحمده حمدا لائقا بكمال الألوهية، واجبا بجمال الربوبيّة، جامعا لفنون الكمال المطلـق كما هو يستحقه في ذاته ذات الحق؛ وأشكره شكرا متـصلا متـواتر الآلاء، موَازيـا لأنـواع النعمـاء، وأثني عليه بما هو أهله ممّا له من المجد الباذخ، والعز الشامخ، والفضل الظاهر، والنور البـاهر، حتـى يكون هو الحامد لنفسه الكريمة عني في مقام الوفاء، والمثـنـي على ذاته المقدسة مـن لـساني بمجـامع البهاء، فيكون شكره حينئذ شكر من: "عرف نفسه بالـفـناء عرف ربّه بالبقاء"، وثـنـائي ثنـاء مـن تنـزه عن الاتصال والانفصال، وتـقـدّس بما هو له من فنون الكمال، لينجلي الأمر عن حمده الـذي هـو عبارة عن ظهور الذات المقدّسة بما هو عين الصفات والأفعال، كما هو له-العظمة والكبرياء، الذي هو خلف سرَادق العـزّ والبهاء، وفوق مناظر النور والسّـناء، لا يرجع حينئذ عـن شـهود العـزّ، إلى ملاحظة العجز، للقيام في معابر العبودية، بوفـاء حـق الربوبيـة، فـأبرز في العامـل الوجـودي، علـى

الفلك الكامل المحمّدي، دائرا في منازل سماء مقتضى الأسماء والصفات على مجرّة الصراط السّويّ، مكمّلا لنور بدر خَلْقي، من آيات شموس أنوار حقّي، قابلا لفيض التجليات، بالاستعداد لغاية الغايات، مفيضا على كثائف وجودي، من سماء: "كنت سمعه وبصره ويده ولسانه" لطائف شهودي، فأحشر تحت لوائه المعقود، بالحمد في زمرة وليّه الحبيب المحمود.

وأشهد أنْ لا إله إلا الله الأحد بذاته، الواحد في أسمائه وصفاته، المتجلي بحقيقة التنزيه في مجالي: ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: 115] من جميع جهاته، ذو الكمال الجامع، والنور الساطع، والمجد القامع، والعزّ الشاسع، والجود الواسع، والفخر الشائع، والبرهان القاطع، والظهور الباهر، والبطون الفاخر، والحكم القادر، والبهاء الزاهر، والأمر الباتر، والجمال الظاهر، والجلال القاهر، والكمال السائر، والحجاب الساتر؛ الكبير الذي تنزه عن الحدّ، والواحد الذي تقدّس عن العدّ؛ ظهر في مخلوقاته بأسمائه وصفاته، وخفي عنهم لشدة ظهوره بذاته؛ أوجد الأشياء من مطلق العدم، وأبقاها بعد وجودها على حكم ما كانت عليه من الفناء في القِدم، فهي موجودة العين، مفقودة الأثر، مجهولة المعنى، مشهودة الصور؛ تحركها يمنة ويسرة أيادي القدَر، وهي مستورة بها عنها في مطالع تلك الغرَر، فليس للوجود الكلّ مع وجوده الحقيقيّ من وجود، وليس للعابد من ذلك عبادة لأنه الفاعل بهم للعبادة فهو العابد والمعبود[1].

شعر:

أخفي ظهور جماله المشهود	بجلاله في شاهد الوجود
وبدا فأخفي العالمين ظهورُه	وتلاشت الأشياء للمشهود
وتكاملت أوصافه فتعيّنت	في العابدين ببهجة المعبود
شهدوا الجمال وقد بدا فتحققوا	بفناء كل محقق بوجود
أفناهم لما رأوا أعيانهم	فتحققوا في طمسه المفقود
وأراهم ما فيهم من سره	فبقوا به في وصفه المورود

---

[1] أي هو تعالى الذي يقيم عبده في العبادة لا أنّه تعالى يكون عبدا. يقول الشيخ الأكبر محيي الدّين ابن العربي في الباب 351من "الفتوحات المكية": (فالعبد عبدٌ والربّ ربّ *** فلا تغالط ولا تخالط).

لله ذر منـــــــاظر ومـــــــــشاهد	**جـــذبوا إليهـــا عـــنهم بـــشهود**
فتحققـــــوا بـــــصفاته في ذاتهـــــم	**مـــن غـــير حـــلّ ممـــازج محـــدود**
فالـــــذات ذاتهـــــم لمقلـــــة نـــــاظر	**والوصــف وصــف الله ذي التمجيــد**
فهـمُ هُـــمُ في شـــامخ الأطـــوار مـــن	**خمـــر الوجـــود بـــسكرة التوحيـــد**
غـــابوا فـــلا علـــم ولا أثـــر ولا	**سمــع ولا بـــصر ســوى التـفـريـــد**
فهـــم وإن غـــابوا حـــضور في الـــورى	**متمـــــتعين بلـــــذة وسعـــــود**

وأشهد أنّ محمدا - صلى الله عليه وسلم- رسوله المكرّم، وحبيبه المعظم، وعبـده المبجّـل المفخـّم، الذي حلاه بأوصافه، وعمّه بألطافه، وكشف له عن أستاره، وأعلمه بأسراره، فظهـر علـى قلبه الكمال، وأظهر على جوارحه صفات جماله والجلال، فكـان الله سمـع محمـد ولـسانه وبـصره، بمعنى الحديث النبوي، لا بمعنى الحلول؛ وكان محمد رحمة من ربه في العالم، ظاهرا بأوصافه وأسمائـه الحسنى وهو واحد من بني آدم، - صلى الله عليه وسلم -وعلى آلـه وأصـحابه وأزواجـه، وشـرّف وعظم ومجّد وكرّم.

أمّا بعد فإني لمّا رأيت قصور الفهوم عن أطوار المعاني، ووقوف العموم مـن عـوامّ أربـاب السماع على ظاهر ألفاظ الأغاني، أردت أن أفتح بابا لأهل السماع، إلى حسن الاسـتماع، وأكـشف نقابا لأهل الأغاني عن مخدّرات المعاني، المحجوبة عن عيون العامّة بصور ألفاظ المغـاني، فاسـتخرتُ الله - تعالى- مدة من الزمان، وبرهة من الأوان، في وضع كتاب ظاهر التحقيق، باهر التدقيق، محكم المسائل، غير مشتبه العقا يل، صريح طلائع الغرر، مفسِّرا لكنايـات معـاني الـصوَر، مقرّبـا للبعيـد، محصِّلا للشريد، مبـنـيّا على الكشف الصريح، مؤيّدا بالكتاب أو الخبر الصحيح، أو مفهوما بقـرائن النقل ووسائط العقل الرّجـيح. ولم أزل أقدِّم يُـمـنى وأؤخر يُـسرى، حتـى أذن لـي في وضـع هـذا الكتاب المسمّى: (**غنية أرباب السماع، في كشف القناع، عن وجوه الاستماع**). فاستعنت بـالله - تعالى- في ترتيبه وتهذيبه، وكرّسته على مقدّمة وثلاثة أبواب:

فأذكر في المقدمة نبذة من شيم أهل الطريق، أشرح فيها مراتب الفريق.

وأذكر في الباب الأول مائة لفظة (بل: 101 لفظة) ممّا يتأوّلهـا الفـصحاء، في نظـم الـشعر، ويـتـناقـلها البلغاء في سلوك فواصل النثر، فأشرحها على قدر السامعين، كل لفظـة ممّـا يتعلـق بهـا

على طريق التأويل بالتعيين، ليقيس عليها المستمع ما عداها من الألفاظ، لأنّ الباب إذا فتح سهل الدخول منه؛ والله الهادي.

وأذكر في الباب الثاني عشرة قصائد، وأشرح كيفية السماع فيها لأهل الاستماع، على تفاوت الدرجات والطباع.

وأذكر في الباب الثالث جُملا من المقامات، وكيفية اختلافها في أرباب الدرجات، وطرفا من كينونة الرجال في سائر المقامات والأحوال، طالبا بذلك وجه الله - تعالى-، راجيا أن يجعلني ومن نظر في هذا الكتاب ممّن أيّد بالحكمة وفصل الخطاب، إنه وليّ الإجابة، وهو الموفِّق للإصابة.

تنبيه:

أجمعَ أهل الله - تعالى- أنّ الفهم عن الله على قدر مقام العبد عند الله، ولم يختلفوا في أنّ الكلمة الواحدة الدالة على معنى مخصوص، قد يفهم منها العبد عن الله معاني كثيرة لا تحصى، وكلهم قائلون أنّ المستمع لا ينبغي له أن يستمع إلا في الله، أو في نبيّه - صلى الله عليه وسلم - أو فيما يتعلق بطريقه إلى الله – تعالى-؛ ولا ينبغي له أن يقتصر على ظاهر الألفاظ دون العبور على بواطن معانيها، إلا إذا كانت الألفاظ ظاهرة المعنى في المقصود. ويجب على الفقير أن لا يستعمل التكلف في التأويل، بل يتوجّه إلى الله - تعالى- بباطنه، ويقبل ما يرد من ذلك الجناب بكليته، ولا يشتغل بألحان المغاني، ولا بتحسينات الأغاني، ولا يلتفت إلى الإعراب، ولا إلى تصريف الألفاظ، فيفوته بذلك لبّ المعاني؛ ولا ينبغي له أن يستمع في شيء من الأكوان ممّا يتعلق بالدنيا أو الآخرة، كالحُور والقصور، فإنّ جميع ذلك راجع إلى شهوة النفس وزيادة الحظ، وطريق الرّجال بخلاف ذلك.

مقدّمة

قال الله - تعالى-: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: 37]، يعنى أنه يصغى بكليته، فيشهد ببصيرته، موقنا ما يلقى إليه، إمّا ظاهرا أو باطناً؛ فعُلم من ذلك أنّ حقيقة الذكرى لا تحصل إلا لمن كانت فيه إحدى الخصلتين. واعلم أنّ المستمعين وإن اشتركوا في سماع مجرّد الألفاظ، فقد تباينوا في سماع معانيها؛ فرُبّ كلمة موضوعة لمعنى القرب، قد يفهم منها معنى البعد، وبالعكس، على قدر المقام والمستمع. ولكن أشرف الفهوم

وأعلاها، وأعزّها وأحلاها، وأنورها وأجلاها: فهم يقرّبك إلى الله بأنواع الوسائل، ولا يحجبك في معرفته إلى الدلائل؛ فارفع همّتك في فهم المعاني، عمّا دلت عليه ظواهر الألفاظ والأغاني، ممّا يقتضيه حال الوقت، لتكون ممن قال الله فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ الزمر: 18].

وإذا علمت أنّ الناس مختلفون فيما يسمعونه من كلام الله – تعالى– ، أو حديث رسوله – عليه السلام–، أو أقوال الشعراء والحكماء والوُعّاظ، وأنّ لكل فيه فهما مخصوصا على قدر قابليته واستعداده، فاعلم أن أهم مقاصدي مِن وضع هذا الكتاب: فهْم تأويل كلام الله – تعالى– كما هو مراد له، بما دلّت السُّنّة السنيّة عليه، ممّا يُقرّب إلى الله، ويعرف العبد به – سبحانه وتعالى– وبما أخبر عنه من الأمور التي آمنّا بها غيبا. ولمّا كان مجال الكلام في تأويل القران ضيّقا لأمور لا تحصى، وكان الحديث تابعا للقران في هذا الحكم، تحدّثنا على تأويل الأشعار، فإنّ السماع عند الأكثرين ركن من الأركان المعظمة الشعار. وما اختلف من اختلف فيه غالبا إلا لقصوره عن فهم حقيقة السماع، واحتجابا بظاهر حكم الطّار والمزمار. فمتى فُتح على المريد الفهم عن الله في السماع، وظهر له تأويل ذلك فيما يناسب مطلوبه بحكم حسن الاستماع، يجد بذلك قوة في قابليته لفهم الكتاب العزيز على قدر ما يُعلِّمه الله من تأويله في ذلك.

ثم اعلم أنّ اختلاف الفهوم فيما يُسمع منوط بمقام السّامع – كما تقدّم ذكره– على قدر قابليته، لا يحسن أنْ يتعدّى مقامه ضرورة؛ ومن هنا وقع الخلاف بين سائر العالمين في جميع ما اختلفوا فيه، لأنّ كلا يحمل المعنى على ما يقتضيه أمره، ومقتضيات أمور العالم مختلفة لاختلاف أحوالها، وأحوالها مختلفة لاختلاف سوابقها، وسوابقها مختلفة لاختلاف قوابلها، وقوابلها مختلفة لاختلاف محاتدها (أي: أصولها)، ومحاتدها مختلفة لاختلاف تجليات الأسماء والصفات. فهذا محتده من اسم الجمال، وهذا محتده من اسم الجلال، وهذا محتده من اسم الهُدى، وذاك محتده الضلال، لتقابل اسميْه: "الهادي" و"المضلّ"، و"المنعم"، و"المنتقم" و"القريب" و"البعيد"، إلى غير ذلك من أسماء الله – تعالى–، لأنّ العالَم جميعه آثارها، فأثر هذا مباين لأثر هذا؛ ومن هنا حصل الخلاف في العالم؛ فمن كان مظهر أثر اسمه "الهادي" لا يكون مظهر أثر اسمه "المضلّ". فلأجل هذا تميّزت المراتب، وظهرت المناصب، فحفظ كل مرتبته من الوجود بإقامته فيها، ولولا المقيم لانعدم المقام، وذلك محال. فجعل

الحق – تعالى– ظهور عباده مناسبا لأثار أسمائه وصفاته، فكلّ منهم مظهر لمحتده الذي تجلى الله عليه به لّما أوجده في علمه؛ فهو يعرف الله ويعبده من حيث ذلك الاسم والصفة.

وبهذا الاعتبار ما في الوجود شيء إلا وهو يعبد الله – تعالى–، ويؤيّد ما قلناه قوله – تعالى–: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]، وقوله عليه السلام: (كلّ ميسّر لِما خُلق له). فالجن والأنس ميسّرون لعبادة الله، عابدون له بالفطرة الأصلية قطعا، لا سبيل إلى غير ذلك. وهذه العبادة الأصلية هي مجهولة لنا، غير معلومة عندنا بحكم التفصيل، لأنّ الله – تعالى– يقول: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الاسراء: 44]، فكلّ مسبّح عابد بالضرورة، لأنّ التسبيح عبادة. فالمسلم، والكافر، والحيوان، والجماد، والصور، والمعاني، والأرواح، والأشباح، كلهم يعبدون الله – تعالى– بهذه العبادة الأصلية التي فطر الخلق عليها. فمنهم من يعلم عبادته لله، ومنهم من لا يعلمها وهو الأكثر. وعبادة التشريع عبادة أخرى غير هذه العبادة المذكورة، جعلها الله سببا لإقامة الحجّة على من حقّ عليهم القول في قوله: (وهؤلاء إلى النار ولا أبالى)، وعلّة للاعتراف بمحض الفضل لمن سبقت عنايته في حقهم بقوله: (هؤلاء إلى الجنة ولا أبالى) [1].

اختلاف الناس في كيفية السماع

وإذا قد علمت ذلك، فاعلم أنّ كل طائفة تأتى أمرًا مّا، فهي مختلفة في ذلك؛ فمنهم من يكمله، ومن يقرب في الكمال، ومن يقتصر على حروفه، على قدر الاستعداد والقابلية التي جعلها الله في عباده. فكذلك أهل السماع مختلفون في حمل المعاني على قدرهم، فما من يسمع في التوبة كمن يسمع في مقام العبادة، ولا من يسمع في مقام العبادة كمن يسمع في مقام الزهد، ولا من يسمع في مقام الزهد كمن يسمع في مقام التوكل، ولا من يسمع في مقام التوكل كمن يسمع في مقام الرّضا، ولا من يسمع في مقام الرّضا كمن يسمع في مقام المحبة، ولا من يسمع في مقام المحبة كمن

[1] [إن الله عز وجل خلق آدم، ثم أخذ الخلق من ظهره وقال: هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي، فقال قائل: يا رسول الله فعلى ماذا نعمل؟ قال: على مواقع القدر]. رواه أحمد، وابن سعد في "الطبقات"، وابن حبان في "صحيحه"، والحاكم والحافظ عبد الغني المقدسي من طريق أحمد عن "عبد الرحمن بن قتادة السلمي"، وكان من أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم– مرفوعاً. وقال الحاكم: "صحيح". ووافقه الذهبي.

يسمع في مقام الفناء، ولا من يسمع في مقام الفناء كمن يسمع في مقام البقاء، ولا من يسمع في التلوين كمن يسمع في التمكين.

اختلاف الناس في مقاصد العبادة

لأنّ الناس مختلفون في طلب الله - تعالى-، وسعادتهم متفاوتة:

- فمنهم من يعبده ليطلب منه بعبادته أن يفعل له في الدنيا ما هو كيت وكيت.
- ومنهم من يعبده فيطلب منه بعبادته أن يفعل له في الأخرى.
- ومنهم من يعبده فيطلب منه بعبادته أن يجمع له بينهما.
- ومن السعداء من يعبده فلا يطلب منه بعبادته جزاء غير النظر إلى وجهه الكريم.
- ومن القوم من يعبده عبادة محضة ليس له إرادة شيء، فلا يطلب بعبادته منه نظرا ولا نجاة، يعبده لأنه سبحانه أهل أنْ يُعبد.

فمن هؤلاء من تكون عبادته بدنية، ومنهم من تكون عبادته قلبية، ومنهم الجامع، ومنهم من يدوم في العبادة، ومن يفتر فيها. والذين عبادتهم بدنية منهم من تكون عبادته فعل الأركان، ومنهم من تكون عبادته مخالفات النفوس بالرّياضات والمجاهدات والمكابدات، ومنهم من تكون عبادته بالبكاء والعويل، أو الدعاء والاستغفار، أو الذكر أو التلاوة، أو غير ذلك من الأعمال البدنية.

والذين عبادتهم قلبية:

- منهم من تكون عبادته على المحبة.
- ومنهم من تكون عبادته شوقا إليه.
- ومنهم من تكون عبادته وَلَـهًا به.
- ومنهم من تكون عبادته شهود رقم اسم الله بقلبه.
- ومنهم من تكون عبادته ملاحظة آثار الله - تعالى- بقلبه.
- ومنهم من تكون عبادته تصوّر ما يعلمه في الله.
- ومنهم من تكون عبادته استحضار كون الحق - تعالى- ينظر إليه ويسمعه ويعلمه.
- ومنهم من تكون عبادته شهود أنوار الصانع في مصنوعاته.
- ومنهم من تكون عبادته شهود صفات الله - تعالى- وأثرها في الوجود.

- ومنهم من تكون عبادته شهود فعل الحق - تعالى- بالعالم في الحركات والسكنات، فلو رأى متحركا لشهد الحركة بفعل الله لا بفعل ذلك المتحرك، ولو سمع أو رأى أو شهد لشهد أنّ سمعه ورؤيته وشهوده بفعل الله وقدرته وإرادته - تعالى-؛.
- ومنهم من تكون عبادته شهود واحدية الحق - تعالى- بعين قلبه.
- ومنهم من تكون عبادته شهود انعدام الموجودات لظهور وجود الحق - تعالى-.

اختلاف الناس في الشهود

- ثم منهم من يكون شهوده هذا بعين قلبه لا غير.
- ومنهم من يتحد عين قلبه بعين بصره فيجد ذلك بشهود مقلته لقوة انهماكه فيه، كما تتصور للشخص في بعض الأحيان الأمور الخيالية فيشاهدها ببصره.
- ومنهم من تكون عبادته معرفة الأسماء والصفات، ولا يُتوهم أنّ معرفة هذا للأسماء والصفات من قبيل معرفتنا لها، بل يعرفها معرفة أخرى ملحقة بمعرفة الله - تعالى- لأسمائه وصفاته، لأنه لمّا تجلى عليهم بها عرَّفهم إيّاها، فعرفوا الأسماء والصفات بذات الله - تعالى-.
- ومنهم من تكون عبادته معرفة ذات الله - تعالى-، فهذه المعرفة مستفادة من الوجود الحقيقي، لأنها لا تدخل تحت العبارة، فهي معرفة وجودية ذوقية، وهؤلاء هم الأفراد وآحاد الآحاد.

أصناف السامعين الأربعة:

فما من متحرك في السماع بنفسه كمن يتحرك فيه بربه، ولا من يتحرك بربه كمن حرّكه ربه فتحرك ضرورة، فليس له تعمّل الحركة بوجه من الوجوه. فكل سامع من هؤلاء له فيما يسمعه تأويل يليق بحاله. فمنهم من يفاجئه ذلك التأويل ضرورة وهو الواجد؛ ومنهم من يتأوّله وهو المتواجد. وتجمع هذا الأصناف كلها أربعة أجناس وهي: **السالك، والناسك، والمحبّ، والمجذوب**. لأنّ لفظة "النسك" يجمع العُبّادة والزّهاد والمتوكلين وأمثالهم؛ ولفظة "السلوك" تجمع أهل قصد المخالفات؛ ولفظة "الحب" تجمع المريدين وسائر أهل الطلب لله؛ ولفظة "الجذب" تجمع الواصل والعارف وغيرهم. فافهم.

وها أنا أتكلم لك على هذه المراتب في تأويل كل كلمة ممّ يسوغ حمله على المعنى اللائق بالسماع، كما أعرّفه بذوق المقام على قدر إفهام العامّة، وأترك ما فوق ذلك من موارد علم أهل التمكين، لأنّ وقتنا هذا لا يسع حمل الكلام في ذلك.

ويا رب علم غامض جلّ قدره — خشينا عليه الحادثات فأهملا

ولو لم تكن ترتاب من فهم جاهل — لكان مع الإخوان علمي محصلا

ولكنهم لّما إلى الأرض أخلدوا — دعاهم دواعي الحقد في العلم قول لا

إلى أن يغشى العلم منهم غشاوة — وحلّ بهم مرسوم فقدانه البلا

وقد كانت الأيام ذا دأب أهله — فلا يلم الجهّال فيه أخو العُلا

وقد آن أوان شروعنا في الأبواب، على حسب ما سبق الوعد به في أول الكتاب، والله - تعالى- الموفق للصواب، وإليه المرجع والمآب.

الباب الأول

في تأويل الألفاظ المفردة وحملها على طبقات أهل الدرجات

وهي عشرون فصلا

اعلم – وفقك الله– أنّ الممنوع في الجناب الإلهي إنما هو التشبيه، فلا يجوز أن يُشبّه الحق بشيء، ويجوز تأويل الأشياء من حيث فهمك على قدر متعلقك به. فإذا قال قائل: "ما أحسن القمر" مثلا، يجوز لك أن تأوّل من حيث فهمك القمر بالحق، فتقول: "ما أحسن جمال الحق – تعالى–"، ولا يجوز أن يُشبّه القمر بالحق، لأنه – تعالى– عن ذلك. فالسماع كله تأويل لا تشبيه، ولذلك قال الجنيد في السماع: (التصريح جفاء، والإشارة تكلّف، والسماع ما أشكل). فافهم.

الفصل الأوّل في العلويات وما يتعلق بها :

1- **السّماء:** قد يؤوّلها الناسك بالعبادات؛ والسالك بالأرواح لأنها سماء الأجسام؛ والمحب بمكان المحبوب؛ والمجذوب بالعلم الإلهي، لأنّ الموجودات نزلت من عالم العلم إلى عالم العين.

2- **النجوم:** قد يؤوّلها الناسك بأنوارالأعمال؛ والسالك بالبواعث الإلهية التي تكون سببا لقطع منازل الطريق؛ والمحب بطلائع المحبوب؛ والمجذوب بالأسماء والصفات الإلهية، وبالصحابة لقوله صلى الله عليه وسلم: (أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم) [1].

3- **الشمس:** قد يؤوّلها الناسك بالشريعة، وبالنبي – صلى الله عليه وسلم –؛ والسالك بالآيات؛ والمحب بالمحبوب؛ والمجذوب بالاسم (الله)، لأن النجوم كما ترجع بأنوارها إلى الشمس كذلك الأسماء والصفات ترجع إلى الاسم (الله)، وهو جامع لها، وقد يحمله على الذات المقدسة بجمعها وإعطائها للوجود حقّه.

4- **القمر:** قد يؤوّله الناسك بالنبيّ – صلى الله عليه وسلم –، أو بشيخه، أو بنفس العبادة رعاية للزيادة والنقصان. ويؤوّله السالك بالعقل، لأن الإيمان يُمد العقل بنوره كما تمد الشمس

---

[1] هذا الحديث رواه ابن عبد البر في "جامع بيان العلم وفضله"، وابن حزم في "الإحكام"، ورُوي بعبارات مقاربة في روايات أخرى.

القمر؛ والمحب بطلعة المحبوب؛ والمجذوب بالاسم (الرحمان) لقوله - تعالى-: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَـٰنَ﴾ [الإسراء: 110]. فإن قورن لفظ الشمس بالقمر حملها الناسك على النية والعمل؛ والسالك على الروح والعقل؛ والمحب على ظاهر المحبوب وباطنه؛ والمجذوب على الجلال والجمال.

5- **الثريا:** قد يؤوّلها الناسك على جمع الهمّة في عمل الأركان بالحضور؛ والسالك على المقامات السبعة وهي: التوبة، والزهد، والتوكل، والتفويض، والتسليم، والرضا، والمخالفات للنفس. والمحب يؤوّلها باجتماع الشمل مع المحبوب. والمجذوب يؤوّلها بالصفات النفسية الإلهية وهي سبعة: الحياة، والعلم، والإرادة، والقدرة، والسمع، والبصر، والكلام.

الفصل الثاني: في العناصر وما يتعلق بها

6- **النار:** قد يؤوّلها الناسك بالتوبة، فإنها تحرق الذنوب وفي الحديث: (التوبة تجُبّ ما قبلها) [1] ويؤوّلها السالك بموافقة النفس، فإنها تحرق جميع أعماله الصالحة وتهلك فيها. والمحب يؤوّلها بالمحبة أو بالشوق فكلاهما سائغان. والمجذوب يؤوّلها بالتجلي لأنه يُفنى المحب كما تفنى النار الحطب، ويسوغ أن يحملها على صفة القهر والجلال.

7- **الرياح:** يؤوّلها الناسك بالبواعث والعزائم أيّام الحركة الشديدة في العبادة. ويؤوّلها السالك بالنفحات الإلهية المقرّبة للطريق الموصلة للعبد إلى الله - تعالى-. ويؤوّلها المحب بأنفاس المحبوب. ويؤوّلها المجذوب بأحوال آثار التجليات، لأنها تمر كالريح، فلا دوام للحال. وتنوّع أجناس الرياح من الصَّبا، والقبول، والدبور، والشمال، والجنوب، والنسيم، يقاس بما يليق. فكما أنّ الصبا والقبول اسم للريح التي تهبّ من المشرق مقابلا للكعبة، يسوغ حمل معناها في حق الناسك أنْ يؤوّلها على زمان الإقبال في العبادة؛ وفي حق السالك إقباله على المخالفات وغيرها؛ وفي حق المحب إقبال الحبيب عليه، أو إقباله على الحبيب؛ وفي حق المجذوب إقبال حكم الأسماء والصفات على الوجود بإبراز كلّ في مرتبة معيّنة على وجه

---

(1) أخرج مسلم في صحيحه في حديث إسلام عمرو بن العاصي أن رسول الله قال له: [أما علمت أنّ الإسلام يهدم ما كان قبله؟ وأنّ الهجرة تهدم ما كان قبلها؟ وأنّ الحج يهدم ما كان قبله؟].

معيّن مخصوص. وإن شاء حملها على مقابلة الخلق لحضرة الحق من حيث القدم والحدث، والحقيقة والمجاز، والحق والخلق، إلى غير ذلك من المتقابلات. وقس عليها البواقي.

8- **الماء:** قد يؤوّله الناسك بالعلم لسبب الحياة الجامع بين العلم والماء؛ ويؤوّله السالك بالفتح؛ ويؤوّله المحب بالوصال؛ ويؤوّله المجذوب بالحقائق الإلهية التي هي سبب وجود هذا العالم.

9- **التراب:** قد يؤوّله الناسك بنفسه؛ والسالك يؤوّله بالمطالب كلها ما خلا الحق - تعالى-؛ والمحب يؤوّله بالكثائف الحائلة بين محبوبه وبينه؛ والمجذوب يؤوّله بالوجود الخلقي مطلقا، فكما أنّ السماء ينزل منها ما يحيى الأرض، كذلك الوجود الإلهي يفيض على الوجود الخلقي من أنواره ومعارفه ما يحييه.

10- **المعدن:** مطلق هذا اللفظ قد يؤوّله الناسك بالنبي - صلى الله عليه وسلم -، وبالقرآن، وبتقوى الله - تعالى-. ويؤوّله السالك بالعلم الإلهي، وبالمخالفات، وبالفتح. ويؤوّله المحب بالجمال، لأنه معدن المحبوب. ويؤوّله المجذوب بالذات، أو بالأسماء والصفات؛ فإن أوّله بالذات فلأنها معدن الأسماء والصفات، وإن أوّله بالأسماء والصفات فلأنها معدن بروز الآثار وهي المخلوقات.

الفصل الثالث في الروحانيات وما يتعلق بها

11- **الروح**: يؤوّله الناسك بالنية لأنها روح العمل. ويؤوّله السالك بالمحاسبة لأنها روح المقامات. ويؤوّله المحب بالمحبوب. ويؤوّله المجذوب بذات الله - تعالى- وقد ورد: (يا روح الأرواح).

12- **العقل:** قد يؤوّله الناسك بالوقوف والانحصار والانعقال عن إتيان الأعمال، فإنّ العمل مانع عن مهاوي الأرواح. ويؤوّله السالك بالرجوع إلى البشريات وموافقة النفس، فإن العقل محصور. ويؤوّله المحب بالعدول الذي يمنع الحبيب عن محبه. ويؤوّله المجذوب بعوالم الملكوت والوقوف معها عن عوالم الجبروت. كل هذا إذا كان مقام ذمّ للعقل. فأمّا إذا كان مقام مدح: فإن الناسك يؤوّل العقل بالصبر على الأعمال، وعقلها عن الرجوع من العبادة. والسالك يؤوّل العقل بالأمور الروحانية القامعة للأمور الشهوانية، لأن العقل والشهوة ضدّان. والمحب يؤوّل العقل بحضرة المحبوب إذ بالعقل يكون إدراك الشيء. والمجذوب يؤوّل العقل بالعلم الإلهي لشموله المدارك كلها. فافهم.

13- **القلب**: قد يؤوّله الناسك بالفرائض، لأنها قلب الأعمال البدنية وأصلها. ويؤوّله السالك بمراقبة الله - تعالى- لأنها قلب سائر أفعاله. ويؤوّله المحب بمكان المحبوب لنزوله وسكونه فيه. ويؤوّله المجذوب بالوجه الخاص الإلهي الظاهر من غير حلول على صفحات الموجودات كلها.

14- **الفكر**: قد يؤوّله الناسك بالعبرة بالآلاء والنعماء. ويؤوّله السالك بالصور الروحانيات التي تناجى الصادقين من سرائرهم بأنواع العلوم والمشاركات. ويؤوّله المحب بطلعة المحبوب لتنوع محاسنه صورة بعد صورة في الصورة الواحدة. ويؤوّله المجذوب بالصفة القادرية الإلهية التي تخترع الموجودات، لأن الفكر يخترع صور المسائل.

15- **الهمّة**: قد يؤوّلها الناسك بالإقبال. ويؤوّلها السالك بالجذبات الإلهية التي تحمل العبد على خوض المهالك. ويؤوّلها المحب بجمع الهمم في المحبة على تخيّل صور المحبوب. ويؤوّلها المجذوب بصفة الإرادة، لأنّ الهمة إذا استقامت انفعلت لها الأشياء، وكذلك الإرادة الإلهية، ويسوغ حمل القدرة عليها تأويلا.

الفصل الرابع في مدارك المحسوسات وما يتعلق بها

16- **العين**: يؤوّلها الناسك بالنبي - صلى الله عليه وسلم -، وبالعبادة، وبالحضور في عمل الأركان. ويؤوّلها السالك بالتجليات الإلهيات، وبالنور الإلهي المودع بغير حلول في خلقه. ويؤوّلها المحب بالوصال للمعاينة. ويؤوّلها المجذوب بالذات الإلهية؛ ويسوغ حمل العين للمجذوب على كل صفة يتجلى الله بها له شهودا؛ ويسوغ حمل العين للمجذوب على مطلق الذات الإلهية، فقد يقال: ذات الشيء عينه.

17- **الأذن**: يؤوّلها الناسك بامتثال الأوامر والنواهي. ويؤوّلها السالك بسماع الخطاب من ذلك الجناب. ويؤوّلها المحب بمسامرة الأحباب. ويؤوّلها المجذوب بالصفة السمعيّة، كما قد يؤوّل العين بالصفة البصريّة.

18- **الشم**: يؤوّله الناسك بالنفخة الإلهية التي تحصل للعباد فيستريحون بها، ويقفون مدة لا يجدون تعب الأعمال. ويؤوّله السالك بالكشف عن حقائق الأمور. ويؤوّله المحب بوجود مردود قميص يوسف المحبوب. ويؤوّله المجذوب بالعلم الإلهي اللّدني الجامع الواسع الشائع.

19- **الذوق:** يؤوّله السالك بما يجده في اشتغاله بتحسين أركان العبادات. ويؤوّله السالك بما يبدو عليه من علوم الفتح فيفهمها. ويؤوّله المحب بزمان الوصال. ويؤوّله المجذوب باللذة الإلهية السارية في وجود العبد عند وجوده للحق - تعالى- بظهور آثار ما اتصف به من أسماء الله وصفاته.

20- **اللمس:** يؤوّله الناسك بأنوار وضوء الطهارة على بشرة الصادقين. ويؤوّله السالك بارتكاب المهالك مباشرة بالفعل والحال. ويؤوّله المحب بمقام الوصل والاتصال. ويؤوّله المجذوب بظهور الأنوار الإلهية في ذات العبد من غير حلول ولا ممازجة، كما أشار إليه الحديث بقوله: (كنت سمعه ويده ولسانه) الحديث[1].

الفصل الخامس في الجسمانيات

وهي كثيرة فنقتصر منها على خمسة وهي: الرأس، والوجه، والفرج، واليدين، والرجلين.

21- **فالرأس:** يؤوّله الناسك بخشية الله - تعالى- لقوله صلى الله عليه وسلم: (خشية الله رأس كل حكمة) [2]؛ وفي مقام الذمّ يؤوّله بالدنيا لقوله- صلى الله عليه وسلم-: (حبّ الدّنيا رأس كلّ خطيئة) [3]. ويؤوّله السالك بالنفس لأنها رأس العلل، وقد يؤوّله بالرئاسات؛ وفي مقام المدح يؤوّله بالاطراح لله - تعالى- لأنه رأس أعمال السالكين. ويؤوّله المحب بالمحبة، لأنها رأس أمره. ويؤوّله المجذوب بالرئاسة الإلهية الحاصلة عند الاتصاف بأسماء الله وصفاته.

22- **الوجه:** يؤوّله الناسك بأوقات السَّحَر لأنها أعز أوقات التوجه إلى الله - تعالى-، وهو بمثابة الوجه لباقي الأوقات. ويؤوّله السالك بوجه الحق - تعالى- المشار إليه في الآية بقوله ﴿كُلُّ

(1) قال الله تعالى: [من عادى لي وليّاً فقد آذنته بحرب مني، وما تقرّب لي عبدي بشيء أحبّ إليّ ممّا افترَضته عليه، ومازَال عبدي يتقرّب إليّ بالنوَافل حتى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، وقدمه التي يمشي بها، وإذا سألني لأعطينّه، وإذا استغفرَني لأغفرنّ له، وإذا استعاذني أعذته] الحديث رواه الإمام البخاري وأحمد بن حنبل والبيهقي.

(2) أخرجه ابن أبي الدنيا في "الورع"، وأبو نعيم في "الحلية"، والقضاعي في "مسند الشهاب"، وابن الجوزي في "ذمّ الهوى".

(3) رواه البيهقي في الشعب بإسناد حسن إلى الحسن البصري رَفعه مرسلا، وذكره الديلمي في الفردوس، ورواه البيهقي أيضا في الزهد، وأبو نعيم من قول عيسى ابن مريم. ولأحمد في الزهد عن سفيان قال: كان عيسى ابن مريم يقول: [حبّ الدنيا أصل كل خطيئة].

﴿شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾ [القصص: 88]. ويؤوّله المحب بطلعة المحبوب. ويؤوّلـه المجـذوب بذات نفسه إذا نظر في مرآة الحق.

23- **الفرج**: يؤوّله الناسك بالفرَج من الله - تعـالى-. ويؤوّلـه الـسالك بالأمّهـات الأولى، وهـي الحقائق المؤثرة في الوجود المنتجة لأعيان الممكنات. ويؤوّلـه المحـب بالاتـصال مـع المحبـوب. ويؤوّله المجذوب بتداخل حضرات الأسماء والصفات بعضها في بعض.

24- **اليدين**: يؤوّلها الناسك بأهل اليمين وأهل الشمال. ويؤوّلها الـسالك بـدوام المخالفـة ودوام الذكر لأنه بهما ينال مطلوبه. ويؤوّلها المحب بالرسائل والأجوبة لأنه يـشتفي بهمـا. ويؤوّلهـا المجذوب بصفات الجمال والجلال.

25- **الرجلين**: يؤوّلهما الناسك بالعمل والنية، لأنـه يتوصـل بهمـا إلى الجنـة. ويؤوّلهمـا الـسالك بالصمت والعزيمة. ويؤوّلهما المحب بالحب والشوق. ويؤوّلهما المجذوب بالاسم والـصفة لأنـه بهما يذهب في الله - تعالى-.

الفصل السادس في الجهات وهي ستة بالضرورة

26- **الفـوق**: يحمله الناسك على الملكوت، لأنها فوق عالم الملـك مرتبـة. ويؤوّلـه الـسالك علـى السير في الله، لأنه فوق السيرإلى الله. ويؤوّله المحب بالمشاهدة الخيالية لصورة المحبـوب، لأنهـا فوق المشاهدة الحسية، وسببه أنّ الروح إذا تعشقت بشهود صورة مّا فإنها لا تفارقه، بخـلاف الحس فإنّ الفراق واقـع في مـشهوده. ويؤوّلـه المجـذوب بـالتجلي الـذاتي لأنـه فـوق سـائر التجليات الأسمائية والصفاتية.

27- **التحت**: يؤوّله الناسك بالمُلك، لِما سبق في تأويلـه إلى الفـوق بـالملكوت. ويؤوّلـه الـسالك بالسير إلى الله - تعـالى- بـأنواع المجاهـدات والرياضـات والمخالفـات، لِمـا سـبق في تأويلـه للفوق. ويؤوّله المحب بالمشاهدة الحسية، لِما مضى بيانه فيما سبق. ويؤوّلـه المجـذوب بتجلـي الأسماء والصفات لأنها تحت حيطة التجلي الذاتي.

28- **اليمين**: يؤوّله الناسك بالجنة. والسالك يؤوّله بالنفَس الرّحماني لقوله- صلى الله عليه وسلم-: (إني لأجد نفَس الرحمن من جانب اليمن) [1]. والمحب يؤوّله بعهود المحبوب ومواثيقه التي بينهما لقوله - تعالى- لخلقه: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ وقولهم ﴿بَلَى﴾ [الأعراف: 172]. والمجذوب يؤوّله بصفات اللطف والجمال.

29- **الشمال**: يؤوّله الناسك بالنار. والسالك يؤوّله بالمخالفات. والمحب يؤوّله بجمع الشمل. والمجذوب يؤوّله بصفات القهر والجلال.

30- **الأمام**: الناسك يؤوّله بالموت. والسالك يؤوّله بالحق لقوله -عليه السلام-: (إنّ الله في قبلة المصلى) [2]. والمحب يؤوّله بجمال المحبوب. والمجذوب يؤوّله بالاسم الأعظم لأنه أمام الأسماء وإمامها.

31- **الوراء**: يؤوّله الناسك بسائقه الذي يسوقه إلى الله - تعالى- يوم القيامة، قال - تعالى- ﴿وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ﴾ [ق: 21]. ويؤوّله السالك بالطريق، كما قال بعضهم: (وإنّ ورآكم لعقبة كؤود) يعنى الطريق إلى الله. والمحب يؤوّله بما سوى المحبوب. والمجذوب يؤوّله بعدم النهاية لله - تعالى-، وكلما تجلى الله عليه بشيء علم أن الله وراء ذلك التجلي.

الفصل السابع في الأرحام وما يتعلق بها

32- **الأب**: يؤوّله الناسك بالنبي - صلى الله عليه وسلم - فإن روحه أبو الأرواح، لقوله (والمؤمنون منّى) [3]. والسالك يؤوّله بعالم المعاني، لأنه أبو عالم الصور، إذ الصور فرع

---

(1) الحديث أخرجه أحمد في مسنده، وروى مثله البيهقي في "الأسماء والصفات"، والبزار في مسنده، والطبراني في "الكبير" و"الأوسط".

(2) روى البخاري في صحيحه قول النبي- صلى الله عليه وسلم-: [إذا كان أحدكم يصلي فلا يبصق قِبَل وجهه فإن الله قبل وجهه إذا صلى].

(3) ورد في "المقاصد الحسنة فيما اشتهر على الألسنة": (حديث مرفوع) حَدِيثٌ: [أَنَا مِنَ اللَّهِ، وَالْمُؤْمِنُونَ مِنِّي]. وقال بعض الحفاظ: لا يُعرف هذا اللفظ مرفوعا، لكن ثبت في الكتاب والسنة أنّ المؤمنين بعضهم من بعض، وفي السنّة قوله - صلى اللّه عليه وسلم - لحيّ الأشعريين: [هم مني، وأنا منهم]. وقوله لعلي- رضي الله عنه-: [أنت مني، وأنا منك]. وقوله للحسين- رضي الله عنه-: [هذا مني، وأنا منه]. وكلّه صحيح. بل عند الدّيلمي بلا إسناد عن عبد اللّه بن جراد مرفوعا: [أنا من اللّه عز وجل، والمؤمنون مني، فمن آذى مؤمنا فقد آذاني] الحديث.

المعنى. والمحب يؤوّله بالنظر، لأن المحبة متولدة منه. والمجذوب يؤوّله بالإرادة الإلهية، لأن العالم ظهر بواسطتها.

33- **الأم**: يؤوّلها الناسك بالرّغبة أوالرّهبة، لأنّ كلا منهما أصل للعبادات، فلولاهما لما عبدته العباد. ويؤوّله السالك بحقيقة الحقائق. ويؤوّله المحب بالمحبّة لأنها التي تولد أحوال المحب من الحزن والبكاء والنوح والطرب والشوق وأمثالها. ويؤوّله المجذوب بالعلم الإلهي، قال الله - تعالى-: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الرعد: 39].

34- **الابن**: يؤوّله الناسك بالجزاء والثواب، لأنه فرع العمل. ويؤوّله السالك بالوجود المقيّد لأنه فرع عن الوجود المطلق. ويؤوّله المحب بالشوق، لأنه تولد من المحبة. ويؤوّله المجذوب بظهور أثار الأسماء والصفات على جوارحه، فالرّجل تظهر الاقتدار بالخطو من الشرق إلى الغرب، واليد بإبراء الأكمة والأبرص، إلى غير ذلك من باقي جوارحه وجوانحه، وهذا سر قوله: (كنت سمعه) الحديث؛ فكأنّ بشهوده الأحدية الإلهية أنتج له ذلك الاقتدار الظاهر على الجوارح والجوانح، فكان ذلك منزلة الابن للشهود.

35- **الأخ والأخت**: بمعنى واحد، يؤوّله الناسك بالآخرة فإنها أخت الدنيا. ويؤوّله السالك بالسرّالإلهي المعبّر عنه بالروح المنفوخ في آدم. ويؤوّله المحب بالنسيم، لأنه أخوه في الضعف، أو بالحمام لأنه أخوه في النوْح، أو بالغمام لأنه أخوه في البكاء، وقِس عليه. ويؤوّله المجذوب بالقِدم لأن الوجود منقسم بين قديم وحديث.

36- **الزوجة**: يؤوّلها الناسك باللطيفة الروحانية التي ازدوج الجسم بها. ويؤوّلها السالك بالحقائق لأنها زوج الروح. ويؤوّلها المحب بالمحبوبة. ويؤوّلها المجذوب بالهويّة إنْ كان في مقام الإنـيّة، وبالإنية أن كان في مقام الهويّة.

الفصل الثامن في حركات الإنسان وما يتعلق بها

37- **القيام**: يؤوّله الناسك بالقيام بوظائف العبودية. والسالك يؤوّله بالاستقامة على جادة الطريق، وبالقيام على النفس وبإقامة حق الله - تعالى-. ويؤوّله المحب تارة بقامة المحبوب، وتارة بالوجد لكون الحركة العشقية مباينة للقعود الذي هو السكون، فكأنه قيام للقلب بأمور التعشقات. ويؤوّله المجذوب بإقامة نواميس الأسماء والصفات في تجليات الذات،

بظهور آثارها للتجلي، والاتصاف الذي يحصل للكمّل؛ وقد يؤوّل بالقيّومية مخصوصة؛ وقد يؤوّل باسمه "القائم"، إلى غير ذلك مما تقتضيه قرائن الحال والوقت.

38- **القعود:** قد يؤوّله الناسك بقاعدة العبادة وإيفاءها حقوقها، وقد يؤوّله بالجلوس على بساط العبودية. ويؤوّله السالك بالقعود للمراقبة أو للذكر، أو يؤوّله بالذكر والمخالفة لأنهما قاعدتا السلوك إلى الله – تعالى-. والمحب قد يؤوّله بالقعود على باب المحبوب. والمجذوب قد يؤوّله بترك رؤية الأفعال، فكأنه ساكن بالقعود عن حركات الأفعال المنسوبة إليه، وتارة يؤوّله بالقعود على بساط القرب، وذلك عبارة عن التمكين في مقام الاتصاف.

39- **الرقود:** يؤوّله الناسك بالسقوط في باب الله – تعالى-، وقد يؤوّله بترك الاضطراب للسكون تحت مجارى الأقدار. ويؤوّله السالك باطمئنان النفس، وبخمود نار البشرية، وبعدم شهود الخلق. ويؤوّله المحب بالاطراح والانخلاع والذلة وغيرها ممّا يدل عليه حال السماع وقرينة الاستماع. ويؤوّله المجذوب بالطمس والسحق والمحق وما أشبه ذلك من أنواع الفناء، تحت إشراق شموس الجلال، لذهاب أحكام البشرية، ببقاء أوصاف صفات الرب – تعالى- على كل وجود هذا الإنسان الكامل – نفعنا الله به-.

40- **الذهاب**: قد يؤوّله الناسك بذهاب الأفعال المذمومة، أو بالذهاب عنها إلى العبادة بالإقبال على الله – تعالى-. ويؤوّله السالك بذهاب الأخلاق النفسية والطبيعية والعادية، وبالذهاب عن النفس إلى الله – تعالى-، أو بذهاب صفاتها. وقد يؤوّله المحب بذهاب الروح في المحبة، أو بذهاب الراحة، أو بذهاب العوارض كالنوم وأمثاله، أو بالذهاب عمّا سوى المحبوب، أو بالذهاب إلى المحبوب، أو بالذهاب في حب المحبوب. ويؤوّله المجذوب بالذهاب في الله – تعالى-، يعنى بالترقي في المعارف الذاتية بشهود التجليات الصفاتية.

41- **الإيّاب:** قد يؤوّله الناسك بالرّجوع إلى طاعة الله وعبادته من الغفلة. وقد يؤوّله السالك بالرجوع إلى الحضرة الكريمة التي حصل له فيها خطاب: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: 172] فيطلب هذا العبد أن يرجع إلى تلك الحضرة بأنْ يعاد له من نوع ذلك الخطاب ما يليق بحال وقته، وهي حضرة التكليم. وقد يؤوّله المحب برجوع المحبوب، أو برجوع أيام اللقاء ووسائطها على قدر الوقت وما يقتضيه. وقد يؤوّله المجذوب بالرجوع من الحق إلى الخلق بآثار الصفات الإلهية، ليقوم في مقام العبودة كما قيل: (أجلس على البساط وإياك والانبساط)، وكما قيل: (ازدد له هيبة كلما زاد لك قربة) وقد قال عليه السلام: (أفلا أكون

عبدا شكورا) لأنه كان مقوم في العبودة حتى ورمت قدماه فلما قيل له أنه قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر أجاب بتلك[1]، فهذا هو العبودة.

الفصل التاسع في ذكر المكان كالمنازل والرسوم وأمثالها

وإن كانت كثيرة فقد اقتصرنا منها في الذكر على خمسة وهي: المكان، والدار، والحيّ، والطلل، والرسم.

42- **المكان**: قد يؤوّله الناسك بالانكسار والذلة والخضوع وأمثال ذلك، لأن فيها وجود الحق - تعالى- حيث قال: (تجدنى عند المنكسرة قلوبهم من أجلى) [2]، وقد يؤوّله بالسجود وبالصلاة لأنّ ذلك مكان القرب إلى الله - تعالى-. ويؤوّله السالك بقلب المؤمن، فقد ورد: (قلب المؤمن عرش الله - تعالى-)، ويؤوّله أيضا بالوجود جميعه فإنه مكان ظهور الحق - تعالى-، ولا مكان له سبحانه إلا علمه. وقد يؤوّله السالك أيضا بذلك، لأن علم الحق مكانه. ويؤوّله المحب بالأمكنة التي كان فيها اجتماعه بالمحبوب، كالعلم الإلهي حيث كنا موجودين فيه قبل إيجادنا في العالم؛ وقد يؤوّله المحب بالليل لأن فيه اجتماع المحب بحبيبه. ويؤوّله المجذوب بالأسماء الذاتية لأنها مكان ظهوره فيها؛ وقد يؤوّل بالمكانة الإلهية وعبر عن ذلك بـ"قاب قوسين أو أدنى". وقد ذهب الإمام محيى الدين ابن العربي - رضي الله عنه- في الاصطلاحات أنّ المكان عبارة عن منزلة في البساط لا تكون إلا لأهل الكمال الذين تحققوا بالمقامات والأحوال وجاوزوها إلى المقام الذي فوق الجمال والجلال، فلا صفة لهم ولا نعت، فهذا قوله في "اصطلاحات الصوفية"؛ وقد يؤوّل المكان أيضا بالتجلي.

43- **الدار**: يؤوّله الناسك بالكعبة وبالمساجد لأنها بيوت الله - تعالى-. ويؤوّله السالك بالدَّوْر والرجعة إلى الله - تعالى-، وقد يؤوّله بالمناظرالإلهية. ويؤوّله المحب بمكان الوصا. ويؤوّله المجذوب بالإلوهية لأنها محل تجليات الحق وظهوره فيها، فإن الله - تعالى- لا يزال في ألوهيته كما هو عليه من التنزيه المطلق سبحانه و- تعالى-.

44- **الحي**: قد يؤوّله الناسك بإحياء الليل، وقد يؤوّله بإحياء القلب لورود أنوار العبادة. ويؤوّله السالك باسمه "الحى" - تعالى-، وقد يؤوّله بالتزكية عن الآثار البشرية لأنّ بذلك تكون حياة

---

(1) الحديث رواه البخاري في صحيحه.

(2) يُرْوَى هذا الخبر عن داود وعن موسى عليهما الصلاة والسلام.

النفس. ويؤوّله المحب بمكان المحبوب حيث نزل فيه كما قيل: (تحى بهم كل أرض ينزلون بها* كأنهم لبلاد الله أمطار). ويؤوّله المجذوب بالوجود الساري والروح الإلهية المنفوخة في آدم، ويؤوّله بذات الحق - تعالى- لأن به حياة العالم، ويؤوّله بمعارفه الذاتية لأن بها حياة القلوب.

45- **الطّلل**: قد يؤوّله الناسك بمواضع استجابة الدعاء، مثل الروضة الشريفة والمواضع الشريفة بمكة، وقد يؤوّله بهياكل الأولياء الذين ظهر الله - تعالى- عليهم فعمّر قلوبهم بتجلياته. ويؤوّله السالك بالحضرة الإلهية، وقد يؤوّله بهيكل نفسه لكونه مكان ظهور آثار صفات الله - تعالى-. وقد يؤوّله المحب بأوصاف المحبوب، وقد يؤوّله بقلب نفسه لسكنى حبيبه في قلبه. ويؤوّله المجذوب بالأسماء الصفاتية، وقد يؤوّله بالعبد لظهور الرب فيه من غير حلول ولا امتزاج حيث قال: (كنت سمع وبصره ولسانه ويده).

46- **الرّسوم**: قد يؤوّلها الناسك بالعبادات، وطلب أفضل الأعمال. وقد يؤوّلها السالك بدوام المخالفات والذكر، لأن طريق الحق بينهما. وقد يؤوّله المحب بجمال المحبوب لأن ذلك رسم جماله المنقوش في صحيفة القلب طبعا. ويؤوّلها المجذوب بالكمالات الإلهية، وبالأسماء والصفات، وبالآثار الظاهرة على هيكل الإنسان الكامل بنفوذ الكلمة، وإبراء الأكمة والأبرص، وأمثال ذلك.

الفصل العاشر في ذكر الزمان كالأمس واليوم والليل وغد والشهر والعام

47- **أمس**: إذا وقع في السماع يؤوّله الناسك بما مضى من عمره أيّام البطالة، وقد يؤوّله هو بأيام طاعته لربه وقيامه بالعبادات حملا على أنه كان أقدر عليها في ما تقدّم من الزمان وقد عجز عن تلك الحالة. ويؤوّله السالك بيوم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، ويؤوّله أيضا بالكيفية في العلم الإلهي حال كنا موجودين له في العلم قبل بروزنا في العالم العيني. ويؤوّله المحب بأيام اللقاء حيث اتفق ذلك له، لأنّ النظر مقدّمة المحبة، فلا بد من نظر أو معرفة تكون المحبة بعدها سواء كانت حكما أو عينا. ويؤوّله المجذوب بالأزل الذي هو صفة الحق - تعالى-.

48- **اليوم**: يؤوّله الناسك بيوم القيامة، وقد يؤوّله بأوقات الفترة إنْ كانت حاله، وقد يؤوّله بزمان الكشف، كما يؤوّل الليل بزمان الحجاب على قدر مرتبة الحال. ويؤوّله السالك بالأنوار الإلهية، كما يؤوّل الليل بالظلمة الخلْقية، وقد يؤوّل السالك اليوم بالمخالفات والرياضات والمجاهدات لِما في اليوم من مكابد شدّة حرارة الشمس، ويؤوّل حينئذ الليل بالذكر ودوام المراقبة، أو بالتجلي والجمعية لأنّ الليل من أوقات الاجتماع بالمحبوب في اللقاء. وكذلك يؤوّل المحب اليوم بالوصال لِما فيه من الإيضاح والبيان، ويؤوّل الليل بالهجر لِما فيه من الظلمة والحجاب، وأمثال ذلك. وقد يؤوّل المجذوب اليوم بالتجليات الصفاتية لأنها أنوار ومعارف وآثار وظهور، ويؤوّل الليل بالتجليات الذاتية لانقطاع الآثار في الليل، وقد يؤوّل اليوم والنهار بتجليات الجمال، والليل والظلام بتجليات الجلال، والله أعلم، وقد يؤوّله المجذوب بأيّام الله يعنى تجلياته من قوله ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ [الرحمن: 29]؛ فافهم.

49- **الغد**: وما في معناه من مستقبل الزمان، قد يؤوّله الناسك بالدار الآخرة، وبالقبر، وقد يؤوّله بالجنة لقوله - تعالى-: ﴿هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: 103]، وقد يؤوّله بالخاتمة التي يختم الله أعماله بها.ويؤوّله السالك بالرّؤية لأنّ اليوم حجابه وغدا كشفه وعيانه كما قال(النبي صلى الله عليه وسلم): (إنكم سترون ربكم)[1] بلفظة المستقبل للزوم السين حُكمه الفعل فهي خالصة للاستقبال. وقد يؤوّله المحب بزمان يحصل فيه اللقاء لسابق وعد أو لاحق أمل. وقد يؤوّله المجذوب بالأبد الذي هو وصف الله - تعالى-

50- **الجمعة**: قد يؤوّله الناسك بالجمع بين العلم والعمل، وقد يؤوّله بأوقات إجابة الدعوات لِما ورد: (إنّ في يوم الجمعة ساعة يستجاب فيها الدعاء) [2]، وقد يؤوّله بجمع الهمّة في عبادة الله - تعالى-، ويؤوّله أيضا بيوم الجمع، على قدر قرينة الحال. ويؤوّله السالك بالوصول إلى الله - تعالى-. ويؤوّله المحبّ باجتماع الشمل بالمحبوب. ويؤوّله المجذوب بالجمع بين تجليات

---

(1) ورد في الحديث المتفق عليه عن جرير بن عبدالله - رضي الله عنه - قال: كنا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - فنظر إلى القمر ليلةً يعني البدر، فقال: [إنكم سترون ربّكم، كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا].

(2) ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم- ذكر يوم الجمعة فقال: [فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم قائم يصلّي يسأل الله تعالى شيئا إلاّ أعطاه"، وأشار بيده يقلّلها].

الجمال وتجليات الجلال وتجليات الكمال، وقد يؤوّله بجمع الجمع الذي هو عبارة عن إعطاء حقائق الأسماء والصفات حقها، ويؤوّله بالطامة الكبرى، وبالمشهد الذاتي، وبالتجلي القدسي، وبالمكانة العظمى، وذلك عبارة عن تجلى الحق - تعالى- في صفة الألوهية لوليّه الأكمل، وهو عبارة عن مقام: "أوْ أدنى".

51- **الشهر والعام والسنة والقرن والمدة:** وما أشبه ذلك من أسماء الزمان الكلِّي: فإنه قد يقع للناسك تأويلا على العمر. وقد يؤوّله السالك على زمان الحجاب كما قيل: "سَنة الوصل سِنة، وسِنة الهجر سَنة". وقد يؤوّله المحب على مواعيد أيام اللقاء، أو على مواعيد أيام النّوى. ويؤوّله المجذوب على التجلي الإلهي سبحانه و- تعالى- من حيث اسمه "الدهر" في قوله (أي فول الدّاعي): (يا دهر يا ديهور)، وقال عليه السلام: (لا تسبوا الدهر فإنه الله)[1]، وأمثال ذلك مقاس عليه؛ فافهم.

الفصل الحادى عشر في ذكر المراكب كالخيل والبغال والحمير والجمال وما أشبه ذلك

52- **الخيل:** قد يؤوّلها الناسك بالعزَائم فإنها مطيّة العُبَّاد، وقد يؤوّلها بالمقصد فلولا القصد لما صحّ العمل، فالقصد مطيّة العابد إلى العمل، وقد يؤوّلها بالمريدين السابقين لأنهم كالخيل السوابق لُمضيّهم ووقوفه على إدراك ما حصلوا فيه. وقد يؤوّلها السالك بصفات الحق لأنها تحمل المريدين إلى درجات معرفته - تعالى- فيعرفونه بها، وقد يؤوّلها هو أيضا بالمخالفات لأنها تحمل السالك على قطع الطريق. وقد يؤوّلها المجذوب بالأسماء الذاتيّة، فقد قيل عن بعض الأولياء أنه قال: (الصفات مراكب المريدين، والأسماء مراكب العارفين) يريد أنهم يعرفون الحق بها فيتوصلون بسببها إلى مقامات القرب إليه.

53- **البغال:** قد يؤوّله الناسك بالعلم والعمل، لأنّ البغلة متولدة من جنسين مختلفين، فكما أنها تحمل راكبها إلى مطلوبه، كذلك العلم والعمل يوصلان صاحبهما إلى تقوى الله - تعالى- وجنته وهو مطلوب العُبّاد. وقد يؤوّلها السالك بدوام الذكر ودوام المخالفة، فيجعلهما معا كالمركب الواحد للوصول إلى المكانة العظمى، وقد قال إبراهيم بن أدهم: (طريقنا هذا مبني

---

(1) أخرج البخاري ومسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم يسبّ الدّهر وأنا الدّهر أقلّب الليل والنهار]وفي رواية: [لا تسبّوا الدّهر فإنّ الله هو الدّهر].

على دوام الذكر ودوام المخالفة)، فالطريق ولد هذين الجنسين كالبغلة وقد يؤوّلها المحب بالشوق لتولـّده من المحبّة والبُعد. وقد يؤوّلها المجذوب بالوجود المقيّد، لأنه أثر صفة الله – تعالى– وأثر فعله، وقد يؤوّلها بتجليات الكمال لجمع ذلك بين الجمال والجلال.

54- **الحمير:** يؤوّلها الناسك بالنفوس البهيمية الحيوَانية، وبالغفلة عن الله – تعالى–، وبالجهل، وبحمل العلم من غير العمل به، ويؤوّلها أيضا بالجسم لأنه مطيّة الروح، وما شاكل ذلك. ويؤوّلها السالك بالسلوك وبذل الجد والاجتهاد في نيل المراد، وقد يؤوّلها بالاطراح والانحطاط والذلـّة والانكسار والافتقار، فإنّ هذه الأشياء موصلة للسالك إلى مطلوبه، كما أنّ الحمير أحقر المراكب، كذلك الانحطاط والذلة والانكسار أقلّ ما يأتي به الفقير لأنها أوصافه التي هو عليها فلا يحتاج لها إلى تكلف عمل. وقد يؤوّلها المحب برسائل المحبوب، لأنّ الحمير تحمل الأسفار وهي الصحف، وقد يؤوّلها المحب بالعواذل تجهيلا لهم وزعما أنه يزداد قربا إلى محبوبه بزيادة عذلهم، فكأنهم مراكب له إلى محبة المحبوب. وقد يؤوّلها المجذوب بالموجودات جميعها لأنها تحمل أسرار الحق بما هي مظاهر له من أسمائه وصفاته، فهي كالحمير تحمل أسفارا ليس يُدرَى ما فيها من غرائب الآيات وعجائب المعارف اللدنيّات.

55- **الجِمال:** فالنُّوق منها تحمل الناسك على الأعمال، والبُزل على النـّيات، وقد يؤوّل النوق على العلم والبُزل على الإيمان. ويؤوّل النوق السالك بمخالفات النفس، والبُزل بتجليات الحق. وقد يؤوّل النوق المحبّ برسائله إلى الحبيب، والبُزل برسائل الحبيب إليه وقد يؤوّل النوق بالمحبّ والبُزل بالمحبوب، وقد يؤوّل النوق بالمريدين والبُزل بالمرادين، وقد يؤوّل النوق بالهمم من غير عزيمة والبُزل بالهمّة والعزيمة. وقد يؤوّل المجذوب النوق بالمعارف الإيمانية والصفاتية والبُزل بالمعارف الذاتيّة، وما أشبه ذلك.

56- **المحامل والسروج وأمثال ذلك**: قد يؤوّلها الناسك بالصلوات وبالدّعوات لأنها مواضع رفع الحاجة إلى الله – تعالى– وأسباب التقرب إليه. وقد يؤوّلها السالك بالقلب والروح لأنها محامل العلوم اللدنيّة ومواضع الأسرار الإلهية. ويؤوّلها المحب بجميع المظاهر والموجودات لأنه يشهد محبوبه في كل ما يرى ويسمع فكأنها محامل له. ويؤوّلها المجذوب بالأسماء والصفات لأنها تحمل المعارف الإلهية إلى القلوب فتعرفه القلوب بها، فلوْلا أسماؤه وصفاته لما عرفته القلوب – تعالى– وتقدّس.

الفصل الثاني عشر في الوحوش

إذا وقع في السماع ذكرها، وهي كثيرة، فلنقتصر منها على خمسة هي أكثر ما يتداولها الناس في أشعارهم وهي: الأسد، والظبي، والذئب، والثعلب، والنعام.

57- **فالأسد:** قد يؤوّله الناسك بالهوى والشيطان لأنهما يفترسان العبد فيأخذانه عن الطاعات، وقد يؤوّله بالشهوة أيضا لأنها تفترس العقل. ويؤوّله السالك بالتجليات لأنها تقهر القلوب فتفترسها وتفنيها عن كل شيء. ويؤوّله المحب بطلعة المحبوب لأنها تفترس عقله، أو بالوجد والعشق لأن سلطان العشق يفترس العاشق فلا يدعه حتى يهلكه. ويؤوّله المجذوب بصفات القهر والكبرياء والجلال والعظمة وما شابه ذلك.

58- **والظبى والغزالة والمهاة والرّبُوب (القطيع من بقر الوحش) والجودر والرّيم:** كله بمعنى واحد يؤوّله الناسك بأيام الفرصة لأنها تفر كما تفرّ هذه الدابة، وقد يؤوّله بالاستيحاش عن الخلق والانفراد بعبادة الله – تعالى- في الكهوف والمغارات والأودية والخبات كما تكون الوحوش فيها، وقد يؤوّلها بالقرآن فلولا تمسكه بالتلاوة لفرّعنه ونسيه، وقد يؤوّله بالدِّين فلولا أنه يمسكه بالاعتزال والانفراد لذهب وفرّ، إلى غير ذلك مما يسوغ حمله بالناسك. والسالك قد يؤوّله بالواردات الإلهية كاللوَامع والطوَالع والبوادي فإنها لا تستقرّ بل تحول وتمضى، وقد يؤوّلها بالتجلي الجمالي لِما في الغزالة من أنواع الجَمال إذ لا يذكر في شعر إلا بسبب الحسنى غالبا. وقد يؤوّله المحب بمحبوبه إمّا لحسنه أو لنفوره وغيبوبته أو لاستيحاشه عن الائتناس أو لمعاني غير ذلك، ويسوغ لو يؤوّله المحب بقلب نفسه وروحه حملا على أنّ جمال المحبوب كالأسد يفترس قلبه وروحه لغلبة العشق الذي هو أثر جماله وجلاله، ويسوغ تأويله على زمن الوصل لنفوره ومضيّه، كل ذلك على قدر ما يسعه الوقت وتشير إليه القرينة. ويؤوّله المجذوب بالأسماء والصفات الجمالية والجلالية، فالجمالية لمعاني الحسن اللازم من وصف الغزالة، والجلالية لآثر الحسن فإنه يقهر القلوب؛ ويسوغ لو حمله المجذوب على المُرَادات الإلهية في الموجودات لاقتناص أسد القدرة لها بيد القهر والتمكين.

59- **الذئب:** قد يؤوّله الناسك بالغفلة فإنها قتالة يهلك العابد بسببها. وقد يؤوّله السالك بالنفس لِما في النفس من دقائق الفتن وغوائل المحن. وقد يؤوّله المحب بالعَذول وذلك في محب الله – تعالى- هو العقل، فإنه يعتزل عن التهتك ويأمر بحفظ الرسوم فهو كالعذول

المأوّل بالذئب لأنه يقطع طريق المحب عن الوصول إلى الحبيب؛ ويؤوّل الذئب بالمحبّ أيضا لأنه لم يزل يعوي كما يعوى الذئب، وقد قال الشاعر:

إذا ما عوى من شعب عامر ذئب — عويت وماء المقلتين سُكوب

ويؤوّله المجذوب بسطوات تجليات القهر.

60- **الثعلب:** يؤوّله العابد بالشيطان لِما فيه من دقائق المكر من خسّته وحقارة شأنه. وقد يؤوّله السالك بالنفس الأمّارة لبُعد غوْرها وعظم مكايدها، ويؤوّله بالهوى والدنيا وبالحظوظ وأمثالها، وقد يؤوّله بالبواعث الإلهية لأنها تأتى من حيث لا يحتسبها الإنسان، ويسوغ تأويلها بالوقوف مع الملأ الأعلى فإنّ ذلك حجاب يمنع السالك عن الترقي إلى حقيقة معرفة الله - تعالى-، على أن معرفة الله - تعالى- لا تدرَك حقيقة، بل لكل من معرفة ربه ما تقتضيه قابليته واستعداده. وقد يؤوّل الثعلب المحب بمحبوبه لِما فيه من أنواع الوعد وعدم الوفاء وأمثال ذلك ممّا يُنسب إلى المحبوب من الغدر حملا على معنى لطيف غير مستهجن على سبيل المدح لا الذمّ. وقد يؤوّله المجذوب على التجلي الذاتي الذي لا يُدرك ولا يُعرف ولا يُعلم له غوْر، ولا يحيط به سمع ولا بصر ولا علم؛ فكما أنّ الثعلب يمكر بالناس كذلك كلّ من ادعى معرفة ذات الله حقيقة المعرفة بحيث أنْ لا يكون وراءه معرفة فإنه ممكور، والماكر به هو ذلك التجلي الذي ادّعى بسببه هذا الوليّ أنْ لا معرفة وراء معرفته، فهو سكران بخمر شراب تلك المعرفة، مأخوذ عمّا ورائها، مشغول بالله عن الله؛ والله أعلم.

61- **النعامة:** قد يؤوّله الناسك بالنعم الإلهية من حيث اشتقاق اللفظ. وقد يؤوّلها السالك بالطريق إلى الله - تعالى- لأنّ الطريق بين مخالفة ومراقبة كما أنّ النعامة بين وصف الطير بالأجنحة وبين وصف الجَمل بالخُفّ. وقد يؤوّلها المحب بحالة المحب بين وصل ونوى، وهجر ورضا، وويسوغ أنْ يؤوّلها خياله الجمع بين ضياء وجه وظلام شَعَر، ويسوغ أنْ يؤوّلها بمحبوبه بين قساوة قلب ولين عطف، كل ذلك ليصادف حال النعائم بين الطيرية والجَملية. ويؤوّلها المجذوب بتجليات الكمال لأنها جامعة للجمال والجلال اعتبارًا لِما سبق بيانه في مجانسة النعائم.

الفصل الثالث عشر في الطيور

وهي كثيرة لنقتصر منها على خمسة وهي: الباز والحمام والطاووس والغراب والقمري، ليقيس عليها المستمع باقي أجناس الطيور.

62- **الباز**: وما أشبهه كالصقر والعقاب والنسر إلى غير ذلك من الطيور الصيّادة، يؤوّله الناسك بالنبي - صلى الله عليه وسلم -لأنه يصيد قلوب العالمين إلى عبادة الله - سبحانه وتعالى-، ويسوغ أن يؤوّله بشيخه أو بالأولياء كما قال الشيخ عبد القادر (الجيلاني): (أنا الباز الأشهب). ويجوز أنْ يؤوّله السالك بتجلي الحق في اسمه "الواحد" فإنّ الكثرة الوجودية جسد تنعدم في عين العبد فلا يشهد لشيء في العالم من أثر إلا الله وحده، فكأنّ هذا التجلي اصطاد وجود الأشياء لنفسها فأفناها فلا وجود لِما سوى الله - تعالى- فيه. ويسوغ أن يؤوّله المحب بالعشق لأنه يصيد قلوب العاشقين، وقد يؤوّله بالجمال لأنه سبب العشق فهو الصائد. ويؤوّله المجذوب يتجلي الأحديّة لأنّ سائر التجليات مستورة فيها، فليس لاسم ولا صفة ولا تجلى ظهور في التجلي الأحدي، فكأنّه قد جعل تأويل انعدام تجليات الحق في هذا التجلي الذاتي لِما تفعل هذه الطيور الصيّادة في فرائسهنّ، فافهم.

63- **الحَمام**: هي المطوّقة، والورقاء، والشاذية بالشين المعجمة والذال المعجم والياء التحتية ثم تاء التأتيث، يأوّلها الناسك بالعبادة والصلاة لأنها مناجات بين الحق وبين عبده، وكذلك الحمام تنوح على مألوفها فكأنها تناجى إلـْفـًا بما تكنـّه في سرّها؛ ويسوغ أن يؤوّلها الناسك بأرواح المرسلين والأولياء والمؤمنين على قدر ما يجده في قرينة اللفظ. والأصل في الطيور أنها تناسب الأرواح، فهي غالبا تقع عليها. وقد يؤوّل الحمام السالك بالمعرفة الذاتيّة تشبيها للعلوم اللدنية بنوح الحمام على طريق التأويل. وقد يؤوّلها المحب بمحبوبه لِما في الحمام من معنى اللطف والروحية والكياسة وحسن النغمة؛ وقد يؤوّلها المحب بنفسه لِما فيها من النوْح والأنين وسهر الليل فكأنها مفارقة للمحبوب مثله. ويؤوّلها المجذوب بالتجلي الكلامي لِما في الحمامة من الكلام المعبّر عنه بالتغريد، وقد قال بعضهم: (إنّ الله - تعالى- تجلى للخلق في كلامه ولكنهم ما عرفوه).

64- **الطاووس**: يؤوّلها الناسك بالجنة لأنها خرجت من الجنة مع آدم (عليه السلام)، وقد يؤوّلها بروح آدم أو غيره من النبيين (عليهم السلام) بذلك المعنى، وقد يؤوّلها بالملائكة المقرّبين، وقد يؤوّلها بأنوار العبادة، إلى غير ذلك ممّا تدلّ عليه القرينة. ويؤوّلها السالك بالمعارف

والعلوم اللدنيّة لتنوّع ألوانه.ا وقد يؤوّلها المحب بالجمال التام المتنوّع في مظاهره. وقد يؤوّله المجذوب بالتجلي الذاتي لأنه يجمع ما في سائرالتجليات الصفاتية والأسمائية من معاني الكمال والجمال والجلال، كما أنّ الطاووس يجمع الخضرة والزرقة والصفرة والحمرة وغير ذلك من ألوان الحسن وأجناس اللطف صورة ومعنى.

65- **الغراب:** قد يؤوّله الناسك بالتغرّب للعزلة عن الناس في عبادة الله - تعالى-، وقد يؤوّله بالحذر من الغفلة عن العبادة لِما في الغراب من تلك الخصلة. ويؤوّله السالك بالجسم وهو في اصطلاح الصوفية كناية عن الجسم الكلى؛ وقد يؤوّله السالك بالنفس لِما فيها من اللدد وطول المكث على كثائف الحُجب الظلمانية؛ ويسوغ حمل الغراب على الشهوة إنْ حمل الحمام على العقل. وقد يؤوّله المحب بالفراق والهجر والبعيد لأنّ الشعراء غالبا ما يذكرون الغراب في الفرَاقيات. وقد يؤوّله المجذوب بتجلى الجلال لسواده وسواد لون الغراب، أو يؤوّله بالتجلي الذاتي المتغرب على الأنبياء والأولياء؛ ويسوغ أن يؤوّله المجذوب بروحه لأنه غريب في الوجود إذ محتده أثر الاسم الإلهي ومحلّه قديمًا في علم الله - تعالى- فهو في الدنيا غريب.

66- **القُمْريّة والهزار والبلبل والعندليب والشحرور والببغاء وسائر الطيور المتكلِّمة:** قريبة المعاني في تأويل ألفاظهنّ، فما حُمل على إحداهن ساغ حمله على الأخرى: فالقمرية قد يؤوّلها الناسك بروح النبي - صلى الله عليه وسلم -لأنه الذي أنزل عليه الكتاب فنطق به، ويسوغ تأويلها من حيث اشتقاق اللفظ تشبيها لوجهه - صلى الله عليه وسلم – بالقمر. وقد يؤوّلها السالك بالنفس الناطقة لِما أودع الله في قابلية النفس من غرائب العلوم اللدنية والأسرار الإلهية. وقد يؤوّلها المحب بمحبوبه. ويؤوّلها المجذوب بكلمة الحضرة (أي: كلمة التكوين الإلهي: كن)، أو بالاتصاف بالصفة الكلامية، ويسوغ غير ذلك مما يوافق قرينة الحال.

الفصل الرابع عشر في ذكر البحر والموج والصدف والدرر والمركب والساحل

67- **البحر:** يؤوّله الناسك بالمواهب الإلهية، ويؤوّله بأصناف أعمال البرّ، ويؤوّله بالدنيا ويرى العبور في الدنيا مثله كراكب البحر بين خطر الغرق والسلامة، وقد ورد: "إذا عبرتَ وأنت سليم قلب من البلوى فتهنيك السلامة"، قال الإمام عبد الله اليافعي: "يعنى إذا عبرتَ

سفينة القلب في بحر الدنيا". ويسوغ أن يؤوّله السالك بالطريق، وقد يؤوّله بالحقائق، ويسوغ تأويله بالجناب الإلهي لاتساع صفات الحق - تعالى-. ويسوغ أنْ يؤوّله المحب بالعشق لِما فيه من أنواع الغرائب والعجائب ممّا يلتذ به العاشق ويتألم بـه جملـة واحـدة. ويؤوّلـه المجـذوب بالذات لأنها محلّ إسناد الصفات، ولهذا يؤوّل الموج بالأسماء والصفات.

68- **والموج**: يؤوّله الناسك بنفحات الحق. ويؤوّله السالك بتجلي الواحديّة، فإنّ الأمواج غير البحر وتميّزت باسم غيره، وكل واحد منهما عين الثاني في الحكم والاسم؛ وإذا سكنت الأمواج ظهر البحر بلا موجة وتلاشت الأمواج كلها، فكذلك الأسماء والصفات في تجلي الواحدية: كل واحدة منها عين الثانية من حيث الذات، فالمنتقم عين المنعم من حيث الذات في حكم تجلي الواحدية، ولو كان الاسمان متغايرين من حيث الصفتية فإنهما متحدان من حيث الذات، فافهم. ويسوغ أن يؤوّلها المحب بالأشواق المتزايدة المتواترة في قلب المحب مثلها مثل الأمواج. ويسوغ أن يؤوّلها المجذوب بالأسماء والصفات كما سبق.

69- **الصّدف والدرّ**: يسوغ أنْ يؤوّله الناسك بالعمل حملا على أنّ الدرّ هو النيّة، ويسوغ أنْ يؤوّل الصدف بالعبادة، ويؤوّل الدرّ بالجزاء، ويسوغ أنْ يؤوّل النيّة بالصدف والمقصد بالدرر، ويسوغ أنْ يؤوّل الدنيا بالصدف، أو الوجود كله يؤوّله بالصدف، ويؤوّل الدرّ بالنبي - صلى الله عليه وسلم -. ويسوغ للسالك أنْ يؤوّل الصدف بالمظهر ويؤوّل الدر بالحقائق، ويسوغ أنْ يؤوّل الصدف بالقلوب والدرّ بالأسرار الإلهية المودعة فيها وقد يؤوّل المجذوب الصدف بآثار الأسماء والصفات والدر بالمسمَّى والوصوف - تعالى- وتقّس.

70- **السفينة**: يسوغ أنْ يؤوّلها الناسك بالعمر لأنه قد أوّل البحر بالدنيا، ويسوغ أنْ يؤوّلها بالقلب لِما سبق بيانه من كلام الشيخ عبد الله اليافعي، ويسوغ أن يؤوّلها بالأعمال لأنه بها يصل إلى مطلوبه. ويؤوّلها السالك بالشرَائع كما يؤوّل البحر بالحقائق، فإنّ الشريعة مركب أهل الحقيقة في بحر التوحيد، ومن ركب بحر التوحيد بلا تمسك بالشريعة هلك، ولهذا قال الشيخ أبو إسحاق الكازروني: (دخلنا بحر التوحيد ثلاثمائة مئة فقير لشيخ واحد فغرق الجميع ولم يسلم منهم سوى أنا وآخر وذلك لتمسّكنا بسفينة الشريعة)؛ ويسوغ أن يؤوّلها السالك بالاسم والصفة لأنه بهما يُعرف الله - تعالى-. ويسوغ أنْ يؤوّلها المحب بالتهتك والانخلاع والاطراح لأنه بها يركب بحر العشق فيسير إلى محبوبه. ويسوغ أن يؤوّلها المجذوب بالألوهة لأنها مجلى الذات، فظهوره - تعالى- على العالم في تجلى الألوهة سبحانه.

71- **السّاحل**: يسوغ أنْ يؤوّله الناسك بالآخرة، ويسوغ أن يؤوّله بالجنة لأنه لا يستقر ويأمن قلبه من الخطر إلا بعد دخول الجنة، كما أنّ رَاكب البحر لا يأمن الغرق إلا بعد وصوله إلى الساحل. ويسوغ أنْ يؤوّله السالك بالحق - تعالى- فإنه لا يزال في خطر الانقطاع ما لم يصل إلى الله - تعالى-، وقد ورد: "من وصل إلى الله أمّنه الله من معلولات النفوس". وقد يؤوّله المحب بالوصال إذا أوّل البحر بالفراق. ويسوغ أن يؤوّله المجذوب بظهور حقائق الأسماء والصفات على جسده بآثارها كما قال الله على لسان نبيه: (فأكون سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به)، فحينئذ يكون لليد إبراء الأكمه والأبرص، ويكون للسّان أحياء الموتى، ويكون للرّجل أنْ تخطو من الشرق إلى الغرب بخطوة واحدة، إلى غير ذلك من آثار صفات الله - تعالى- الظاهرة على أوليائه.

الفصل الخامس عشر في الأمطار والرعود والبروق وما أشبه ذلك

72- **الغيث**: يؤوّله الناسك بالرّحمة التي يرحم الله - تعالى- بها عباده، وقد يؤوّله بالإغاثة من حيث اشتقاق اللفظ. ويؤوّله السالك بالسرّ الإلهي الذي به قام الوجود لأن قيام نظام العالم بالغيث، وقد يؤوّله بالوجود الساري. ويسوغ أن يؤوّله المحب بالوصال لأنّ به حياته. ويؤوّله المجذوب بتجلي الرّبوبية لأنّ الله ربّ العالم وأنشأهم وأخرجهم من العدم إلى الوجود تأويلا سائغا كما أن الغيث أخرج أنواع الأزهار وربّاها.

73- **الرّعد**: يسوغ أنْ يؤوّله الناسك بالوَعيد. ويؤوّله السالك بالمخالفات والرّياضات والمجاهدات والمكابدات. ويسوغ أنْ يؤوّله المحب بتهديد الرّقباء والعوَاذل. ويؤوّله المجذوب بسطوات التجليات القهرية.

74- **البرق**: يؤوّله الناسك بالأنوار الإيمانية، ويسوغ أن يؤوّله باليقين والكشف والعيان. ويؤوّله السالك بالتجلي. ويؤوّله المحب بجمال المحبوب وثناياه إذا كان المحل مدحا للبرق، وإنْ كان ذمّا كقولهم "خـُلّب" وأمثاله فيؤوّله بظنونه في المحبوب من تمنى الوصال واللقاء وأمثالها فإنها بروق خلّب. ويسوغ أن يؤوّله المجذوب بالاسم "النور"، ويسوغ أنْ يؤوّله بالصفة الإرَادية لسرعة حصول المرَاد بها كالبرق الخاطف.

75- **الطوفان**: يسوغ أنْ يؤوّله الناسك بذنوبه. ويسوغ أن يؤوّله السالك بدسائس النفوس، ويسوغ أيضا أنْ يؤوّله بتنوّعات التجليات الإلهية وبالموارد الباطنية وأمثال ذلك. ويسوغ أن

يؤوّله المحب بدموعه وبكائه على الحبيب، ويؤوّله بمحن المحبة وشدائدها. ويؤوّله المجذوب بما يجده من العلوم الحاصلة بالله - تعالى- لتواترها وكثرتها وما هي عليه من حيث هي لله - تعالى-.

76- **الثلج والبَرد:** يسوغ للناسك أنْ يؤوّلهما باليقين والإيمان والسكون إلى العبادات. ويؤوّلها السالك بطمأنينة النفس وخمود نار البشرية لورود الفتح الإلهي ودوام المخالفات. ويؤوّلها المحب بالوصال وبرسائل المحبوب وبما يفعله المحبوب به من الجفاء وغيره أنه عنده كالثلج والبرد. ويسوغ أنْ يؤوّله المجذوب بتجليات اللطف والجمال، وقد يؤوّله بظهور أثار الأسماء والصفات على جوارحه كما سبق بيانه.

الفصل السادس عشر في ذكر الأشجار

77- **البان:** يسوغ تأويله للناسك ببيان الحق وظهوره على الباطل، وقد يؤوّله بالاستقامة على الطاعة لأنّ غصن البال إنما يُشبّه غالبا باستقامة القامة أو باللين، فإذا كان المراد من ذكره لين حركته فيؤوّله النساك حينئذ بميل النفوس تارة للطاعة وتارة للفترة. ويسوغ أن يؤوّله السالك بالمخالفات نظرا إلى ميلان الغصن وكأنه يقول: "كلما مالت النفس إلى جانب مِلْتُ إلى غيره." ويسوغ أن يؤوّله المحب بالمحبوب، فإذا كان في الجناب الإلهي أوّله باسمه "القائم" و"القيوم" وأمثال ذلك. ويؤوّله المجذوب بالأحدية.

78- **الأثل:** يؤوّله الناسك بالعبادة والصدقة لقوله عليه الصلاة والسلام: (المرء تحت ظل صدقته)[1]. ويؤوّله السالك بالحقيقة الإلهية لأنه ظله قال بعضهم:

تستّرتُ عن دهري بظلّ جنابه ... فعيني ترى دهري وليس يرَانيا
فلو تسأل الأيام عن اسمي ما درت ... وعن موضعي لم تدر أين مكانيا

ويسوغ أن يؤوّله المحب بمواضع الوصال إمّا الماضي أو المستقبل. ويؤوّله المجذوب بعرش الله - سبحانه و تعالى- لأنّ العالم وما فيه تحت ظل عرشه.

---

[1] الحديث: [كل امرئ في ظل صدقته حتى يفصل بين الناس] رواه ابن حبان والحاكم وابن المبارك وغيرهم.

79- **الرّيحان:** يؤوّله الناسك بريحان الجنة أو الزلفي الحاصلة فيها من جزاء الأعمال. ويؤوّله السالك برياح نفحات الرحمن لقوله: (ألا إنّ لله في أيام دهركم نفحات)[1] ولقوله: (إني لأجد نفَس الرحمن من جانب اليمن) [2]، ولعل الناسك يريد باليمين تأويلا هنا قلبه، فكأنّ السالك يقول أجد نفحات الحق تهبّ على قلبي بأنواع الواردات الإلهية. ويسوغ أن يؤوّله المحب بأنفاس المحبوب، ويسوغ تأويله بالروح الإلهي المنفوخة في آدم (عليه السلام)، ويسوغ أن يؤوّله بروح القدس. ويؤوّله المجذوب بعطر روائح نفائح آثار الأسماء والصفات.

80- **الورد:** يؤوّله الناسك بأوراده التي ينبغي أن يلازم عليها. ويؤوّله السالك بالواردات الإلهية. ويؤوّله المحب بورود الحبيب. ويؤوّله المجذوب بظهور آثار الأسماء والصافات على هيكله، ويسوغ أنْ يؤوّله بالصفة الشمّيّة التي هي فوق الكشف والعيان.

81- **الغضا:** يؤوّله الناسك بالإغضاء عن المعاصي والمحارم من حيث اشتقاق اللفظ. ويسوغ أن يؤوّله السالك بنار النفس عند بوارق الشهوة. ويسوغ أن يؤوّله المحب بنار المحبة. ويؤوّله المجذوب بصفة الإرادة أو بصفة القهر، وأمثال ذلك.

الفصل السابع عشر في أسماء المحبوبة

مثل: ليلى وسلمى وأسما وعلوى وجميل وجميع المشهورات بالحسن مما تتمثل العرب بهنّ في أشعارها، نذكر من ذلك هذه الخمسة الأسماء تقيس عليها الباقية إن شاء الله - تعالى-.

82- **ليلى**: يؤوّلها الناسك بالجنة، أو بالقيام في الليل لعبادة الله - تعالى-. ويؤوّلها السالك بالمحو والفناء والسحق والمحق لمناسبة الليل، قال - تعالى-: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ [الإسراء: 12]. ويؤوّلها المحب بأوقات اللقاء بالمحبوب لأنّ الليل كثيرا ما يكون ميعاد المتحابين فيه باللقاء والوصال. ويؤوّلها المجذوب بتحوّل التجلي الذاتي في غير صور المعتقدات عندما ينكره الخلق، فيجعل ذلك مقابلا لليل، ويجعل تجليه في صورة معتقداتهم مقابلا للنهار لأنهم يعرفونه حينئذ كما ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّ الحق - تعالى- يتجلى لعباده في غير صورة معتقداتهم فينكرونه، ثم يتجلى عليهم في صورة معتقداتهم فيعرفونه

---

(1) رواه الترمذي الحكيم في "نوادر الأصول"، والطبراني في الأوسط .

(2) أخرجه أحمد في مسنده.

ويقولون: "أنت ربنا"، فجعل هذا الوليّ ذلك التجلي الذاتي الذي ينكرونه أهل الاعتقادات مؤولا بالليل من اشتقاق اللفظ في اسم ليلى[1].

83- **سلمى**: يؤوّلها الناسك بدار السلام. و يؤوّلها السالك بالسلامة بالله من آفات العلل البشرية. و يؤوّلها المحب بتحياته التي يرسلها الى محبوبه، أو تحيات محبوبه إليه أو بمحبوبه. ويؤوّلها المجذوب باسمه "السلام".

84- **أسماء**: يؤوّلها الناسك بالدار الآخرة لأنها أعلى وأسمى قدرا عند الله من الدنيا. ويؤوّلها السالك بالأسماء الحسنى. ويؤوّلها المحب بمحاسن محبوبه. ويؤوّلها المجذوب باتصافه من الحق بأسمائه وصفاته.

85- **علوى**: يؤوّلها الناسك بالعالم العلوي وما أودع الله فيه من غرائب آياته. ويؤوّلها السالك بعلوّ الهمّة في طلب الله مع الجد والاجتهاد بحيث أنْ لا يُرجعه عن طريق الله - تعالى- شيء. ويؤوّلها المحب بالمحبوب. ويؤوّلها المجذوب بالاتصاف باسمه "العلي" – تعالى-.

---

(1) روى مسلم في (صحيحه) عن أبي سعيد الخدري، عن النبي - صلى الله عليه وسلم- قال: [إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن: لتتبع كل أمّة ما كانت تعبد، فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله سبحانه من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر، وغبر أهل الكتاب. فيدعى اليهود، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزير ابن الله. فيقال: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد. فماذا تبغون؟ قالوا: عطشنا يا ربنا، فاسقنا. فيشار إليهم: ألا تردون؟ فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار. ثم يدعى النصارى، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال لهم: كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فيقال لهم: ما تبغون؟ فيقولون: عطشنا، يا ربنا فاسقنا، قال: فيشار إليهم: ألا تردون؟ فيحشرون إلى جهنم كأنهم سراب، يحطم بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار. حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر، أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها، قال: فماذا تنتظرون؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد. قالوا: يا ربنا، فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم، ولم نصاحبهم، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، لا نشرك بالله شيئاً (مرّتين أو ثلاثاً) حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب. فيقول: هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق، فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاءً ورياءً إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خرَّ على قفاه، ثم يرفعون رؤوسهم، وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة، فقال: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا. ثم يضرب الجسر على جهنم، وتحل الشفاعة، ويقولون: اللهم سلم سلم. قيل: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: دحض مزلة، فيه خطاطيف وكلاليب وحسك، تكون بنجد فيها شويكة يقال لها: السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم].

86- **جميل**: يسوغ أن يؤوّلها الناسك بالطاعات لأنها أجمل وأحسن الأفعال. ويؤوّلها السالك بالأخلاق الإلهية التي يتخلق بها العبد لأنها أجمل وأحسن من أخلاقه البشرية. ويؤوّلها المحب بجمال المحبوب. ويؤوّلها المجذوب بالاسم "الجميل"، أو بالجمال والجلال، أو بالذات المقدّسة المتصفة بالجمال، فسبحانه ما أجمله.

الفصل الثامن عشر في الحُلي

ولو كانت كثيرة فنحن نقتصر منها على خمسة وهي: الخاتم والمربط والعقد والشمسة والخلخال، فإذا عرفتها قست عليها ما سمعته بعْد من غير ذلك.

87- **الخاتم**: يؤوّله الناسك بما يُختم به على أعماله، لأنّ الأعمال بالخواتم. ويسوغ أن يؤوّله السالك بالنبي – صلى الله عليه وسلم – لأنه خاتم الأنبياء. ويؤوّله المحب بيمين محبوبه ويده لأنّ اليد محلّ الخاتم. ويؤوّله المجذوب بمقام ختم الولاية، ويسوغ أن يؤوّله بالقدرة لأنّ الخاتم من العادة محلها اليد، وقد كنى الله – تعالى- باليد عن القدرة في كتابه فقال: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ﴾ [الذاريات: 47].

88- **المربط**: يؤوّله الناسك بالمرَابطة على عبادة الله – تعالى- والصبر والتقوى، قال الله – تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران: 200]. ويؤوّله السالك بهذا الارتباط الذي بين السرّ الإلهي وبين العبد كما أشار إليه الحديث في قوله: (أنا من الله والمؤمنون منى) [1] فالنبي – صلى الله عليه وسلم – واسطة رابطة بين الله وعبده. ويسوغ أن يؤوّله المحب بالمحبة لارتباطه بالمحبوب يسببها. ويسوغ أن يؤوّله المجذوب بالجمال لأن ارتباط نظام العالم به، فلولا ظهور جمال الله – تعالى- وجلاله في الوجود لما كان للوجود أثر.

89- **العِقْد**: يسوغ أن يؤوّله الناسك بحسن الاعتقاد في الله – تعالى-. ويؤوّله السالك بالولاية، ويحتمل أن يؤوّله بالشرائع لأنه العقد الذي عقده النبي – صلى الله عليه وسلم، ويسوغ أن يؤوّله بلواء الحمد المعقود باسم النبي – صلى الله عليه وسلم –، ويسوغ أن

---

(1) سبق تخريجه.

يؤوّلـه بالميثـاق ويـوم أخـذ الله العهـد مـن بنـى آدم بقولـه: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: 172]. ويؤوّله المحب بما عقد له الحبيب به مـن أمـر وعـوده وأشـباهها. ويؤوّلـه المجذوب بالأسماء الحسنى التسعة والتسعين مع الاسم الأعظم الذي هو تمام المائة فـإن المائـة عقد في العَـدد.

-90 الشمسة: يؤوّلها الناسك بما ورد في الحديث من قوله: (أن أهل الجنة يكونون غرا محجّـلين) [1] فيؤوّل الشمسة بالغرّة يوم القيامة. ويؤوّلها السالك بالمرَاقبة لأنّ شمس نورها ساطع مـن القلب. ويؤوّلها المحب بصفات المحبوب وأخلاقه حملا على أنها نـور يسـتضاء بـه كالـشمس. ويؤوّلها المجذوب بتجليات الجلال كما سبق بيانه في ذكر الشمس والقمر في موضعهما.

-91 الخلخال: يؤوّلها الناسك بالأحجال الحاصلة من آثار الوضوء جزاء يـوم القيامـة، كمـا قـال عليه السلام فيما ورد عنه: (إن أمّتى يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثـار الوضـوء فمـن استطاع منكم أنْ يطيل غرّته فليفعل) [2] ويسوغ أن يؤوّله السالك بالقـدَم الصدق في طلـب الله – تعالى- لأن الخلخال محله القدم، ويسوغ أن يؤوّله بالإقـدام في المجاهـدات، ويـسوغ أن يؤوّله بالتقدم والسباق إلى الله – تعالى-. ويؤوّله المحب بقـدمي محبوبـه، وفي الجنـاب الإلهـي يؤوّل القدمين هنا بما يؤوّله في الحديث حيث قال: (قدماه متدليتان على الكرسـى) [3]، وقـد أشار بعض العارفين في تأويل ذلك إلى أنه هو انقسام أسماء الأفعـال إلى الرّضـا والغـضب، والنعمة والنقمة، وأمثال ذلك، وهو الذي يسوغ تأويله لأنّ الله – تعالى- منزه عـن الجارحـة سبحانه. ويؤوّله المجذوب بتخلل أنوار القرب ذات العبد ليكون له من مقام الخلـّـة نـصيب، وهم الذين يكونون في الدنيا على قلب إبراهيم الخليل صلوات الله عليه.

---

(1) من حديث رواه مسلم في صحيحه: [فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ الْوُضُوءِ].

(2) الحديث مروي في الصحيحين.

(3) صحّ عن ابن عبّاس – رضي الله عنه- موقوفا عليه من قوله: [الكُرسِيّ موضعُ القدمين، والعرشُ لا يقدر قـدره إلا الله تعالى] رواه الحاكم.

الفصل التاسع عشر في ذكر الثياب

كالرّداء والإزار والقميص والنقاب والخِمار،

فإذا عرفت تأويل هذه الأشياء سهل عليك معرفة ما يأتي بعده فتؤوّله على مناسبة ما نقوله لك، والله الهادي.

92- **الرّداء**: يؤوّله الناسك بما يُرْدي الإنسان وهي الفترة والغفلة عن عبادة الله - تعالى-، ويسوغ أنْ يؤوّله بالعمل لقوله عليه السلام: (من عمل عملا نشر الله عليه رداء يُعرف به) [1] الحديث. ويسوغ أن يؤوّله السالك بأنوار الواحدية عند ظهور الحق - تعالى- للعبد حين يتستر عنه ما سوى الحق فلا يرى لشيء في العالم وجودا، فكأنه أوّل تلك الأنوار الساترة للموجودات بالرّداء الساتر لذات من هو عليه، ولكن بلا زعم حلول ولا مزج. ويسوغ أنْ يؤوّله المحب بصفات محبوبه لأنها كالرداء عليه. ويؤوّله المجذوب بالكبرياء لقوله (في الحديث القدسي): (والكبرياء ردائي) [2].

93- **الإزار**: يسوغ أنْ يؤوّله الناسك بالمعرفة الإلهية التي تتدارك العبد فيقوى على كثير من الطاعات وقد كان يعجز عنها، وهذه المعونة حملا من حيث اشتقاق اللفظ على أنها بمعنى المؤازرة من قوله: "الإزار". ويسوغ أن يؤوّله السالك بحمل أفعال المخالفات والمكابدات والرياضات على إزره. وقد يؤوّله المحب بلطائف مصنوعات أخلاق المحبوب لأنّ الإزار يستر عورات المتأزّر، فكأن له أخلاق لطيفة غامضة عن فهم الناظرين أوّلها بالإزار. ويؤوّل ذلك المجذوب بالعظمة لقوله (في الحديث القدسي): (العظمة إزارى).

94- **القميص**: يسوغ أن يؤوّله الناسك بالسندس والإستبرق يوم القيامة. ويؤوّله السالك بآثار الحق - تعالى- الظاهرة على سائر وجود العالم، فكأنّ الآثار الإلهية كالقميص على ذات

---

(1) أخرج ابن أبي شيبة ، وأحمد ، والبيهقي عن عثمان بن عفان- رضي الله عنه- قال: (من عمل عملا كساه الله رداءه إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر). وأخرج البيهقي من وجه آخر عن عثمان قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: -[من كانت له سريرة صالحة أو سيئة أظهر الله عليه منها رداء يُعرف به] قال البيهقي: الموقوف أصحّ .

(2) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: [قال الله عز وجل: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار]. ورُوي بألفاظ مختلفة منها: "عذبته" "قصمته"، و"لقيته في جهنم"؛ الحديث أصله في صحيح مسلم، وأخرجه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجة وابن حبان في صحيحه وغيرهم.

الوجود. ويؤوّله المحب ببشائر المحبوب بالوصال حملا على قميص يوسف. ويؤوّله المجذوب بأنوار القرب الظاهرة على هيكل الوليّ الكامل المتصف بصفات الله – تعالى–.

95- **النقاب**: يسوغ أن يؤوّله الناسك بالدنيا لمعنى أنها نقاب على وجه مخدّرات حقائق الإيمان، فإذا ارتفعت الدنيا ظهرت أحكام الآخرةكما أخبر الحق – تعالى– بقوله: ﴿فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ﴾ [ق: 22]. ويسوغ أن يؤوّله السالك بالنفس فإنها هي الحجاب الأعظم بين العبد والربّ، ومِن ثمّ ورد: (اترك نفسك وتعال). وقد يؤوّله المحب بأنوار طلعة المحبوب يعنى أنها كالنقاب عليه تستره عمّن يراه كما قال بعضهم:

ويشغلني عن حسنه بجلاله فأطرق إجلالا له حين ألقاه

ويسوغ أن يؤوّله المجذوب بالسُّبُحات لقوله عليه السلام: (إنّ لله نيفا وسبعون حجاب لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهي إليه بصره) الحديث[1].

96- **الخِمار**: يسوغ أن يؤوّله الناسك بالذنوب لأنها كالخمار على وجه القلب فلا ينكشف غطاؤه ما دام عليه عفونة عقوبة. ويسوغ أن يؤوّله السالك بخمور القرب. ويؤوّله المحب بالجمال زْعمًا أنّ محبوبه يتستر بجماله عن أعين الناظرين. وقد يؤوّله المجذوب بالحُجب الذاتية التي احتجب الله بها عن خلقه.

الفصل الموفي عشرين في ذكر الكأس والمدام والدِّن والحانة والسّكْر

97- **الكأس**: يسوغ أنْ يؤوّله الناسك بالموت. ويؤوّله السالك بالسلوك لأنه بسلوكه في الطريق يشرب من خمور الوصال. ويؤوّله المحب بالمحبّة وقد ورد:

شربت السّمّ كأسا بعد كأس بأقداح المحبة والغرام

---

(1) روى مسلم في صحيحه قول النبي– صلى الله عليه وسلم–: [إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ] وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: [... النَّارُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ، مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ.

ويسوغ أن يؤوّله المجذوب بالأسماء الإلهية لأنه شرب من خمر معرفة الله - تعالى- بواسطتها.

98- المُدام والخمر: بمعنى واحد، وله أسماء شتى. يسوغ تأويل ذلك للناسك بالشراب الطهور الذي هو في الجنة المشار إليه بقوله: ﴿وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: 21]. ويسوغ أن يؤوّله الناسك بذكر الله - تعالى-، قال بعضهم (وهو عمر بن الفارض المتوفى سنة 632هـ.): (شربنا على ذكر الحبيب مدامة). ويسوغ أن يؤوّله السالك بالتجليات التي تسكر العبد بظهورها فيغيب عن إحساسه فكأنه خمر. ويسوغ أن يؤوّله المجذوب باللذة السارية في وجود الوليّ عند كشف الغطاء بتحقق الحقائق في تمكينه من التخلق بأخلاق الله - تعالى-.

99- الدّن: يسوغ أن يؤوّله الناسك بالعلم لأنه محلّ المعرفة بأمر الله ونهيه، وبه يَعرف الذاكر والعابد كيف يذكر ويعبد الله - تعالى- فهو بمنزلة الدّن. وقد يؤوّله السالك بالتوحيد الحقيقي لأنه بواسطته يغترف من مشارب الوصال. وقد يؤوّله المحب بالمحبوب لأنه محلّ كل حسن وجمال. وقد يؤوّله المجذوب بالاسم (الله) لأنه اسم ذاتي، والذات جامعة للأسماء والصفات.

100- الحانة: يسوغ أن يؤوّلها الناسك بالجنة لأنها محلّ خمور القرب. ويسوغ أن يؤوّلها السالك بالقلب لأنه محل تجليات الحق. وقد يؤوّلها المحب بالعشق لأنه محل السكر بصفات المحبوب. ويؤوّله المجذوب بالعندية الإلهية، فمن كان عند الله شرب من كؤوس المَشاهد ما يسكره.

101- السّكْر: يسوغ أن يؤوّله الناسك بالغفلة في الدنيا عن الله - تعالى- وعن عبادته، ويسوغ أن يؤوّله بالحضور في الأعمال وجمعية الخاطر على فهم ما يتلوه ويتأمل معانيه، فإنّ المشتغل بذلك يكون كالسكران عمّا سواه. وقد يؤوّله السالك بالسكر في حقيقة التوحيد، يعنى سكر شهود وحدانية الله - تعالى- فلا يخطر به ما سوى الله - تعالى-. وقد يؤوّله المحب بالعشق، فإنّ العاشق سكران. وقد يؤوّله المجذوب بالجذبة الإلهية التي تسلب العبد عقله ولبّه بلْ كلّه، فهو سكرَان لا يشعر بذات نفسه لغلبة ظهور الحق - تعالى-.

تـنـبـيـه

اعلم أنّ جميع ما أشرنا إليه من تأويل هذه الألفاظ بما أوّلناها به ليس بمقصور ولا محصور على ذلك، بل لكلّ كلمة من هذه الكلمات تأويلات كثيرة مرة تفجأ عباد الله - تعالى- من غير تعمّل ولا اجتلاب، لأنّ أسماع قلوبهم مصروفة للتلقي إلى باب خزائن جود الله - تعالى- ومواهبه، فتفاجئهم تلك المعاني من غير سابقة علم بها. فلا تتوهّم أنهم يتعمّلون تأويل ذلك في حالة الوجد، بَيْد أنّ التعمّل جائز للمتواجد. **وقد فتحت لك بابا كبيرًا إلى معرفة طرق من التأويلات السابقة التي هي لأرباب السماع، ولكن على شرط التنزيه، وعدم الخروج عن قيود التشريع، من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تسمية لفظ بما يؤوّله** به، بل إذا سمع شيئا من الألفاظ المذكورة انتقل ذهنه بالكلية منها إلى تلك المعاني الواردة، فيسمع فيها لا على شرط اللزوم والتقييد والتسمّي والتشبيه والتمثيل، بل على حكم الوفاء بما يجب لله من تنزيهه وتقديسه من غير نظر إلى ظاهر اللفظ ولا إلى مفهومه، بل أن يكون هذا اللفظ سببا له إلى ذكر ذلك المعنى. مثاله سمعتَ قائلا يقول:

أرخى الرّداء عليه من أطرافه ... وسبى القلوب بعقد ذاك المئزر

فلا تشتغل بذكر الإرخاء ولا الأطراف ولا العقد، ولا بلفظ "عليه"، بل انتقل بمجرّد سماع هذا اللفظ إلى قوله (تعالى): "العظمة إزاري والكبرياء ردائي"، وما عليك من باقي البيت. فإن فتح الله عليك بشيء آخر يناسب هذا، انتقلت إليه من بقيّة الألفاظ، وإلا فاتركها لغوًا. فإنك إذا لازمت على ذلك يفتح الله لك حتى لا تمرّ بلفظة إلا ويرد عليك من فضل الله - تعالى- ما يسوغ تأويله به. فإيّاك أن تشغل قلبك في السماع بما عسى أن لا يوافق التنزيه، فإنك تبقى مشغولا بالقشر عن اللبّ، بل أعقد خاطرك على التنزيه المطلق لله بنسبة ما يجب أن يُنسب إليه من أوصاف الإلوهية ونعوت الكبرياء والعظمة، كما هي له - تعالى-، ثم اتّبعْ أحسن ما تسمع، ودع ما لا تجد له تأويلا لتفرغ عن الأشياء في اشتغالك بالله. فاكتفِ من القصيدة كلها بما يفتح عليك من تأويل ألفاظها لتشتغل بذلك عمّا سوَاها، فإنك إن اشتغلت عنها ضيّعت نَقْد الوقت بما يشغلك عن مقصودك، اللهمّ إلا تكون ممن جرت سنة الله له أن يرد عليه فتحا من الله معرفة ما توجّه لعلمه فلا

بأس عليك أنْ تـتـأنـّق في كل كلمة وحرف وإشارة ولغز، إلى أن تجد تأويله موافقـا لمطلوبـك علـى حسب ما يقتضيه تنزيه الباري -عز وجلّ-.

وها أنا أذكر لك قصائد، وأشرحها لفظة لفظة بطريق التأويل، من غير تـشبيه ولا تعطيـل. والله يقول الحق ويهدى للسبيل.

الباب الثاني

في تأويل الأشعار لأهل السّماع للتوسل إلى حسن الاستماع

(عقيدة الشيخ عبدالكريم الجيلي مختصرة):

اعلم أنّ هذا الباب هو الذي بني عليه الكتاب على قواعده، **فليكن تأمّلك فيه بالفهم والتمييز منوطا على حفظ الأصول الدينية، من غير خروج إلى تشبيه أو تعطيل، أو ابتداع أو اعتزال. وإنْ فهمتَ في كلامي شيئا من ذلك فأنا بريئ من ذلك الفهم، لم أرده ولا أقول به ولا أجيزه ولا اعتقده؛ بل أعتقد أنّ الله - تعالى- واحد لا شريك له ولا شبيه له،** ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ **[الشورى: 11] له الأسماء الحسنى والصفات العلى**، تنزه عن النقصان وتقدس عن الحدثان، قضى بما شاء، وقددّر ما أراد، لا مانع لقضائه ولا دافع لإرادته، ولا يحلّ شيئا ولا يحلّه شيء، لا يمازج الأشياء ولا يخاللها، و لا يتصل به شيء ولا ينفصل عنه، لا صاحبة له ولا ولد ولا والد، ولا وزير ولا مشارك، تفرّد بالقدم، وأوجد الأشياء من العدم، وسيعيدها إلى الفناء ثم يوجدها في دار البقاء؛ خلق الجنة والنار، والحساب والصراط والميزان، والموت والحياة والبعث والنشور؛ فالجنة لمن قرّبه، والنار لمن بعّده؛ أرسل محمدا - صلى الله عليه وسلم -بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وجعله خاتم النبيين وصفوة المرسلين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، آمين.

وقد اختصرت لك عقائد أهل السنة والجماعة في هذا الألفاظ لتبني عليها أصل عقيدتك. ولتعلم أني إذا أوردتُ شيئا في تأويل كلمة إنما أوردته حافظا لأصل هذه العقيدة. فإنْ تصوّر لك في فهم ذلك شيء خلاف هذا رجعتَ إلى فهمك، وعلمتَ أنه من تسويل نفسك، فتتأمّل فيه إلى أن يظهر لك الحق وتتبعه إن شاء الله - تعالى-.

أعلم أنى أذكر في هذا الباب عشرة قصائد، تجمع سائر أصناف الشعر من: الغزل، والمدح، والتشبيب، والحماسة، وغيرها؛ وأذكر فيها غالب الألفاظ التي يستعيرها الشعراء في وضع أشعارهم إلا ما ندر من ذلك لتقيس عليه جميع ما تسمعه، فتعلم تأويل ما لم أذكره بما ذكرته. على أني لم

أبالغ في إطناب تأويل هذه الأبيات غاية الإطناب، لأنّ قصدي الاختصار في هذا الكتاب من غير خلل ولا ملل.

وقد جعلت جملة عدد هذه القصائد مائة بيت وبيتا مناسبا لعدد الكلمات المتقدّمة السابق تأويلها؛ على أني أتكلم في تأويل هذه الأبيات على المراتب الأربعة السابق ذكرها في تأويل الألفاظ، لكن اختصر في بعض المواضع عند تأويل مقصد ثلاثة منها، وهي مقاصد الناسك والسالك والمحبّ، وأبسط في تأويل مقصد المجذوب بسطا مّا لأن مشربه أعلى، وذو الهمّة لا يطلب إلا معالي الأمور، لأنّ مشرب أهل المراتب الثلاثة قريب يكاد أن يفهمه كل من كان له ذوق في طريق القوم فبخلاف مشرب المجذوب فإنّ فهمه عزيز، ولهذا بسطنا الكلام على مقصده في كلّ بيت، على أني لا أبلغ فيه إلى حدّ البسط، بل هو بنسبتهم مبسوط.

واعلم أنّ هذه الأبيات وإنْ كانت قليلة فإني أرجوا الله - تعالى- أن يجعلها كافية شافية في هذا المعنى، وإيّاه أسأل أن ينفع بهذا الكتاب كاتبه وممليه وسامعه وكل من نظر فيه، وأنْ يجعله خالصا لوجهه الكريم إنه سميع عليم.

القصيدة الأولى وهي سبعة عشر بيتا

1- خلع العذار متيّم الأحشاء   فعلى الحياة تحيّة من ناء

- **وجه سماع الناسك فيه:** خلع حب الدنيا
- **وجه سماع السالك فيه:** خلع صفات النفس بالتجرد عنها.
- **وجه السّماع للمحبّ فيه** ظاهر اللفظ
- **وجه السّماع للمجذوب فيه:** خلع ما سوى الحق - تعالى- من قلبه. يريد بالخلع هنا رفع النظر، وبالعذار الوجود كله، بمعنى أنّ العذار الذي هو موجب للتقيد عن الاطراح قد تؤوّل بالوجود الذي يقيّد الناظر إليه ويحجبه عن معرفة الله – تعالى.- ويريد بقوله: "فعلى الحياة" يعني حياة نفسه وبقاءها بالنظر إليها، "تحيّة من ناء": يعني من فان عن نفسه. يقول: قد تركتُ الالتفات إلى ما سوى الله، فنفسي فانية ليس لي بها شعور لاشتغالي بتجلي الواحد - سبحانه وتعالى-، فعلى الشعور والبقاء تحية وسلام.

2- لله درّك يـــا زمـــان صبابــــــتي دمْ لـي فـــفيك مَجامِع الأهـــــواء

- **وجه السّماع للناسك:** طلب دوام زمان العبادة.
- **وجه السّماع للسالك**: فيه طلب دوام زمان المخالفات والرياضيات بالقيام على النفس لأنّ فيه مطلوبه من التزكية والوصول.
- **وجه السّماع للمحبّ فيه** ظاهر اللفظ.
- **وجه السّماع للمجذوب**: فيه دوام ظهور التجليات بتواترها عليه؛ يريد بلفظ "درّك" محاسنك ولطائفك. "لله يا زمان" فنائي عن نفسي بتجليات الحق؛ "دمْ لي" لتدوم تجلياته لأني إذا رجعتُ إلى نفسي شغلتُ بها عن ربي، فهو يطلب عدم الرجوع إلى النفس.

3- يأيها الوَجْــد المــبرّح والجَــوى جُــــودًا يفتّ حـــشاشتى وفــــنا

- **وجه السّماع للناسك:** فيه بذل المهجة في عبادة الله - تعالى-.
- **وجه السّماع للسالك:** فيه فناء صفات النفس بذهاب الأخلاق المذمومة المشار إليها بـ"حشاشتي وفناء".
- **وجه السّماع للمحبّ:** الاطراح بفناء العمر في حبّ الله - تعالى-، أو بفناء الإرادات في إرادة محبوبه.
- **وجه السّماع للمجذوب**: فيه فناء كليات البشرية وخزئياتها. يريد بقوله "الوجد المبرّح": الوجود الدائم لشهود الواحدية المحضة. ويريد بقوله "الجوى": تعشقا دائما يكون في قابلية القلب بالمجالي الإلهية فلا يستطيع أن يلتفت إلى ما سوى الله - تعالى-. ويريد بقوله "جودا يفت حشاشتي وفناء": يعني دواما، فبدوامكما تجودان وتسمحان لي بذهاب دسائس النفس وأحكام البشرية شيئا فشيئا، ولهذا ذكر لفظة "الفتّ" إلى أن يحصل الفناء الكلّي.

4- لا كان قلب يدّعــي حمــل الهــوى فــــيكم وفـــــيه بقـــــية لـــــواء

- **وجه السّماع للناسك**: فيه عدم الالتفات إلى زخارف الدنيا، ليجتمع الزهد الكلى بالعبادة؛ وإشارته بكاف الخطاب إلى أهل الدرجات في جنة المأوى
- **وجه السّماع للسالك**: فيه تجليات أسماء الله - تعالى- وصفاته

❖ **وجه السّماع للمحبّ**: فيه عدم الالتفات إلى ما يقاسيه المحب في محبته الله - تعالى- من البلايا والمحن؛ وإشارته بكاف الخطاب إلى صفات الجمال. وأراد بالسوى والبقيّة شعوره بما لا يلائم الطبع في حب الله - تعالى-

❖ **وجه السّماع للمجذوب**: فيه التخلص عن البقيّة التي يشعر بها أنه فان، فيريد بقوله "يدعي حمل الهوى": يعني يظنّ بأنه فان في تجليات الحق، ومع هذا لو كان فانيا لما شعر بنفسه أنها فانية. يقول "لا كان": يعني ليت أنى لم تكن في بقية أشعر بها فنائي، فدعواي الفناء مع شعوري أني فان مناقض لحالي، فأنا أطلب انعدام تلك البقيّة لأخلص في تجليات الحق بالحق عن سائر ما سواه.

5- لا تعـــذلانى عـــاذلاي فإنـما خـُلِقَـتْ هَيُولا للغــرَام حَــشاءِ

❖ **وجه السّماع للناسك**: فيه مخاطبة نفسه الحيوانية وروحه يقول لهما: لا تعذلاني بأنْ تمنعاني عن التهتك في العبادة بقولكما: (إنّ لنفسك عليك حقا) فإنما "خـُلِقَت هيولا للغرام" يعني للفواحش والمعاصي "حشاي" يعني نفسي مجمع الخبائث والمعاصي، فإنْ خفّفتُ في الطاعات قادتني إلى معاصي الله - تعالى-.

❖ **وجه السّماع للسالك**: فيه مخاطبة خاطريْ العقل والشهوة، يقول لهما: لا تعذلاني لأنّ العقل قد يردع بعض الناس لدقيق شهوة بأنواع الدلائل عن ارتكاب المهالك والشدائد في مخالفات النفس لطلب الله - تعالى- فإنما خـُلِقتْ نفسي هيولا يعني إمّا لصور العلل وهي الحجب الظلمانية فلا لوم أن أسعى في فنائها وهلاكها.

❖ **وجه السّماع للمحبّ**: فيه مخاطبة أمرين في أحدهما نظره إلى غرّة المحبوب، والثاني في نظره إلى حقارة نفسه لأنّ قرب من هو بهذه المثابة من الحقارة إلى العزيز الذي لا يماثله شيء بحيث أنْ ينظر إلى وجه آخر بعد الوقوع في العبادة، فكأنه يخاطب هذين الخاطريْن يقول لهما: لا تمنعاني عن التهتك في حب الله - تعالى- فإنما خلقني الله - تعالى- لمحبته، سواءً كان في القرب إليه رجاء أم لم يكن

❖ **وجه السّماع للمجذوب**: فيه مخاطبة صفات نفسه وذاتها كلـّما عرضتا لخاطره بأنواع أحكام ما تقتضيه بشريته؛ يقول: لا تمنعاني بنظري إليكما عن شهودي لكبرياء الله - تعالى- فإنما خـُلِقتْ ذاتي وصفاتي مجلى ومظهرا لآثار صفات الله - تعالى- واسمائه، فلا أمتنع بشهود

نفسي وصفاتها عن شهود ربى - تعالى- لأنّ نفسي وصفاتها آثار صنعه وكبريائه، فإذا شهدتها أيضا فأنا أقع في شهود آثار صفات الله - تعالى- فلا أمنع عن الشهود بوجه لأنّ نفسي ما خلقت إلا لظهور ذلك.

6- أصْلي الهوى والفرْع يطلب أصله كَلَفا بغير تكلّف وعناء

- ❖ **وجه السّماع للناسك**: أإظهار الحُجّة بحيوانيته لّما خاطبته روحه ونفسه بمعنيان: الأوّل قال لهما لا تمنعاني فإنّ أصلي الهوى، يعني هوى النفس، لأنها مخلوقة من تراب فهي سفلية أرضية تهوي إلى أسفل السافلين فهي تطلب الحضيض طبعا كما يطلب الفرع الأصل.
- ❖ **وجه السّماع للسالك**: فيه إظهار شرف قابليته الإنسانية ليعلم أنه غير متكلف في ارتكاب مخالفات النفس لطلب الله - تعالى-؛ يريد بقوله: "أصلى الهوى" يعني أنّ بروز روحه من الغيب بواسطة الإرادة الإلهية، فالإرادة الإلهية هي الموجبة لظهوري من عالم العلم إلى عالم العين؛ فكأنه جعل هذه الوساطة بمنزلة السبب، فالمسبب يرجع إلى السبب باستناد وجوده إليه من حيث هو مسبّب، وذاك سبب، فعدل هذا السامع عن ذكر الأصل والفرع إلى هذا المعنى، لا على سبيل أنّ الله - تعالى- يجوز أن يوصف بالأصلية أو الفرعية أو السببية والمسبّبية، تعالت ذاته وصفاته عن ذلك؛ يقول أنه لما كان مبدئي من الله - تعالى- رجعتُ إليه ضرورة فلا تطلب نفسي سواه.
- ❖ **وجه السّماع للمحبّ**: فيه إظهار محبوبيته على محبة الله - تعالى- لقوله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: 54]؛ جعل محبة الحق له بمنزلة الأصل، وجعل محبته بمنزلة الفرع لمحبة الله، تعالى الله عن الأصلية والفرعية.
- ❖ **وجه السّماع للمجذوب**: فيه شهود فناء نفسه؛ يقول: "أصلى الهوى" يعني كنتُ معدوما فلمّا أوجدني لم أزاحمه في وجوده، فحُكم العدم باق عليّ، فلا موجود إلا الله - تعالى- على الحقيقة. وكنّى عن العدم بالهوى، يعني أصلى العدم وأنا فرع العدم، والفرع لاحق بأصله، والدليل على ذلك قوله عليه السلام: (كان الله ولا شيء معه) [1] وهو الآن على ما عليه

---

(1) روى البخاري في صحيحه عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قوله: [كان الله ولم يكن شيء غيره]. وروى غيره: [كان الله ولم يكن شيء معه].

كان. ذكر الإمام محيى الدين بن العربي أنّ قولهم: (وهو الآن على ما عليه كان) زيادة عقليه ليست من حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - وأن حدّ الحديث: (كان الله ولا شيء معه). فيقول هذا المجذوب: إنّ الله على ما عليه كان، فهو ولا شيء معه، فإذن ليس لوجودي حُكم بل الوجود لله - تعالى- وحده.

7- بالله يا عهدا تقادم عصره بالوُدّ بالتبرج باللأواء

- **وجه السّماع للناسك**: فيه يخاطب أيام الفراغ عن الذنب في زمن الطفولية والصغر حيث كان مخلصا من شوائب الذنب، يقسم عليها بالله وبمحبته لها وبدوام الشوق إليها وبما سيأتي ذكره.
- **وجه السّماع للسالك:** فيه يخاطب يوم قوله - تعالى- للأرواح: (ألست بربكم)، فيقسم عليها بالله وبمحبة الله لخلقه، وبالتبريح يعني بمحبة الخلق له وبما يقاسيه السالكون من اللأواء وبما سيأتي ذكره بعد.
- **وجه السّماع للمحبّ:** فيه يخاطب يوم خلقه الله - تعالى- بيديْ قدرته، يطلب عود سعادة حصول تلك العناية فيخاطبها ويقسم عليها بالله، وبمحبة الله لِما خلق بيديه، وبمحبة الخلق له، وبما قدّره على محبيه وخلقه، وهي التي كنّى عنها باللأواء.
- **وجه السّماع للمجذوب**: فيه يخاطب كينونته في العلم الإلهي عينا ثابتا لله قبل بروزه إلى عالم الشهادة، يتمنى أنْ تحصل له تلك الحالة في الدنيا بحيث أن يكون معدوما لنفسه موجودا لله، كما كان قديما في علم الله معدوما لنفسه موجودا لله - تعالى-، فيقسم على تلك الحالة وبإرادة الله وبدوام الله وبجلال الله، فأوّلَ الودّ بالإرادة، والتبريح بالدوام، واللأواء بالجلال.

8- بالشوق بالزفرات بل بدامعى بالنار بالأرياح بل بالماء
9- عَوْد إلينا آن وقت وُعودنا هذا الغرام وهذه ليلائي

- **وجه السّماع فيه للناسك**: فيما أقسم به على مثل أيام طفوليته التي كان مخلصا فيها من شوائب المعاصي، قَسما بالزفرات التي تتصعد من نار الأسف، وبالشوق الذي أنتجته محبتي

لعدم معصيته الله - تعالى-، وبالدموع التي تنحدر من خشيته، وإلى الثلاثة أشار بقوله: "بالنار بالأرياح بل بالماء عَوْد إلينا" يا زمان خلاصي من المعاصي؛ آن" يعني "قرب وقت وُعودنا" يريد الأجل؛ "هذا الغرام" يعني أهوية النفس دائمة؛ وهذه أيام الحياة ماضية، كنّى عنها بليلاء، يعني محبوبتي لأنّ الحياة محبوبة بالخاصّية.

❖ **وجه السّماع للسالك**: فيه يريد بالزفرات ما أنتجته نار المحبة من الأنين والحنين إلى لقاء الله - تعالى-، ويريد بالشوق ظاهر المعنى، وكذلك الدموع؛ ويريد بالنار دوام المخالفات؛ ويريد بالأرياح نفحات الرحمان؛ ويريد بالماء برد اليقين؛ يقسم بهذه الأشياء على حالته في يوم قيل له ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ أنْ لو رَجعَتْ. يقول: "عَوْد إلينا" يا ذلك الزمان، آن" يعني حلّ وقت وُعودنا، يعني زمان كشف الغطاء. "هذا الغرام" يعني هذا مطلوبي. "وهذه ليلائي" يعني وهذه الحالة محبوبتي. وزبدة المعنى يطلب حصول مرتبة السعادة بسماع كلام الحق - تعالى- مرّة أخرى.

❖ **وجه السّماع فيه**: قد تحدثنا في البيت الأوّل للسالك بما يناسبه ويناسب المحبّ. وأمّا قوله: "عَوْد إلينا" فانه يطلب عوْد تلك العناية القديمة ليخلقه الله - تعالى- خلقا جديدا لإبقاء بالحضور في حضرته لشهود جماله. وقوله: آن وقت وعودنا" يريد معنى قوله (تعالى): ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ آل عمران: 31] يعني أنه قد أحب الله واتبع رسوله فقد حلّ نجاز الوَعد بأنْ تسبق له محبة الله - تعالى- فيُخلق هو خلقا أخر كما قيل: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون: 14].

❖ **وجه السّماع للمجذوب**: يريد بالشوق والزفرات والمدامع قَسما بما تقتضيه العبودية ؛ ويريد بالنار والأرياح والماء من حيث تأويل اللفظ قسَما بالقدرة والإرادة والعلم الإلهي، يخاطب حال كينونته في العلم الإلهي بهذه الأقسام أنْ ترجع له ليكون فانيا عن نفسه، معدوما له، موجودا لله - تعالى-؛ وفوق هذا الكلام إشارات قبضنا عنان اللفظ عنها تنزيلا وتقريبا إلى فهم العامّة من المبتدئين في الطريق:

10- يا ساكني سَلْع وسَرْحَة لَعْلَع	**والنازلين بقاعة الوَعْساء**
11- يا راحلين وفي الفؤاد رحيلهم	**والقاطنين ورَبعهم أحشائي**

12- المنحـــنى فأضـــالعي وتـــأوّهي نـــيرَانكم والغـــيث فهـو بكـــائى

- **وجه السّماع للناسك**: فيه يخاطب النبي – صلى الله عليه وسلم – بقوله: "ياساكني سلع" لأنّ سَلعا جبل بالمدينة. ويريد بقوله: "سرحة لعلع": يا سكانى مكة لأنّ لعلع جبل بمكـة. يخاطـب أرواح المقيمين من الأولياء والملائكة الموكلة بمكة. ويريـد بقولـه: "والنـازلين بقاعـة الوعـساء" أهل المُعَلّى من الأنبياء والأولياء والشهداء المدفونين بأرض مكة، لأنّ قاعـة الوعـساء عنـد المعلّى. ثم رجع يخاطبهم أجمعين بصيغة الجمع بقوله: "يا راحلين" يعـني غـائبين عـن نـاظري، "وفي الفؤاد رحيلهم" يعني وقلبي يشاهد مواطن رحيلـهم لتعلقـي بهـم؛ "والقـاطنين" يعـني أيهـا النازلون في تلك البقاع، و"ربعهم" يعني منـزلهم ومـسكنهم "أحـشائي" يعـني قلـبي محلـهم. أمّـا "المنحى" يعني الأمر المائل عن جادة الطريق، "فأضالعي" يريد قلبه، يعني أنه غـير مواظـب علـى الحضور بل منهمك في الغفلات، "وتأوهي نيرانها" يعني أنّ اشتغالي بإصلاح قلبي يفني عمـري دون انقضاء الأرب من حصوله، إذ لا طاقة لي على معرفة فنـون كيـد الـنفس والـشهوات. ويريد بقوله "والغيث فهو بكائي" يعني أبكي علـى أغـاثتكم لـي. وأمّـا الأبيـات ففيهـا إيهـام المنحنى بالمنزل والإشعار بأنها مخصبة لكثرة الغيث، وأنّ بها نيران القِرَى، إلى غـير ذلـك مـن أنواع البديع لسنا بصدد ذكره.
- **وجه السّماع للسالك**: فيه يريد بساكني سلع كناية عن القيام على النفس بالجد والاجتهـاد، لأنّ أهل المدينة كانوا مجاهدين مع رسول الله – صلى الله عليـه وسـلم –؛ ويريـد بــ"سـاكني سرحة لعلع" كناية عن الحضور مع الحق – تعالى – بظهور تجلياته، لأنّ لعلع عند بيتـه. ويريـد بقوله "والنازلين بقاعة الوعساء" كناية يريد بها التنزلات الإلهية على قلوب عباده. ويريد بقوله "يا راحلين" يعني الموارد الإلهية التي رحلت به إلى مدارج الشهود؛ "وفي الفـؤاد" يعـني في القلـب "رحيلهم"، يعني ظهـور مـا رحلـوا إليـه بـه، يعـني تجلـى الله – تعـالى – علـى قلـوب عبـاده؛ "والقاطنين" يريد بالقانطين عبارة عن السكون إلى الله – تعالى–؛ "ورَبْعهم" يعني محلّ الـساكن إلى الله؛ "أحشائي" كنّـى بذلك عن القلـب لأنـه الـذي يـسكن إلى الله – تعـالى– فـلا يزيـغ بعـد السكون. قال عليه الصلاة والسلام: (اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا)[1] إشارة إلى هـذا المعنى. ويريد بالمنحنى محلّ التجليات، لأنّ المنحنـى موضـع تكـون فيـه دار القـوم. ويريـد

[1] رواه الترمذي.

بقوله: "فأضالعي" يعني قلبي. ويريد بالتأوّه المخالفات والرياضات بأنواع السلوك والمحبة. ويريد بقوله "نيرانها" يعني آثار تلك التجليات؛ و"الغيث" فهو بكاء، يعني ما يحصل في القلب من آثار التجليات الذي هو كالغيث، فهو بكاء يعني أبكي عليه؛ يقول مخاطبا الجد والاجتهاد والحضور مع الله بالمراقبة للتجليات الإلهية والتنزلات القدسية والموارد التي ترد على القلب، فترحل به عن محلّ الحجاب إلى محلّ الكشف والسكون إلى الله – تعالى–، يخاطب هذه الأمور المعنوية تنبيها لنفسه بها، فيقول أمّا "المنحنى" يعني مَحالّ ورود هذه الأشياء وظهور تلك التجليات هو قلبي بلا وصف حلول ولا تشبيه، يعني فهات يا نفس ما عندك من الجد والاجتهاد، وهات يا قلب ما عندك من السلوك، فإنما على ذلك بكائي لا على غيره.

- **وجه السّماع للمحبّ**: في البيتين الأوّلين ظاهر من شرحنا لمقصدي الناسك والسالك. وأمّا في البيت الثالث فقوله لها "لمنحنى فأضالعي" يريد أنّ القلب مهبط أنوار الربّ، ويريد بقوله "وتأوهي نيرانها" يعني محبتي وعشقي وولعي أثر مهبط تلك الأنوار، إذ بعنايته أحببته لا بقوتي وحيلتي؛ "والغيث فهو بكائي" يريد به حالة زيادة المحبة المفيضة للدّمع كالغيث.
- **وجه السّماع للمجذوب**: في قوله "يا ساكني سلع" يريد بذلك أهل الوراثة المحمدية، ومنهم الأكامل، و"سرحة لعلع" يريد بها أهل التحقيق بالحقائق الإلهية وهم الكمّل؛ "والنازلين بقاعة الوعساء" يريد بهم من دون مقام القربة وهو الصديقون الذين هم أنزل من مرتبة الكمال بدرجة تحقيق الحقائق. ويريد بقوله "يا راحلين وفي الفؤاد رحيلهم" المجذوبين المأخوذين مع الله من طريق الأسماء، غابوا عن هويّة العالم بأجمعه فهم راحلون في قلوبهم إلى حضرة الوجود عن سائر العالم. ويريد بقوله "والقاطنين" أرباب السكون إلى الله – تعالى– بواسطة الصفات من الأولياء الذين هم مع الله على كل حال. يقول لهؤلاء السادة: "أمّا المنحنى" يعني ما نزلتم وحللتم به من درجات الكمال "فاضالعي" يعني هو بين جنبيّ وفي قلبي قد حللتم ونزلت فيه وصار لي مقاما، وشاهدي بذلك أنّ "تأوهي نيرانها" يعني ما أبرزه لكم من غوامض، فكأنّ المعارف الإلهية هي آثار تلك الأشياء الحاصلة لي، على أني مع هذا لم أقعد عن طلب المزيد من الحق – تعالى– لأنه لا نهاية له، فأنا اطلبه وأبكي على مطلوبي كالغيث يعني دائم البكاء لدوام الطلب وعدم التسلّي.

13- ورمال ذاك الحيّ مَرْتع مهجتي وجبالها سُقمى المقيم ودائي

- **المقصد للناسك**: فيه أن الشهوانيات الترابيات هي التي تستعملها نفسه وتسعى إليها، وأنّ الفساد واقع فيه بسبب الاقتضاءات البشرية التي كنّى عنها بالجبال لثقل أوزان الأوزار، فهي سقمي ودائي المقيم بقلبي وقالبي.
- **وجه السّماع للسالك**: فيه هو أنه يقيم على حفظ القلب بالحضور مع الله - تعالى-، وعن ذلك كنّى بقوله: "ورمال ذاك الحيّ مرتع مهجتي". وأراد بقوله: "وجبالها سقمي المقيم ودائي" يعني أنه على المكابدات والمجاهدات مقيم، كنّى بالجبال عن المجاهدات لأنّ حمل ذلك ثقيل على النفوس.
- **وجه السّماع للمحبّ**: فيه أنه لا يزال مستغرقا في جمال محبوبه على ما عليه نفسه من مكابدة أمراض الهوى
- **وجه السّماع للمجذوب**: فيه أنه لا يزال يهيم في أودية الطلب مع ما يشاهده من التجليات الإلهية التي كنّى عنها بالجبال، لأنّ الجبل كان موضع ظهور أثر التجلي لموسى -عليه السلام-؛ وأراد بقوله "سقمي المقيم ودائي" كناية عن فنائه تحت سلطان ظهور التجليات الإلهية.

14- وخيالكم في تصوّري وجمالكم نصب العيون وعين ذات الرائي

- **وجه السّماع للناسك**: فيه مخاطبته النبيّ- صلى الله عليه وسلم- وأهل مكة وسكان لعلع بما معناه ظاهر البيت
- **وجه السّماع للسالك**: فيه أنه لا يزال مصوّرا في قلبه أحرف أسماء الله الحسنى التي كنّى عنها بجمالكم، فيشاهدها ويتأمّل في معاني كمالها بالله - تعالى- لا بنفسه.
- **وجه السّماع للمحبّ**: فيه ظاهر من تأويلينا لقصديْ الناسك والسالك.
- **وجه السّماع للمجذوب**: فيه مخاطبة أهل الوراثة المحمدية وتلك الأولياء المقدّم ذكرهم باتحاد الروح بهم في المقام لقوله: "وجمالكم نصب العيون وعين ذات الرائي" إشارة إلى قوله: (وكنا حيث ما كانوا ... ... وكانوا حيث ما كنّا)، وذلك هو حقيقة التوحيد، فافهم، فقد اختصرت لك أيضا ما لو شرحناه لما وسعه الوقت.

15- ووداكم فرْضي وذكر حديثكم سُنَنى ونفلي شدّة البُرَحاء

- ❖ **وجه السّماع للناسك**: فيه أنه لا يزال متمسكا بالنبي - صلى الله عليه وسلم -وبالأنبياء والأولياء أجمعين كما سبق بما معناه ظاهرالبيت.
- ❖ **وجه السّماع للسالك**: فيه أنه لا يزال مقيما على أداء ما اقترض عليه من الحضور مع الله - تعالى- بالمراقبة، مواظبا على الإتيان بمسنون الطريق وهو المخالفات والرياضات والمجاهدات، وقائما بنفل المحبة التي ورد النص بها في قوله: (لا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه).
- ❖ **وجه السّماع للمحبّ** فيه ظاهر
- ❖ **وجه السّماع للمجذوب**: فيه أراد بقوله "ووداكم فرضي" يعني تعشق أسباب الحضرة الإلهية بحيث أن لا ينصرف وجه قلبه عن ذلك بحال من الأحوال. وأراد بقوله "وذكر حديثكم سنني" يعني تواتر الإلهام الإلهي على قلبه بما هو من قبيل فهم كلام الله - تعالى-. وارد بقوله "ونفلي شدة البرحاء" يعني أنه مع ذلك على شدة الطلب لله - تعالى- فافهم.

16- فدياركم لى قبلة وغرامكم لى ملّة و وصالكم فمُنائي

- ❖ **وجه السّماع فيه للناسك** ظاهر لأنه يريد بالديارالكعبة، وقس على ذلك تمام البيت.
- ❖ **وجه السّماع للسالك** فيه تأويل الديار بالقلوب، لأنها مظاهر تجليات الحق - تعالى-؛ وتأويل الغرام بالمخالفات والرياضات والمجاهدات؛ وتأويل الوصال بارتفاع حجب الأكوان عند تجلى الرّحمان. يقول إنّ القلب قبلة نظري بعيني إلى قلبي لا إلى ظاهر الحس، كنّى بهذه الحالة عن المراقبة وأتى مع ذلك "فمخالفات النفس ملّتي" يعني مذهبي وديني، وطلبُ ارتفاع الحجب بتجلي الحق - تعالى- هو مطلوبي.
- ❖ **وجه السّماع للمحبّ**: فيه تأويل الديار بالأسماء الإلهية، وتأويل الغرام بمراقبتها، وتأويل الوصال بارتفاع حجب الأكوان عند تجلى الحق - سبحانه وتعالى-.
- ❖ **وجه السّماع للمجذوب**: فيه الاتصاف بالأسماء والصفات؛ فأوّلَ الديار بالعلوم الإلهية لأنّ الوجود محلّه علم الله، على أنه منزّه أن يكون محلا لشيء، أو يكون شيء محلا له. وأوّلَ

الغرام بتعشقه بحضرة الجلال مع عدم النزول عنها إلى البشرية. وأوّلَ الوصال بمزيد المعارف الإلهية، فقد أمر -عليه السلام- بذلك في قوله: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه: 114].

17- يا أيها العـرب الكـرام إلى متـى هــذا البـعاد فأسعـفوا بلـقاء

❖ **وجه السّماع للناسك:** فيه مخاطبته النبي – صلى الله عليه وسلم – ومن سبق ذكره، وسؤال اللقاء المعبّر هنا بدوام الطاعات لأنّ الصلاة صلة بين الله وبين العبد؛ وأراد بالبعاد المعاصي.

❖ **وجه السّماع للسالك:** فيه مخاطبات التجليات الإلهية بالثناء على الأسماء الإلهية والصفات الربانية، فإنها بعيدة عن الإدراك لا يصل أحد إلى معرفتها حقيقة، ولا يعرف أحد منها إلا بتنزل الإلهام من فيضها الأقدس على قلب العبد، وعنه كنّى بقوله: "فأسعِفوا بلقاء".

❖ **وجه السّماع للمحبّ** فيه ظاهر مما سبق بيانه.

❖ **وجه السّماع للمجذوب:** فيه مخاطبته ذات نفسه وسائر أجزائه وأعضائه التي قد انطمست آثارها بجب أنوار حقيقة التوحيد من معنى قوله: (كنت سمعه وبصره ويده ولسانه)؛ ويشير إلى هذه الأعضاء والجوارح من نفسه في هذه الحالة أن تظهر آثار ما أثمر لها هذا القرب، وإلى ذلك أشار بقوله: "فأسعفوا بلقاء".

تمّت القصيدة وبالله التوفيق.

القصيدة الثانية وهي خمسة عشر بيتا

فنقول وبالله التوفيق:

1- زمان اللـقاء بين الكثيب وحـاجر سـقا ظرفـك الميمـون ظـرف مَحاجـر

❖ **وجه السّماع للناسك:** فيه بخطاب أيام معاملاته مع الحق – تعالى- بأنواع العبادة. كنّى باللقاء عن الصلاة لأنها صلة بن الله وعبده؛ وكنّى بالكثيب عن الصفاء القلبي؛ وبحاجر عن الخشية لأنها تحجر العبد عن المعاصي. وأراد بقوله "سقا": أحيى، وبالظرف محلّ تلك

الطاعات. يعني: يا زمان الطاعات وعدم المعاصي أحيى محلك محاجري يعني بالعبادة والطاعات لقوله: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [التوبة: 18].

❖ **وجه السّماع للسالك**: فيه مخاطبة يوم قال الله - تعالى- له ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡ﴾ فقال مع الأرواح ﴿بَلَىٰ﴾. وأراد بقوله "سقى ظرفك الميمون" يعني محلك العزيز أحياه ظرف محاجري، يريد إعادة شهود ذلك المحل المقدس لأن النظر لا يكون إلا بالظرف.

❖ **وجه السّماع للمحبّ**: فيه أيام الكثيب وساعته عند خروج الناس من الجنة للمشاهدة يخاطبها لطلب تعجيل شهود الجمال الإلهي.

❖ **وجه السّماع للمجذوب**: فيه يخاطب أيام الله - تعالى- الإلهية بقوله: "سقى ظرفك الميمون ظرف محاجري" استعارة الظرف هنا للأسماء والصفات، لأنّ الحق - تعالى- لا يزال متجليا في اسمائه وصفاته؛ أراد بذلك علم التأويل، لا على أنه يجوز أنْ تكون اسماؤه - تعالى- ظرفا أو مظروفا. وأراد بقوله "سقى" ظهور الأثر، لأنّ سقي الأرض يُظهر نباتها، فكأنه يقول: أظهرتْ آثار تلك التجليات محاجري بظهور نور الحق - تعالى- عليها، لأنّ الجارحة إذا صُبغت بأنوار القرب الإلهي ظهرت الآثار عليها ضرورة. وأراد بالكثيب الأسماء التي عرفه الخلق بها؛ وأراد بحاجر الأسماء المستأثرة التي حجر على الخلق معرفتها.

2- ولا برحت أغصان بانِك دَيْدنـًا   يُرَنِّحُها هبّ النسيم لِماطر

❖ **وجه السّماع للناسك**: فيه إتيان أفراد العمل، كلّ فرد فرد على شروطه دائما بحسن مقصد ونيته في طلب رحمة الله - تعالى-؛ فجعل الأغصان كناية عن أفراد العمل، والنسيم كناية عن النية والمقصد، والماطر كناية عن رحمة الله - تعالى-.

❖ **وجه السّماع للسالك**: فيه ظهور تجليات الحق عليه في اسمائه وصفاته دائما لسابق عناية نفحة إلهية يحيى بها قلبه؛ فأراد بالأغصان كناية عن تجليات الأسماء والصفات، وأراد بالنسيم النفحة الإلهية، وبالماطر إحياء القلب.

❖ **وجه السّماع للمحبّ**: فيه تواتر الأشجان ودوام اللوعة لقوّة انهماكه في الصبابة العشقية المستغرقة لأحواله كالمطر؛ فكنّى بالأغصان عن الأشجان، وبالترنيح عن حركة القلب لذلك، وبالنسيم عن الصبابة العشقية والاستغراق في المحبة.

❖ **وجه السّماع للمجذوب**: فيه ظهور آثار تجليات الحق على سائر أجزاء العبد لدوام تجلياته على القلب، لأنها المضغة التي إذا صلحت صلح الجسد. فأراد بالأغصان أجزاء العبد من يده ولسانه، وأراد بالبان قرب الحق - تعالى- المشار إليه بقوله: (كنت سمعه وبصره) [1]؛ أراد بالترنيح الإظهار؛ وأراد بهب النسيم العناية الإلهية؛ وأراد بالماطر دوام التجلي.

3- يُذَكِّرُني بَرْق الغُوَيْر ورَعده زفير فؤادٍ أو ترنّم طائر

❖ **وجه السّماع للناسك**: فيه يقول: يذكرني لأيام العبادة وطيب أوقاتها زفيرُ فؤاد محبّ إليها، أو ترنّم طائر روح عابدٍ أراه عاكفا على العبادة.

❖ **وجه السّماع للسالك**: فيه يقول: إنّ المجاهدات والرياضات والمكابدات التي تكون للقلب زفيرا بسبب نار مخالفات النفس ينبغي لي أنْ أواظب عليها لأنها ركن من أركان الطريق الموصلة إلى الله - تعالى-؛ والركن الثاني للطريق هو دوام المراقبة إلى ظهور تجليات الجمال والجلال. فكنّى بالبرق عن تجلي الجمال، وبالرعد عن تجلى الجلال، وبالزفير عن المجاهدات والمخالفات؛ وبقوله "ترنم طائر" عن المراقبة ودوام الحضور بالقلب.

❖ **وجه السّماع للمحبّ**: فيه يقول: يزعجني إلى طلب ظهور المحبوب وسماع خطابه الشوق الكامن بسبب العشق في قلبي وعلوّ مكانة المحتد لقابلية روحي. فكنّى بالبرق عن الشهود، وبالرّعد عن المخاطبة، وبالزفير عن الشوق الكامن بسبب العشق في القلب، وبترنيم طائر عن القابلية التي في روح الإنسان لعلوّ محتده.

❖ **وجه السّماع للمجذوب**: فيه يقول: إنّ إظهار حالات الأنس والهيبة على هيكلي لا يكون إلا عن وارد جلالي أو جمالي. فكنّى عن الأنس بالبرق، وعن الهيبة بالرّعد، وعن الوارد الجلالي بالزفير، وعن الوارد الجمالي بترنيم طائر، فافهم.

---

(1) الحديث الصحيح المشهور حول قرب النوافل وما ينتجه.

4- ليالي نعـــمان عــسى لــك عـــودة ويــا نــاره لا زلــت نــــور ضمائـــري

❖ **وجه السّماع للناسك**: فيه مخاطبته لليالٍ ينعم فيها بالطاعات إلى طلوع الصبح، يطلب عـودة ذلك الحال ومخاطبة العزيمة التي حملته على ذلك، يطلب بقاء تلـك العزيمـة ودوامهـا في قلبـه حتى يجد ما يحمله على الطاعات، فكنـّى عنها بليالي نعمان عن ليالي الطاعات التي تنقـضي كلها إلى السحر في العبادات، وكنـّى بقوله: "ويا ناره" عن نار العزيمة اتي تحمله على ذلك فـلا يكلّ ولا يملّ.

❖ **وجه السّماع للسالك**: فيه مخاطبة يوم نعمان، وهو يوم أخرج الله ذرّيات آدم مـن ظهـره في بطن وادي نعمان، فقال لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ فقالوا: ﴿بَلَىٰ﴾، كما ورد في الحديث. فأراد هذا السالك عود ذلك الخطاب في سمعـه الآن كمـا قـال ذو النـون (المـصري): (هـو ذا في أذني) يريد سماع ذلك الخطاب الأقدس. وأراد بالنار ظهور التجليات كناية عـن ذلـك بنـار موسى -عليه السلام- "لازلت نور ضمائري" يعني نور قلبي.

❖ **وجه السّماع للمحبّ**: فيه مخاطبة حال كينونته في العلم الإلهي، بمعنى أنه كان عينـا ثابتـا لله معدوما لنفسه؛ يريد عود تلك الحالة ليفنى في حبّ الله - تعالى- ويتهتك فيه حتى لا يـشعر بنفسه لشدة الوجد، فلا يعلم بحاله إلا الله - تعالى-.

❖ **وجه السّماع للمجذوب**: فيه مخاطبة تجليات الجلال إذا تواترت على قلب العبد، فظنّ أنهـا كلها تجلى واحد، لأنّ الحجاب رقيق، يخاطبها بقول: عـسى أنّ التجلـي الحاصـل في الزمـان المتقدم عاد حاصلا في هذا الزمان، لِما يجده من إيجاد آثارها في قلبه وليس كـذلك، بـل لله - تعالى- في كل آن تجلي مخصوص على قلب كل عبد على حدته، ومن ثم قال العارفون: (مـا تجلى الله بصفة على عبد مرتين، ولا تجلى على عبدين بصفة واحـدة). وأراد هـذا المجـذوب بقوله: "ويا ناره لازلت في ضمائري" الاهتداء بأنوار الصفات إلى معرفة الذات، فجعل تجليات الجلال بمثابة الليل لأنّ ظلمات الحيرة من سرادق الجلال، وجعل النار بمثابـة الهدايـة الإلهيـة إلى حضرته المقدسة المنزهة حيث كانت سببا لموسى في سماع قولـه: ﴿أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ [طه: 14].

5- ويا عــهد ذيّـاك الـدّيار وأهلـــه   وفائك مَن عـــاهدتَ أم هـو غـادري

- ❖ **وجه السّماع للناسك**: فيه مخاطبته ما عهده مع الله - تعالى- في قلبه من دوام الولع بالعبادة، هل يُكتب له بوفاء ذلك العهد أم هو غادر به؟ فقوله: "من عاهدت" يريد قلبه، يعني هل يفـي قلبه بأنْ يشتغل بالله وبعبادته أم هو غادر به.
- ❖ **وجه السّماع للسالك**: فيه مخاطبته ما عقده مع الله - تعـالى- في قولـه: (بلـى) هـل سـبقت العناية الإلهية له بأنْ يفي بحقيقة التوحيد أم لا؟ فكنّـى بـ"عهد ذياك الديار وأهله" عـن الميثـاق الذي أخذه الله عليه وعلى أهل ذلك المجلى. وأراد بـ"من عاهدت" يعني هـل الحـق - تعـالى- الذي عاهدته جعلني موافيا بالعهد فهو مبلِـّغي إلى حقيقـة التوحيـد، أم جعلـني غـادرا فـلا يحصل لي إلا التوحيد المجازى.
- ❖ **وجه السّماع للمحبّ**: فيه مخاطبة الفضل المعهود المعنوي الحاصل من حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - بقوله: (المـرء مـع مـن أحـب) [1] يقـول: إنـى قـد أحببـت الله - تعـالى- ورسوله، فيا ذلك الجود المعهود هـل قـضى الله لـي بحـصول وفـائكم فـأكون مـع الله ومـع رسوله؟ أم قضى لي بنقيضك مكرًا إلهيّا؟ فكنّـى بالغدر عن المكر.
- ❖ **وجه السّماع للمجذوب**: فيه مخاطبة المقام المحمدي، وطلب العلم بما أودع الله - تعـالى- في قابلية روحه، هل جعل له مـن عنايتـه أيفـاء ذلـك المقـام حقـه أم لا؟ وكنّـى بالـديار عـن المقامات المحمدية من العبودية والعبودة وأمثالهـا. وكنّـى بالعهـد عـن مقتـضيات التجليـات الإلهية التي أشرفته على البلوغ إلى الوراثة المحمدية، فكان مقتضياتها عهدا لا ينتقض، ولأجل ذلك قال: "وفائك من عاهدت" يعني من التجليات الإلهية. "أم هو غادري" بأن يظهر تجلى أخـر يناقض تلك، فإن تجليات الحق - تعالى- متقابلـة بـين البـسط والقـبض، والنعمـة والنقمـة، وأمثال ذلك من الأسماء والصفات الإلهية التي تتضاد آثارها في الكون.

6- ويا زمن الــرّند الــذي بين لعْــلع   وطيْبتـه أأنـتَ أم طـــيف زائـــــر

---

(1) رواه البخاري.

- **وجه السّماع للناسك**: فيه مخاطبة زمانه الحالي الذي هو بين عمل ونيّة؛ يقول: هل ذلك مقبول عند الله أم هو طيف زائر؟ يعني خيال لا حقيقة له. فكنّى بلعلع عن النية لأنها عند بيت الله – تعالى–، والنية في القلب والقلب من بيوت الحق – تعالى–؛ وكنّى بطيبة عن الأعمال لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – أمر بالعمل الصالح، وكنّى بالزند عن طيب العبادة لقوله: (جعلت قرة عيني في الصلاة)[1].
- **وجه السّماع للسالك**: فيه مخاطبة أيام سلوكه في طريق الله بين مراقبة الله ومخالفة النفس، يقول هل ذلك منوط بالوصال الحقيقي إلى حقيقة "كنت سمعه وبصره"؟ أم ذلك طيف زائر بقلبي؟ يعني نصيب ممتزج لا صرف، لأنّ بعض الأولياء قد تحصل له شمّة من مقام الورثة ولكن لا يترقى إليهم، لأنه من الأبرار مثلا وهم من المقرّبين، قال الله – تعالى–: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا﴾ [الإنسان: 5-6]، فكان شراب عباد الله صرفا من الزنجبيل، وكان شراب الأبرار ممزوجا منها. وخلاصة المعنى يقول: هل الوصول منوط بهذا السلوك؟ أم غايته المزج لا الصرف من شراب حقيقة التوحيد؟
- **وجه السّماع للمحبّ**: فيه مخاطبة أيام محبته لله – تعالى– ولرسوله، هل تلك المحبة حقيقية خالصة لها أثر في القرب؟ أم هي لدسائس النفس وطلب الجاه عند الله – تعالى– فلا يكون لها ذلك الأثر؟ فكنّى بلعلع عن حب الله – تعالى– وبطيبة عن حب النبي – صلى الله عليه وسلم –، وكنّى بطيف زائر عن عدم الخلوص في الحبة.
- **وجه السّماع للمجذوب**: فيه مخاطبته الكمال الإنساني الذي هو بين تجلى أوصاف إلهية وبين ظهور أخلاق حيوانية بشرية، هل الغالب على الوليّ مقام العندية بالنون؟ أم مقام العبدية بالباء؟ لأنّ مقام العندية الإلهية يقتضى الاتصاف بأوصاف الربوبية، ومقام العبدية بالباء يقتضى إظهار أخلاق البشرية بالعجز والذلة والفاقة وأمثال ذلك. يقول: أيّ الحالتين أليق بمكانة الكمال؟ الظهور بصفات الربوبية أم الظهور بصفات العبودية؟ وكنّى بلعلع عن مقام العندية بالنون، لأن من هو عند الله متصف بصفات الله؛ وكنّى بطيبة عن مقام العبدية

---

[1] رواه: أحمد والنسائي والبيهقي والطبراني وأبو يعلى وعبد الرزاق والحاكم وغيرهم، وهو صحيح..

بالباء، لأنّ لعلع بيت الله وطيبة بلد عبد الله؛ وكنّى بقوله: "أأنت" يريد المشار إليه بلعلع، يعني أأنت أليق بمكانة الكمال أم طيف زائر؟ يعني الأخلاق البشرية أنها طيف زائر، بمعنى أنها للفناء لا للبقاء:

7- ويا هضبات الخيف يا جبليْ مِنى ويا جمرات الرّكب أضْرَمْتِ خاطري

❖ **وجه السّماع للناسك**: فيه يخاطب حالتيْ الخوف والرجاء، ورؤيته التقصير جميعا بقوله: "أصرفت خاطري" يعني احترق قلبي، فكنّى بهضبات الخيف عن الخوف وأحواله فيه، وكنّى بجبليء مِنى المُنى والرجاء، وكنّى بجمرات الرّكب عن رؤيته التقصيرلأنها منوطة بالأسف والاحتراق كالجمرة.

❖ **وجه السّماع للسالك**: فيه يخاطب حالتيْ السلوك والمراقبة؛ فكنّى بهضاب الخيف عن حالات المجاهدات والرياضات، وكنّى بجبليْ مِنى عن حالات المراقبة والذكر لأنهما مُنى قلبه. يقول مستحقرا لاجتهاده وحاله إنه إذا رأى فعل القوم وسلوكهم احترق قلبه والتهب لبّه، فكنّى بجمرات عن سلوكهم في رميهم الشيطان والنفس بجمار نار المجاهدات والرياضات والمخلفات، وكنّى بالرّكب عن أهل الله. يقول: إذا نظرت إلى مجاهداتي ومراقباتي ثم رأيت ما ورد عن أحوال الرجال احترق قلبي لذلك.

❖ **وجه السّماع للمحبّ**: فيه مخاطبة تجليات القبض والبسط، فكنّى بهضبات الخيف عن تجليات القبض لأنّ القبض من لوازم الخوف، وكنّى بجبليْ مِنى عن تجليات البسط لأن البسط مُنى النفوس. يقول: أذهبَ لبّى وأتلف قلبي تعلقي بتجليات القبض والبسط، وأحرقتني جمرات نار المحبة، فكنّى عنها بقوله: "ويا جمرات الركب" يعني ركب الغرام والمحبة.

❖ **وجه السّماع للمجذوب**: فيه مخاطبة تجليات الجمال والجلال المعبّر عنهما بجبل مِنى وهضبات الخيف. يقول إنّ هذه التجليات وآثارها في القلوب أفنته عن محسوسه وأحرقت صفاته وذاته كما تحرق النار الحطب فتفنيها، وإلى ذلك أشار بقوله: أضرمت خاطري" لأنه كنّى عن آثارها بجمرات الركب، يعني ركب المشاهدة والعيان.

8- أنوح ويُشجيني الحمامُ بشدْوه وأبكي فيحكيني الغمام بهامر

❖ **وجه السّماع للناسك**: فيه يقول: أنوح على أيام الطاعات، وتشوقني إليها أرواح الطيارين في مقامات القرب، وأبكى على زمان التفريط فيمطر سحاب الندم والغم على قلبي إذا نظرتُ إلى أفعالي.

❖ **وجه السّماع للسالك**: فيه يقول: أهِمّ بالمخالفات والرياضات وتتخلف نفسي لقوة عسكر الهوى في جند القلب، فكنّى بالحمام عن عسكر الهوى لأنّ الحمام يطير في الهواء، ولأجل هذا جعل بكاه مؤوّلا بالمراقبة لأن الدموع محلها العين، كذلك المراقبة محلها أعين البصيرة. وجعل قوله يحكيني الغمام بهامر مؤوّلا بحديث النفس، يعني أنه إذا جلس للمراقبة زاحمته الوساوس بالخواطر فمنعته عن ذلك، فشبّه الخواطر بغمام هامر لكثرتها. يقول أهِمّ بالمخالفات والرياضات ولا تطيعني نفسي، وأجلس للمراقبات فلا أستطيع لتواتر الوساوس.

❖ **وجه السّماع للمحبّ**: فيه أنوح على الوصال ويطمعني لذلك قوله عليه السلام: (المرء مع من أحب) [1]، وأبكى على فوات أيام العمر فتتواتر عليّ الرحمة الإلهية بحضور القلب معه. فكنّى بالحمام عن النبي – صلى الله عليه وسلم –، وكنّى بالشدو عن حديثه، وكنّى بالغمام الهامر عن رحمة الله التي تتغشى الباكين عليه.

❖ **وجه السّماع للمجذوب**: فيه يقول: كلما ظهر لي وصف جمال فتحلّيتُ واتصفتُ به، ظهر من وراء ذلك لله نعت جمال لم أكن أعرفه من قبل، فأشتاق إليه. وكلما ظهرلي صفة جلال فاتصفتُ بها، ظهر من وراء ذلك لله – تعالى– صفات جلالية لا نهاية لها. فأنا لا أزال في طلب ما هو وراء حاصلي، لأنّ الله – تعالى– ليس لأوصافه واسمائه نهاية. فكنّى بقوله "أنوح" عن الاتصاف لأنّ النوح من لوازم الكلام، والكلام من صفات الجمال؛ وكنّى بقوله "يشجيني" عن اشتياقه؛ وكنّى بالحمام عن الجمال الإلهي الذي هو طالب له؛ وكنّى بالشدو عن ظهوره، ولهذا كنّى عن الاتصاف بالصفة الجلالية بقوله "وأبكى"؛ وكنّى بقوله "فيحكيني الغمام بهامر" عن ما يعلمه من صفات الله – تعالى– بواسطة رحمته له بالإعلام؛ فكنّى بالغمام عن الرحمة، وبالهامر عن التجليات الجلالية. بقول: كلما قبضتُ على الاتصاف

---

[1] رواه البخاري.

بصفة من صفات الله - تعالى- جلالية كانت أم جمالية عرفتُ من الله - تعالى- ما هو وراء ذلك فطلبته، ثم لا أزال يظهر من الله شيئا فشيئا لأنه لا نهاية له.

9- هوى ونوى والدهر غير مساعد جوى وشوى والقلب ليس بصابر

- ❖ **وجه السّماع للناسك**: فيه يقول إنّ الهوى والبعد عن باب الله - تعالى- عوّقاني عن دوام العبادة، ومنعاني عن حضوري. والحالة أنّ الدهر يعني الوقت غير مساعدي لذهاب أيام الشيبة التي كان فيها العمل، وقد صرت شيخا، فالوقت غير مساعدي إلى ما أطلبه وأريده، وفي قلبي لذلك جوى يعني محبة وميل إلى الطاعة، وفيه شوًى من الشيّ بالنار يريد كناية بذلك عن نار الأسف والندم على ذلك، ومع هذا فقلبي ليس بصابر على عبادة الله - تعالى-.
- ❖ **وجه السّماع للسالك**: فيه يقول إنّ هوى النفس الذي هو من لوازم الحجاب والبعد لا يرفعه ويذهبه إلا مخالفات النفس والمجاهدات، ووقتي غير مساعدي بذلك لذهاب آلات المجاهدة والرياضات؛ وإن المراقبة الملازمة في قلبي لله - تعالى- والنار الكامنة في قلبي بسببها منعتني عن التصبر عن المجاهدات والمخالفات.
- ❖ **وجه السّماع للمحبّ**: فيه يقول: لي من المحبة أمر عظيم وأنا في حالة البعد، فكيف يكون حال محب بَعُد عن لقاء محبوبه على أنه لا يجد مساعدا من أهل الزمان؛ فكنّى بالدهر عن أهل الوقت؛ فبلقلب لذلك جوى يعني محبة وغرام، وشوى يعني نار شوق يشوى الفؤاد، وأنا لست بصابر عن لقائه فبالله ما العمل؟
- ❖ **وجه السّماع للمجذوب**: فيه تأويل قوله "هوى" بتجلي الهوية الإلهية، وقوله "نوى" ببُعدها عن الإدراك فلا يمكنه معرفة الهوية الإلهية، إذ لا يعلم ما هو إلا هو، وإلى ذلك أشار بقوله: "والدهر غير مساعدي" أراد بالدهر من فيه من المخلوقين، يعني أنّ الصفة المخلوقية فيه تقتضى العجز عن معرفة الله، فهي غير مساعدة إلى حصول المطلوب في الجناب الإلهي؛ ولو كانت الهمّة العالية تتشوّف إلى معرفته فإنّ حصول حقيقة ذلك محال، ولهذا قال "جوى وشوى" يعني محبته في القلب للمعرفة وتشوقه إلى ذلك وعدم صبر، ولكن وجود كمال معرفة الله تعلى مستحيل للعباد، فلا يعرف هويته إلا هو - تعالى-.

10- خليليّ هل لي منكما ما أرومه إذا أنا أحكى أو أبثّ سرائرى

- **وجه السّماع للناسك**: فيه يخاطب علمه وإيمانه: هل لي منكما ما أرومه من التوفيق للطاعة إنْ اتبعتُ ما علمتُه وآمنتُ بما أخبِرتُ به؟ أو لا ينفع في ذلك إلا محض العناية؟.
- **وجه السّماع للسالك**: مخاطبه النبي - صلى الله عليه وسلم - وروح شيخه في الطريقة يقول لهما: خليليّ هل لي من مساعدتكما فيما أطلبه من الوصال إذا حكيتُ بأمراض قلبي الكامنة بي؟ أو أظهرتُ سرائر مطاوي سريرتي هل يحصل منكما لي دواء يزيل تلك الأمراض بنظرة منكما؟ أم ترجعاني إلى جِدّي واجتهادي؟ وجمع بين مخاطبته النبي- صلى الله عليه وسلم- ومخاطبته شيخه لأجل أنّ شيخه هو الواسطة بينه وبين النبي - صلى الله عليه وسلم - كما أنّ النبي - صلى الله عليه وسلم - هو الواسطة بين شيخه وبين الله - تعالى-.
- **وجه السّماع للمحبّ**: فيه مخاطبة صفتيْ جمال المحبوب وجلاله، يطلب الوصال وزوال حجاب البعد؛ وكنّى بقوله: "إذا أنا أحكى أو أبث سرائري" عن الذلّة والاطراح والفقر والمسكنة بخلع العذار بين يديْ المحبوب. يقول: هل تحصل لي نظرة من ألطاف جمال المحبوب وجلاله رحمة منه عليّ لفقري وفاقتي؟ و"هل" هنا بمعنى تقريب الرجاء لتقريب الحصول، كما أنّ "إذا" لوقوع المشروط بوقوع الشرط.
- **وجه السّماع** للمجذوب فيه خطاب روحه وجسده يقول لهما: هل تستقيمان لي على حقيقة الاتصاف والتخلق بصفات الله - تعالى- وأخلاقه إذا أنا أظهرتُ لكما من صفات الله وأخلاقه ما جعله الله في وسع قابلية سرّي من معرفة ذلك؟ فهل فيكما من الجد والعزيمة والتهيئ المعبّر عنه بالاستعداد ما يوصلني إلى مطلوبي؟ فكنّى بالخليلين عن الروح والجسد لأنهما متخاللان متحابّان؛ وكنّى بلفظة "ما أرومه" عن حقيقة الاتصاف؛ وكنّى بقوله "أحكى أو أبث سرائري" عن إظهار ما جبل الله روح الإنسان عليه من معارف الصفات والأسماء الإلهية بالفطرة الأصلية.

11- وهل تخبرَانى أين حلـّت عُـزَيّة وأترَابهـا الهنـْداتُ مـن آل عـامر

❖ **وجه السّماع للناسك**: فيه مخاطبته علمه وإيمانه يقول لهما: هل تخبرَاني وتعرّفاني أين حلّت عزيّة يعني التوفيق، لأنه أمر عزيز، فأطلبه وأترابها الهندات يعني الأمور التي هي من لوازم التوفيق كالاهتداء والاقتداء والنسك والورع والتقى من الأمور التي تكون بها عمارة الدار الآخرة للعبد.

❖ **وجه السّماع للسالك**: فيه مخاطبة روح النبي - صلى الله عليه وسلم - وروح شيخه يقول لهما: هل تخبراني فتهدياني إلى حقيقة التوحيد؟ وكنّى عن حقيقة التوحيد بقوله "عزيّة" لعزة حصول ذلك. وأراد بـ"أترابها الهندات من آل عامر" كناية عن حقائق ما أخبر الله - تعالى- به من أمر الدار الآخرة والبرزخ وما قبلها وبعدها. يقول للنبي -عليه السلام- ولشيخه هل تهدياني هداية العين إلى حقيقة التوحيد وحقيقة الأمور التي أمنتُ بها غيبا؟ هل يحصل لي ذلك عينا من غير حجاب بواسطتكما؟.

❖ **وجه السّماع للمحبّ**: فيه مخاطبة صفتيْ الجمال والجلال بما يقتضيه من كشف الأمور للعبد المحبّ برفع الحجب عن حقيقة المطلوب من المحبوب، وإليه أشار بقوله: "هل تخبراني أين حلّت عزيّة" يريد هل توقفاني على معرفة ذات الله - تعالى- بأنْ تعلماني في أيّ تجلّ يتجلى بها على قلوب عباده الذاتيين فاستعد لذلك بما يليق بحال الوقت؟ وكنّى بالأتراب والهندات عن الأسماء والصفات على طريق الإشارة لا على طريق التفسير؛ وأراد بقوله من آل عامر أنّ تجلياتها تعمّر القلوب الخربة.

❖ **وجه السّماع للمجذوب**: فيه خطاب روحه وجسده يقول لهما: هل تخبراني بحقيقة أثر ما اتصفتما به من صفات الله - تعالى- أين حلّت عزيّة؟ يعني في أيّ مقام يكون فيه القطب لأستقيم فيه؟ وأين يكون إخوانه الكمّل من الأفراد والأوتاد الذين عمّر الله قلبوهم بتجلياته، وعمّر هياكلهم بحقيقة "كنت سمعه وبصره"، وإلى ذلك أشار بقوله "من آل عامر" يعني من الذين عمّر الله ظواهرهم وبواطنهم بأنواره وآثاره.

12- ما حال غزلان الحمى في ربيعه أترتع بالرّيحان أم بالأذاخر

يقول: هل ظباء الحيّ ترعى وتأكل من ورق الريحان أم من شجر الأذاخر؟

- **وجه السّماع للناسك**: فيه الاستفهام من علمه وإيمانه عن العباد والسلف المتقدّمين هل كانوا في أوقات العبادة مشغولين بأركان العمل؟ أم كانوا مدهوشين بالخوف بين يدي الله - تعالى-؟ لأنه يقول: إنْ اشتغلتُ في الصلاة بمراقبة الحق أخذني ذلك عن الأركان فلا أدرى ما أصنع في الصلاة ويفوتني فرض الوقت، وإنْ اشتغلتُ بعمل الأركان حجبني ذلك عن الحضور بين يدي الله - تعالى- بمراقبته، فيطلب لمعرفة الأوْلى منهما مسألة قدوته من علمه أو إلهامه الإيماني ليفعل بمقتضاها.
- **وجه السّماع للسالك**: فيه مخاطبة النبي - صلى الله عليه وسلم - ومخاطبة الشيخ يطلب الاستفهام منهما عن القوى الروحانية التي هي الروح والعقل والقلب والفكر والفهم والتمييز وأمثالها عبّر عنها بغزْلان الحمى في ربيعه، يعني ربيع سحائب غيث الألطاف الإلهية والعنايات الربانية الكاشفة عن القلوب والعقول للحجب الظلمانية، أترتاع هذه الغزلان بالرّيحان؟ يعني أتتغذى بالروح الإلهي المعبّر عنه بنفحات الرحمان؟ أم تتغذى وتتقوى بالمجاهدات والرياضات؟ وكنّى عنها بالأذاخر. حاصل معناه يقول: هل الترقي إلى معرفة الله - تعالى- بالاستعداد الذي يهبه الله - تعالى- للعبد فيتزكى بالأعمال والنيات والمخالفات وأمثالها؟ أم هو بالنفَس القدسي الإلهي من غير واسطة عمل؟
- **وجه السّماع للمحبّ**: فيه مخاطبته صفتيْ الجمال والجلال مستفهمًا لمقتضى علومهما في القلوب عن حال الواصلين إلى رياض القدس عند رب العالمين: هل القوّة الحاصلة لهم في أرواحهم للبقاء عند شهود أنوار الجمال والجلال أهي بواسطة تغذيتهم بالذكر والمراقبة؟ أم بواسطة ما أدخر الله - تعالى- لهم في قلوبهم من الكمال الإلهي؟ فعبّر عن الذكر والمراقبة بالرّيحان، وعن ما ادّخره الله - تعالى- فيهم من أسرار كماله بالأذاخر، وعن الواصلين بالغزلان، وعن رياض القدس بلفظة الربيع.
- **وجه السّماع للمجذوب** فيه مخاطبة روحه وجسده مستفهمًا يطلب منهما الكشف عن أهل الله في مقام الوراثة المحمدية: هل أعطوا نفوسهم الراحة بترك المجاهدات؟ أم قاموا على ساق الرياضات كأوّل قدَم وضعوه في طريق الله - تعالى- لأنّ مقامهم عزيز؟ فلو نظرتَ إلى ما جعله الله - تعالى- لهم من الكمال الوجودي قلتَ الجدّ والاجتهاد من مثل هؤلاء حجاب عن مقامهم ومانع عن الكمال الإلهي؛ وإنْ نظرتَ إلى ما تقتضيه معرفة الله - تعالى- وجدت الأمر لا نهاية له، ووجدتَ حينئذ نسبة جميع ما عرفوه واتصلوا به في جنب ما هو لله حقيقة

ما تعرف ذاته بذلك إنما هو نسبة العدم إلى الوجود، فقلتَ حينئذ السكون لمثل هؤلاء حجاب، لأنّ المطلوب لا يتناهى، فالوقوف عن الجدّ والاجتهاد في الطلب نقص في مقام الكمال. فهذا المجذوب يطلب من طريق الاستفهام علم أيّ الطريقين سلك أهل الله في مقام الوراثة المحمدية؟ يريد أنْ يَعلم ذلك كشفا وعيانا وشمّا ووجدانا من طريق الاتصاف بالعلم.

13- وكيف أسُودُ الغاب فيها مع الظّبى رَعا الله آسادًا رَعت بجآذر

- **وجه السّماع للناسك**: فيه سؤال الكيفية عن أحوالهم عند غلبة النفس بقهر الشهوات، كيف كانت أحوالهم مع النيات العليّة والمقاصد السنيّة المعبّر عنها بالظبى؟ ولهذا عبّر عن قهر النفس وغلبة الشهوة بأسود الغاب. ثم قال: "رعا الله آسادا رعت بجآذر" يعني تلك النفوس المطهرة الزكية التي لم تنقض على القوم نيّاتهم السنيّة ومقاصدهم العليّة رعاها الله - تعالى-.
- **وجه السّماع للسالك**: فيه سؤال الكيفية عن القوى الروحانية التي قهرتها سطوات التجليات الإلهية، كيف أحوالها تحت صدمات القهر والهيبة؟ وكيف لم تنعدم وتتلاشى حتى استقامت تلك القوى لمعرفة الله بالله؟ فكنّى عن تجليات القهر بالأسود، وعن القوى الروحانية بالظبى لأنها تتلاشى تحت أنوار التجليات فكأنها كالفريسة للأسد، ولهذا قال: "رعا الله أسادا" يعني حفظ الله على تلك القلوب تلك التجليات ورعاها لأنّ ربّها رعا تلك القلوب المطهرة فحفظها من الغير، فكنّى بالجآذر عن القلوب التي سطعت أنوار القرب عليها
- **وجه السّماع للمحبّ**: فيه الاستفهام عن حالتيْ العشق والمعرفة، فكنّى بالأسود عن العشق لأنّ العشق يفترس القلب فيعدم جميع معلوماته سوى المحبوب؛ وكنّى بالظبى عن المعارف لأن القلوب تصطاد شيئا فشيئا كما يصطاد البدوي الظبي. يقول: كيف الجمع لقلب بين النقيضين: بين العشق الذي هو موجب التلاف والفناء والهلاك، وبين المعرفة التي هي موجب العقل والحضور والبقاء؟ فلمّا علم أنّ ذلك حاصل للكُمّل من أهل الله - تعالى- قال: "رعا الله أسادا رعت بجآذر" دعا لقلوبهم العاشقة بزيادة العشق لأنّ عشقهم أبقى عليهم معرفة الله - تعالى-، وسواهم لا يطيق ذلك.

- وجه **السّماع فيه للمجذوب**: الاستفهام عن كيفية أحوال الأفـراد والأقطـاب المعبّـر عـنهم بأسود الغاب، كيف كانت أحوالهم في تنزل الغيب على قلوبهم؟ هل كانوا ينبّـؤون بـالعلوم الربانية والإخبارات الكونية على طريق الإلقاء؟ أم على طريـق الـشمّ والوجـدان؟ أم علـى طريق الكشف والعيان؟ ثم قال: "رعا الله أساداً" يعني رجالا كمّلا رعـوا حـق العلـوم الإلهيـة فلم يغفلوا عن الله طرفة عين، فافهم

14- عليّ لـذاك العـيش إنْ عـاد إنـني أسَـــلِمُه روحـــي وجـــسمي وســـائري

- **وجه السّماع للناسك**: فيه يقول: عليّ نذر أو فرض وواجب لأيام الطاعات والخلاص عن شوائب المعاصى إنْ عاد مرّة أخرى أنـني أسَـلِمُه روحـي وجـسمي وسـائري، يعـني أشـتغل بكليتي في عبادة الله – تعالى–.
- **وجه السّماع للسالك**: فيه بعد طلب حصول ذلك الحال لقواه الروحاينة يقول: عليّ نذر أو فرض واجب لئن حصلتْ لي تلك الحالة أنى أشتغل بجسمانيتي في المجاهـدات والرياضـات، وبروحانيتي في ملاحظة آثار تلك التجليات، لا أرجع عنها أبدا. وأتى بلفظ "العوْد" تنبيها على أنها إنْ سبقت العناية الإلهية بذلك في الأزل فهي ستحصل في الدنيا محلّ العوْد
- **وجه السّماع للمحبّ**: يقول: عليّ ندر أو فرض لئن حصل لي الجمع بـين نقيـضيْ العـشق والمعرفة أن أنهمك فيهما بكلـّيتي
- **وجه السّماع للمجذوب**: فيه يقول: عليّ أمر لازم وحـقّ واجـب لـئن أقمـتُ في مقامـات الكمال، وبلغتُ من الوراثـة المحمديـة حـسب مـا يقتـضيه الوقـت والحـال، لأنـصرفنّ عـن الكرامات والخوارق حتى لا يظهر على هيكلي أثـر ممّـا في بـاطني مـن أسـرار الله – تعـالى– فأسلم روحي وجسمي وسائري في مقام التسليم والعبودة المحضة، لئلا أكون مدّعيا للتصرّف وخرق العادة، بل أكون عبدًا محضًا، لأنّ في الكرامـات وخـرق العـادات رائحـة مـن ادّعـاء الربوبية، فأنا أطلب التنزّه عن ذلك.

15- فيا ليت شعري هـل يُـرَى شَـبَحي إذا تظـــاهرتُ يومًـــا بالحـــديث لزَائـــري

الشبَح: بالشين المعجمة والباء الموحّدة والحاء المهملة هو الهيكل والشخص.

- ❖ **وجه السّماع للناسك**: فيه تمني الشعور هل يُعلم ما أكون فيه غدا مع الله في القيامة وما تكون عليه ذاتي من الخير والشر؟ يقول: هل مَن يُعلمني عن حقيقة ما سيؤول أمري إليه بطريق الإعلام الإلهي له بأنْ يُظهره الله – تعالى- على حالي فيعرّفني به؟ أو هل يُعلمني الله – تعالى- بذلك على طريق الرؤيا في النوم، فأعلم حالي معه فأسكن روعًا وآمن بذلك من شدة الخوف؟
- ❖ **وجه السّماع للسالك**: فيه تمنى الشعور في حالة فنائه عن نفسه، هل هو موجود لغيره؟ أم هو مفقود من العالم بالكلية لغلبة حال الفناء على قلبه، لأنه لا يشهد لنفسه وجودا ولا عقلا ولا قلبا ولا جسما ولا موتا ولا حياتا؟ بل شُغِل عن الجميع وفني عن الكلّ بملاحظة أنوار حضرة القرب من الله – تعالى- برفع الحجاب عن حقيقة التوحيد اللائق بجلال الله – سبحانه وتعالى-.
- ❖ **وجه السّماع للمحبّ** فيه معلوم من ظاهر البيت، حملا على أنّ وجوده بالله لا بنفسه، فليس له وجود حقيقيّ، ولأجل ذلك تمنى الشعور هل يرى شخصه تنبيهًا على أنه لا يرى له حقيقة وجود إذ حقيقة ذلك لله- تعالى-.
- ❖ **وجه السّماع للمجذوب**: فيه يقول متمنيا الشعور: هل يُعلم ما أنا فيه مع الله – تعالى- من التمكين والقرب والمكانة إذا تظاهرتُ بالعبودية المحضة، من غير خرق عادة، ولا تصدّر لكرامة، ولا تحدّي بشطح، بل بلزوم الذلة والافتقار والمسكنة والعجز، هل يكون في الناس من يطّلع على حالي؟ و"هل" هنا بمعنى التقليل والسلب، يعني: قَلَّ أنْ يُعلم حال من هو هكذا، أولا يُعلم.

القصيدة الثالثة وهي من نوع الحماسة (17 بيتا)

جعلتها على منهج أقوال الشعراء المبتهلين، فحكيتُ فيها مثل ما يحكونه مِن أمرهم في الحروب لشجاعةٍ وشهامةٍ تصدر منهم؛ ولم أقصد بما أحكيه ظاهر اللفظ لئلا يكون كذبا، بل لي فيه معنى، وهو أحد المقاصد التي أذكرها في تأويل البيت، وجعلت ذلك ليكون للسامع أنموذجا إلى معرفة أقوالهم، فلا يتوقف عن سماعها، بل أرجو من فضل الله – تعالى- أنْ يفتح على من وقف

على كتابي هذا بتأويل سائر كلام الشعراء حسب ما يقتضيه حاله إن شاء الله - تعالى-؛ وجعلت هذه القصيدة سبعة عشر بيتا:

1- للجدّ في طرَف السّنان الأخضر عَلَمٌ بكف كلّ غضنفر

- ❖ **وجه السّماع للناسك**: فيه يقول للسعادة الباقية في العمل الخالص لله - تعالى- بين الخلق علامة عزيزة ظاهرة على جوارح كل عابد لله - تعالى-.
- ❖ **وجه السّماع للسالك**: فيه يقول: للطريق في الجدّ والاجتهاد سلوك إلى مقام عزيز ومحلّ شريف، هو كالعَلَم الذي جُعل على حدود الحرم، يريد أنه عَلم على مقام الوصول. فكنّى بالجدّ عن الطريق، وكنّى بالسِّنان الأخضر عن المجاهدات لأنّ السنان من آلة الحرب، وقد جعل النبي – صلى الله عليه وسلم – تهذيب النفوس جهادًا أكبر في قوله لمّا رجع من الغزو: (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر) [1]؛ وكنّى بالعَلم – وهو البنيان الذي يكون حول حرم الله– عن علامة الرّمز إلى مقام القرب؛ وكنّى بالكفِّ عن المبالغة في العمل، لأنّ اليد من لوازم العمل؛ وكنّى بالغضنفر عن الرجل القويّ العزيمة.
- ❖ **وجه السّماع للمحبّ**: فيه يقول: إنّ الاستهتار في العشق والمحبة أثرا ظاهرا على كل محب لله - تعالى-، فجعل العشق والاستهتار فيه معبّرا بالجدّ؛ وقس على ذلك البواقي.
- ❖ **وجه السّماع للمجذوب**: فيه يقول: للجدّ والكمال الإنساني أثر على جوارح الوليّ الكامل، يعني شاهد عزيز المرام؛ فكنّى بالطرف عن الجارحة، وبالسنان عن الوليّ لاستقامته على سنن الطريق، وبالعَلم عن الأثر الظاهر بالكرامات وخرق العادات، وبالكفِّ عن الهمّة لأنها تعبّر في طريق القوم بالقدرة، وقد عبّر عن القدرة باليد؛ وكنّى بالغضنفر عن الإنسان الكامل.

2- فأدِرْ قناة الحرب في هامر العِدا كي يستدير رَجا زمان أخضر

القناة: عين الماء تجرى لدوران الطواحين، والطواحين وحدتها طاحونة وهي الرّحا.

---

(1) رواه البيهقي والخطيب البغدادي.

- **وجه السّماع للناسك** فيه يقول: أقِم الهمّة والعزيمة في عبادة الله محاربا للشيطان، فلا تعصيه لكي يطيب عيشك يوم القيامة. فكنّى بالعِدا عن الشيطان وأتباعه؛ وكنّى بالزمان الأخضر عن يوم القيامة.
- **وجه السّماع للسالك** فيه يقول: قُم على نفسك بالحرب بأنواع المجاهدات والرياضات والمخالفات حتى يسكن قلبك مع الله - تعالى- إذا أطمأنّتْ النفس وتركَتْ وساوسها. فكنّى بالحرب عن المجاهدات والرياضات؛ وكنّى بالعدا عن النفس وشهواتها؛ وكنّى بالزمان الأخضر عن السكون مع الله - تعالى- بالقلب في مراقبة جلاله عزّ وجلّ.
- **وجه السّماع للمحبّ** فيه يقول: خالف عقلك الذي يعدلك عن الانخلاع والتهتك في حب الله - تعالى-، وحاربه بأنواع الدلائل إذا جاد لك بمعقوليات المسائل، حتى تحظى بمقام الوصول والقرب عند الله - تعالى-.
- **وجه السّماع للمجذوب** فيه يقول: قُم لمحاولة قطع الحجب المانعة لك عن الكمال الإلهي محاربًا لها بأنواع الحضور مع الحق - تعالى- في تجليات اسمائه وصفاته، إلى أن يكشف لك عن أنوار ذاته. فكنّى بإدارة قناة الحرب عن قطع الحجب الظلمانية والنورانية الحائلة بين القلب والسر؛ وكنّى باستدارة رحا الزمان الأخضر عن البلوغ إلى الكمال الإلهي، لأنّ الطريق إلى الله دوريّ لا خطِّي، وقد ذكرنا هذا في أكثر مؤلفاتنا. فالعبد في سلوكه إلى الله - تعالى- يقطع الطريق التي نزل فيها إلى العالم السفلي، لكنه من جهة أخرى مثاله برزت الإرادة الإلهية بإيجاده من علم الله - تعالى- فجرى القلم به، وثبت في اللوح اسمه، ثم نزل به أمر الله إلى عالم الدنيا فجاوز ما بين الأرض والقلم والأفلاك فَلكًا فَلكًا مجاوزة معنوية حكمية يكون له بها في قابليته استعداد قوّة للترقي إلى ذلك المحلّ. فإذا وصل مثلا إلى الأرض ونبت العشب أو الشجر بما سيكون غذاء الوالد والوالدة من مادّة ذلك الغذاء مَنيّا، ثم يصير باجتماعهما علقة فمضغة فعظاما فلحما فصورة فجنينا، ثم يصير بخروجه إلى عالم الدنيا طفلا ثم صبيّا، ثم إذا بلغ الحُلم صار أنسانا حيوانيا، وحينئذ يرجع من طريق نفسه وقلبه إلى الله - تعالى-، ويقطع هنالك مقامات هي نتيجة للمقامات التي قطعها في ظهوره حتى يصل إلى مقام القرب الإلهي. فصار طريق دوريّا لأنه نزل من طريق الآفاق إلى العالم السفلي، ورجع على طريق نفسه إلى العالم العلوي. فيمرّ في قلبه بما هو نسخة التراب، ونسخة الماء، ونسخة الهواء، ونسخة النار، ونسخة فلك القمر، وفلك عطارد، إلى آخر

الأفلاك. ويمرّ في قلبه بما هو نسخة اللوح والقلم والكرسي، حتى ينتهي إلى ما هو نسخة العرش من قلبه، فيقف بين يدي الله - تعالى- في المحلّ المشارإليه بقوله: (قلب المؤمن عرش الله) فيكون حينئذ قلبه هو المشار إليه في الحديث بقوله عن الله: (ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن) [1] وأجد رائحة إلى الأسماء بهذا الطريق في قوله: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [فصلت: 53]. جال بنا جواد اليراع في هذه الرقاع إلى أن أبدى ما لم نرد إظهاره في هذا المحلّ أبدا.

فلنرجع إلى ما كنا بصدده. فإذا علمت أنه كنّى باستدارة الزمان عن الطريق إلى الله - تعالى- وكونه دوريّا، فاعلم أنه كنّى بالخضرة عن الكمال لأنه أحسن الألوان، ولهذا كانت نباتات أهل الجنة موصوفة بالخضرة لأنها أعزّ الألوان وأكملها.

3- لا ترض من بحر الوجود بسِيفه   وخَض الخضمّ لكل دُرٍّ أبهَر

السيف بكسر السين هو الساحل.

- ❖ **وجه السّماع للناسك** فيه يقول: لا ترض بالرّاحة في الدنيا لأنها فانية، وخض بحر الأعمال للثواب عند الله - تعالى-.
- ❖ **وجه السّماع للسالك** فيه يقول: لا تقف مع المجاهدات والرياضات في الطريق وحدها، بل خض مع ذلك بحر التوحيد لتجتنى المعارف الإلهية.
- ❖ **وجه السّماع للمحبّ** فيه يقول: لا تقنع من وصال المحبوب بالشمّ والرائحة كالذكر والرّسائل، بل غص في بحار العشق والمحبة متهتكا في الانخلاع والاطراح، مرتكبا لأهوال الغرام، إلى أن يكشف الله - تعالى- لك عن بصيرتك حجاب الغفلة عنه فتكون ممّن عنده.
- ❖ **وجه السّماع للمجذوب** فيه يقول: لا تحتجب بتجليات الأفعال عن تجليات الأسماء والصفات، بل انهمك مستهترًا مستغرقا في بحار تجلياته، إلى أن يتجلى عليك بذاته بلا كيف ولا جهة، بل كما يستحقه كماله الإلهي. فجعل قوله "لا ترض" كناية عن معنى: "لا تحتجب"، وجعل قوله "بحر الوجود" كناية عن الكمالات الإلهية، بمعنى أنها عظيمة لا نهاية لها، لأنّ

---

(1) خرّجه أحمد في «الزهد»، عن وهب بن منبِّه.

البحر لا يُستعمل إلا في مثل هذه الأشياء. وجعل "السِّيف" الذي هو الساحل كناية عن تجليات الأفعال؛ وجعل الخوض كناية عن الاستغراق والانهماك في الحضور؛ وجعل "الخضم" عبارة عن الحضرة الأوّلية؛ وجعل الدّرّعبارة عن تجلى إلهي في اسم أو صفة على ما يستحقه من الكمال، وإليه أشار بقوله "أبهر"، لأنّ القدرة الباهرة لا يعجزها أنْ تتجلى على العبد الضعيف من غير حلول ولا تشبيه ولا إعدام بل هو قادر على كل شيء.

4- ومُطهَّم عالي العنان ركضتُه   بمثقّف صدق القوائم اسمر

يعني: وَرُبَّ مطهّم، أي فرس، "عالي العنان": كنّى بذلك عن علوّ رأسه في الارتفاع عن الأرض؛"ركضته": يعني سقته وأنا راكب عليه وفي يدي مثقف أي رمح ثقفي صدق القوائم اسمر اللون.

- **وجه السّماع للناسك** فيه يقول: رُبَّ دعاء لازمت باب الحق - تعالى- ودعوته لأمر عالي ومطلب شريف ألحّيتُ فيه على الله وتضرّعتُ لديْه بصدق نيّة وإخلاص عزيمة أرجو استجابته.
- **وجه السّماع للسالك** يقول: رُبَّ همّة عليّة سارت بي وكشفت لي عن الملأ الأعلى، "ركضته" يعني سقتُ جواد الهمّة إلى ذلك المحلّ بـ"مثقف" يعني بعزم وعزيمة، "صدق القوائم اسمر" يعني صدقت في الاستقامة على تلك الأمور العزيزة والأحوال السنيّة إلى أن بلغ بي نحو الروحانيات العلى. فجعل الفرس كناية عن الهمّة، وجعل علو العنان كناية عن علوّ مكانة الهمّة، وجعل الرّكض كناية عن توجّه وجه الهمّة باستقامتها في طلب ما هو بصدده، وجعل الرّمح المثقف كناية عن عزيمته، وجعل صدق قوائم الرمح كناية عن صدقه في عزيمته، يعني أنّه أقبل بكليته على طلب ذلك الأمر بهمّة باطنيّة وعزيمة ظاهريّة.
- **وجه السّماع للمحبّ** فيه يقول: رُبّ قلب عالي التعلق في محبة الله، ركضته: وجّهته في طلب الله - تعالى- بمقصد خالص صادق في خلوصه.
- **وجه السّماع للمجذوب** فيه يقول: رُبّ اسم ذاتيّ عرفتُ الله - تعالى- به بواسطة صفة نفسية إلهية كشفت لي عن سرّ ذلك الاسم الذي عرفت الله - تعالى- به. فجعل الفرس كناية عن قول بعض الشيوخ حيث قال: (الأسماء مرَاكب العارفين، والصفات مراكب

المريدين) يريد أنهم يعرفون الله بـه، فيـصلون إلى كـشف الحجـاب بواسـطة تلـك الأسمـاء والصفات، كما أنّ الرّاكب يصل بواسطة مركوبه إلى مطلوبه. وجعل قوله "عالي العنان" كنايـة عن علوّ مكانة ذلك الاسم الإلهي الذاتي. وجعل ركضته بمعنى جريته، وفتح لـي في معرفتـه حتى وصلت سريعا إلى مقام الوجود. وجعل لفظـة "مثقـف صـدق القـوائم" إشـارة إلى كونـه عرف الله بصفة نفسية قبلها، فتوصل بواسطة تلك المعرفـة إلى أنْ عرفـه بـصفة ذاتيـة تـأويلا سائغا لا على جملة الحدّ والتشبيه.

5- فقطعــتُ أذيــال الظــــلام بــسيْره وقــصدتُ جيــشا كالخــضمّ المزفـــر

- **وجه السّماع للناسك** فيه يقول: فقطعتُ بواسطة ذلك الدّعاء أذيـال الظـلام، يعـني فكنـت أدعو الله - تعالى- طول الليل إلى أنْ فلق الصبح، و"قصدتُ جـيش" يعـني: وطلبـت في ذلـك الدعاء أمورًا شتّى كالخضمّ المزفر في الكثرة والخير.
- **وجه السّماع للسالك** فيه يقول: فقطعت بواسطة تلك الهمّة العليّة والعزيمـة الـصادقة جميـع الحجب الجسمانية، وقصدتُ الصور الروحانية في عالم الملكوت الأعلى. فجعل "أذيال الظلام" كناية عن الحجب الجسمانية لأنها كثائف أرضية؛ وجعل "سير المطهم" عبارة من صـعود الهمـة به إلى تلك المكانة العلية؛ وجعل "الجيش" عبارة عن الملائكة؛ وجعل "الخضمّ المزفر" عبـارة عـن كثرة تعددهم.
- **وجه السّماع فيه للمحبّ** يقول: فقطعـتُ مقامـات المحبـة بواسـطة توجـه ذلـك القلـب إلى المحبوب في قوة تعشقه؛ "وقصدتُ" يعني: كابـدتُ أمـورًا في محبـة الله - تعـالى- هـي كـالجيش العرمرم، بمعنى أنها تغلب أكثر المحبين فيرجعـون القهقـرى عـن طريـق المحبـة بواسـطة تلـك الموانع والقواطع الفواضع.
- **وجه السّماع للمجذوب** فيه يقول: فقطعتُ بواسطة ذلك الاسم أذيال الظلام، يعني حجب الجلال؛ وقصدتُ جيشا كالخضمّ المزفر يعني المعارف الإلهية، لأنهـا لا تتنـاهي فكنـّى عنهـا بالبحر المزفر لأجل ذلك، فافهم.

6- فأتيتــه والــشمس في كبــد الــسّما والقـــوم بـــين مُـــسَيّـف ومُخنجَـــر

7- ومُــدَرَّع ومقـــنّع ومُـــرَكـّب ومُــــرَجَّل ومُقـــدَّم ومُــؤَخـــّر

- ❖ **وجه السّماع للناسك** فيه يقول: فوصلت بواسطة ذلك الدعاء إلى مطلوبي من العبادة والإخلاص لله - تعالى-؛ "والشمس في كبد السماء" يعني نور الهداية المحمدية المضيئة دلـّتني على ذلك، "والقوم بين مسيّف ومخنجر" يعني بالقوم كناية عن نفسه وشهوته وشيطانه ودنياه؛ "ومدرّع ومقنّع" إلى أواخره كناية عن تنوّعات مكائدهم.
- ❖ **وجه السّماع للسالك** فيه يقول: فوصلتُ إلى كشف عالم الملكوت الأعلى؛ "والشمس في كبد السّماء" كنّى بذلك عن تحقيق الكشف بالبيان والصراحة في ذلك المقام، لأنّ الشمس إذا طلعت ظهر ما كان مستورا بظلام الليل، وكذلك السالك إذا طلعت شمس شهوده وأشرقت أنواره على أرض وجوده كشف بذلك ما كان مستورًا. يقول: وصلتُ إلى محلّ مخاطبة الروحانيات العلويات؛ "والقوم يعنيهم بين مسيّف ومخنجر" يعني ملائكة القهر؛ "ومدرّع ومقنّع" يعني ملائكة الحفظ والتحصين؛ "ومُرَكّبَ" يعني الروحانيات العليّة؛ "ومرَجّل" يعني الملائكة العنصرية فإنهم أنزل درجة من أولئك؛ "ومقدّم" يعني كبار الملائكة كإسرافيل وجبريل وأمثالهما؛ "ومؤخـّر" يعني مَن دونهم.
- ❖ **وجه السّماع للمحبّ** فيه يقول: فوصلتُ إلى محبوبي والشمس في كبد السماء، يعني ظهوره عليّ كظهور الشمس في كبد السماء، "والقوم بين مسيّف مخنجَر" يعني القواطع المانعة عن الوصول للمريدين بين مسيّف يضرب بالسيف، و"مخنجر ومدرّع ومقنّع" كناية عن قوّة الموانع والقواطع والعوائق والعلائق التي قطعها ووَصلَ إلى محبوبه.
- ❖ **وجه السّماع للمجذوب** فيه يقول: فأتيته يعني وصلتُ إلى مقام التمكين والشمس في كبد السماء: يريد بذلك كناية عن ظهور شمس الكمال في أفق قلب العبد المتمكن؛ "والقوم بين مسيّف مخنجر": كنّى بالقوم عن الأسماء الإلهية أنها مسيّف اسم فاعل للسيف، يعني أنّ آثارها في الوجود تفعل فعل السيف، وإن شئت قلت إنّ تجلياتها تكسب المتجلّى عليه فعل السيف وفعل الخنجر، وتـقـنّعه أي تحصّنه، وتدرّعه أي تحفظه؛ ومُرَكّب أي تركّبه وتولّيه على غيره؛ "ومرجّل" أي تنزله عن حظوظ بشريته؛ ومقدّم يعني أنها تقدِّم المتجلي عليه على غيره؛ ومؤخـذر يعني أنها تفعل في الكون هذا الفعل؛ فجعل هذه العبارات إشارت إلى آثار تلك الأسماء والصفات في الكون.

8- فعَلـَوْتــُهُمْ بمُفـَلـّل مـاضٍ وكـم   أرْوَيتـــه دَم مثلـــهم مـــن دَسْكـــَر

- **وجه السّماع للناسك**: "فعلوْتهم" يعني قهرتُ نفسي والهوى والشيطان والدنيا بمفلـل مـاض، يعني بتوبة خالصة صادقة، وزهد كلّي، وورع نقيّ، وعبادة رضيّة، فجعل هذه الأمور بمقابلـة السيف القاطع لأنها تقطع مقامات الإيمان، فيحصل العبد بواسطتها في حقيقة الإيمان. "وكـم أرْويته دم مثلهم من دسكر" يقول: وكم ثمّ قواطع وموانع من الأمور الحائلة بين العبيد وبـين عبادة الله قطعتـُها بتلك التوبة والزهد والروع والإقبال على العبادة.
- **وجه السّماع للسالك فيه يقول**: "فعلوتهم" يعني علوْتُ وترَقـّيتُ إلـيهم بمفلـل مـاض يعـني بكشف قاطع صريح. "وكم أرويتـه مثلـهم مـن د سـكر" يعـني: وكـم عاينـتُ بواسـطة ذلـك الكشف مثلهم من خلق الله - تعالى- في الملك والملكوت.
- **وجه السّماع للمحبّ فيه يقول**: "علوتهم" يعني ارتفعت عن مقام تلك الموانع والقواطع الـتي كانت تكاد أن تمنعني كما منعتْ غيري من أهل محبة الله - تعالى-، حتى أنْ ترقيـتُ إلى مقـام لا يخطر بي بعدها ما يخطر بغيري من الأمور القاطعة لـه عـن الوصـول إلى المحبـوب؛ "بمقلـل ماض" يريد أني وصلت إلى ذلك المقام بواسطة عشق قـاطع لِمـا سـواه، وقـد ورد أن الإرادة نار تحرق ما سوى الحبيب، وهذا مراده في قولـه "بمفلـل مـاض"؛ "وكـم أرويتـه دم مثلـهم مـن دسكر": يقول وكم قطعت بالعشق مقامات صعبة قبل قطع هذا المقام.
- **وجه السّماع للمجذوب يقول**: فطلبتُ بعد معرفتي لتلك الأسماء معرفة أسماء ذاتية فوقها، لأنّ أسماء الله - تعالى- لها مراتب في تجلياتها عند الله - تعالى-، فليس تجلي اسمه الأعظـم كتجلي غيره من الأسماء، وليس تجلى اسم ذاتي كتجلي اسم فعلي؛ فجعـل قولـه "فعلـوتهم" يعني تجليات الحق لا تتناهي؛ وجعل قوله "بمفلل ماض" كناية عن الاسـم الإلهـي الـذي يرقـى بواسطته إلى هذا المحلّ؛ وجعل قوله "وكم أرويتـه دم مثلـهم مـن دسـكر" عبـارة عـن المعـرف الحاصلة بواسطة ذلك الاسم المتجلي عليه.

9- ضجّوا وصِـحْتُ علـيهم فتجمّعـوا   ودنـــا إلـــيّ جميـــع ذاك العـــسكر

- ❖ **وجه السّماع للناسك يقـول**: ضـجّتْ الـنفس وتململـتْ هـي والـشيطان والـدنيا والهـوى والشهوة، فلمّا أرادوا أنْ يهلكوني صِحتُ عليهم يعني استعنت بالله فناديته، ودنا إلـيّ جميـع ذاك العسكر بالمحاربة.
- ❖ **وجه السّماع للسالك فيه يقول**: ضجّت الملائكة لله - تعالى- بالتسبيح، وصِحتُ عليهم كنّى بصياحه عن إشرَافه عليهم في الملكوت الأعلـى، لأنّ المتحـاربيْن إنمـا يـصيح أحـدهما علـى الأخر إلا عند المقابلة بالقرب بعد رأي العين. وأراد بقولـه "فتجمّعـوا" يريـد أنـه كـشف عـن حالهم جميعا؛ وأراد بقوله "ودنا إليّ جميع ذلك العسكر" يعني قرّبوا وسـهُل علـيّ كـشف تلـك الملائكة في الملكوت الأعلى بعد أن كان ذلك بعيدا عليّ.
- ❖ **وجه السّماع للمحبّ فيه يقول**: تواترت العوائق والعلائق عليّ، وقمـت في قطعهـا، وعـن ذلك كنّى بقوله: "وصِحتُ عليهم" يعني أنه قام في محاربتهم يريد قطعهم.
- ❖ **وجه السّماع للمجذوب فيه يقول**: أقبلتُ على التجليـات الأسمائيـة والـصفاتية، فأقبلـتُ عليها بكليتي، "فتجمّعوا" يعني في مقام جمع الجمع، وهو المعـبر عنـه بتجلـي الـذات في حقـائق الأسماء والصفات، ولأجل هذا قال "ودنا إلى جميع ذاك العسكر" عبّـر بـه عـن تجلـى التـداني والقرب في مشهد ظهور الأسماء والصفات.

10- فـشدَدْتُ هـذا بالقنـا وَعلـوْتُ ذا مـع ذالـك بالذكـــر الحُـسام الأبــتر

- ❖ **وجه السّماع للناسك فيه**: هو تعبيره عن قهـره للـنفس والـشيطان والهـوى بـأنواع العبـادة والإقبال على الله - تعالى-، فكنّـى عن العبادة والإقبال بقوله الذكر الحسام الأبتر.
- ❖ **وجه السّماع للسالك فيه يقول**: "فشددت هـذا" يعـني خاللـتُ نوعـا مـن الملائكـة المقـرّبين، "وعلوْتُ ذا" يعني ترَقيتُ على نوع آخر "بالذكر الحسام الأبتر" يعني بالذكر الخفـي لله - تعـالى- بالسرّ لأنه يحسم من القلب ما سوى الله - تعالى- ويقطعه عن كل مخلوق. يعني أنه لما كشف عن حالهم ترقى عنهم بذكر السرّ، فلم يقف معهم بل اشتغل بالله - تعالى-.
- ❖ **وجه السّماع للمحبّ فيه يقول**: إنّ العقـل والرئاسـة وأمثالهمـا لّمـا أرادا أن يقطعـاني عـن التهتك والانخلاع في حب الله - تعالى- غلبتهم وقهرتهم بقوّة العشق والمحبة في الله - تعالى-

، فلم يقطعني شيء منهم عن مطلوبي، بل قطعتهم "بالذكر الحسام الأبتر" يعني العشق القاطع لِما سوى المحبوب.

- **وجه السّماع للمجذوب فيه يقول**: عندما ظهرت الأسماء الإلهية والصفات الربانية على قلبي بتجلياتها كما يجوز لربّي، خرقتُ حجُب الأنوار الكونية، "فشددتُ ذا" يعني الحجب النورانية بالقنا، يعني بالفناء عنها في الله، "وعلوْت ذا مع ذاكَ" يعني وترقيتُ عن حجب عالم الغيب الملكوتي وعالم الغيب الجبروتي بالذكر الحسام الأبتر، كنّى بذلك عن تجلى الذات المقدسة في منظر الواحدية لله - تعالى-، لأنّ تجلي الواحدية يحسم عن بصيرة المتجلي له عن الوجود ما سوى الله، فلا يكون لشيء وجود إلا لله - تعالى- وحده، وإلى هذا المعنى أشار عليه السلام بقوله: (إنّ لله نيفا وسبعين حجابا لو كشفها لأحرقت سبُحات وجهه ما انتهي إليه بصره)، يعني لو رفع عن العبد تلك الحجب لأفنت سبحات وجهه - تعالى- ما انتهي إليه بصر العبد من الوجود، فلا يرى لشيء سوى الله - تعالى- وجودا وهذا هو المعبّر عنه بتجلي الواحدية:

11- حتى عكستهم مرارًا في الوغى وقتلتُ منهم رُبّ قرْن أكبر

- **وجه السّماع للناسك فيه يقول**: جادلتُ النفس والشيطان والهوى مرارا بعكس ما يرومونه مني، فقتلت منهم رُبّ مبارز أكبر بمخالفته عن ما يروم.
- **وجه السّماع للناسك فيه يقول**: "حتى عكستهم" يعني تركتهم خلف ظهري بعد أن كانوا أمام عيني مرارا، "في الوغى" يعني فعلت ذلك مرارا بأهل تلك العوالم، لأنّ كلما ترقيت عن طائفة ظهرتْ لي طائفة أخرى ففعلت ذاك الفعل مرارا، "وقتلت منهم رُبّ قرن أكبر" يعني عرفته حق المعرفة قال - تعالى-: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾ [النساء: 157] يعني وما عرفوه ولا أحاطوا به معرفة، هكذا ذكره الجوهري في صحاحه؛ وقال الشاعر:

كذاك تخبر عنها العالمات وقد قتلت بعلمي لكم يقينا

فقتلته بمعنى عرفته.

- **وجه السّماع للمحبّ فيه يقول**: خالفتُ مَن يعذلنى من العقل والرئاسة، ففعلتُ بعكس ما أمروني، وغلبتُ رُبّ مخاصم أكبر منهم.
- **وجه السّماع للمجذوب فيه يقول**: حتى خرقتُ الحجب مرارا في ذلك المشهد، لأني كلما ترقيتُ عن حجاب اسم أو صفة ظهر لي حجاب اسم أو صفة أخرى، فلم أزل أقطع حجب الأسماء والصفات مرارا، حتى قتلت منهم رُبّ قرْن أكبر، يعني أزلته عني فوقفت دونه بين يدي الله – تعالى–.

12- وقصدتُ قائدَهم قتلتُ وريده بلسان أسمر بالدّماء محمّر

- **وجه السّماع للناسك فيه يقول**: وقصدتُ الشيطان بقطع مادّته وترك المعاصي.
- **وجه السّماع للسالك فيه يقول**: وقصدتُ الأرواح المجرّدة العلويّة المعبّر عنهم بالملائكة المهيّمة في جلال الله – تعالى–، جعلهم قادة الملائكة لأنهم مقرّبون، فكأنهم مقدّموا الملائكة، كما أنّ قائد الجيش هو عبارة عن مقدّمهم؛ قتلت وريده يريد بذلك كناية عن معرفته كما سبق في البيت الأوّل أنّ القتل بمعنى المعرفة.
- **وجه السّماع للمحبّ فيه يقول**: قصدت العقل لأنه قائد جيوش الجدل والمناظرة التي يقطعني عن الاطراح والفناء في المحبة، قتلتُ وريده يعني قتلته فأفنيته عني فلا مجادلة له عندي بعدما فعلتُ ذلك بقوة المحبة.
- **وجه السّماع للمجذوب فيه يقول**: وقصدت قائد الحجب يعني بذلك كناية عن حجب الجلال، لأنها أعظم الحجب وأقربها إلى الله – تعالى–، فلا تكون المشاهدة الحقيقية إلا بعد رفعها، فكنّى برفعها بقوله "قتلت وريده بلسان أسمر بالدماء محمّر" يعني فقطعت تلك الحجب بنور تجليات إلهية ذاتية في أسمى مرتبة، كنّى عن ذلك بقوله "بالدماء محمّر" يعني محفوفة تلك التجليات بأنوار الأسماء والصفات.

13- تركوا اللبوس مع السلاح هزيمة ينأون بين مُنَجّد ومُغَوّر

- **وجه السّماع للناسك يقول**: إنّ الخواطر الشيطانية التي كانت سببًا للمعاصي والتخلف عن الطاعات لّما صبرتُ على دوام العبادة بالإقبال على الله – تعالى- انهزمتْ جيوشها بين منجّد ومغوّر.
- **وجه السّماع للسالك يقول**: لّما كشف لى عن الملائكة المهيّمين وجدتهم قد تركوا اللبوس مع السلاح هزيمة يعني أنهم مأخوذون عن ما عليهم من الأنوار والجمال والمحاسن، لأنهم مهيّمون في جلال الله – تعالى- فلا عندهم شعور بغيره أبدا، لا يعرفون سواه لأنه لم يحتجب عنهم طرفة عين؛ "ينأون بين منجّد ومغوّر" يعني يبعدون عن الأكوان بتجليات إلهية، تنجّدهم يعني تعلوا بهم في المعارف الذاتية، "ومغوّر" يعني وتنزل بهم في المعارف الصفاتية، فهم بين نجْد وغوْر من حيث ضرب المثال.
- **وجه السّماع للمحبّ فيه يقول**: لّما غلبتُ العقل والرئاسة وأمثالها بقوة العشق والمحبة تركوا ما كانوا يجادلوني به، فلما ذاق عقلي طعم العشق رغب فيه هو وأتباعه الذين كانوا يمنعوني عن الانخلاع، فهم ذا ينأون يعني يبعدون عمّا كانوا عليه بين منجد ومغور من أحوال العشق المتضادّة، يريد أنّ العقل الذي كان يمنعه في أوّل الأمر صار متابعا له ومعينا على قبول موارد العشق والمحبة.
- **وجه السّماع للمجذوب فيه يقول**: إنّ حجب الأسماء والصفات ارتفعت وبعدت، فكنّى عن ذلك بقوله "تركوا السلاح مع اللبوس هزيمة"، عبّر عن تفرق حال الحجب عند ظهور الحق بلا كيف ولا حلول ولا جهة.

14- فنشرتُ رايات الفخار عليهم   وقسمتُ سَلْبهم لكل مُظَفَّر

- **وجه السّماع للناسك يقول**: "فنشرت رايات الفخار عليهم" يعني أظهرت عليهم الطاعة والعبادة بظهور أنوارها على جوارحي، "وقسمت سلبهم لكل مظفر" من جوارحي، فجعل سلبهم عبارة عن الأنوار التي سلبها الله – تعالى- أتباع الشيطان والهوى؛ يقول وضع الله على جوارحي تلك الأنوار التي لم تكن على أتباع الهوى ولا على الشيطان بالمعاصي

والمخالفات، فانتشرت أعلام الطاعة بظهورأنوارها على هيكلي لقوله ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾ [الفتح: 29].

- ❖ **وجه السّماع للسالك فيه يقول**: فنشرتُ أعلام الفخار الذي وهبهم الله - تعالى-، يعني افتخرت عليهم بمعرفة ما سبّحوا الله - تعالى- به وعبدوه من حيث ذلك الاسم والصفة، وكان لي عند الله من معرفة ذلك الاسم ما لم يكن لهم، لأنّ آدم -عليه السلام- كان عنده ما لم يكن عند الملائكة كلِّها من معرفة الله - تعالى-، وأنا نسخة آدم، فعند الإنسان من القابلية لمعرفة الله - تعالى- ما لم يكن عند الملائكة، لأنهم عرفوا الله - تعالى- من حيث العقل وحده، وهو يعرفه من حيث العقل والشهوة، فمعرفته على التمام والكمال، ومعرفة الملائكة على النصف من معرفة الإنسان؛ ولهذا كانت الخلافة في الإنسان دون الملائكة، لأنه أكمل منها. ثم قال: "وقسمت سلبهم لكل مظفر" يعني ما خوّله الله - تعالى- على هياكل ملائكته المقرّبين من أنوار القرب والعبودية قد صارت بيّنة على جوارحه وهيكله لأنها دون رتبة قوله لمن أحبه: (كنت سمعه وبصره ولسانه)، فأين هذا المقام من الحلل النورية التي جعلها الله على ملائكته؟
- ❖ **وجه السّماع للمحبّ يقول**: نشرتُ أعلام العشق والمحبة بظهورآثارها على قلبي وعقلي وروحي وهيكلي.
- ❖ **وجه السّماع للمجذوب يقول**: فأثنيت في ذلك المقام المحمّدي على الأسماء والصفات بما تستحقه المكانة الإلهية، "وقسمت سلبهم" يعني وأظهرت على كل جارحة نصيبا من آثار الاتصاف بالصفات الإلهية، وعن الجوراح كنّى بقوله "لكل مظفر"، وبالسلب كنّى عن آثار الأسماء والصفات.

15- ورجعتُ عنهم لم يكن غُنْمي سوى ذكــرٌ يعــزّ بــه جميعــا معــشري

- ❖ **وجه السّماع للناسك يقول** رجعتُ عمّا كنتُ عليه من المخالفات والمعاصي، وما اغتنمت من أنواع العبادة سوى ذكر الله - تعالى- وطاعته، لأنّ به عزة هيكلي. ويسوغ أن يؤوّل الذكر هنا بالقرآن، بمعنى أنه مداوم على تلاوته. وهذا السّماع لمن لا عُجب له بأفعال

العبادة، فإنّ العُجب يحبط العمل، بـل مِـن طـرب لتعـززه بعـزّة العبـادة وخروجـه عـن ذلّ المعصية.

- ❖ **وجه السّماع للسالك يقول**: ورجعتُ عن شغلي بالملأ الأعلى مغتنما لشغلي بالله، فلم يكن لي غـُنْم سوى المراقبة كنّى عنها بالذكر.
- ❖ **وجه السّماع للمحبّ يقول**: رجعتُ عن مكابدة شدائد قطع العوائق والعلائـق، واغتنمـتُ الانهماك في عشق المحبوب بذكر محاسنه وأوصافه.
- ❖ **وجه السّماع للمجذوب**: يعني رجوعه عن الحق إلى الخلق بالحق في مقـام الوراثـة المحمديـة. يقول: لّما رجعتُ بالحق إلى كشف أحوال الخلق، لإعطاء الحقائق حقها، لم يكن غـُنمي سوى ذكر، يعني لم أظهر فيهم بالكرامات وخرق العادات، مستغنما لذلك، بـل لم أغتـنم إلا بـذكر الله - تعالى- بالتخلق بأخلاقه، ليعزّ بذلك جميعا معشري أي جوارحي لحقيقة: (كنت سمعه وبصره).

16- مَــن لم يعِــش متعــزّزا بــسِنانه سـيموت في الأيـام مـوت مُحَقـَّر

- ❖ **وجه السّماع للناسك**: مَن لم يتعزّز بطاعة الله - تعالى- مدّة حياته سـيذلّ إذا مـات فيكـون محقـّرا.
- ❖ **وجه السّماع في للسالك يقول**: مَن لم يتعفف عن التعشق بالروحانيات العلويـة ومخاطباتهـا سيُحجب بها عن الله - تعالى-، فجعل الموت عبارة عن الحجاب.
- ❖ **وجه السّماع للمحبّ فيه يقـول:** مَـن لم ينهمـك ويحيـى حيـاة الأبـد بمحبـة الله - تعـالى- والتعشق بجماله وأسمائه، سيموت بمحبّة الأكوان ويحقـّر حينئذ قدره؛ فكـم بـين مَـن يكـون مع الله وبين من يكون مع شيء من الأكوان، لأنّ (المرء مع من أحب) [1].
- ❖ **وجه السّماع للمجذوب يقول:** مَن لم يتعزّز بوجود اتصافه بصفات الله فإنّ الذلـّة لاحقة به، لأنّ العزة لله، فمن اتصف بصفات الله فقد اعتز بعزة الله، ومن لم يتـصف بـصفات الله فـلا يموت إلا محقـّرا غير عزيز.

---

(1) رواه البخاري.

17- لا بدّ للعُمر النفيس مـن الفــناء فاصرفْ زمانـك في الأعــزّ الأفــخر

- **وجه السّماع للناسك فيه يقول**: أصرفْ زمانك في طاعة الله - تعالى- لأنّ العمر يفنى وليس له بقاء، فاترك لوازم هذه الدارلأنها فانية، واطلب الدار الآخرة لأنها أعـز وأفخـر مـن هـذه الدار.
- **وجه السّماع للسالك فيه يقول**: إنّ الوقت عزيز لا بقاء له، فاحذر مِن تضييعه وأصـرفه في المخالفات والمجاهدات والرياضات والحضور مع الحق - تعالى- بأنواع المراقبات، لأنّ سلوك الطريق هو الأعزّ الأفخر.
- **وجه السّماع فيه للمحبّ يقول**: إنّ نفسك فانية خسيسة، فلا تشتغل بها البتة، واشتغل عنها وعن مجاهداتها بالانهماك في جمال الله - تعالى- وجلاله، فذاك هو الأعزّ الأفخر.
- **-وجه السّماع للمجذوب فيه يقول**: لا تحتجـب بـالأنوار الحقِـّية عـن الرجـوع إلى مقـام العبودية، لأنّ وقوفك في مقام العبودية بعد قطع مقامات الوصول أعزّ وأفخر في حقـك مـن البقاء في مقامات الوصول، لأنّ دار الدنيا محلّ الطلب والزيادة؛ فإذا احتجبت عـن بـشريتك بجلال الله - تعالى- لم تستطع أن تهذبها كما فعله الكمّل من أهل الله - تعالى- ؛ فارجعْ عن أوصاف الربوبية إلى أوصاف العبودية، فإنّ العمر عن قليل سيفنى وتلحق بـصفات الكمـال في دار الآخرة، فأدركْ بقيّة الأجل في تهذيب النفس من هذه الجهة الثانيـة، ومـا اتـصفتَ بـه عند الله هو لك ومجلى ظهوره هو دار الآخرة، فلا تستعجله في هذه الدار، فـإنّ هـذا الفعـل هو الأعزّ الأفخر لأنك عن قليل تحمد عاقبة ذلك.

القصيدة الرابعة وهي من نوع المديح (17 بيتا)

جعلتها أنموذجا لمعرفة حمل ما يرد على المستمع في هذا الباب، ولم أجعلـها باسـم شـخص مخصوص، ولكني ذكرتُ فيها كنية مخصوصة لمجهول حتى أستوفي بذلك وجوه صنف المـدح، ليقـيس بذلك الناظر في هذا الكتاب على غيره، والله الموفق، وهي سبعة عشر بيتا.

البيت الأوّل والثاني والثالث:

أغَـيْثٌ هَما مِن دونـه البـرق يلمـــع أم اللجّـة الخـضراء بالمـــوج تدفـــع

أمِ الشمس عـمّ العـــالمين ضياؤهــــا	أم الـــــذاريات اللاقحـــات تــصنـّع
أم المَلك السلـــطان ظل يصبّ مـــــن	يديْه ســــحابا غيمُـه لـيس يقـــشع

- **وجه السّماع للناسك يقول**: هل الأمر الذي أنقذني من مهلكات الذنوب وحملني على طاعة علام الغيوب بعد أنْ كنت لا استطيع ترك المعاصي هو غيث همَـى مِـن دمـوعي لّمـا نـدمت وبكيتُ لأنّ الندم توبة؟ "أم اللجة الخضراء" يعني به قلبه "بالموج تدفع" يعني لّمـا مالـت وماجـت عن الذنوب، ورغبت في الطاعات؛ "أم الشمس عمّ العالمين ضياؤها" يعني شمـس الهدايـة لّمـا اتضحتْ؛ "أم الذاريات اللاقحـات" يعـني سـوابق العنايـة "تـصنع" يعـني "تفعـل أنـواع الـصنيع والجميل"؛ "أم الملك السلطان" يعني النبي – صـلى الله عليـه وسـلم – لأنـه ملـك الموجـودات وسلطان العوالم كلها؛ ظلّ يصب من يديه" يعني بالدعاء عنـد الـشفاعة "يـصبّ سـحابا غيمـه ليس يقشع" يعني لا تزول شفاعته لأمته في الدنيا والآخرة. وتقرير الأمر عنـده أنـه بـشفاعته، لأنّ الاستفهامات إذا تكرّرت يكون المراد منها الأخيرة كذا جرت عادات البلغاء، وقـد قـال – تعالى-: ﴿ءَأَنتُمۡ أَنزَلۡتُمُوهُ مِنَ ٱلۡمُزۡنِ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنزِلُونَ﴾ [الواقعـة: 69] يعـني مـا أنـتم أنزلتموه بل نحن المنزلون له.
- **وجه السّماع فيه للسالك يقول**: هل الأمر الكاشـف عـن حقيقـة المـشهود للعبـد في مقـام الوصال والوجود هو بواسطة العقل والفكر؟ أم بواسطة النفس القابلة لـصورة الوجـود؟ أم بواسطة الروح الإنساني؟ أم بواسطة السر الإلهي المعبّر عنه بالروح المنفـوخ في آدم؟ أم بغـير واسطة بل بالله – تعالى- من غير تشبيه ولا تمثيل؟ فجعل العقـل بمنزلـة الغيـث لأنـه سـبب لخرج صور الفكر في الذهن، كما أنّ الغيث سبب لنبات الأزهار في الأرض؛ وجعـل اللجـة عبارة عن النفس، لأنها عظيمة الشأن لعجائبها فهي كالبحر الذي يمـوج لِمـا في الـنفس مـن قابلية صور العالم؛ وجعل الشمس عبارة عن الروح لأنهـا مـضيئة علـى أرض الجـسم وبهـا حياته كالشمس؛ وجعل الذاريات اللاقحات عبارة عـن الـسر الإلهـي لأنّ بواسـطته يحـصل اللقاح في الأرواح، إذ لولا ما أودع الله الأرواح من أسراره لما عرفوه؛ وجعل الملك لـسلطان

عبارة عن القلب المخصوص المشار إليه بقوله: (ما وسعني سمائي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن) [1].

ولا شك أنّ هذا الوسع وسع معرفة وعلم، كما أنّ المراد بالسماء أهل السماء وبالأرض سكانها كما قال - تعالى-: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا﴾ [يوسف: 82] يعني أهلها. وهذا الحديث (القدسي) يدلّ على أنّ الإنسان أعرف المخلوقات بالله من الملائكة. وفي ليلة المعراج قال جبريل- عليه السلام- للنبي - صلى الله عليه وسلم -: (لو تقدّمتُ لاحترقتُ). فمقام جبريل مقام معرفة الله بالواسطة، ومقام محمد - صلى الله عليه وسلم - مقام معرفة الله بغير واسطة. فلهذا كانت الجمعية الكبرى والخلافة في الإنسان دون غيره، لأنّ المعارف مع عدم الواسطة عند الله أعلى وأشرف ممّن عرفه بواسطة شيء، سواء كانت أسمائه أو غيرها.

❖ **وجه السّماع فيه للمحبّ فيه يقول**: ظهور المحبوب لي هل هو ليغيثني بالوصال لّما علم أني مضطرّ إليه؟ أم هو وصف من أوصافه فيظهر تارة ويخفى أخرى فهو يموج كما يموج البحر؟ أم ذلك شمس جماله عمّ الوجود ضيائه فهو ظاهر لعين كل ناظر صحيح النظر؟ فاحتجابه عنيّ إنما كان بواسطة خلل في النظر كما قيل:

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم

"أم الذاريات اللاقحات" كنّى بذلك عن وجوه المحبوب، بمعنى أنه واصَله من غير علّة ولا سبب، بل بمحض الفضل المدّخر في خزائن الجود. "أم الملك السلطان" يعني أم ظهوره وكشف حجابه عن بصيرتي لأجل أني مظهره إذا الصنعة مظهر الصانع؟ فظهوره لي لكون النور المودع في نظري وبصيرتي إنما هو من أنواره، فبه أراه، فالرّؤية وإن كانت منسوبة إليّ في ظاهر الأمر فهي له على الحقيقة لأنّ فعل الرّؤية مني إنما هو بقوّته وقدرته وإرادته وفعله وقضائه، فارتفعت نسبة حقيقة الرؤية عني وصحّت نسبتها لله - تعالى-. فإذا ظهر على عبده

---

[1] ذكره الغزالي في الإحياء بلفظ الديث القدسي: [لم يسعني سمائي ولا أرضي، ووسعني قلب عبدي المؤمن اللـيّن الوادع]. قال العراقي: لم أرله أصلاً، ثم قال: وفي حديث أخرجه الطبراني: [وآنية ربّكم: قلوب عباده الصالحين، وأحبّها إليه ألينها وأرقّها]. وله شاهد عند أحمد وابن ماجه.

فإنما يشهده العبد به لا بنفسه، فهو الشاهد والمشهود، المنزّه عن التعدّد، والمقـدّس عـن الحـدّ والحلول والامتزاج في الأزل والأبد، فلهذا جعل هذا المـشهد فكنـّى عنـه بالملـك الـسلطان لتملـّكه الوجود.

- ❖ **وجه السّماع فيه للمجذوب فيه يقول:** هل الأوْلى بحال الوليّ تعلـّقه بالتجليات الفعلية من أسماء صفات الأفعال؟ أم تعلقه بتجليـات أسمـاء الـصفات؟ أم تعلقـه بتجليـات الأسمـاء الذاتية كاسمه الله والأحد والواحد وأمثالهـا؟ أم تعلقـه بتجليـات الـصفات الذاتيـة كاسمـه الرّحمن وأمثاله؟ أم تعلقه بمطلق الذات الإلهية المقدسة من غير طلـب ظهـور تجلـى صـفة أو اسم؟ فكأنه يقول: بل تعلقه بمطلق الذات أوْلى، ولهذا جعل الملك السلطان عبارة عن ذلـك، يعني أنه أشرف في حق العبد. وجعل الذاريات اللاقحـات عبـارة عـن تجلـى اسمـه الـرحمن لكونه قد ورَد: (إني لأجد نفَس الرحمن)، فجعل اللاقحات الـذاريات إشـارة إلى النفَــس، لأنّ النفَس المعتاد ريح؛ وجعل النفس إشارة عن التجلي الرحماني؛ وجعـل الـشمس إشـارة عن الاسم "الله"، وقد ذكر ذلك القونوي في كتابه فقـال: (إنّ الـشمس بـين الكواكـب مظهـر اسمه "الله" بين الأسماء). وجعل اللجة الخضراء عبارة عن تجليات الـصفات، لأنهـا لا نهايـة لها. وجعل الغيث عبارة عن تجلى الأفعال، لأنّ الإغاثة إنها تحصل بواسطتها، فافهم، وإيـاّك أن تحمل شيئا على معنى التشبيه أو التجسيم أو الحلول، - تعالى- الله عن ذلك، وإنما جرت سنته أنْ يتجلى على عبادة بلا كيف .

4- أبو الحسن والإحسان خـير مملـّك   لـه الأمـر يعطـى مَـن يـشاء ويمـــنع

- ❖ **وجه السّماع للناسك فيه يقول** عن النبي – صلى الله عليه وسلم- أنه أبو الحسنين يعني جدّ الحسَن والحسين - صلى الله عليه وسلم -، فجعل الحُسن والإحـسان أحـدهما كنايـة عـن الحسن والآخر كناية عن الحسين، "والإبداع خير مملك" في أمر الخلق يعطى من يشاء بـإذن الله ويمنع من يشاء بإذنه.
- ❖ **وجه السّماع للناسك فيه يقول:** إنّ الإحسان في حق السالك شهود آثار عزّة الحق - تعالى- من غير واسطة النظر إلى المخلوق، لأنّ جميع ما في المخلوقات هو من عطاياه ومنعه - تعالى- فهو المعطى والمانع خير ملك سبحانه.

- **وجه السّماع للمحبّ فيه يقول**: هو أبو الحسن يعني المحبوب صاحب الحسن المطلق الذي من حسنه أنه متجلي في الموجودات بغير حلول، وهو ذو الإحسان والفضل الذي أسعد الوجود بتجليه فيه، "خير مملك" متصرّف يعطى ويمنع.
- **- جه السّماع للمجذوب فيه يقول**: إنّ التعلق للولي بمطلق الذات أعلى أو أحسن وأسمى في حقه من التعلق بالأسماء والصفات في تجلياتها، فإنّ الجميع راجع إلى الذات لأنها هي المعطية والمانعة، فالعطاء والمنع اللذان هما صفتان جميعا راجعة إلى الذات. فالمتعلق بالذات أحسن حالة وأسمى وأعزّ مكانة تخلقا وتحققا، صورة ومعنى؛ وإليه أشار بقوله: "أبو الحسن والإحسان"، وأعنى بالتعلق حال الوليّ في حضوره مع الله – تعالى-.

5- جواد يرى العافين تعطيه نفسها إذا قبلتْ منه الذي هو يجمع

- **وجه السّماع للناسك:** فيه مدح النبي – صلى الله عليه وسلم – بما معناه ظاهر البيت.
- **وجه السّماع للسالك**: فيه الإشارة إلى أنّ مقام الجمع لا يظهر فيه للمخلوقات أثر، فصاحب الجمعية يشهد أنّ الموجودات بأسرها قد أعطت الحقّ نسبة الوجود المطلق وتبرّأت عن ادّعائه، وإلى مقام الجمع الإشارة بقوله: "الذي هو يجمع".
- **والمقصد للمحبّ** فيه يقول: إنّ المحب الصادق في محبته جواد لا يبخل ببذل النفس، لأنه يرى أنّ مقام العشق يقتضى بذل الروح، فلا عاشق إلا من آثر معشوقه بكليته فلا يلتفت إلى ما سواه. وأراد بالعافين بكناية عن العاشقين؛ "تعطيه نفسها إذا قبلت منه الذي هو يجمع": يعني إذا عشقته، لأنّ العشق رابطة تجمع بين المحب ومحبوبه. وذلك أنّ الروح إذا تعشقت بأمر مّا لا تزال مشاهدة لصورة ذلك الأمر، وهذه المشاهدة هي التعشق، لأنها شهود ضروري؛ ومن هنا أنّ مجنون ليلى لّما جاءته محبوبته وكلّمته قال لها: "دعيني فإني مشغول عنك بليلى"، وذلك أنّ الصورة الروحانية قد تعشقتها روح قيس، فهو مع تلك الصورة في شهود دائم. ولهذا قال بعض الصوفية: إنّ المحبّة أعلى من المعرفة، لأنّ المعرفة أمر علمي، وحقيقة المحبّة هو العشق وهو شهود عيْني لا تمكن فيه الغيبوبة بوجه من الوجوه قطعا.
- **وجه السّماع للمجذوب فيه يقول:** إنّ العارف المتصف من صفات الله – تعالى- باسمه "الجواد" تتجلى عليه الأسماء الإلهية بمعنى الجود، فيجد لها في كل صفة من تلك الصفات

المتجلى بها عليه اتصافا، فيتصف بجميع الصفات، وهذا معنى قوله: "يرى العافين تعطيه نفسها" يريد بذلك أنّ الصفات الإلهية تعطيه الاتصاف بها "إذا قبلت منه الذي هو يجمع" يعني إذا أقبل هو عليها بكليته

6- فلو جاد بالدنيا جميعا لسائل لَهَمَّ بأنْ يُعطيه أخرى فيشفع

- ❖ **وجه السّماع للناسك**: مدح النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول إنه واهب خير الدنيا والآخرة بشفاعته.
- ❖ **وجه السّماع للسالك فيه يقول**: إنّ السالك إنْ جاد بظاهره لا ينبغي أنْ يكتفي بذلك، بل يجب عليه أنْ يجود بباطنه، يعني عقله وفكره وقلبه، فيقف بالجميع على باب الله - تعالى- ويجود بها، فلا يلتفت إلى القضايا العقلية، ولا يأكل من ثمرات فكره، بل يتجرّد عن علومه ومفهومه جميعا، فيكون واقفا في باب الله - تعالى- ليمنحه الله من خزائن جوده ما هو أهله. فقوله: "فلو جاد بالدنيا" يريد أنّ السالك إذا تجرد عن ظواهره لا بد أنْ يجود ببواطنه حتى يقف بباب الله - تعالى-.
- ❖ **وجه السّماع للمحبّ فيه يقول**: إنّ المحب ينبغي له أن يتجرّد في حب الله عن طلب الدنيا والآخرة؛ فإن جاد بالدنيا وطلب الآخرة فليس بمحب لله، بل هو محب لراحة نفسه في الدار الآخرة. فشرط المحبة أن يجود بالدنيا وما فيها، وبالأخرى وما هي عليه، ولا يتعلق بحب شيء من الأكوان، بل يتجرّد لحب الله - تعالى- وحده. فقوله "فيشفع" يريد هنا من الشفعية يعني يشفع ترك حب الدنيا بترك حب الأخرى.
- ❖ **وجه السّماع للمجذوب فيه يقول**: إنّ الكامل إذا أثنى على الله - تعالى- بحقيقة الاتصاف بصفاته العليا وأسمائه الحسنى الذي يعرفه بها أهل الدنيا لا يقنع ولا يكتفي بذلك، بل يطلب أن يثني عليه بأسمائه وصفاته المدّخرة لأهل الآخرة، فإنّ أهل الآخرة يكشف لهم عن صفات وأسماء لله لم يكونوا يعرفونه بها في دار الدنيا. وقد أشار الحديث إلى ذلك لقوله عليه السلام: (فأثني عليه بمحامد لم أحمد بها من قبل) أو بما معناه، يريد أنّ الله - تعالى- يلهمه ويعلِّمه يوم القيامة ما لم يكن يعرّفه به في الدنيا هذا معنى الحديث.

7- كـــريم جـدود لـيس يُعـرف مثلـه　　　عـــظيم صـفات مثلـه لـيس يُـسمع

يعني لا شبيه له في الذات والصفات.

- **وجه السّماع للناسك فيه يقول**: إنّ النبي -عليه السلام- كريم الجدود، طاهر النسب لأنه من خير العرب ومن ذرية إبراهيم وإسماعيل وغيرهم من الأنبياء- عليهم السلام-، عظيم الصفات لأنّ الله - تعالى- مدحه بها فقال له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4].
- **وجه السّماع للسالك فيه يقول**: إنّ الطريق إلى الله مبني على أصول كريمة ليس لها مثل، وفروع شريفة ما لها شبيه، فكنّى بالجدود عن الأصول، وعن الفروع بالصفات. فأصول الطريق مثل المخالفة والمراقبة، وفروعها مثل دقائق الورع وحقائق الفهم والتمييز الذي لا نظير له.
- **وجه السّماع للمحبّ فيه يقول**: إنّ المحبوب لا شبيه له في الذات ولا في الصفات، فالجدود هنا جمع جَدّ وهي السعادة.
- **وجه السّماع للمجذوب فيه يقول**: إنّ الإنسان من حيث هو هو كريم جدود، يعني أصله ومحتده من نور الحق - تعالى- فهو كريم الأصل، لأنه من الله - تعالى- كما أخبر -عليه السلام- في قوله: (أنا من الله والمؤمنون منـِّي) فالنتيجة المنطقية أنّ المؤمنين من الله - تعالى- ويكفيكم هذا الشرف نسبة إلى الله - تعالى-. فليس في العالم أحد بهذه المثابة في المكانة لأنّ الله - تعالى- قال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: 70] وأمر الملائكة لهم بالسجود، ولا في العالم سواه من هو له عند الله هذا القدر. وقال فيه: "عظيم صفات مثله ليس يُسمع" يعني لغيره لا يسمع بمثل تلك الصفات، لأنه حيّ عليم مريد قادر سميع بصير متكلم وهذه للسبعة بالاتفاق أنها صفات الله - تعالى- وهي للإنسان دون غيره من سائر المخلوقات، فهو عظيم صفات، ولهذا استحق الخلافة، لأن الله - تعالى- خلقه على صورته، ومِن ثم قال: "مثله لا يُسمع"، فالإنسان مقتضى الكمال المطلق لأنه كامل الذات والصفات، فافهم.

8- أبو مكرمات لـو فتّـشتَ صـغيرها　　　وجدت نداها مـن نـدى البحـر أوسـع

- **وجه السّماع للناسك**: فيه مدح النبي – صلى الله عليه وسلم – بمعنى ظاهر البيت.
- **وجه السّماع للسالك فيه يقول**: إنّ الطريق أبو المكرمات، يشير إلى قول بعض الشيوخ: (إيّاكم وبنات الطريق) يعني الكرامات لا تشتغلوا بها. "لو فتشتَ صغيرها" يعني أصغر كرامات الطريق، وجدت نداها من ندى البحر أوسع.
- **وجه السّماع للمحبّ فيه يقول**: إنّ المحبوب ذو صفات عظيمة لو فتشتَ عن ألطفها وجدت فيها من الجلال والعظمة ما هو أعظم من البحر الذي لا ساحل له.
- **وجه السّماع للمجذوب فيه يقول**: إنّ الإنسان الكامل أبو مكرمات ذاتيّة في وجوده، لو فتشتَ صغيرها يعني لو كشفت لك عن أصغر صفاته بالنسبة إلى غيرها لوجدتَ ذلك أوسع من البحر المحيط، فاشتغل بمعرفة ما أودع الله – تعالى- فيك من صفات كماله وجماله وجلاله:

9- وذو شرف لو أن كسرى وتُبّعا رَأَوْه لَبَاسَ الأرضَ كسرى وتبّع

- **وجه السّماع للناسك**: فيه مدح النبي- صلى الله عليه وسلم- بذلك، فلو عرفه كسرى وتبّع وأمثالهما لآمنوا به.
- **وجه السّماع للسالك يقول**: إنّ الطريق إلى الله – تعالى- فيه شرف الإنسان، فلو عرفته الملوك الأكاسرة والتبابعة وأمثالهم لتركوا ما هم عليه وسلكوا طريق الحق – تعالى-،ولكنهم كانوا محجوبين بدنياهم على حقيقة شرف الطريق، ولهذا قال الإمام الزاهد أعرف الناس بهذا الأمر لأنه ذاق الحالتين إبراهيم بن أدهم: (لو عرف الملوك وأبناء الملوك ما نحن عليه لقاتلونا عليه بالسيوف)، ولهذا قال غيره بعض الشيوخ: (لو أنّ قائل هذا الكلام غير إبراهيم بن أدهم لقلنا يحتمل أنه لم يذق ما عليه الملوك وأبناؤها من اللذة والشرف وطيب الحال، ولكن الأمر كما قاله رضي الله عنه وعنهم أجمعين). فالسالك يقول: إنّ شرف الطريق لو كشف عن مثل كسرى وتبّع لاطّرحوا في الأرض وتجرّدوا عن ملكهم طلبا للتشرف بالطريق.

- ❖ **وجه السّماع للمحبّ فيه يقول**: إنّ محبوبه ذو شرف وعزة فلا سبيل للوصول إليه إلا من طريق الذّـة والافتقار، فلو طلبته ملوك الدنيا والآخرة ل ابد لهم من بَوْس الأرض يعني من التذلل والخضوع، إلى أنْ يمنّ عليهم بجذباته الإلهية.
- ❖ **وجه السّماع للمجذوب فيه يقول**: إنّ شرف المحتد وعلوّه موجود في سائر النوع الإنساني، فلو كشف عن ذلك لمثل كسرى وتبّع على ما كانوا عليه من الملك لرأوا أنّ ملكهم كالأرض تحت عزّة سماء هذا السرّ الإلهي المودع في هذا الخليفة وأولاده، ولأجل هذا استحقّ أن يسجد له خواص الملائكة المقرّبين مِن أوّل قدَم في هذا الوجود، ثم علّمهم ما لم يكونوا يعلموه، فهو ذو الشرف الأكمل.

10- بكلّ الورى لو قسته لوجدته يزيد بأخلاق تجلّ وترفع

يعني: تجلّ وترفع قدرا ومكانة على سائر الوجود.

- ❖ **وجه السّماع للناسك**: فيه مدح النبي – صلى الله عليه وسلم – بما معناه ظاهر البيت.
- ❖ **وجه السّماع للسالك فيه يقول**: لو أنك قِست ما يحصل في الطريق لأهل الله – تعالى– من المنح والعطايا الإلهية لوجدتَ ذلك يزيد على نعيم الدنيا والآخرة بأضعاف مضاعفة.
- ❖ **وجه السّماع للمحبّ فيه يقول**: إنّا لله – تعالى– خيْرٌ من جميع الورى، يعني من أهل الدنيا ومن لذات الآخرة، فلِمَ لا يطلبه العبد ويترك ما سواه؟
- ❖ **وجه السّماع للمجذوب فيه يقول**: إن الإنسان خلاصه الأكوان، وهو المشار إليه بمظهر الحق – تعالى–، فلو قِست مقدار الإنسان عند الله – تعالى– وحده لوجدته يزيد على جميع المخلوقات شرفا وكرمًا بأخلاق إلهية قد اتصف بها من الفطرة الأصلية المجبول عليها، ولهذا قال: "تجلّ وترفع" لأنها عبارة عن الأوصاف الإلهية التي يتصف العبد بها

11- فلو تسأل الأيّام عن كنه وصفه أجابت بأنّ الدّرك فيه مُمَنّع

- ❖ **وجه السّماع للناسك:** فيه مدح النبي – صلى الله عليه وسلم – ما معناه ظاهر البيت.
- ❖ **وجه السّماع للسالك فيه يقول**: إنّ الطريق لا نهاية له، "فلو تسأل الأيام "يعني فلو تطلب الله – تعالى– في أيّام الدهر جميعها لكشف لك بعد هذا أنّ الطريق باق تجاهك لأنّ الله – تعالى–

لا نهاية له، ولأنّ النفس لا نهاية لدسائسها؛ والسالك يطلب تزكية نفسه ومعرفة ربّه، فهو يطلب أمرين لا نهاية لكل واحد منهما، فلهذا إنّ درك الطريق ممنوع، يعني أنّ بلوغ السالك إلى محلّ لا بعده سلوك محال، ممنوع عقلا ونقلا وكشفا، فليس للطريق غاية.

- ❖ **وجه السّماع للمحبّ فيه يقول**: إنّ الحق - جلّ وعلا- ليس لكماله نهاية، فلو تسأل كلّ من في الأيام الماضية والمستقبلة والحالية لأجاب أهلها أنّ درك كنه صفة واحدة من صفاته ممنوع ومحال.
- ❖ **وجه السّماع فيه للمجذوب يقول**: إنّ الإنسان الكامل لا نهاية لمعرفة ما أودع الله فيه من كمالاته، فلو تسأل الأيام - يعني المحققين من أهلها- لأجابوا أنْ لا نهاية لدرك كنه الإنسان، إذ درك كنه الإنسان منوط بدرك كنه الباري -عز وجلّ- لأنّ: (من عرف نفسه فقد عرف ربه)؛ فعلى قدر ما يعرفه الإنسان من نفسه يعرف ربّه، والأولياء متفاوتون في ذلك، فمنهم الكامل والأكمل، وجميعهم مقرّون بعدم النهاية في معرفة الإنسان، لأنه المتصف بصفات الرحمان، والرحمان لا نهاية له فهو لا نهاية له.

12-هو البحر إلا أنّ عذب صفاته هو الغيث إلا أنه الدّهر يهمع

- ❖ **وجه السّماع للناسك** مدح النبي - صلى الله عليه وسلم - بما معناه ظاهر البيت.
- ❖ **وجه السّماع للسالك يقول**: إنّ الطريق بحر ولكن عذب صفاته، يعني فيه لذة للسالكين فهو عذب ولو كان ظاهره عذاب؛ هو الغيث يعني هو إغاثة الحق للعبد ورحمته العظمى له، والسالك مغاث، إلا أنّ السلوك يهمع طول الدهر يعني يمطر على أهله بأنوار الواردات والمعارف الإلهية.
- ❖ **وجه السّماع للمحبّ يقول**: إنّ صفات المحبوب بحر لا ساحل له، ولكنه عذب يعني عذوبة التجلي عند شهود الحق؛ هو الغيث يعني تنوّعات التجليات كثيرة لا تحصى كالغيث لأنها دائمة، فهو - سبحانه و تعالى- له شأن ذاتي في كل يوم إلهي وذلك الشأن هو تجليه - تعالى- بما يقتضيه كماله قال - تعالى-: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: 29].
- ❖ **وجه السّماع فيه للمجذوب يقول**: إنّ باطن الإنسان بحر، غير أنّ صفاته عذبة، يريد القوى الروحانية التي هي العقل والفكر والتمييز والتخيل والتصوير وأمثالها، فيها معارف لا تحصى

من المعارف الإلهية؛ فمن عرف حقائق تلك القوى وما هي عليه من الكمالات الإلهية التذّ بوجود ذاته، واتصف من الحق - تعالى- بأسمائه وصفاته، وإلى تلك اللذة الإشارة في قوله: "عذب صفاته". "هو الغيث" يعني قلب الإنسان دائم الموارد فلا يخلو طرفة عين من الموارد الإلهية، لكن أين المميّز العارف لتلك الموارد العليّة والصفات العزيزة البهيّة المودعة في هذا الموجود الشريف؟

13- فلوْلاه لم تورق صخور بلادنا ولم تنبت الأبريز والتبر بلقع

يعني أنّ الممدوح في غاية الكرم إلى أنه يشبه المحال، فلما حاز ذلك الكرم العظيم منه جاز أنْ تورق صخور البلاد لأنّ بلاقعها وأراضيها تنبت الإبريز يعني الذهب الخالص والتبر يعني المذهب الخشن، يريد بذلك كناية عن عظم مواهبه التي وهبها لسائر الناس؛ فلما دفنتها الناس في الأرض أمتلى تحت الأرض من التبر والإبريز، فمن يحفر شيئا من الأرض يجد الذهب، فكنّى بذلك عن الإنبات لمساق أوّل البيت ملائمة لتوريق الصخور.

- **وجه السّماع للناسك**: فيه مدح النبي - صلى الله عليه وسلم - بأنه كان السبب لخشوع قلبه، فجعل قلبه بمحلّ الصخر، وجعل خشوعه بمحل تورّق الصخر واخضراره، وجعل البلقع كناية عن جسمانيته، وجعل الإبريز والتبر كناية عن الأعمال: فالأبريز عبارة عن الفرائض، والتبر عبارة عن السنن والنوافل، يعني أنه - صلى الله عليه وسلم - كان سببا لخشوع قلب هذا العبد وسببا لأعماله جميعها - صلى الله عليه وسلم-
- **وجه السّماع للسالك يقول**: فلولا الطريق وسلوكها لما أورقت صخور بلادنا، يعني لما ظهرت آثار أنوار القرب على جوارحنا، ولا انبتت بلقع أيقلوبنا التي كانت قبل أرضية بالأبريز والتبر، يعني: ولا وجدنا في قلوبنا من الموارد الإلهية علوما لدنّية مخصوصة بمعرفة الله - تعالى- كنّى عنها بالإبريز، وعلوما لدنّية ملحقة بمعرفة عالم الكون وكنّى عنها بالتبر لأنّ التبر دون الإبريز.
- **وجه السّماع للمحبّ فيه يقول**: إنّ المحبوب لولا أنّ له الجمال المطلق - تعالى وتقدس- لما أورقت صخور بلادنا، يعني لما ظهر آثار الجمال في سائر وجودنا، ولا أنبتت بلقع بالتبر والإبريز، يعني: ولا كان يظهر من بواطننا أنوار القرب لوجود حقيقة التوحيد؛ فجعل شمس

حقيقة التوحيد مشار إليها بالأبريز والتبر لأنّ الذهب هو معدن الشمس، وجعل آثار الجمال مشار إليها بتوريق الصخر لأنّ ذلك حسن في أبدع ما يكون من غريب الملاحة.

❖ **وجه السّماع للمجذوب فيه يقول**: فلولا ما جبل الله - تعالى- روح الإنسان عليه من صفات الكما، بما جعله في قابلية النفس الكلي والعقل الأوّل، لما أورقت صخور بلادنا، يعني: لمّا اتصفنا بصفات جماله وجلاله - تعالى الله وتقدس- اتصافًا بلا تشبيه ولا اتصال ولا انفصال، بل كما ينبغي أن يعبده وليّه بذلك الاتصاف؛ وقوله "ولا انبتت بلقع بالأبريز والتبر" يعني: ولا ظهر على جوراحنا آثارالقدرة من حقيقة الاتصاف بما أشار إليه الحديث في قوله: (كنت سمعه وبصره ويده ولسانه) الحديث.

14- مليك له في الله رُبَّ مكانة تجلّ عن الإدراك بل هي أرفع

يعني أن الممدوح مليك له رُبَّ مكانة عليّة في حضرة القرب عند الله تجلّ تلك المكانة عن الإدراك لغيره، بل أرفع أنْ يدركها غيره.

❖ **وجه السّماع للناسك**: فيه مدح النبي - صلى الله عليه وسلم - بأنّ له عند الله المقام المحمود الذي لا يمكن لغيره عند الله - تعالى-.

❖ **وجه السّماع للسالك فيه يقول**: إنّ العبد الذاهب في الله له في سلوكه من الأسرار بينه وبين الله - تعالى- ما يجلّ عن الإدراك لغيره؛ أشار بهذا إلى ما قاله عليه السلام: (إنّ بين العبد وبين الله سرّ لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل) [1].

❖ **وجه السّماع للمحبّ** فيه أنّ المحبوب ذو مكانة عليّة في الله، يعني في الألوهة، تجلّ عن الإدراك الكوني فلا يعرف ما هو إلا هو.

---

[1] الحديث رواه أبو القاسم عبد الكريم القشيري في «الرّسالة» من حديث علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- بسند ضعيف، ورواه الديلمي في مسنده، والسخاوي في «الجواهر المكللة في الأخبار المسلسلة»، من طرق عن أحمد بن غسان، قال: سألت أحمد بن عطاء الهروي - وقال هناد: الهجيمي- عن الإخلاص ما هو؟ فقال سألت عبد الواحد بن زيد عن الإخلاص ما هو؟ فقال: سألت الحسن عن الإخلاص ما هو؟ فقال: [سألت حذيفة بن اليمان -رضي الله عنهما- عن الإخلاص ما هو؟ فقال سألت النبي - صلى الله عليه وسلم- عن الإخلاص ما هو؟ فقال: سألت جبريل -عليه السلام- عن الإخلاص ما هو؟ فقال: سألت رب العزة - تبارك وتعالى- عن الإخلاص ما هو؟ فقال: "الإخلاص سر من سري اسْتَوْدَعْتُه قلبَ مَنْ أَحْبَبْتُ مِن عِبَادي"].

❖ **وجه السّماع للمجذوب فيه يقول:** إنّ الإنسان الكامل مليك لأنه نسخة آدم، وآدم خليفة الله - تعالى-، فالإنسان خليفة على ملك آدم. "له في الله رُبّ مكانة" يعني بذلك القطبية أنها لا تكون إلا للإنسان الكامل لا لغيره من سائر الأكوان، ولهذا قال: "تجلّ عن الإدراك بل هي أرفع"، فاعرفها منك وفيك.

15- أمان لملهوف وحصن لخائف وكهف شريد بات وهو مروَّع

❖ **وجه السّماع للناسك فيه يقول:** إنّ النبي - صلى الله عليه وسلم - موصوف بهذه الصفات.

❖ **وجه السّماع للسالك فيه يقول:** إنّ طريق الحق - تعالى- أمان للسالكين من سائر الهموم، لأنهم لا يشتغلون بها، فلا يطرقهم همّ شيء ولا خوف من شيء، لأنهم مأخوذون عن نفوسهم، فكيف يشتغلون بلازم ما ليس بموجود عندهم؟ لأنّ الخوف من لوازم ذكر النفس، فلولا محبته للسلامة لها لما طرقة الخوف. وأراد باللهوف والخائف والشريد والمروَّع ذكر آفات الدنيا والبرزخ والحساب والآخرة.

❖ **وجه السّماع للمحبّ يقول:** إنّ الوصول إلى الله - تعالى- أمان للمحبّ من سائر البلايا والمحن، كما قال بعضهم: (من وصل إلى الله - تعالى- أمّنه من معلولات النفوس)، وهذا الوصول بلا كيف ولا تشبيه ولا جهة، تعالى الله عن ذلك.

❖ **وجه السّماع للمجذوب يقول:** إنّ مقام القطبية الذي يحاول في تصحيح شرائطها أمان للملهوف، لأن الله - تعالى- لا يصطفي عبداً ويقرّبه لتلك المكانة العظيمة ثم يمكر به، وإليه الإشارة في قوله عن مقام إبراهيم: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: 97]. ولو قلت: إنّ المراد من الآية هذا المقام الحسي الموجود بمكة، قلنا لك: إذا كان الأمان حظ من دخل في المقام الإبراهيمي الأرضي، فما يكون حظ من يُدخله الله في المقام الإبراهيمي الجبروتي؟ فإن قلت: إنّ دخول مقام إبراهيم عند الله ممنوع لغيره، قلت لك: إنما الممنوع محلّ خصوصيته لا المقام، ألا ترى الإسلام مقام وهو يجمع النبي -عليه السلام- وغيره من أمّته، ومقام الإيمان مقام يجمع الأنبياء وغيرهم، ومقام الإحسان كذلك، فالمقام الواحد يجمع النبيّ والوليّ عند الله - تعالى- وينفرد النبي بخصوصية من الله - تعالى-، وينفرد الوليّ بما بينه

وبين الله - تعالى- من أسراره من غير جهل بأفضلية النبي على الوليّ بكل حال وفي كل مقام عند المتعال، فافهم.

16- فلا زالت الدنيا تدوم لملكه ولكنه لا يرتضيها فيقنع

- **وجه السّماع للناسك يقول:** لا زالت الدنيا تدوم لأمّته أبد الآبدين، ولكنه لا يرتضيها لهم مقاما فيقنع بالخلود فيها، بل يريد لهم ما عند الله - تعالى-.
- **وجه السّماع للسالك فيه يقول:** فلا زالت الدنيا تدوم للسالك ليقطع مقامات القرب إلى الله - تعالى- فيها، لأنها دار الزيادة والتحصيل، لأنّ الشخص إنما يجتنى في الآخرة ثمرة ما غرسه في الدنيا، فليت الدنيا لازالت دائمة للسالك يتقرّب فيها إلى الله - تعالى- حتى لا ينتقل منها إلا وقد قطع سائر المقامات، وسلك في سائر الطرق، ليعرف الله - تعالى- معرفة كاملة، فلا زالت الدنيا دائمة؛ ولكن للسالك مع هذا لا يرضى بدوام الدنيا له لأنها دار الحجاب، فلا يقنع بما يترقى فيه، بل يطلب القدوم على الله - تعالى- في دار الكشف والعيان.
- **وجه** السّماع فيه للمحبّ يقول: فلا زالت الدنيا تدوم للعاشق حتى يستكمل شروط العشق، ولكنه لا يرتضى بقاءها، بل يطلب وجود الحق - تعالى- ولو كان ناقصا في شروط المحبة.
- **وجه** السّماع للمجذوب فيه يقول: فلا زالت الدنيا، يعني جسمانية الإنسان، تدوم لملكه يعني لِما وهبه الله من الاتصاف، ولكنه لا يرتضيها فيقنع، لأنّ العالم الجسماني ليس قابليته الأخذ من الله - تعالى- بقدر ما في قابلية الروح، فلهذا لا يلتفت الكامل إلى اتصاف الجسمانية، وإنما المعتبر عند الكمّل اتصاف روحه من الله - تعالى- بما أراد من أسمائه وصفاته العليا، فافهم.

17- عليه من الرحمن كل تحية حكت نفحات المسك بل هي أضوع

- **وجه السّماع للناسك فيه: يقول** على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الله - تعالى- كل تحيّة هي أعبق من نفحات المسك نشرًا وأضوَع طيبًا.
- **وجه السّماع للسالك يقول:** لا زالت موارد الحق - تعالى- تهبّ بالنفحات الرّحمانية على قلب العبد السالك بما هو أطيب نشرًا من المسك المختم به على كأس الأبرار في الجنة.
- **وجه السّماع للمحبّ يقول:** على العبد المريد لله - تعالى- في الأوقات نفحات عنايات عزيزة شريفة لا يعرفها إلا أهلها، فهي طيّبة النشر عظيمة الفخر.
- **وجه السّماع للمجذوب فيه يقول:** إن لله في وجود الإنسان الكامل عنايات عزيزة، وعليه من الله بتلك العناية كل تحيّة، يعني رحمة وإقبال بموهبة حقيقة اتصافه بأسماء عظيمة وأوصاف كريمة تظهر آثارها في الوجود حالا ومقالا، فهي أعبق من نشر المسك لأنها تبلغ ما لا يبلغه النشر من الظهور في العالم بطيب أخلاق الله - تعالى-.

القصيدة الخامسة وهي ستة أبيات

1- طللٌ لِمَيّة عند سفح المنحنَى　　　مِن دون بيض دُمائه سُمر القنا

يعني محلّ لها يحميه أهلها بسمر القنا والرماح، والدُّماء هي الصور التي تنحتها النصارى من حجر المرمر تشبّه بها الحسان للبياض وحسن البنية.

- **وجه السّماع للناسك يقول:** إنّ الجنة حُفّت بالمكاره، فجعل طلل ميّة كناية عن الجنة، وجعل بيض دُمائه كناية عن الحور والولدان، وجعل سمر القنا كناية عن المكاره التي حُفّت الجنة بها.
- **وجه السّماع فيه للسالك يقول:** إنّ القلب عرش الله - تعالى-، لكن دون معرفة القلب الذي هو ينبوع تجلي الحق فيه سُمر القنا، يعني الموانع البشرية والقواطع الكونية؛ فجعل طلل ميّة عبارة من جهة التأويل عن تجلّ إلهي يكون على قلب الوليّ؛ وجعل سفح المنحنى عبارة عن القلب؛ وجعل قوله "من دون بيض دُمائه" يعني: من دون بلوغ العبد إلى محلّ تظهر تلك التجليات الإلهية على قلبه؛ سمر القنا: يعني موانع كونية.

❖ **وجه السّماع للمحبّ فيه يقول**: إنّ للعشق مكان في القلب محفوف بأنواع البلايا والمحن، فلا يصل إلى حقيقة العشق عاشق إلا بعد خوض تلك المحن والبلايا. فجعل قوله طلل ميّة عبارة عن تعشق القلب بالمعشوق، فكأن العشق محلّ ظهور المعشوق فهو كالطلل؛ عند سفح المنحنى يعني في القلب؛ من دون الوصول إليه سمر القنا يعني دون التحقق بمقام العشق موانع كأنها الرّماح.

❖ **وجه السّماع للمجذوب فيه يقول**: إنّ للإنسان مقاما شريفا عند حضرة الحق - تعالى- ،من دون الوصول إلى التحقيق بشرائط ذلك المقام سمر القنا، يعني تجليات إلهية تفني العبد وتهلكه كما تهلكه سمر القنا. فجعل "طلل" عبارة عن مقام؛ وجعل "مية" كناية عن روح الإنسان؛ وجعل قوله "عند سفح المنحنى" كناية عن حضرة الكمال الإلهي؛ وجعل قوله: "من دون بيض دُمائه" كناية عن شرائط ذلك المقام، أي من دون استيفاء تلك الشروط العزيزة سمر القنا، يعني تجليات تفني العبد إمّا بقهرها له، أو بضعفه عنها، أو باشتغاله به عن تجليات فوقها لله - تعالى- فيهلك دون الوصول إلى ما عداها.

2- **وقواضبٌ وكتائبٌ ونجائبٌ**	**وعواسلٌ ومناصلٌ حَمت المُنا**
3- **وتوَعّد وتهدّد وتأسّد**	**وتبّدد لأولي الصبابة والعَنا**

يعني من دون الوصول إلى ذلك المقام هذه الأهوال.

❖ **وجه السّماع للناسك**: فيه تعديد أنواع المكاره التي حُفّت الجنة بها.

❖ **وجه السّماع فيه للسالك**: تعديد أنواع للمخالفات والرّياضات والمجاهدات التي هي دون الوصول إلى مقام الصدّيقية بظهور تجليات الحق - تعالى- على قلبه.

❖ **وجه السّماع للمحبّ**: تعديد أنواع البلايا والمحن التي تترَادف على العاشق إلى أنْ يتمكن في مقام العشق فلا يشعر بها بعد ذلك.

❖ **وجه السّماع للمجذوب**: فيه تعديد أنواع التجليات الإلهية التي قد يفنى ويهلك الوليّ بواحدة منها، فيذهب عقله ولبّه فلا يرجع إلى التمييز إلى أن يموت. يعني أنّ المطلوب عزيز، من دون الوصول إلى مقام الكمال هذه التجليات التي تتنوع على قلب العبد بأنوار الجلال والجما،ل وواحدة منها كافية لهلاكه إلا أنْ يتداركه الله - تعالى- فيقوّيه ويثبّته لها.

4- نصبوا الرّماح على البطاح تخـالها زهـر الرّوَابـي والأسنـة سَوْسَـنا

يعني تحسب تلك الأسنـة التي نصبوها على هاتيك البطاح زهر الرّبى، وهو الموضع المرتفع من الأرض؛ وتحسب حديد تلك الرّماح سوْسنا لأنّ السوْسن تكون له لسان زائدة تشبه لسان السِّنان؛ كنّى بهذه العبارة عن كثرة الرّماح المنصوبة فكأنها عشب الأرض لكثرتها، ولكونها دائمة لا تزول عن الحي.

- ❖ **وجه السّماع للناسك يقول:** جَعلت ملائكة الحق تلك الرّماح، يعني تلك المكاره، منصوبة على البطاح يعني محفوفة بالجنة؛ وأراد بذكر البطاح هنا كناية عن الكثيب الذي يخرج إليه أهل الجنة عند زيارتهم للحق. يقول: كأنّ تلك الأعمال الصالحة التي من طبع النفوس كرَاهتها تشبه زهر الرّبى، يعني كأنها رياحين ذلك الكثيب أو عشبه لأنه محفوف به.
- ❖ **وجه السّماع فيه للسالك فيه يقول:** نصب الشيوخ للمريدين السالكين تلك المخالفات والمجاهدات والرياضات لتتزكى نفوسهم، وتطمئن عند سكونها إلى الحق - تعالى- فلا تخرج بالوساوس عن الحضور مع الله - تعالى-، فجعل هذه الأشياء بمنزلة الرّماح المنصوبة على البطاح.
- ❖ **وجه السّماع للمحبّ فيه يقول:** إنّ حضرة المحبوب محفوفة بموانع كثيرة، لأنّ بلايا العشق والمحبة لا يصبر عليها كلّ أحد؛ فمن لا يصبر على ما يمتحنه المحبوب ينقطع عنه ولا يصل إليه، لأنه ليس بمحب عاشق؛ فلو ملّ منها أو اشتكى أو أراد خلاف ما يريده المحبوب به لم يكن كاملا في عشقه؛ وقال بن الفارض - رضي الله عنه ونفعنا ببركات أنفاسه الطاهرة-:

ويمنعني شكواي حسن تصبّري — ولو أشك ما بي للأعادي لأشكت
وعقبى اصطباري في هواك حميدة — عليك وأمّا عنك غير حميدة

- ❖ **وجه السّماع للمجذوب فيه يقول:** أشهرتْ وأظهرتْ العنايات الإلهية بالعبد تلك التجليات العزيزة المرام العالية المقام على قلب العبد، فأشرقت أرضه بأنوارها في مقام "كنت سمعه وبصره ولسانه ويده"، كما تشرق وتزهو وتزهر أرض الرّبى بالأكمام والأزهار. شعر:

تحيــا بهـــم كـــل أرض ينزلـــون بهـــا   كــــــأنهم لـــــــبلاد الله أمطـــــــار

يعني تحيا أرض القلب بالتجليات الإلهية عند تنزل الحق – تعالى- علـى قلـوب عبـاده بـلا كيف ولا جهة – سبحانه وتعالى-.

5- يـا آل مَيَّــةَ مـا لكـم مـن حاجـة   بـــالبيض يـــوم تـــسلّ ميّـــة أعينـــا

❖ **وجه السّماع للناسك يقول:** يا طلاب الجنة ما لكم من حاجة بحِسان الدنيا، والجنة فيها من الحور العين ما لا عين رأت تلك المحاسن، ولا أذن سمعتها، ولا خطر على قلب بشر؛ يعـني: اتركوا طلب الدنيا والاشتغال بحسانها، وهي المعبّر عنها بالبيض، لتنالوا حِسان الجنـة، عبّـر عنها بالأعين، ولهذا قال: "يوم تسل فيه أعينا" يعني يوم تظهـِر لكم الجنة تلك الحور العين.

❖ **وجه السّماع فيه للسالك يقول:** يا آل ميّة، يعني يا أهل الطريق، مالكم من حاجة بـالبيض، يعني أي افتقاركم إلى الكشف عن أحوال الملائكة والنظـر إلـيهم، أو عـن مغيّبـات الأكـوان جميعها، أي لا حاجة لكم فيها إذا حصل لكم الاشتغال بتجلي الحق – تعالى- عنـدما تظهـر لكم العناية الإلهية أعين ينابيع المعارف، فتجرى من قلـوبكم علـى لـسانكم كمـا قـال عليـه السلام: (من أخلص لله أربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه) [1] فجعـل ميّة كناية عن الطريق؛ وجعل البيض كناية عن الكشف عن أحـوال المـلأ الأعلـى، أو علـى علم مغيّبات الأكوان؛ وجعل "يوم تسل ميّة أعينا" عبارة عن حـال ظهـور الينـابيع مـن قلـب العبد على لسانه. فميّة هنا يسوغ أنْ تحمل على الطريـق وسـلوكه، ويـسوغ أن تحمـل علـى العناية الإلهية، فإنّ هذه الأمور بين كسبيات ووهبيات، والكسبي راجـع إلى الـوهبي. وجعـل أعينا عبارة عن ينابيع عيون المعـارف والحكمـة، يعـني: أيّ حاجـة لكـم بمعرفـة الأكـوان إذا حصلت لكم معرفة الله – تعالى-؟

❖ **وجه السّماع للمحبّ فيه يقول:** يا أل ميّة، يعني يا أيتها البلايا والمحن الملازمة للعاشق ما لكم من حاجة بالبيض، يعني أيّ افتقار لكم بإشهار تلك السيوف على العاشق لهلاكه وهو هالك

---

(1) رواه أبو نعيم وأحمد.

من نظرات محبوبه عندما كشف الغطاء عن جماله، وإلى ذلك الإشارة بقوله: "يوم تسل ميّة أعيناً" فلا حاجة بعدها في قتله إلى سيوف الهجر والبلايا والمحن، لأنه مقتول من أول قَدَم.

- **وجه السّماع للمجذوب فيه يقول: يا** آل ميّة، يعني يا أهل الوراثة المحمدية من الأفراد والأقطاب، ما لكم من حاجة إلى الكرامات وخرق العادات، وقد عمّتكم الأنوار الإلهية بأنْ أثمر لكم القرب أنْ كان الله معكم وبصركم ويدكم ولسانكم إلى سائر الجوراح التي أشار إليها الحديث، يعني أيّ افتقار يوم بعد هذا إلى تقوية النفس بالخوارق، فإن تلك الأشياء إنما تكون للضعفاء حتى يستقيموا على الطريق ولا يرجعوا القهقرى، وأمّا الكمّل فلا حاجة لهم إلى ذلك فلا يطلبوها.

6- فعلت بنا تلك اللحاظ السود ما   لم تفعلوا بالبيض في أهل الخنا

- **وجه السّماع للناسك فيه يقول:** إنّ الاشتغال بحسان الدنيا يفعل بالعبد فعلا أضرّ من فعل السيوف بأهل الخنا، يعني بأهل الجنايات والخيانات، لأنه لمّا منع في البيت عن الاشتغال بحسان الدنيا في قوله "ما لكم من حاجة بالبيض"، رجع يحكي عن نفسه بما كان سببًا لمنعهم فقال: "فعلت بنا تلك اللحاظ السود" يعني حسان الدنيا "ما لم تفعلوا بالبيض" يعني بالسيوف "في أهل الخنا"، المراد أنّ حبهن مُملِك للفتى ومُتلف لدينه ودنياه.
- **وجه السّماع للسالك فيه يقول:** فعلتْ بنا تلك اللحاظ السود يعني الكشف عن عوالم الملكوت لمن وقف معها، تفعل ما لا تفعله البيض والرّماح، يعني أنها تهلك السالك وتقتله فيموت دون الوصول إلى الله - تعالى-، فعدم الكشف عن عوالم الملكوت قبل الوصول رحمة في حق الأكثرين لأنّ ذلك يقطع عن الترقي في الغالب.
- **وجه السّماع للمحبّ فيه يقول** مخاطبا للبلايا والمحن اللازمة للعشق: يعني أقصروا أو طوّلوا فقد فعلتْ بنا لواحظ المحبوب، يعني نظراته، ما تفعله هذه البلايا الظاهرة في العشاق من المهالك والإتلاف، فإنّ نظرات المحبوب تذهب بلبّه، والبلايا والمحن العشقية تتلف الجسم؛ وكم بين إتلاف الروح واللبّ وإتلاف الجسم، فهي تفعل ما لا تفعله هذه.
- **وجه السّماع للمجذوب فيه يقول:** إنّ للكمّل من الثبات واليقين بالأمور المعنوية الحاصلة من نتيجة مقام "كنت سمعه" ما لم يكن لأهل الكرامات الخارقة قدر من أرباب الأحوال.

فجعل قوله "فعلت بنا" عبارة عن التثبيت والتمكين، أيْ مكـّنتنا وثبـّتـتـنا تلك اللحاظ السود، يعني تلك الأمور المعنوية الحاصلة بالملاحظة بالوجدان وبالعلم ما لم تثبت الكرامات لأربـاب الأحوال، لأنهم إنْ تنكـّر عليهم حالهم فقدوها وتأسفوا على فراقها، بخلاف الكمّل من أهل الله - تعالى- فإنهم لا يتنكـّر عليهم حال البتة، فلا يفارقون ما وجدوه، ولـيس لهـم تأسـف على شيء، لأنّالوجود بأجمعه موجود فيهم، فلا تطلـّع لهم إلى شـيء سـواهم؛ قـال الـشاعر (أبو نواس):

لــــــيس علــــــى الله بمـــــستنكر   أن يجمـــــع العـــــالم في واحــــــد

القصيدة السادسة وهي سبعة أبيات في منهج العتب

1- بالله مـتى نقــضتم ميثاقــى   يـا مــن سـكنوا الـسواد مـن احـداقى

- **وجه السّماع فيه للناسك يقول** لنفسه وشيطانه وهواه: متى نقضتم؟ يعني: كيف احتلتم عليّ بنقض توبتي؟ أو بنقض عهدي الذي عاهدته ربّي أنْ لا أتخلف عن عبادته ولا أكسل عنهـا؟ وأنتم بالله متى نقضتم عليّ ذلك؟ أعلِموني لأني أجد فـترة في نفـسي وكـسلا، فكـأنّ ذلـك الميثاق منقوض بسببكم.
- **وجه السّماع للسالك يقول** لنفسه عن لسان حاله مع ربه، فكأنّ المتكلم هنا هو الحق والعبد هو السامع لأنه يرى الحركات والسكنات بقدرة الله - تعالى- وإرادته، فإذا سمـع مثـل هـذا الكلام قد يحمله على ما يستحقه حاله من العتاب، فيقع عنده كأنّ ذلك لـسان الحـق يعاتبـه فيما بينه وبين ربّه، فكأنه بقال لـه: متـى نقـضتَ ميثـاق الأزل حيـث عاهـدتنا أنْ لا معبـود سوانا؟ كيف تنقضه وأنت بأعيننا لأنك إنْ التفتّ إلى غيرنا فقد نقضت، فمتى أبيح لك هـذا النقض وأنت بأعيننا؟ وإليه الإشارة بقوله: "يا من سكنوا السواد من أحداقي".
- **وجه السّماع للمحبّ فيه يقول** مخاطبا لربـه بلـسان التعظـيم: يـا مـن سـكنوا الـسواد مـن أحداقي، يريد بالسكنى هنا عبارة عن ظهور الأثر، يعني: يا من أراني آثـاره بعـيني فـلا تـزال آثاره مشهودة لعيني، فكأنّ عيني محلّ ظهور آثاره ومسكنه. متـى نقـضتم علـيّ ميثـاقي الـذي

عاهدت في الأزل أنْ لا وجود حقيقة إلا لك، فلأيّ سرّ أرى موجودات متعدّدة؟ ورؤياي لها كأنه ينقض ذلك الميثاق.

- **وجه السّماع للمجذوب فيه:** أنه يريد مخاطبة تجليات الأسماء الذاتية، كتجلي الهويّة، وتجلي الأحدية من المجالي التي لا يكون للأسماء والصفات ظهور فيها، بل تتلاشى تحت أنوار هذه التجليات، فتنعدم أنوار جميع الأسماء والصفات كما تتلاشى وتنعدم آثار النجوم وأنوارها عند ظهور سلطان شمس النهار. فكأنّ المجذوب يخاطب هذه التجليات وكأنه يقول: متى نقضتم عليّ ما عهدته؟ يعني ما علمته من معارف تجليات الأسماء والصفات المتعدّدة إلا أنها تتلاشى تحت ظهور واحديه الحق، فانتقض عليه علمه، فظهر عكس ما كان يعلمه، وإلى هذا أشار (الحق – تعالى–) بقوله: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ﴾ [الزمر: 47].

2- ما كنتُ أخال عهدكم منقوضا   ما مثلكم يروغ عن ميثاقي

- **وجه السّماع للناسك** فيه مخاطبته نفسه وشيطانه وهواه المتَّبع: ما كنتُ أظنكم تنقضون عهدي إذ ما مثلكم – يعني نفسه– مَن يروغ عن ميثاقي لأنها تشقى بشقاوته. يقول: ما كان ينبغي لنفس الإنسان أنْ ينقض ميثاقه الذي عاهد الله به في الإقبال على العبادة، لأنّ ذلك سبب سعادة النفس، فما مثلها من يروغ عن ميثاقه الذي هو سبب سعادتها.
- **وجه السّماع للسالك** يقول بلسان الحق مخاطبا لنفسه: ما كنتُ أحبّ لكم أن يكون عهدكم الذي تعاهدونني به منقوضا بالتفاتكم إلى ما سواي، ما مثلكم من يروغ عن ميثاقي، لأنّ العبد ما شرطه أن يُخِل بما ينبغيّ عليه من الوفاء بالعهود والدوام على عبودية المعبود.
- **وجه السّماع للمحبّ** فيه يقول مخاطبا لربّه بقوله: "ما كنتُ أخال عهدكم منقوضا" يعني ما أعلم أنّ العهد المأخوذ في يوم "ألست بربكم؟" ينتقض مِنّا أبدا، لأنّ العالم يشهد لله – تعالى– بالربوبية وعاهده أنه ربّهم، وهو لم يزل في ربوبيت، وهم لم يزالوا عابدين له، لأن القائل – تعالى–: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾ [الإسراء: 44] فشهد للعالم بأجمعه أنهم مسبحون بحمده، والتسبيح عبادة، فهم على العهد المأخوذ ضرورة؛ فالعهد غير منقوض

أبدًا. فجعل قوله: "ما كنت أخال" بمعنى: ما كنت أعلم، لأنّ الظن قد يجئ بمعنى العلم قال - تعالى-: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾ [البقرة: 46] وهذا الظن إنما هو علم حقيقي لا ريب فيه."ما مثلكم يروغ عن ميثاقي": المخاطبة هنا للعالم التفاتا بيانيًا من مقام المتكلِّ إلى مقام المخاطَب بقول: ما مثلى ومثل العالم ممّن هو تحت قهر سلطان الأمر الإلهي يقدر أنْ يروغ عن ميثاق يأخذه الحق على العالم، يريد أنّ الموجودات تجرى بإرَادة الله - تعالى- حيث يريد، فهي لا تستطيع أنْ تروغ عن ذلك لأنها أقلّ وأحقر أنْ تقوى لمخالفته ونقض عهده، فهي على العهد المأخوذ. فما في الوجود إلإ مَن هو عبد لله - تعالى- قال: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56] وقال - عليه السلام-: (كلّ ميسّر لِما خُلِق له)[1] فحصلت النتيجة أنّ العالم يعبدون الله - تعالى- هذه العبادة عبادة بالضرورة؛ ولهم عبادة ثانية هي عبادة التشريع التي بواسطتها يُعرَف مَن نقض عهد الله المأخوذ عليه يوم قوله: ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ﴾ ومن لم ينقض. فالعبادة الأولى من حيث حقيقة الأشياء، والعبادة الثانية من حيث الأمر والتشريع، وعليها الاعتبار، وهي العلامة، وتسمى اختيارية وهي على الحقيقة ضرورية لأنها بقضائه وقدره وإرادته - تعالى-، فما مثلكم من يروغ عن ميثاق الحق.

- ❖ **وجه السّماع للمجذوب:** فيه مخاطبة تجليات أسماء الصفات وصفات الأفعال. يقول: ما كنتُ أظنّ قبل ظهور تجليات الأسماء الذاتية أنْ ينتقض عليّ ما أعلمه من المعارف المتعلقة بصفات الأفعال وبأسماء الصفات، ثمّ نزّه ذلك الجناب عن النقص والنقض، ليكون تنبيها أنّ ذلك إنما هو لظهور أسماء ذاتيّة ينعدم حكم سائر الأسماء والصفات عندها، فقال: ما مثلها ممّا يتعلق بالحق - تعالى- يكون بحيث أن ينتقض على العبد ما عرفه بواسطتها، فلا انتقاض حينئذ، وإلى هذا المعنى الإشارة بقوله: "ما مثلكم يروغ عن ميثاقي".

3- حَتّامَ رضتم بأنْ يشمتنا مَن يكره حسن حالة العُشاق

(1) حديث متفق عليه..

❖ **وجه السّماع للناسك** يخاطب نفسه وهواه يقول: حَتّام رضيتم بأنْ يشمتنا إبليس اللعين؟ وعنه كنّى بقوله: "مَن يكره حسن حالة العشاق"؛ يعني أنّ الشيطان لا يحبّ حسن حالة بني آدم لأنه ما طُرد إلا بسببهم، فهو لا يريد لهم خيرًا، فلأجل أيّ شيء رضيتم أنْ يشمتنا هذا العدوّ بغفلتكم عن الله - تعالى-؟

❖ **وجه السّماع للسالك** فيه يقول لنفسه مخاطبا لها عن ربّه: حتام رضيتم بأنْ يشمت بكم مَن يكره حسن حالة محبّي الحق؟ فأرَاد بقوله: "من يكره" عبارة عن الهوى والنفس والشهوة والشيطان والدنيا والعقل القاطع عن كشف الأمور الإلهية. يقول مخاطبا لنفسه وأمثاله كأنه يقول لهم بلسان الحق: التفتم إلى ما سوى الحق حتى يتحكّم فيكم كل واحد من هؤلاء، فالتفاتكم إلى ما سوى الله - تعالى- سلّط عليكم هذه البلايا، فلو فرَغتم عن العالم وما فيه وأفردتم شهود الحق، وكانت الأشياء عندكم كأنْ لم تكن، ووجدتم البقاء لله - تعالى- كأن لم يزل حاضرا بغير حلول، وله الوجود الصرف، لكان حينئذ عدوّكم مقهورا، وكانت قلوبكم منزّهة عن دخول هؤلاء الأنجاس الأرجاس، فحتام رضيتم بالالتفات فدخلوا قلوبكم فشمتوها؟ فأضاف النون إلى الحق في نفسه عند مخاطبته بقوله: "يشمتنا"، لأنّ القلب محل تجلي الربّ، وقلب المؤمن عرش الله - تعالى- فأضافه إلى الحق لأجل هذه التشبيه.

❖ **وجه السّماع فيه للمحبّ** يقول: حتام رضيتم بأنْ يشمتنا؟ يستفهم من علم الله - تعالى- عزّ وجلّ ما السرّ في أنّ العالم إذا أمر عليهم الحق بلسان التشريع أمكنهم أن لا يفعلوا ما أمِروا به، فعصوه بذلك، حتى إذا خالفوه نسب إليهم العصيان، وهو لو أمر بما شاء لا تمكنهم مخالفته لأنّ أمره نافذ - تعالى-. فيقول هذا المحب مستفهمًا: لأيّ سرّ أشمت بي يا ربّي مَن يكره أن أصل إليك، يعني الشيطان؛ ولأيّ سرّ رضيت لنا بذلك ونحن ممّن يُنسب إلى محبتك وعبوديتك؟ وهذا الاستفهام لطلب معرفة مراد الله - تعالى- لا للاعتراض، لعلّه يجد في ذلك سرّا من أسرار عناية الله - تعالى- بعباده، فيظهر له أن في ذلك قرب له إلى الله - تعالى-.

❖ **وجه السّماع فيه للمجذوب** يقول: إنّ التجليات الصفاتية التي من روائها تجلى الأحدية ما لها نهاية، وليس لها غاية تدرك للمخلوق؛ ولو ترقى إلى تجليات الذات فإنه لم يستكمل معرفة تجليات الصفات لأنها لا نهاية لها، فهو إذا ترقى إلى التجليات الذاتية وافتقد بعد ذلك نفسه

في التجليات الصفاتية وجد نفسه عاجزًا عن إدراكها،فكأنّالنفس تشمت حينئذ لعلمها بعدم حصول مطلوبه.

قد جرّعنى الجفا سموما هلا دارت بكؤوس وصلكم ترياقي

- **وجه السّماع للناسك** يقول: شربتُ سموم المعاصي في الغفلة، هلا دارت عليّ كؤوس الطاعات التي هي ترياق القلوب فأحيى من موت الغفلة بالحضور بين يدي الله - تعالى-؟
- **وجه السّماع للسالك** يقول مخاطبا لنفسه عن ربه ومعاتبا لها في الفترة وعدم بذل الاستطاعة في المجاهدة والرياضة والمراقبة، فكأنه يقال له: قد مضى عدم رضانا بغفلة قلبك عنّا، هلا فعلتَ ما يرضينا عنك بالإقبال علينا؟ فجعل الغفلة عن الله كالجفا، وجعل الإقبال عليه كالوصاال.
- **وجه** السّماع للمحبّ فيه يقول مخاطبا لربّه: قد هلكتُ من البعد والحجاب، وتجرّعتُ لذلك سموما قاتلة تهلك قلبي وتميته دون الحياة بمعرفتك وشهودك، "فهلا دارت بكؤوس وصلكم ترياقي" يعني أفلا يحصل من خزائن الجود بسابق عناية أزلية تسقيني من شراب الوصال ترياق خمرة أشتفي بها من مرض الجهل بالله، فأحيا حياة الأبد عند الله - تعالى-؟
- **وجه السّماع للمجذوب** فيه يقول: قد جرّعنى الجفا سموما، يعني هلكتُ من تجرّع سموم العجز عند طلبي الاتصاف بأوصاف الحق - تعالى- حين أجدني عاجزا عن بلوغ ذلك، فأكون كالميّت؛ "هلا دارت بكؤوس وصلكم ترياقي" يقول: هلا يعني: أفلا كان الاشتغال بأسرار الله في ذاتي أفضل من اشتغالي بعجز ذاتي، فإني إذا نظرتُ إلى اللطائف الإلهية المودعة في ذاتي من غير حلول، عشت وفرحت بالاتصاف لأنّ بواسطة تلك الأسرار الإلهية يمكن للعبد أنْ يتصف بصفات الباري، وإذا نظرتُ إلى نفسي وعجزها تجرّعتُ سموم الهلاك قائلا: (العجز عن درك الإدراك إدراك) [1]، فجعل نظره إلى سرّ الحق بمثابة كؤوس الوصال، ونظره إلى نفسه بمثابة الجفا.

5- لو أنصفَ في هواكم قاضينا ما غيّب عن جمالكم أمارقي

---

(1) كلمة منسوبة إلى أبي بكر الصدذيق- رضي الله عنه-.

❖ **وجه السّماع للناسك** فيه يقول: لو أنصفتْ نفسي الأمّارة ما غيّبتني عن الطاعات بأنْ غفلتُ عنها.

❖ **وجه السّماع للسالك** فيه يقول مخاطبا لنفسه عن ربّه: لو أنصفَ في محبتكم لي مَن قضى بذلك، يعني العشق المتعلق بكم فينا لو أنصف في دعواه لما غيّب عينكم عن النور الإلهي الذي به جمالكم وكمالكم، يعني لَما نزلتم إلى الالتفات إلى الأكوان طرفة عين، بل كنتم ذهبتم في الله مع الذاهبين.

❖ **وجه السّماع للمحبّ** فيه يقول مخاطبا لربّه: لو حصل لي الإنصاف في محبتك من قواي وجوارحي، يعني لو ساعدوني ما غيّبت عن جمالكم أماقي، يعني ما كنت غبت عن شهود كمالكم، لكن قواي وجوارحي عاجزين عن ذلك، فهم يستمدّون من أنوارك ما يؤهّلنا لمطالعة جلالك.

❖ وجه السّماع للمجذوب فيه يقول: إنّ الإنسان من حيث هو هو، ليس له مسايرة الحق - تعالى- فيما يعرف به نفسه؛ فلو عرف من الله - تعالى- ما عرف فإنّ معرفته ترجع إلى القصور والعجز. ومن ادّعى كمال المعرفة بالله فهو كذاب، لأنه لو كان ذلك حاصلا لما غيبت عن جمالكم أماقي، يعني لو كان يمكن أن يعرفه العبد حق المعرفة لما كانت تلتحق به أحكام الكونية، وهي لاحقة به أبدا، فلا قابلية له أن يعرف الله - تعالى- حق معرفته. فجعل قوله: "لو أنصف في هواكم قاضيناً" عبارة عن إعطاء الحقائق الإلهية حقها بحقّ المعرفة لها من العبد، وجعل قوله: "ما غيّبت عن جمالكم أماقي" عبارة عن عدم لحوق حكم الكونية بالعبد وهذا مُحال، فالأوّل مُحال. وزبدة الكلام أنه يقول معنى القائل: (ما عرفناك حقّ معرفتك).

قد أحرَقني الزفير لمّا غبتم والدّمع يريد في الهوى إغراقي

❖ **وجه السّماع للناسك** يقول: إنّ الندم على أيّام الغفلة أحرقني بناره، وزفيره والدمع يعني بكائي من التأسف على التفريط يريد أنْ يستغرق باقي عمري.

❖ **وجه السّماع للسالك** فيه يقول مخاطبا لنفسه عن ربّه، فكأنه يقال له: قد تأذينا بمغيبك عن حضرتنا، والغفلة تريد أن تهلك قلبك الذي هو عرش ظهورنا لك، فتغرق في غمرة الهلاك.

فجعل الإحراق كناية عن التأذي؛ وجعل الدمع كناية عن الغفلة، لأنّ البكاء من لوازم البعد، ومَن قال أنّ البكاء من لوازم الوصال أيضا فليس كذلك، وما يحصل للمتحابين من البكاء عند الاجتماع فإنما هو من بقيّة آثار الفراق، لأنّ القلب كان مجروحًا مكلومًا بالفراق، وفيه كآبات وامتحانات عظيمة لأيّام البعاد، فلمّا شعر بانقضاء مدة الفراق أخرج ما بقي من النفس من فضلات صبابات الاحتراق بالضرورة، لأنّ السرور المستولي على القلب ما وسعه المحلّ أن يكون هو مع ما بقى من الحزن في موضع واحد، فخرج الدّمع بما كان في القلب من الأشجان والأحزان طبعا.

- ❖ **وجه السّماع للمحبّ** فيه يقول مخاطبا لربّه: قد حرقتْ بنار زفرات الأشواق إليّ مطالعة جمالك، وبكيتُ في محبتك إلى أن كاد الدمع أن يستغرق أحوالي كلها، فانظر إليّ بنظر اللطف والعناية فأنت أرحم الراحمين.
- ❖ **وجه السّماع للمجذوب** فيه يقول: قد فنيتْ ذاتي وانطمست صفاتي بتواتر ورود سطوات الجلال، وتتابع ظهور آثار الكمال على قلبي، حتى احترق وجودي وتلاشى؛ عبّر بذلك عن مقام السّحق والمحق. "والدمع يريد في الهوى إغراقي" يعني واستغراق وجودي آثار الشهود بما أشار إليه - عليه السلام- في قوله: (كنت سمعه وبصره ويده ولسانه)، فجعل الإحراق عبارة عن محوه وسحقه ومحقه، وجعل الدمع عبارة عن آثار الشهود لأنهما ملزومان بالبصر والبصر لازمهما. وأراد بالإغراق شمول ظهور الآثار على جوراحه، فكأنه مستغرق في بحر آثار الشهود.

7- ما ذنب محبّكم إذا ما ختنتم عهدي وأنا على ودادي باقي

- ❖ **وجه السّماع للناسك** فيه يقول لنفسه: ما ذنب مَن يحبك ويعمل في حصول سعادتك الكبرى أنْ تشقيه وتخوني عهده فيما بينه وبين ربه، وهو مع هذا باق على محبتك يطلب صلاحك بما يقرّبك إلى الله - تعالى- ويدخلك الجنة.
- ❖ **وجه السّماع للسالك** فيه يقول مخاطبا لنفسه عن ربّه فكأنه يقال له: لِمَ تغفل عن شهودنا بشهود غيرنا فتخون عهد الأحدية وأنا على محبتي لك باقي كما ذكرته في الكلام المجيد حيث

قلت: ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: 54] فأنا أحبّ عبادي، فهل يليق أنْ تخون مولاك وهو يحبّك؟

- ❖ **وجه السّماع للمحبّ** فيه يقول مخاطبا لربّه: ما بلغ ذنب محبّك إلى أن تجعلني خائنا لعهدي الذي عهدت إليك في الأزل، على أنى باق على محبتي لك؛ معناه أنّ المعاصي وغيرها من أشباه الغفلات والفترات ما تبلغ في العقوبة إلى حدّ يكون ذلك سببًا لنقض عهد المؤمن فيما بينه وبين الله – تعالى–؛ يشير إلى ما قد قالته العلماء: (ولا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب)، يعني: ولا يطعن في حفظ العهد ما صدر منا من الغفلة أو الالتفات بل الأصول محفوظة.
- ❖ **وجه السّماع للمجذوب** فيه يقول: ما العلّة أني لا أتمكّن من أظهار سائر ما اتصفتُ به على التمام والكمال، ومع هذا أني متصف حقيقة الاتصاف؟ فما الأمر المانع من إظهار كمال ذلك؟ فجعل خيانة العهد كناية عن عدم استيفائه شروط إظهار الاتصاف بحقيقة ما تقتضيه تلك الأوصاف؛ وجعل قوله "وأنا على ودادي باقي" كناية عن حال كونه متصفا اتصافًا حقيقيا، فأراد معرفة العلة، وإنما هي حكم مخلوقيته.

القصيدة السابعة خمسة أبيات وهي:

1- لا تعْجلـــي إنّ التفـــرق واقـــع وتجـــمّلي فالعـــمر مـا هـــو راجـــع

- ❖ **وجه السّماع للناسك** فيه مخاطبة نفسه يقول لها: لا تطلبي عاجل لذّات الدنيا لأنها فانية، إذا ذهب وقتها لا ترجع، فلا ينبغي أن يشتغل العاقل بها، بل الرجل من زهد فيها.
- ❖ **وجه السّماع للسالك** فيه يقول لنفسه: لا تعجلي في طلب الوصول، بل اصبري على مكابدة المجاهدات والرياضات والمخالفات مع الأنفاس، ولا تضيّعي نفيس العمر بالأماني فإنّ ما مضى منه لا يرجع ولا يعود، لأنك إنْ استعجلتِ ذلك فقد اعترضتِ وجعلتِ لك إرادة خلاف إرادة مولاك، فالمصلحة تفويض الأمر إليه وعدم التعجيل، فتجمّلي مدة الحياة إلى أنْ يكشف الله عنك الغطاء وقد أدّيت حق العبودية.

- **وجه السّماع للمحبّ** فيه يقول لنفسه مخاطبا لها عن ربّه: لا تعجلي بالرّجوع عن الحضور بين أيدينا إلى ذكر نفسك، لأنّ من شرائط العشق والمحبة أنْ لا يخطر ببالك ذكر نفسك، ولا ذكر شيء من العالم بأجمعه، بل من كمال شرائط العشق أنْ لا يكون لك شعور بشيء من الأكوان بحال، بل تكون مستهترا في عشقنا فانيا عمّا سوانا. وإذا لم تكن كذلك يقع دوام الحجاب فيما بينك وبيننا، ولا ترانا، وإليه الإشارة بقوله: "إنّ التفرّق واقع" يعني إذا لم تصبري على مجالستنا يقع الفراق والحجاب، "وتجمّلي فالعمر ما هو راجع" يعني أنّ كل نفس مِن هذا الأنفاس الصادرة منك إذا صدرت وأنت غافل عن كمال ما يقتضيه مقام العشق من الاستهتار فينا فإنها لا ترجع إليك، ويبقى فواتها نقصا في مقام العشق عليك. وكذلك إن صدرت وأنت مستوف لشرائط العشق فإنها تكون شاهدة لك بكمال مقامك، فاستغنم الأنفاس في دوام ملاحظة الجمال الأنفس.
- **وجه السّماع للمجذوب** فيه يقول لجسمانيته: لا تعجلي بإظهار آثار كمال الاتصاف، فإنّ الكون هذا ليس في قابليته أنْ يستوفي ما لله في أوصافه؛ ثم إنّ العالم الدنياوي أيضا لا يسع ظهور ذلك، فإذا انتقل العبد إلى المحل المشار إليه بقوله - تعالى-: ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: 55] أمكنه حينئذ أنْ يظهر ما اتصف به، لأنّ تلك الدار محلّ الكشف ورفع الحجاب، وهذه الدار محلّ الحجاب والتحجير، فلا تعجلي يا جوراح "إن التفرق واقع" بلزوم أحكام البشرية،إذ ليس للعبد في أوصاف الحق ما له فيها، فلا بدّ من العجز ليحصل الفرق بين المتصف بالصفة والموصوف بها لذاته، "وتجمّلي" بملاحظة الكمال، يعني اكتسبي جمال الحق بملاحظته، فإنّ بالانسلاخ من هذه الدار يظهر لك سرّ ذلك وتتحكم في آثار ما تتصف به، فتظهر ما تشاء وتخفي ما تشاء، فتجمّلي يعني اكتسبي هذا الكمال والجمال، واسعي في زيادة هذا الكسب، وإذا انتقلتِ من هذه الدار بقيتِ في المقام الذي قبضتِ عليه وفاتك زيادات كثيرة، فاستغنمي مدّة العمر فإنه إنْ مضى لا رجوع له.

2- لا تفجعينا بالهموم وبالأسىَ   إنّ الهموم لمن فجعت توابع

- ❖ **وجه السّماع للناسك** فيه يقول لنفسه: لا تفجعينا بهموم الرزق وأشغال الدنيا، "إنّ الهموم لمن فجعت توابع" يعني إذا خشي المرء على نفسه من الفوات تبعته كل الهموم، وإذا توكل على الله وسمح بنفسه لله فرغ عن كلّ هم وبقى مراحا.
- ❖ **وجه السّماع للسالك** فيه يقول لنفسه: لا يهولك ارتكاب الأهوال، ولا ترجعي عن أمر يهوى لك في مخالفات النفس وفي سلوك طريق القوم، فإنّ المرء إذا كان جبانا عن ارتكاب الهول لقيتْ الهموم المتفرّقة إليه طريقا؛ وإذا كان شجاعا في الطريق لا يلتفت على ما وقع تنفني عنه الهموم المتفرّقة ويجتمع همّه على الله – تعالى- وحده، كما قال بعض الأولياء – رضي الله عنه-:

كانت لقلبي أهواء متفرّقة فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائي

- ❖ لأنّ السالك إذا لم يكن له همّ إلا الله – تعالى- وحده سهل عليه ارتكاب المشاق لأنه لا يهمّه هلاك نفسه ولا يبالى بما يصيبها.
- ❖ **وجه السّماع للمحبّ** فيه يقول مجاوبا لِما خوطب به، فكأنه يناجي صفات الله – تعالى- يقول: لا تفجعينا بهموم استيفاء شرائط الذي أشرت إليه، فإني إذا اشتغلتُ بذلك شُغلت عن ملاحظة الكمال، وإليه الإشارة بقوله: "إنّ الهموم لما فجعت توابع" يعني فلا تظهري لنا شرائط العشق في صورة تهولنا بك، سهلي لنا تلك المصاعب، وتفضلي علينا بالجذب إلى ذلك الجناب، يخاطب بلفظ التأنيث نظرا إلى مقتضيات الأسماء والصفات.
- ❖ **وجه السّماع للمجذوب** فيه يقول مخاطبا لجسمانيته: لا تفجعي بذكري لنقصك وكمال الله – تعالى- فتخنسي عن طلب الاتصاف بصفات الله – تعالى- كما ينبغي، بل لك أنْ تطلبي مِن الحق عين التخلق بأخلاقه، فإنّ لله عناية بك حيث أهّلك وقرّبك إلى مقام "كنت سمعه وبصره ويده ولسانه"؛ فبسرّ هذه الكينونة لا بأس عليك لو أعليت همّتك في طلب حقيقة الاتصاف، فإنّ الله – تعالى- يحبّ أنْ يطلبه عبده لأنه لا يتناهى، كنّى بقوله "تفجعينا بالهموم وبالنوى" يعني باهتمامك بعجزك وبُعد المطلوب الذي لا نهاية له، لا تدخلك الفجيعة فتشتغلي بها عن الكمال، فتكسر زجاجة الهمّة. "إنّ الهموم لمن فجعت توابع" يعني الاهتمام بما اشرنا إليه من حكم العجز الخلقي توابع، فلا حاجة إلى اجتلابه بزيادة ملاحظة ذلك، بل

ينبغي للكامل ملاحظة كمال الباري - تعالى- ليكتسب منه ما يليق به من الاتصاف بالكمال الإلهي، مع علمه بمقام عجز من غير جحود بل بغيبوبته عن ذلك لاستغراقه في تجليات الباري - عز وجلّ- من غير فناء، بل في مقامات البقاء والتمكين بالتمييز التام في الأفق المبين.

3- يا أمّ عَمْرو أسعدي وتعطفي زمنا قليلا للذي هو طامع

- **وجه السّماع للناسك** فيه يقول لنفسه: "أسعدى وتعطفي" يعني ساعدينى وأقبلى على عبادة الله - تعالى- مدّة الحياة.
- **وجه السّماع للسالك** فيه يقول لروحه: أسعديني وساعدينى بظهور السر الإلهي الموجود فيك، وتعطفي على هيكلي بظهور الأحكام الروحية على هيكلي حتى لا أخلد إلى الأرض بسبب الشهوانيات، بل أرتاض الأيام والليالى بالجوع وقلّة الهجوع، وأمثالها من الأمور التي هي في قوّة الروح لا في طاقة الجسم.
- **وجه السّماع للمحبّ** فيه يقول مخاطبا لأمّ الكتاب: يا أمّ عمرو أسعدي وتعطفي يخاطب العلم الإلهي، فإذا كان في العلم سعادة إنسان بإقبال الحق عليه وجد ذلك الإنسان في العالم على تلك الحالة فكنّى بعمرو عن الكتاب.
- **وجه السّماع والمقصد للمجذوب** فيه يقول لجسمانيته: يا أمّ عمرو اأسعدى نفسك بدوام إظهار أنوار الكمالات الإلهية المودعة فيك بغير حلول من مقام "كنت سمعه ويده ولسانه"، أظهر آثار القرب على جوارحك فتظفر بمقام الكمال الإنساني فإنّ الطمع باق ما دام الإنسان موجودا في هذه الدار، فإذا ارتحل قبّض على ما قبض فتكون ترقياته دون الحيطة والكمال بهذا المقام عند الكبير المتعال.

4- ما للحياة إذا ارتحلتِ لذاذة هلا أقمتِ ليشتفي بك والع

- **وجه السّماع للناسك** يقول لنفسه: ما لحياة المرء لذة إذا لم يقبل على العبادة، فإذا رحل عن العبادة تبقى حياته بغير فائدة فلا لذة فيها للعابد؛ هلا أقمتِ أيتها النفس على الإقبال والدوام في العبادة ليشتفي بفعلك متولّع بعبودية الحق – تعالى-.
- **وجه السّماع للسالك** فيه يقول: ما لحياة القلب ظهور وزيادة وسريان بأنواع المعارف إذا لم يستقم السالك على جادّة الطريق بأنواع المخالفات والمجاهدات والرياضات والمراقبات الاستقامة الكـّلية ظاهرا وباطنا.
- **وجه السّماع للمحبّ** فيه يقول مخاطبا لربّه: ما لحياة المرء في الدنيا أو في الآخرة لذة إذا غبت عنه بأنواع الحجب؛ ثم طلب كشف الحجاب عن ذلك الحال بقوله: "هلا أقمت ليشتفي بك والع" أي هلا ظهرت بجمالك لكى يشفي قلب متولع بك.
- **وجه السّماع للمجذوب** فيه يقول لجسمانيته: ما للحياة بالله لذة كاملة إذا لم تظهر آثار تلك الحياة على العبد في سائر جوارحه، فتكون الرجل لها الخطوة، واليد لها إبراء الأكمه والأبرص، وكذلك كلّ جارحة بما تقتضيه. فجعل الرحيل بمعنى عدم ظهور الأثر لأنّ الرّاحل كلا يكون له أثر في المكان، وجعل الإقامة بمعنى ظهور آثار الحياة بالله على العبد الكامل.

5- زمن الحياة قليلة فتصبّري   وتصنعي ما أنت بعدى صانع

- **وجه السّماع للناسك** يقول لنفسه: إن مدّة العمر قليلة فتصبّري على مشاق التكليف لتعملي في الجنة ما تريدين إذا خرجت من دار الدنيا وأنت سالمة من أفعال المعاصي.
- **وجه السّماع للسالك** فيه يقول مخاطبة لنفسه: إنّ كلف الطريق إلى حصول حياة القلب قليلة، وإنّ الشخص ليقطع الطريق كله إذا حصلت الاستقامة بمدة يسيرة، فتصبّري؛ وإذا وصلتِ إلى الله – تعالى- وزالت العلل وظهر أثر الوصل على جوراحك فتصنعي بعد ذلك ما أنتِ صانعة يعني افعلي بعد ذلك ما أردت من أكل الطيب، ولبس الحسن والترفّه في الملبس والمسكن، وأمّا قبل ذلك فاصبري على أحكام الطريق.
- **وجه السّماع للمحبّ** فيه يقول لنفسه مخاطبا لها عن ربّه على نسق الجواب لها عن البيت الأوّل: زمن حياة الدنيا التي هي دار الحجاب قليلة فتصبّري فيها على محن العشق وبلايا

المحبة حتى تصِلي إلى دار الكشف والكرامة، فاطلبي فيها ما أنت طالبة من أنواع الشهود والوجود ليحصل ذلك على حسب المراد لأنّ الدار تقتضى ذلك.

❖ **وجه السّماع للمجذوب** فيه يقول لجسمانيته باعتبار مّا في مقام التمكين: إنّ مدّة الدنيا قليلة فتصبّري فيها من أظهار الكرامات وخرق العادات، لأنها دار العبودية والتكليف، فلا تفعلي فيها ما لا تقتضيه الدار، وتصنعي إذا رحلت بعد ذلك في الدار الآخرة ما أنت صانعة من ذلك، فلا حجر عليك هنالك لأنها دار إظهار الربوبية التي كانت باطنة في العبد بغير حلول في دار الدنيا. ألا ترى أنّ كلّ واحد من أهل الجنة له فيها ما يشاء فيقول للشيء: "كن" فيكون، وهذا الأمر هو من خصائص الربوبية، فافهم.

القصيدة الثامنة أربعة أبيات

1- أحبّ وميض البرق إن لاح من نجد وأرعاه إنْ لألأ على الغور من بُعْد

❖ **وجه السّماع للناسك** فيه يقول: أحب امتثال الأمر بلزوم الطاعة، وأرعى حدود الله - تعالى- بترك المعاصيح فجعل نجدا مؤوّلا بالأمر بالطاعات، وجعل الغور معبّرا عن النهي عن المعاصي، لأنّ نجدا هو ما ارتفع من الأرض فهو مناسب لثواب الطاعة في الدرجات العلى، والغور هو ما انخفض من الأرض فهو مناسب لعقاب المعاصي.

❖ **وجه السّماع للسالك** فيه يقول: أنا مع الإرادة الإلهية، قد سلّمتُ إليها عنان أمري، فأنا تبع لها، فأحبّ مراد الحق - تعالى-، فإنْ أراد مني القرب والاختصاص فمرادي ما أراد، وإنْ أراد منى البعد والحجاب فأنى لا أريد إلا مراده، فلا اعتراض لي عليه ولا تحكّم لي لديه .
وقال الأمام شرف الدين عمر بن الفارض:

لكِ الحُكم في أمري فما شئت فاصنعى فلم يك إلا فيك لا عنكِ رغبتي

❖ المراد من قوله في النصف الأوّل: "فما شئت فاصنعي"، وأمّا النصف الثاني فهو لو جعل لنفسه رغبة فيه فإنّ ذلك لا يعطى أنه طلب الوصال، أو طلب منه شيئا، بل لا يقدح في أنه لا إرادة له إلا مراد الحبيب، فليتأمل.

❖ **وجه السّماع للمحبّ** فيه يقول: حيث ظهر المحبوب في صفة فإني عندها، فإنْ تجلى لي في صفة جمال فإني مستغرق في شهود الجمال، وإنْ تجلى لي في صفة جلال فإني مستهلك في وجود الجلال؛ وذكر لفظة "البعد" في ما عبّر عنه بالجلال، لأنّ ذلك أعز في الناس، لأنّ القليل من عرف جلال الله – تعالى–، إذ الخلق كلهم إنما عرفوه من حيث جماله، فلا يطيق لمعرفته من حيث الجلال إلا الخاصّة من عباده.

❖ **وجه السّماع فيه للمجذوب** يقول: أنا مع الشأن الإلهي بحسب ما يقتضيه الحق مني، فإنْ كان الشأن يقتضي مني التحدّي وخرق العادة كنتُ بحسَبه، وإنْ اقتضى السكون وعدم الظهور بإسبال رداء العبودية والبقاء على الأوصاف الخلقية كنتُ بحسَبه، فلا أفعل إلا ما اقتضاه الشأن الإلهي مني، وإلى هذا المعنى أشار الإمام محيى الدين عبد القادر الكيلاني – رضى الله عنه– بقوله: (والله ما أكلتُ حتى قيل لي: "بحقي عليك كُلْ"، ولا شربتُ حتى قيل لى: "اشربْ بحقي عليك") يريد أنه لم يفعل شيئا مما نسب إليه من خرق العادات إلا عن أمر إلهي، وإلا لكان ذلك مشعِرا بالنقص، وحاشا مقامه الكريم عن ذلك. فجعل الوميض عبارة عن الاقتضاء، وجعل البرق كناية عن الشأن الإلهي، وجعل نجدا عبارة عن الاشتغال بظهور الكرامات والتحدّي بأعلى المقامات، وجعل الغور كناية عن تنزّله إلى مقام العبودية، لأنّ الغور هو ما انخفض من الأرض.

2- وأهوى نسيم الرّيح هب يمانيا وإنْ هبّ من شام فإني على الودّ

❖ وجه **السّماع للناسك** فيه يقول: "وأهوى" يعني وأحبّ فعل الخيرات إنْ كانت مقصورة في الصلاة أو متعدّية مني إلى غيري، كالصّدقات والإفادات والإرشاد والهدايات، فجعل قوله: وأهوى نسيم الريح هبّ يمانيا" عبارة عن محبته لفعل الخيرات المقصورة به كالقيام والصيام وترك المنام، وجعل قوله: "وإن هببّ من شام" يعني نسيم الريح" فإني على الودّ" عبارة عن محبته لِما كان متعدّيا إلى غيره من أعمال البرّ.

- **وجه السّماع للسالك** فيه يقول: وأنا أحبّ ظهور الحق - تعالى- فأشهده حيث هبّ الريح، فإنْ ظهر لي في قلبي من غير حلول ولا مزج شاهدته ووجدته، وإن ظهر لي شهوده في العالم الأكبر من غير حلول ولا مزج ولا جهة شاهدته ووجدته؛ فأنا ما لي تعلق إلا به حيث ظهر لي، كما قال من طريق الإشارة في آية: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: 53].
- **وجه السّماع للمحبّ** فيه يقول: "وأهوى نسيم الريح هبّ يمانيا" يعني وأحب ما يقضى به عليّ من فعل الخير، "وإن هبّ من شام فإني على الودّ" يعني وإنْ قضى عليّ بفعل الشر فأني على الودّ لمراده وقضائه. أبهم في قوله: "على الودّ" ليكون رضائي في القضاء لا في المقضيّ به؛ فهو يقول: أنا راض بقضائه عليّ، فإنْ قضى لي بخير فهو المطلوب وأنا أحب ذلك، وإنْ قضى لى بشرّ فانا أحب قضاءه ولو كنت أكره المقضيّ به لأمره.
- وجه **السّماع للمجذوب** فيه يقول: "وأهوى نسيم الريح هبّ يمانيا" يعني وأحب ما غلب عليّ في الوقت حُكمُه من الكينونة عند الله - تعالى- بواسطة تجلّ ذاتي، أو بواسطة تجلّ رحماني. فجعل هبوب الريح اليمانى كناية عن التجلي الرحماني لقوله - صلى الله عليه وسلم-: (إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن) [1] وجعل قوله: "وإنْ هبّ من شام فإني على الودّ" كناية عن تجلّ ذاتي.

3- لأنّ سُلَيْمَى لا تقيم ببلدة فريح الصَّبا والبرق ويحكونها عندي

- **وجه السّماع للناسك** فيه يقول: إنى لأهوى المتعدّي من فعل الخيرات وغير المتعدّي، لأنّ سليمى يعني دار السلام وهي الجنة، لا تقيم ببلدة يعني لا تتقيّد بعمل دون عمل، بل جميع الأعمال سبب لها، فلا ندري ما المقبول وما المردود. فينبغي فعل جميع أصناف أعمال البرّ ما استطاعه العبد، لأنّ الجنة غير مقيّدة بعمل دون غيره. "فريح الصبا والبرق" يعني بريح الصبا الأعمال المتعدّية لأنّ الصبا تحمل نشر الرياحين من بلاد إلى غيرها، ويعني بالبرق الأعمال المقصورة التي لا تتعدّى عاملها، "يحكونها عندي" أي يقرّبون الجنة إليّ ويقرّبوني إليها.

(1) رواه أحمد في مسنده وغيره.

- **وجه السّماع للسالك** فيه يقول: إنّ محبتي لظهور الحق حيث ظهر في ذاتي، أو في العالم من غير حلول ولا جهة ولا مزج إنما هي لأنّ السلام - تعالى- له في كل زمان تجلى مخصوص، فلأجل ذلك أنا أحبّ ظهوره حيث ظهر، ولا أتقيّد بمظهر دون غيره، ولهذا قال: "فريح الصبا والبرق يحكونها" أي يُظهرون جمالها عندي؛ أراد بالصبا تجليه في العالم، وأراد بالبرق تجليه في نفسه.
- **وجه السّماع للمحبّ** فيه يقول: وأهوى حيث تكون إرادته بي من فعل الخير والشر، فإنّ معرفته - تعالى- غير مقيّدة بالطاعات؛ فكما أنه موجود في الطاعة من غير حلول، هو موجود كذلك في المعاصي، فهو لا يتقيد كماله بجهة دون أخرى: ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ﴾ - تعالى- [البقرة: 115]، ولأجل هذا قال: "فريح الصبا والبرق يحكونها عندي" يعني: لّما كان هو موجود في كل شيء، كانت الطاعة والمعصية سببا لي إلى معرفته، فكما أني عرفته بواسطة الطاعة، كذلك عرفته بواسطة المعصية، لكن به - تعالى- لا بي.
- **وجه السّماع للمجذوب** فيه يقول: ما سبب عدم تقييدي بالتجلي الذاتي عن التجلي الرحماني إلا لأنّ السلام - تعالى- لا تتناهي معرفته؛ فكلّما تجلى عليّ بتجلي ذاتي عرفته بصفات لم أكن أعرفه بها من قبل؛ وكلما تجلى عليّ بتجلي صفة عرفت ذاته بما لم أكن أعرفها به من قبل. فتجلى صفته وتجلى ذاته يزيداني معرفة به، وإلى ذلك الإشارة في قوله: "فريح الصبا والبرق يحكونها عندي".

وما كل أرض فيها سلمى مقيمة　　　لديّ سوى نعمان والأجْرع الفرد

يقول: وكل أرض حلّت فيها المحبوبة هو نعمان والأجرع الفرد لديّ لا غيره.

- **وجه السّماع للناسك** فيه يقول: وما كلّ عمل من الأعمال التي تكون دار للسلام جزاؤها عندي إلا نعمان والأجرع الفرد، يعني إلا نعيم أتلذذ به على ما تجده النفس فيه من المشاق.
- **وجه السّماع فيه للسالك** يقول: وكل شيء ظهر الحق - تعالى- فيه بغير حلول فهو نعمان وإالأجرع الفرد لديّ، يعني هو عندي بمثابة وادي نعمان محلّ خطاب قوله ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡ﴾، والأجرع الفرد يعني الكثيب الذي يخرج إليه أهل الجنة لزيارة الحق - تعالى-، يقول حيث

وجدته في أيّ مظهر كان فإنّ ذلك عندي وفي حقي بمنزلة التجلي في بطن نعمان والتجلي في الكثيب خارج الجنان، أراد محلّ الخطاب ومحلّ الرّؤية. يقول: إنْ ظهر لي شهودا كان مجلاي ومكاني بمنزلة الكثيب، وإنْ ناجيته وأجابني كان مجلاي ومكاني بمنزلة وادي نعمان للمكالمة.

- ❖ **وجه السّماع للمحبّ** فيه يقول: وما كل صفة يظهر لي الحق فيها إلا النعيم المطلوب والمقصد الذي لا مرمى من ورائه؛ فجعل نعمان عبارة عن النعيم المطلوب، وجعل الأجرع الفرد عبارة عن محلّ لا مرمى وراءه، وجعل الأرض في قوله: "وما كل أرض" عبارة عن المظهر وأراد بسليمى اسمه السلام – تعالى- ، وأراد بالإقامة ظهوره في الاسم أو الصفة المتجلي بها.
- ❖ **وجه السّماع للمجذوب** فيه يقول: وما كلّ حالة يكون الأغلب عليّ في الوقت حُكمها للشأن الإلهي إلا وهو عين مقتضى الكمال والتحقق بالاتصاف الإلهي بالجمال والجلال. فجعل قوله: "وما كل أرض فيه سلمى مقيمة" عبارة عن ما يكون الأغلب على الوليّ من حاله في وقته ممّا يقتضيه الشأن الإلهي؛ وجعل قوله "نعمان والأجرع الفرد" عبارة عن مكانة الكمال والفردية التي هي الغوْثية الكبرى. يعني أنّ الكمال إنما هو بكوْن العبد في سائر أحواله مع الشأن الإلهي من الظهور والبطون والتخلي والتحلي والتجلي والتداني والتدلي، إلى غير ذلك من أنواع القرب، فافهم

القصيدة التاسعة في التغرّب والأسفار، سبعة أبيات، وهي:

1- غريب عن الأوطان بات مروّعا   يكاد من الأشواق أنْ يتصدّعا

- ❖ **وجه السّماع للناسك**: فيه حمل الأوطان على أيّام الطاعة المحضة وعدم المعاصي في زمان الصِّبا قبل خط القلم عليه، أو أماكنها مثل مكة والمدينة أو غيرها من مواقع الطاعات. يقول: تغرّبتُ عن ذلك الوطن بالكبر لما جرى على القلم فبتّ مروّعا من حمل أثقال المعاصي، فالقلب إلى الطاعات وإلى الخلوة من شؤم الذنب يكاد أنْ يتصدّع شوقا إلى ذلك العصر وذلك الموطن الذي كنت فيه مخلصا من الآفات الدنيّة.

❖ **وجه السّماع للسالك** فيه حمل الأوطان على المحلّ العلمي، لأنه الوطن الأصلي الذي كنا فيه بغير حلول، ونحن في هذه الدار غرباء لخروجنا من ذلك المحلّ المقدّس إلى عالم التعيين؛ فللسالك من الأشواق إلى ذلك المحلّ ما يكاد أنْ يتصدّع منها وهذا الرجوع الثاني إنما هو بطريقة الفناء والسحق والمحق حتى لا يوجد للعبد أثر له إلا في العلم الإلهي، وأمّا في الظاهر فلا يكاد توجد له بقيّة يتميّز بها في نفسه بحال، بل كما قلت:

محاني الوجد حتى أن محيت	**وأفناني غرامي فانتفيت**
فلا أدري فنائي من بقائي	**ومِن أين البقاء وقد فنيت**
فلا علمٌ ولا خبرٌ ولا عين	**ولا أثر لأني عنّي قد فنيت**

❖ **وجه السّماع للمحبّ** فيه: حمل الأوطان على أماكن الوصال، وباقي البيت ظاهر.

❖ **وجه السّماع للمجذوب** فيه: حمل الأوطان على الأسماء والصفات، لأنّ بروزه منها إذ العالم بما فيه بارز من الأسماء والصفات لأنه أثرها في الوجود، وبالضرورة يكون الأثر صادرا من المؤثر. فالأسماء والصفات بهذا الاعتبار وطن العالم، ولهذا تقتضي الأسماء والصفات فناءه، فيبقى العالم في علم الله، فيرجع إلى وطنه الأصلي، والله – تعالى- يقول: ﴿كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: 29] ولو كان لهذه الآية معنى آخر من وجه التفسير فهذا معناها عندي من وجه التأويل والإشارة. وقد ورد مثل هذا كثير في الكتاب والسنة بفهم يُفهم بالتتبّع لمن كان له فهم وتمييز منوط بالإيمان والإخلاص. فمقصود المعنى من البيت للمجذوب يقول: تغرّبتُ عن الوطن الأصلي الذي هو الأسماء والصفات، وبتّ مروّعا أي مفجعا بالعين، يعني هي كثائف الحجب المشعرة بالبعد عن الجناب الإلهي، أكاد من الأشواق أنْ أتصدّعا يعني أكاد أنْ أنعدم عند ظهور كلّ حقيقة إلهية في تجلى من التجليات، فأنسى مَن أنا، وأثر حقيقة إلهية هي في ذاتي. وخلاصة هذا النصف يعني: لمّا تكاثفت الحجب على هذا المجذوب غفل عن حقيقة ذاته، يكاد إذا برزت عليه الحقائق الإلهية أنْ يفنى وينعدم، لأنّ المخلوق لا يستطيع أنْ يبقى عند ظهور الخالق – سبحانه-. فلفظة "يكاد" هنا توهم بأنه لا ينعدم، وذلك صحيح لبقاء الجسد ورسومه في العالم الجثماني، ولو كان المتجلَّى عليه لا يشعر بالجسد ولا بالروح، فأتى بلفظة "يكاد" احترازا من ادّعاء العدم

المحض الصرف من كل وجه، ولا يكون ذلك اللـهم إلا مِـن وجـه دون وجـه؛ لأنّ الحـق - تعالى- إذا تجلى على العبد أفناه عن مخلوقيته وإنـّيته فلا يشعر العبد بنفـسه، وتبقـى رسـومه وجسمه في الخارج على سبيل غيره لستر الأحباب بين غيرهم من أهل الحجاب. هـذا وجـه تأويل لهذا البيت، ويحتمل أن يكون الوجد في سماع هذا البيت للمجذوب حمل الوطن علـى مقام العبودية، لأنّ التجليات الإلهيـة إذا سـطعت بأنوارهـا علـى قلـب العبـد عطلتـه عـن العبودية، لأنه يصير إذ ذاك مسلوب القوّة والقدرة والفعل والإرادة، بـل مـسلوب الـصفات والذات، فيقول بلسان الشوق كالمعتذر: إنـي غريـب عـن الأوطـان، يعـني بعيـد عـن مقـام العبودية، بتّ مروّعا يعني مفجعا هالكا تحت سـطوات سـطعات أنـوار التجليـات الجلاليـة، أكاد من الأشواق إلى عبادة الحق التي فرضها عليّ لسان نبيـه أنْ أتـصدّع وأهلـك لأنّ الأمـر القطعي وارد عليّ بأفعال تلك العبادة، والإرادة الإلهية قضت عليّ بخلاف مـا أمرنـي الحـق به، فأشتاق إلى أداء الأوامر ولا قدرة لي على ذلك لأني مـسلوب الحـول والقـدرة والطاقـة والإرادة، فأكاد أنْ أتصدّع إذا وقفتُ على تضادّ اقتضاء الأمر والإرادة الإلهية. وفي هذا المقام يقول الإمام سهل بن عبد الله التستري - رضي الله عنـه-: (مـا ثـم إلا الـسكون ولا وجـه للقرار) وفي رواية: (ما ثـم إلى التـسليم ولا وجـه للقـرار) يعـني أنّ المـأخوذ عـن الأعمـال، المجذوب إلى حضرة المتعال، لا سبيل له إلا على التسليم أو السكون على مراد الله - تعالى-، ومع هذا فلا وجه له على القرار، بل ينبغي له أنّ معوّله ومطلوبه حيـث أمكنـه عبـادة الحـق ولو بالأمل والتمني. ولعمري قول الإمام فيمن فيه بقيّة للتعويـل والطلـب، وأمّـا مـن أخِـذ بكلـّيته حتى انقطع عنه طلبه وتعويله وإرادته وجميع ما يُنسب إليه فلا يقدر علـى هـذا، ولا على التسليم، بل هو في أمره بالضرورة، ومثل هذا يسقط عنه التكليف شرْعًا، لأنّ التكليـف لا يكون إلا على العاقل، وهذا أوّل ما يُسلب عنه في مقام فناء الصفات عقله وعلمـه، فهـو عنده لا هو، وهذا بلا خلاف جنون في الشرع، لأنّ العقل المعاشي لو كان قائما كان صاحبه يقول إنه لا هو، ولا كان يقول إنه فان ومعدوم وهو محسوس الوجود. فلهذا قلنا إنّ الـشرع أيضا يُسقط التكليف عن مثل هذا. وقس باقي الأبيات في هذا المنوال، فإنـّا لا نتكلم عليهـا إلا على تأويل الوجه الأوّل، لأنه ربّما يكون أقرب من هـذا الوجـه وأوضـح، وللتـأويلات وجوه سائغة كثيرة، فإذا انفتح لك الباب فادخلْ من حيث شئت، فافهم.

2- تناءتْ به الهوج الرّكاب عـن الحمـى   فـــأنَّ لأنّ القلـــبَ فـــيه تـــــوجّعا

يعني بعُدتْ به الأجمال الهائجة عن الحيّ فأنّ أنينـًا، لأنّ القلب متوجّع للفراق.

- ❖ **وجه السّماع للناسك:** فيه حمل الأجمال على السنين التي ترحل بـالفتى عـن أمـاكن الطاعـة وعن أزمانها، كأيام الصبا التي يكون فيها مخلصا عن الذنب، أو أيام الشبوبة التي يقتـدر فيهـا على أفعال العبادات؛ فإذا صار شيخا انقطع عن ذلك، فالحمى مؤوّل له علـى أيـام الطاعـة وأماكنها، وباقي البيت على ظاهره.
- ❖ **وجه السّماع للسالك:** فيه حمل الهوج الرّكاب على الأطوار والأكوار الـتي نـزل عليهـا عـن العلم الإلهي إلى دار الدنيا، والحمى يؤوّله بالموطن العلمي.
- ❖ **وجه السّماع فيه للمحبّ:** حمل الهوج الرّكاب على إرادة الحبيب، وحمل الحمى على محـصل الرّؤية والمشاهدة والمخاطبة الحاصل في يوم﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾. يقول: تقـتلني الإرادة الإلهيـة من مجلى الوصال والقرب الإلهي المنزّه عن الانفصال والاتصال والجهة، حتى نزلـتُ إلى دار الحجاب ومقام التكليف، فلي أنين وبالقلب أوجاع، يعني أمراض الحجب والغفلة.
- ❖ **وجه السّماع للمجذوب** فيه: حمل الهوج الركاب على الأسماء الإلهيـة والـصفات الربانيـة؛ وحمل الحمى على الذات المقدسة؛ وحمل الأنين على الآثار؛ وحمل التوجّع على ما يحصل من سطوات الجلال في القلوب. يقول: نقلتني المقتضيات الأسمائية والـصفاتية والعنديـة الذاتيـة التي هي لحقيقتي مـن حقيقـة الحقـائق، حتـى تعيّـنــتُ في هـذا الوجـود بالمراتـب الخلـْقية، فظهرتْ بذلك آثار الشؤون الحقِّية في العالم، فلأجل ذلك إذا سطعت أنوار التجليات الإلهية على القلب تتلفه وتحرقه لتلبّسه بآثارها الأخلاق الخلقية، فإنّ البشرية صـارت لازمـة لقلـبي ولو كنتُ متصفا بالأوصاف الإلهية.

3- رمتـه يـد الأيـام بالـصدّ والقِـــلى   فـــــسار ولم يمكنـــــه أن يتودّعـــــا

- ❖ **وجه السّماع للناسك** فيه أنْ يسمع هذا البيت مؤولا للصدّ والقلـى بالكـسل والغفلـة عـن الطاعات. يقول: إنّ يد الأيام، يعني فعـل الـسنين وتغييرَاتهـا بـأمر الله رمـتني بـأنواع الـصد والقـلى، يعني الغفلة والكسل والعجز، فسارت يعني فرحلتُ عن مقام العبـادة ومكانهـا إلى

مقام الغفلة والمعصية ومكانهما، فلو علمتُ أنى لا أدوم على تلك الحالة لكنت أتـودّع يعـني أكثِر فعل الخير في تلك الأيام الكريمة، أو في تلك الأماكن الشريفة، لكنه لم يمكنني ذلك لأنـي ما علمتُ.

- ❖ **وجه السّماع للسالك:** فيه حمل يد الأيام على العلائـق والقواطـع والعوائـق والموانـع، لأنّ الزمان يتصرّف بها في السالكين. ويريد بالزمان الفاعل الحقيقي، فكأنّ هذه الأشياء هـي يـد الدهر. وحمل الصدّ والقلى على موافقة النفس وترك المجاهدات والرياضات. يقول: دخلـتْ عليّ العوائق والعلائق بالقواطع والموانـع، حتـى نقلـتني عـن حـال المجاهـدات والرياضـات والمخالفات إلى طلب الراحة وموافقة النفس، فسارت يعني فرحلت عن ذلك المقـام ونزلـت عنه؛ وأتى بلفظة السّرى لأنه من لوازم الليل إشعارا بأنه مـشى في الظلمـة الطبيعيّـة بموافقـة النفس البشرية، ولم يمكنه أنْ يتـودّع مـن مقـام الـسلوك، يعـني ولم يمكنـه في تلـك الأيـام أنْ يُصفـّي أخلاق النفس حتى تطمئن وتسكن على التوجه إلى الله – تعالى-.
- ❖ **وجه السّماع للمحبّ** فيه يقول: أنزلتني المقادير الإلهيـة مـن مقـام (ألـست بـربكم) فـرمتني بالصدّ والقلى، كنّى بهما عـن الحجـابين: الحُجـب الظلمانيـة وهـي المخلوقـات، والحجـب النورانية وهي الأسماء والصفات، فأنـا خلف هذين النـوعين في الحجـب عـن ذلـك المقـام الإلهي.
- ❖ **وجه السّماع للمجذوب:** فيه حمل الأيّام على تجليات الله – تعـالى- وهـي أيّـام الله المكنّـى عنها بالشؤون الذاتية؛ وحمل الصدّ والقلى على ذهاب حكم الأرواح والجسوم، وفناء جميـع المآثر والرسوم، الذي هو حقيقة السحق والمحـق والمحـو والطمـس والانعـدام الكلّـي؛ وحمـل السير على الذهاب في الله. يقول: ما زالت تنقلني التجليات الإلهية المكنّى عنهـا بيـد الأيـام، يعني تنقلني من رؤيتي لمخلـوقيتي إلى رؤيـتي لكمـال الله – سـبحانه وتعـالى- فقليـتُ نفـسي وصددتها، يعني فنيتُ عنّي فانمحقتُ وانمحيتُ وانسحقتُ حتى ما بقي لي مرجـع إلى شـهود الخلقية بوجه من الوجوه، فسِرتُ في الله، وأتى بلفظة السير المقرون بلازمه الـذي هـو الليـل تنبيها على الذهاب في التجليات الجلالية، لأنّ الطريق إليها ظلمة لا يتوصّـل فيه كـل أحـد، فلهذا قال: فسار، ولم يمكنه أنْ يتودّعا يعني جُذِب إلى الحق فذهب فيه بسرْعة ولم يتوقف.

4- لـــه كـــلّ يـــوم منـــزلٌ متجـــدّدٌ   وتـــشتيت شمْـــــل لا يكـــاد تجمّعـــا

- **وجه السّماع للناسك** فيه يقول: كم أتوب وأنقض، وأعاهد وأنكث، فلي في كلّ يوم منـزل متجدّد، يعني يوم طاعة ويوم معصية، وهذا الأمر يدلّ على تشتيت أيّام العمـر فـلا تكـاد أن تحصل لي فيه جمعية بالطاعة.
- **وجه السّماع للسالك** فيه: حمل معنى نصف البيت على مقام التلـوين في الـسلوك، فهـو في محاربة النفس يغلبها تارة وتغلبه أخرى، فهو لعجزه مـتردّد في هـذا المقـام. والنـصف الثـاني إشارة إلى أنّ هذا حال التفرقة، فلا يكاد أنْ تحصل به الجمعية في مقام الذكر والأنس بـالله - تعالى-، فهو متأسف لبقائه في هذا الحال.
- **وجه السّماع للمحبّ** فيه يقول: لمّا أبرزنى الحق من علمه، وأنزلني عن مقام خطاب ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، صار لي في كلّ يوم منزل متجدّد، أبعد فيه عـن ذلـك الجمـال، فنـزول إلى القلـم الأعلى، ونزول إلى اللوح المحفوظ، ونزول على الأفلاك، ونزول على الطبائع، ونـزول علـى المعادن، ونزول على النباتات، ونزول في الأصـلاب، ونـزول في الأرحـام، ونـزول في مقـام الطفولية، ونزول في مقام الصِّبا، ونزول في مقام الشبيبة، ونزول في مقام الكهولة، ونـزول في مقام الشيخوخة. وستكون له بعد ذلك منازل كثيرة: منـزل في الـبرزخ، ومنـزل في الحـافرة، ومنزل في أرض الساهرة، ومنزل في القيامة عند الحساب، ومنزل في الجنة أو في النار، ومنزل في الكثيب، ولا يدرى ما يصنع الله به بعد ذلك. فهو يقول: كلّـما نزلتُ منـزلا بعـدتُ عـن الحبيب، فلي بذلك تشتيت شمل لا يكاد أنْ يتجمّع، فهـو متأسِّـف لفقـد الحبيـب والرّحيـل عنه.
- **وجه السّماع للمجذوب:** فيه حمل الأيام على التجليات الإلهيـة، وحمـل المنـزل علـى المقـام والاتصاف المنسوب إلى العبد. يقول: فلي في كلّ تجلّ إلهي مقام غير المقـام الأوّل، واتـصاف مخصوص مشتق من آثار ذلك، وتشتيت شمْـل لصفات النفس بمحـو آثارهـا حتـى لا تكـاد تـتجمّع.

5- تمزّقــه بالنائيـــات يـــد النّـــوى   وتُبْـــلي فـــؤادًا للبـــِعاد تقطـــّعا

- **وجه السّماع للناسك** فيه يقول: إنّ العبد إذا فارق مقام الطاعة ومكانها تمزّقه يد صروف النائيات، يعني تذهب عنه تلك الأعمال شيئا فشيئا حتى ينتهي إلى أنْ يبقى فارغا بلا عمل ولا تقوى ولا ورع، فيذهب – والعياذ بالله- في الذاهبين ويرجع إلى أسفل سافلين.
- **وجه السّماع للسالك** فيه يقول: إنّ التلوين في مقام السلوك أمر خطر، فلا بدّ للعبد أنْ يمزّق نفسه بقوّة السلوك والمخالفات حتى تحصل الاستقامة، وتطمئن نفسه وتتزكى، فلا بدّ له من ذلك التقطيع والتمزيق حتى يسكن إلى الله – تعالى-.
- **وجه السّماع للمحبّ**: فيه حمل النائيات على نتائج البُعد؛ وحمل النّوى على أيّم المهلة في الدنيا، فإنّ العبد كلما زاد في الدنيا توغلا تكاثفت عليه الحجب، وأنتج له ذلك البُعد عن الله – تعالى-، والآخرة بخلاف ذلك لأنها دار القرب من الله – تعالى- والجوار منه، وهي محلّ المشاهدة. فإنّ العبد إذا انتقل إلى تلك الدار وكان مخفّا من حمل الأوزار، كان أرجا في حقه وأسلم ممّن طولب بالبقاء في هذه الدنيا. وزبدة هذا الكلام أنه يقول: إنّ أيام المهلة في الدنيا تزيد الفتى بُعدا عن الله، فتمزّقه بالنائيات، يعني بالحوادث التي تحدث على القلوب من الأمراض المانعة عن الكشف في هذه الدار، فتُبلي أي فتُفني فؤادًا قد تقطّع للبعاد، يعني فتفني تلك البقيّة التي هي سبب الوصلة إلى الله – تعالى- في القلب، فيهلك المحب بسبب ذلك، يريد أنّ الأسلم للمريد أنْ ينتقل إلى الله – تعالى- في أيّام قوّة إرادته ليلقى الله – تعالى- في تلك الدار، فانّ المرء مع مَن أحبّ، لأنه لا يعلم ماذا يحدث عليه بمرور الأيام، فيخاف من حدوث الارتداد عليه لأنّ القضاء مجهول، فلا يأمن رجوعه. ولقد رأينا جماعة من المريدين دخلت عليهم الدواخل فانقطعوا عن الله – تعالى-، ورجعوا إلى نفوسهم، فلو ماتوا على تلك الحالة الأولى كان أرجا في حقهم، نعوذ بالله من الحور بعد الكور.
- **وجه السّماع للمجذوب**: فيه حمل التمزيق على الفناء والمحو والسحق والمحق والانعدام؛ وحمل النوى على التجليات النائية البعيدة عن القلوب، وهي تجليات الجلال والكمال؛ وحمل النائبات على سطوات تلك التجليات في قلوب من تجلت عليهم. يقول: مزّقتني وأفتتني تلك التجليات البعيدة المرقى بسطواتها، حتى فني وجودي بالكلية، وذهبت آثاري وسائر البقيّة، وإلى ذلك أشار بقوله: "وتُبلي فؤادا للبعاد تقطّعا".

6- أحَـيْبابنا مهلا فقد شمت العِدا بصبٍّ مضى نَحْـبًا وما نال مطْـمَعا

❖ وجه السّماع للناسك: فيه مخاطبة السابقين إلى الخيرات من أهل العبادات على الإطلاق بلفظة قوله: "أحيابنا مهلاً"، يقول لهم: يا أهل السبق في ميدان الأعمال مهلا، يعني قفوا لضعيفكم واشفعوا له ليلحق بكم، فقد شمت العِدا به. وتصغير أحبابنا لا للتحقير بل لأنه أعذب، وقد قال ابن الفارض - رضي الله عنه -:

ما قلت حُبَيْبى من التحقير بل لعَذْب اسم الشخص بالتصغير

❖ **وجه السّماع للسالك:** فيه مخاطبة أرواح مشائخه، وإنْ كان شيخه حاضرا خاطب حقيقته بنداء أحيبابنا، أو خاطب روح النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: مهلا أي رويدا يا أهل الله، لا تتخلّوا عني فتتركوني ونفسي وشيطاني، وأنا لا أقدر على دفعها ولا أشعر بمكائدهما، فترفقوا بي وسايروني في مقامات السلوك، وساعدوني على قمعها وانصروني عليهما، فطالما انتصروا عليّ ففعلوا بى ما أرادوا. وإلى حقيقة النفس والشيطان أشار بقوله: "فقد شمت العدا" لقوله عليه السلام: (أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك) [1] ويقول الله - تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: 53] ويريد بقوله: "بصبّ" يعني محب قضى نحبًا، أي مات في ظلمة الشهوات الإنسانية والخواطر النفسانية والشيطانية.

❖ **وجه السّماع للمحبّ:** فيه مخاطبة محبوبه الحق - تعالى- بلفظة" أحيابنا" على صيغة الجمع للتعظيم، وليس التصغير في "أحيابنا" بطاعن في التنزيه لأنّ المراد غير التصغير والتحقير. يقول مخاطبا له سبحانه: مهلا يا حبيبي وقرّة عيني وأنيسي وسيدي ومولاي، يعني رفقا بمحبّك وفقيرك الذي ليس له غيرك، ولا يميل إلى ما دونك، ولا يحسن في عين بصيرته غير جمالك، فقد هلك من ظلمة الجهل بك وعدم المعرفة لك لتكاثف حجبه التي احتجبتَ بها عنه، فيا حبيب القلوب تعطّف وأمنن عليه بكشف الحجاب، وافتح له رَوْزَنة من هذا الباب وارحمه، فقد شمت العدا به، ويعني بالعدى العقل لأنه عدوّ العشق، ولأجل هذا لا يمكن الجمع بين كمال العشق وكمال العقل، بل قال بعض العارفين هما ضدّان لا يجتمعان.

---

(1) رواه البيهقي في " الزهد الكبير".

❖ **وجه السّماع للمجذوب:** فيه مخاطبة تجليات حقائق الأسماء والصفات بلفظة "أحيابنا مهلا" أي رفقا بهذا القلب الذي مزّقته هذه التجليات الجلالية والجمالية، فهلك وفني وذاب، "وما نال مطمعا" يعني ولا أدرك غاية لهذه الكمالات الإلهية، فقد شمت العدا به، يعني فقد ظهرت عليه صفات العجز، فرفقًا به ليبقى مع التجليات الذاتية فإنه لا يشفيه سواها، فإنّ تجليات الذات ما وراءها مرمى، فهي شفاء الداء العضال الذي تقطعت بسببه أكباد الأولياء من أهل الكمال.

7- فلا كان أيّام النوى ما أمرَّها   وأحلى زمانا بالتواصل أزْمعا

"أزمع" يعني رحل وانقضى.

❖ **وجه السّماع للناسك** فيه يقول: إلا كانت أيّام المعاصي التي هي سبب البعد عن الله - تعالى- ما أمرّ طعمها وأخوف عاقبتها، إذ هي سبب دخول النار؛ وما أحلى زمان الطاعة والعبادة وما أعذب شربها منهلا سائغا، إذ هو سبب الوصلة بين الله وعبده ونتيجتها دخول الجنة.

❖ **وجه السّماع للسالك** فيه يقول: لا كانت ثابتة أيام المكث في هذه الدار التي هي محلّ البعد عن الله لاشتغالنا بأجسامنا وأنفسنا، إذ لا بدّ لمن يكون في هذه الدار ممّن له عقل أنْ يشتغل عن الله - تعالى- بنوع من أنواع المخلوقات إمّا بنفسه أو بغيره، فيحصل في الحجاب لأنّ هذه الدار بالخاصية تحجب الداخل فيها عن الله - تعالى-، فما أمرّ هذه الأيام على قلب العبد، وما أحلى زمانا تقضى وأزمع بالتواصل، يشير إلى كينونته عند الله - تعالى- بالنور في يوم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، وقبله في العلم الإلهي، يعني ما أحلى تلك الحالة وأحسن ما مضى فيها، فإنّ الأرواح تحنّ إلى تذكارها لأنها تشرح الخاطر وتنير الناظر.

❖ **وجه السّماع للمحبّ** فيه يقول: مَحَقَ الله أيّام البُعد، يعني أوقات الحجاب والغفلة أفناها الله - تعالى- بقربه والكشف عن جماله، فما أمرّ طعم الفراق على قلب المحبّ المنتظر للوصال، وما أحلى القرب والكشف عن ذلك الجمال للعاشق المضطرّ إلى ذلك الحال.

❖ **وجه السّماع للمجذوب** فيه: هو أنْ تعلم أنت أوّلا أن لله - تعالى- تجليات كثيرة، فمن تجلياته ما يحجب العارف عمّا سواها بالضرورة، ومن تجلياته ما لا يحجبه عمّا سواها، بل إذا

قوي فيها كشف له عن كثير من التجليات. فتلك التجليات التي تحجب العارف عمّا سواها هي التي يشير إليها المجذوب بأيّام النوى، لأنّ الأيام هي التجليات كما سبق بيانه في ما مضى. فهو يقول: لا كانت متواترة تلك التجليات التي تحجبني عن ذات الله، بل أحبّ أعرفها ويتجلّى الله عليّ بما وراءها، فما أمرّ الحجاب، وأحلى زماني بالتواصل. "أزمع" يعني: وأحلى التجليات الكمالية التي تكشف للعارف حقائق الأشياء كما هي، فيكون بذات الله - تعالى- يثنى عليه بما أثنى - سبحانه وتعالى- به على ذاته الكريمة، ويعرف الأشياء بمعرفة الله - تعالى-، ويتصرّف في العالم بقدرته - سبحانه وتعالى- لتمكين الحق له في الوجود.

القصيدة العاشرة خمرية، خمسة أبيات، وهي:

أدِر المُدامة في الكؤوس مداما   واشربْ معتّقة لها أعواما

- **وجه السّماع للناسك** فيه يقول لنفسه: اشرب خمر اللذة بالطاعات دائما، واجعل أورادك دائرة في اليوم والليلة متصلة غير منقطعة. فيأوّل المدامة المذكورة أوّلا بالأوراد، ويؤوّل الكؤوس بساعات اليوم والليلة، ويأوّل المعتقة باللذة التي تحصل للعُبّاد في جمع الخاطر عند العبادة، لأنّ العتيق من الشراب ألذّ سكرا من الحديث وأقوى فعلا، وتلذّذ الناسك في العبادة بجمع الخاطر وسكون القلب أقوى وأبلغ.
- **وجه السّماع للسالك:** فيه حمل المدامة على ذكر الله - تعالى-، فإنه راح القلوب وريحانة النفوس؛ وحمل الكؤوس على اللسان القلب والروح والسرّ، فإنّ هذه الأشياء محلّ ذكر الحق - تعالى-، لأنّ المبتدئ لا يزال يذكر باللسان حتى يطمئن قلبه على الذكر فيذكره بالقلب دائما، ولو سكت اللسان فهو ذاكر بالقلب؛ فلا يزال كذلك حتى يتطبّع الروح بالذكر، فيسرى ذكر الله في هيكله إلى جميع مجارى الروح، فيذكره العبد بروحه، وتخشع لذلك جميع جوارحه؛ فلا يزال كذلك حتى يذكره بالسرّ فيفنى عن الذكر في المذكور - تعالى-. فإذا عرفتَ مراتب أهل الذكر ومَحالّه فاعلمْ أنّ السالك يقول في تأويل هذا البيت: أدِر المدامة، أي اجعلها أمرًا دوْريّا متصلا غير منقطع، يعني داوم على ذكر الله - تعالى- في مَحالّ الذكر - بالحاء المهملة- وهي التي سبق ذكرها، حتى تفنى عن حدثك فيسقيك الحق من الشراب

الطهور الذي يُكنّي به السالك عن خمر القرب إلى الله - تعالى-، واليها الإشارة بقوله: "واشرب معتّقة لها أعواما" أي قديمة المحتد.

- ❖ **وجه السّماع للمحبّ:** فيه حمل المدامة على العشق، وحمل الكؤوس على حالات العاشقين من الهيام والبكاء والانخلاع والاطراح والسياحة والأنين والحنين والفناء وأمثال ذلك من لوازم العشق. وحمل شرب المعتّقة على السكر بلذة ترك الإرادة في إرادة المحبوب، والتلذذ ببلائه كالتلذذ بنعمائه. يقول: لازم محبة الله - تعالى- والتعشق بجماله الأنزه على حالات الوفاء من الاطراح والهيام والأشياء المذكورة آنفا، واترك مع ذلك مرادك لمراد الحبيب، فلا تطلب مع هذا كله وصلا، ولا تفرّ من الهجر، بل تقطّع إرباً إربًا لِما يريده المحبوب، وعُدّ بلاء الهجران نعمة، لأن المحبوب أرادك لها، وذكرك به، فلا تنفر من بلائه، بل لا ترى بلاء إلا نعماء وآلاءً، فإنْ أوصلك كان ذلك بفضله، وإنْ قطعك كان ذلك أيضا بفضله، فكلّما بفعل المحبوب محبوب.
- ❖ **وجه السّماع للمجذوب:** فيه حمل المدامة على التجليات، وحمل الكؤوس على الأسماء والصفات، وحمل المعتّقة على تجلى الذات. يقول: تمتع بدوران تجليات الأسماء والصفات عليك، وكن مع التجلي الذاتي الجامع لسائر التجليات الإلهية، ذلك هو المشرب الأسمى والمقصد الأسنى، يؤتيه الله من يشاء من عباده الأولياء.

2- صَرْفٌ كلوْن النار يعبدها الفتى متمجّسًا متنصِّرًا بَرْهاما

"برهاما" يعني من البرَاهمة: طائفة من علماء الكفرة ينتسبون إلى نسل إبراهيم (عليه السلام).

- ❖ **وجه السّماع للناسك** فيه: حمل الصرف على الإخلاص في العبودية لله - تعالى-، وجعل الإخلاص في العبودية كلون النار، يعني صعب لا يقدر عليه كل أحد، فهو مثل النار لقوله عليه السلام: (يأتى على الناس زمان القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر) [1] وأراد بقوله "يعبدها الفتى" يعني يعبد الذات الإلهية ويخلص في عبادته ولا يبالى بقول الناس إن

[1] - رواه الإمام أحمد في مسنده.

زندقوه أو مجّسوه أو نصّروه أو برْهموه، يعني: وَدَعْ يقول الناس ما قالوا فيك، وقد قال بعضهم:

فليتك تحلو والحياة مريرة	**وليتك ترضى والأنام غضاب**
وليت الذي بيني وبينك عامر	**وبيني وبين العالمين خراب**

❖ **وجه السّماع للسالك:** فيه حمل الصرف على المخالفات للنفوس وجعلها كلون النار لصعوبة ذلك على السالكين، وقد رأى بعض الفقراء الشيخ معروفا الكرخي - رضي الله عنه- جالسا في وسط النار، فذكر هذا الأمر لشيخه فقال له هذا دليل على أنه كان في مقام من السلوك هو بمثابة النار لا يستطيع غيره أنْ يستقرّ فيه. وقوله: "يعبدها الفتى متمجّسا منتصِرا برهاما" محمول على أنّ التمجّس هو لرفع المخالفة والمداومة عليها، لأنّ النار لمّا كانت بالتأويل مضروبة المثل عن المخالفة، كان التمجّس هو دوام إتيان ذلك الفعل لرعاية المناسبة. وقوله "متنصِرا" محمول على الاستنصار لله على النفس فينصر الحق على نفسه ويترك بطلانها اتباع الحق. وقوله "برهاما" يعني متبعا هدى إبراهيم خليل الله - تعالى- أي على ملّته، قال الله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ [الممتحنة: 4]. فخلاصة هذا التأويل يقول: لا ترفع قدما ولا تضع أخرى إلا في مخالفة النفس لتكون أفعالك كلها صرف المخالفة، عسى تحصل لك الاستقامة على طريق الله - تعالى-، واستنصر للحق على نفسك مستعينا بالله، تابعا لملّة إبراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام.

❖ **وجه السّماع للمحبّ** فيه يقول: عليك بصرف محبة الله - تعالى- وإيثاره على كل ما سواه، فلا تمزج بذلك محبّة الدنيا ولا الأخرى ولا الجنة ولا نعيمها، بل دع جميع ذلك وانف سائر العلائق من بين يديك بالزهد في جميع ما سوى الله - تعالى-، ولا تشتغل لا بنفسك ولا بأعمالها، بل يكون اشتغالك بالله صرفا غير ممزوج باستعمال شيء آخر، فتكون إرادتك له لكونه أهلا لذلك، لا من أجل أنْ يكشف لك عن جماله، فإنّ في هذا المقصد دسيسة نفسانية، فنزّه إرادتك عن سائر العلل، ولا تجعل لك بعد هذا إرادة في الأشياء لئلا تكون معترضا؛ ولتكن محبتك لله خالصة محضة، فتحبّه وتحب ما يريده لإرادته، فتكون عبدا غير معترض على الله بما يقضي عليك، حتى لو قضى عليك مثلا بالتمجّس والتنصّر والتبرْهم كنتَ في

ذلك مسلِّـًا لقضاء الله، راضيًا بمراده، ولا ترض أيضا بالكفر لأنه أمرك أنْ لا ترضى بالكفر والتنصّر، فيكون أمرك في ما يقضى بـه عليـك أنْ ترضـى بقـضائه، وتـسلِّـم لأمـره، وتحـب مراده، ومع هذا فلا يرضى بما لا ترضاه مما يقضى به عليك، فإنه يقضى بـالكفر ولا يرضـى به، وهذا من علامات المحبة، لأنّ المحب لا تبقى له إرادة سوى إرادة محبوبه، ولهذا قال بعـض العارفين: (إنّ الإرادة نار تحرق ما سوى المحبـوب)، ومِـن ثـم أشـار إليهـا في البيـت بقولـه: "صرف كلون النار" يعني من جهة إحراق ما سوى المحبوب.

- ❖ **وجه السّماع للمجذوب** فيه: حمل قوله "صرْفا" على التجليات الذاتية الصرْفة الـتي هـي مـن وراء الأسماء والصفات، يعني: اجعل تعلقك بها ولا نقنع بدونها. وحمل قولـه" كلـون النـار" يعني إنها تفني الأسماء والصفات لأنّ من التجليات الذاتية ما لا يظهـر للأسمـاء والـصفات فيه أثر، كالأحدية وما فوقها ممّا يعلمه الله – تعالى–. وقوله "يعبدها الفتـى متمجـسا متنـصرا برهاما" يعني يفنى فيها العبد ويهلك وينعدم بالسحق والمحق فيها، لأنّ المجوس تلقـى بأنفـسها في النار حتى تحترق وتنعدم، فمن لم يُـلق بنفسه وهو حيّ يُـلقَـى به بعد أن يتوفى، والمقبـول والسعيد عندهم من ألقى بنفسه وهو في الحياة. وقوله: "متنصِّرا" يـشير إلى المـشهد العيـسوي، و"برهاما" يشير إلى المشهد الإبراهيمي من هذا المنظـر العلـيّ والمجلـى الـسنيّ. وخلاصـة هـذا الكلام يقول: تعلـّق بالتجلي الذاتي المعدِم لك ولأسمائك وصفاتك، بل الذي لا يظهر فيـه لغيره من التجليات الإلهية أثر، فإنّ ذلك مشهد عيسى وإبراهيم لأنهما أحييا الموتى بـإذن الله – تعالى–، وإحياء الميّت صفة لله – تعالى– ذاتيّة اتصفوا بها لحصول التجلي الذاتي لهم بـإذن الله – تعالى–.

3- حلـّتْ على دين المسيح لشارب داوى الخمّــــار بخمرهــــا أيّامـــــا

- ❖ **وجه السّماع للناسك** فيه يقول: استعمل الإخلاص والصدق في عبـادة الله – تعـالى– فـإنّ ذلك ولو كان صعبا على النفوس هو سهل على من استقام على متابعـة الـنبي – صـلى الله عليه وسلم –، فما صعوبته على النفس إلا أياما قليلة؛ فإذا حصّلت الاستقامة سـهل ذلـك. فحمل قوله "حلـّت" أي طابت وصارت حلالا بعد أنْ كانت صـعبة، يعـني العبودية بمحـض الإخلاص سهلت لشارب أي لعابد. "داوى الخمار بخمرها أيّاما": أي عالج خمّار النفس الذي

هو الكسل والملل والفعل للرياء وللسمعة وامتثال ذلك "بخمرها" أي باستعمال الإخلاص والنهوض للطاعة أيّاما، حتى صارت له عادة، فحلّتْ له أي سهلت على دين المسيح، يعني على من هو على دين رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فجعل المسيح كناية عن النبي – صلى الله عليه وسلم –لأنّ المسيح إنما سُمِّي مسيحا لكونه سافر في أقطار الأرض فمسحها بالعلم والإحاطة، على نبيّنا وعليه أفضل الصلاة والسلام، ونبينا – صلى الله عليه وسلم – سافر في أقطار المُلك والملكوت فمسحها علمًا وإحاطة فهو المسيح الأعظم.

❖ **وجه السّماع للسالك** فيه يقول: حلّت خمور اللذة بالقرب إلى الله – تعالى– للشارب من تلك الخمور بعد أنْ جاهد نفسه بالرياضات والخالفات وارتكاب المهالك، حتى أطمأنت وسكنت إلى توحيد الله – تعالى–، فانتفت عنها الخواطر، وبقى العبد لا يخطر به في العمر كلّه شيء سوى الله – تعالى– وأسمائه وصفاته، فاستغرق في بحار الجمع، وهلك عن التفرقة فلا تفرقة عليه بعدها، لأنّ النفس مطمئنة ساكنة، بخلاف نوع من المجذوبين لا كلّهم،وهم الذين جذبوا ونفوسهم غير مطمئنة ولا مزكاة، فلمّا رجعوا إلى ذواتهم ثارت عليهم نيران النفوس لعدم التزكي والتطهر، فدخلت التفرقة عليهم، فهؤلاء إنْ قُدِّر لهم بالسلوك كانوا من الرّجال الكمّل، وإلا فهم في معرض الخطر، لأنّ نار النفس إذا ثارت على العارف أحرقت معارفه، فيُخشى عليه أنْ يستعمل ما يوافق النفس بيد المعرفة فيسقط عن أعمال البرّ، والعياذ بالله من ذلك؛ بخلاف من جُذِب بعد السلوك التام، فإنه في أمان من هذا المعنى، ولأجل هذا أشار إليه بقوله: "حلّت" يعني أنّ ذلك للسكون على الله بجمعية منزّهة عن التفرقة كالحرام على غيره.

❖ **وجه السّماع للمحبّ** فيه يقول: حلّت خمور محبة الله – تعالى– لمن صرف أيّام العمر كله في محبته، وخلع الأعذار في ذلك بالاطراح الكلّي من كل وجه، فاشتغل بمحبوبه – تعالى– عمّا سواه. فلو اختلجت نملة لشاهد في اختلاجها معنى من معاني كمالات الحق – تعالى–، فهو مشتغل بالله عمّا سواه، مأخوذ عن نفسه وعن جميع أعماله. ولهذا كان بعض السلف – رضوان الله عليهم أجمعين– إذا دخل الصلاة يجعل له من يعدّ الركعات من أجله، لاشتغاله بالله عن العمل، واستغراقه في محبة الله عمّا سواه. وقد رُوي عن مجنون ليلى أنّ ليلى جاءته مرة فلم يعرفها، فحدّثته فقال لها: "دعيني فإني مشغول عنك بليلى". وذلك أنّ العشق إذا بلغ حدّه أخذ العشق بمجمعه عن الوجود كله إلى معشوقه، فتتعشق الروح بصورة المحبوب،

فيتحدّث مع تلك الصور الروحانية ويجعل له منها الجواب على قدر مقتضى الحال، فهو لا يفارق محبوبه أبدًا. وكذلك في الجناب الإلهي، فإنّ المريد إذا قويت محبته تعشقت روحه بالحضرة الإلهية، فتتصوّر عنده الكمالات الإلهية على ما ينبغي لله من التنزيه المنزّه عن التصوّر والتجسيم، فيُؤخذ إمّا في الأحدية، أوالواحدية، أو العظمة، أو القدرة، أو الإرَادة، أو في المجموع، فيكون تارة وتارة، ولا يزال يترقى في تعلقه وحضوره إلى أنْ يكشف الله - تعالى- له حقيقة الكشف عن التجليات الذاتية، كما جرت سنته - تعالى- لأوليائه وخاصة عباده وأصفيائه. فقوله: "حلّت" يعني خمرة اللذة بهذه المحبة الإلهية، لأنها كالحرام على من لم يكن على دين المسيح شاربًا منها، يعني أنّ المسيح – عليه السلام- لم يولد إلا مفطورا على محبة الله - تعالى- لقوله في المهد: ﴿إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ﴾ [مريم: 30] ولم يزل كذلك إلى أنْ رفعه الله حتى قال - تعالى- في حقه: ﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ﴾ [النساء: 172]. فالسالك يريد بهذا الاتباع أن يكون المحب مجبولا على محبة الله - تعالى- من أوّل قَدم، فلا يرجع عن محبته ولا يلتفت إلى الكونين احتقارًا لهما في جنب عظمة محبوبه، فيصرف ما بقي من أيام العمر كله في محبته الله - تعالى- وإلى هذا أشار بقوله: "داوى الخمار بخمرها أياما" يعني داوى خمار البُعد بخمر المحبة أيام العمر.

- **وجه السّماع للمجذوب** فيه يقول: حلّت يعني كشف عن الصفة الذاتية التي عبّر عنها في البيت الأول أنها لا يظهر فيها أثر للأسماء والصفات، فـ"حلّت" هنا بمعنى أبيح التمتع بها على دين المسيح، أي على عادة النبي – صلى الله عليه وسلم- مع الله - تعالى- يعني لمن كان ملحقا بالنبي - صلى الله عليه وسلم – من أتباعه الكمّل الذين هم على قلبه في المقام المحمدي، وإلى تلك أشار بقوله للشارب: "داوى الخمار بخمرها أياما" يعني لمن اغترف من بحار الأحدية بعد مداواة خمار السكر من شرب خمر التمتع بالنظر إلى الصفات النفسانية والأسماء الأفعالية، "أياما" يعني تجليات كثيرة حتى تمكّن وتقوّى للكشف عن هذا التجلي الذاتي الذي لا يكون إلا لمن كان على قلب النبي - صلى الله عليه وسلم-.

4- راح تريح بـــروحها رَوْحًا على   أرواحنـــا حتـــى نـــــروح هيامـــا

راح يعني سلاف، تكسب أرواحنا روح راحة طبيعية حتى تهيم سكرا.

❖ **وجه السّماع للناسك** فيه يقول: إنّ للإخلاص في العبودية رَوْحا - بفتح الراء- تحصل بها الراحة لقلوبنا حتى نهيم سكرا، يعني نغفل عن حواسّنا باللذة الحاصلة لنا في خلوص القصد عند العبادة لله - تعالى-.

❖ **وجه السّماع للسالك:** فيه حمل الراح على لقاء الله - تعالى- والوصول إلى حضرة القرب، لأنّ ذلك هو الراحة الكبرى، وإليها أشار بقوله: "تريح بروحها" أي تكسب الراحة بروحها، يعني بنفسها، فتمدّنا بروح القدس رَوْحا على أرواحنا المدبّرة لأجسامنا، فتفنى أرواحنا عنّا ونفنى عنها، فنؤخذ بالكلية، وهو المراد بقوله: "حتى نروح هياما".

❖ **وجه السّماع للمحبّ:** فيه حمل الراح على العشق، لأنّ العشق إذا استولى على العقل أزاله، والراح كذلك مزيل للعقل، ولهذا سمى الخمر خمرا لأنه يخامر العقل فيزيله. يقول: إنّ العشق يُكسب أرواحنا تهتكا وانخلاعا، نهيم بسببه في أقطار الوجود وعز في راحة من عدم الالتفات إلى الكونين. فحمل الرّاح على العشق، وحمل الرَّوْح - بفتح الراء- على لوازم العشق من الأمور الخارقة لعادة الشخص كالانخلاع والاطراح والتهتك والبكاء والأنين والحنين وأمثال ذلك، فتتم بذلك للعاشق قوة عشقية يستحضر بها جمال المحبوب في ذهنه صورة روحانية، فيتعشق بها الروح، فيهيم العاشق عن إحساسه بها، وتلك الصورة هي المراد بها في قوله: "رُوحا" - برفع الراء-، وقد سبق ذكرها في البيت المتقدم في قضية المحبة.

❖ **وجه السّماع للمجذوب**: فيه تأويله للراح بالتجلي الذاتي الصرف المتقدم ذكره في البيت الأوّل. يقول: إنّ التجلي الذاتي الصرف يكسب أرواح العارفين قوّة إلهية يتحققوا بواسطتها من التمكن بالاتصاف بحقائق الأسماء والصفات، فتنمحق آثار البشرية عنهم بالكلية لظهور الآثار الإلهية عليهم، وإلى ذلك أشار بقوله: "حتى نروح هياما" أي نذهب عن لوازم الكون بالكلّية، فيتلوا لسان حالنا:

وأشرق شمس الحق في فلك الحشا	**فذاتي شمسي والصفات ضياء**
وقد صار في تصريفي الأرض والسماء	**فملكي ملك لم يَشُبْه فناء**
5- طيب النفوس حياة البارى النها	**شمس تجلت في الكؤوس مُداما**

❖ **وجه السّماع للناسك** فيه يقول: إنّ الجمعية في عبادة الله - تعالى- والتفرغ لها عن جميع الأشغال النفسانية هي طيب النفوس. "وحياة البارى النها": يعني تكون حياة القلب بالطاعة، إذ الغافل يكون قلبه ميتا، فلا حياة للقلوب إلا بعبادة المحبوب. فالطاعة شمس يستضئ بها القلب في ظلمات الكون إلى الوصول لمقام الفوز برضا الله - تعالى-. وإلى الهداية أشار بقوله: "شمس تجلت في الكؤوس مداما" يعني ظهرت في الأركان والأعمال شمس الهداية لمن داوم عليها.

❖ **وجه السّماع للسالك:** أنّ الفناء عن الكون بالله - تعالى- طيب النفوس لقوله عليه السلام: (لا راحة لؤمن دون لقاء ربه) [1] ومتى حصل اللقاء فني العبد عن الكون بأجمعه، لأن المحدَث لا يبقى عند ظهور القديم. وقوله: "حياة البارى النها" خبر لمبتدأ هو "شمس تجلت" معناه أنّ الحياة الحقيقية إنما تحصل بتجليات الحق - تعالى- للعبد في أسمائه وصفاته، وحينئذ يبقى العبد حيّا بحياة الله - تعالى-؛ فحمل الكؤوس على الأسماء والصفات تأويلا من حيث تجلى الحق فيها.

❖ **وجه السّماع للمحبّ** فيه يقول: إنّ طيب نفوس العاشقين وحياتهم إنما هو مشاهدة جمال المحبوب وتنوّعه في مقتضياته من العاشق، فتارة يُبعده وتارة يقرّبه، وتارة يكمله وتارة يهجره، فحياة العاشقين لا تكون إلا بوجود هذه المعاملة من الحبوب، فهم معه على السخط والرضا، قد طابت نفوسهم بما يفعله بهم، لأنّ مرادهم ما يريده المحبوب، فلهم في كل ساعة لذة متجدّدة، وهي تكون لهم تارة بالنعيم وتارة بالعذاب، كما قيل:

وتعذبكم عذب لديّ وجوركم عليّ   بما يقضى الهوى لكم عدل

---

(1) الحديث موقوف من قول عبدالله بن مسعود- رضي الله عنه-. عَنْ أَبِي قَتَادَةَ بْنِ رِبْعِيٍّ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُرَّ عَلَيْهِ بِجِنَازَةٍ فَقَالَ: [مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاحُ مِنْهُ قَالَ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ] (أخرجه البخاري). وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه و سلم: [الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر] (أخرجه مسلم)]

❖ **وجه السّماع للمجذوب** فيه يقول: إنّ طيب نفس العارف وحياته بوجود سائر الأسماء والصفات الإلهية تخلقا وتحققا، فلو فقد منها صفة واحدة كانت موضع موته وظهور آثار خلقيته عليه؛ فهو لا حياة له إلا أن يكون دائم الترقي في تحققه بتلك الكمالات الإلهية، وإليها الإشارة بقوله: "شمس تجلت" في تلك المعاني الكمالية تخلقا وتحققا، فافهم. وهذا آخر ما أردنا توجيهه من الأبيات المذكورة على أهل هذه المراتب.

فصل: (التوسّع في مفهوم تباين أحوال السّامعين)

اعلمْ أنه لا يُشترط أنْ يتوقف أهل السّماع من كل مرتبة على ما شرحناه في حقه، بل يمكن أنْ يفسح الله على الأذن بسماع الأعلى، ويحتمل أنْ يولح الأعلى معنى غريبا في النزول إلى السّماع في مرتبة الأدنى. ثم إنه ليس أحد من هذه المراتب المذكورة من النسك والسلوك والمحبة والجذب إلا وله رائحة من باقي هذه المراتب، لكن الحُكم على كل أحد بما غلب عليه، ولكلّ في مقامه استماعات كثيرة وتوجيهات متعدّدة لا يمكن حصرها؛ وإنما ذكرنا طرَفا من ذلك لمن أراد التشبّه بهم؛ وإلا فأصل السّماع مبنيّ على عدم التصنّع، لأنّ القلوب تتخلى - بالخاء الفوقية-عن معلوماتها، فتقف في حضرة العجز والافتقار بين يدي الله - تعالى-، فيتفضّل الحق -سبحانه و تعالى- عليها بما هو أهله، فترد الموارد الإلهامية فتحًا من الله - تعالى- من غير تصنّع ولا اجتلاب ولا تأويل ولا احتمال، بل يُفاجأ العبد من الله - تعالى- بما لا يستطيع دفعه، فتحصل له عند ذلك من الحركة والصراخ والرّقص ما يشاهده الحاضرون. وإنما أردنا بهذه التوجيهات تعليمًا للمتواجد، وتنبيها لمن أراد أن يتطلّع على اختلاف مشارب القوم في السّماع على أنها كثيرة لا تحصى، ولئلا ينبهم الأمر على الحاضرين فيما إذا تحرّك المبتدئ والمنتهي في بيت واحد، فلا شك أنّ للمنتهي غرائب لا يصل إليها فهم المبتدئ، ولو تطوّر غاية الأطوار أو تسلّق فوق نهاية الأكوان والأدوار فإنّ لسان حال المنتهي يقول له:

تندبون اللِوى وأندب سَلعا   كلّ عين تبكى على ما شجاها

الباب الثالث

في جُمَلة من المقامات وكيفية اختلافها في أرباب الدّرجات

اعلمْ – وفّقك الله تعالى– أنّ للطائفة اختلافا كثيرا في تعريف الحال والمقام، فمنهم من ذهب إلى أنّ الحال متى دام لشخص صار مقاما؛ ومنهم من ينفي دوام الحال ويقول إنه لا دوام له، والمقام عنده يعكسه وهو ما لا يفارق الشخص، كالتوبة والتوكل والزهد وأمثال ذلك. فإنّ الشخص لو ادّعى مقام التوبة فهي لا تفارقه، بخلاف الأحوال فإنّ الشخص إذا ارتقى عن موطن حال فارق ذلك الحال وفارقه الحال. فعلى هذا التقرير فالمقام ما يلزم ثبوته للعبد، والحال ما لا يدوم زمانيْن؛ فإنْ تصوّر عندك حال له دوام، فإنما ذلك مِثل أعقب المِثل. وفي ما ذكرناه للقوم اختلافات كثيرة اقتصرنا منها على ما وقع الاختيار فيه بحسب علمنا واجتهادنا، والله الموفّق لا ربّ غيره.

واعلمْ أنّ هذه المقامات والأحوال كثيرة بحيث لا يمكن حصرها، فلذلك شرَعنا منها في بيان أربعين موطنا من أمّهات الأحوال والمقامات، وشرحنا كيفيّة الرّجال على اختلاف مراتبهم في تلك الكلمات (**أمام كلّ كلمة نضع بين قوسين رقم الباب من كتاب "الفتوحات المكّية" لابن العربي الذي خصصه للتعريف بدلالات هذه الكلمة عند أهل السلوك والتحقق – محقق هذا الكتاب**).

فأقول وبالله المستعان وعليه التكلان:

1- **الكلمة الأولى الزّاجر(الأبواب: 208-264- 265)**: هو خاطر إلهاميّ يرد على قلب العبد، فينتهي عن قبيح ما هو عليه. فمنهم من ينتهي عن فعل المعاصي، وذلك مرتبة عوامّ المسلمين. ومنهم من ينتهي عن رؤية أعماله، وذلك مرتبة غالب النسّاك. ومنهم من ينتهي عن خاطر المعصية، وذلك مرتبة عوامّ السالكين. ومنهم من ينتهي عن الفترة في الطاعة، وذلك في خواص المتنسِّكين. ومنهم من ينتهي عن موافقة النفس بحال من الأحوال، وذلك مرتبة خواص السالكين. ومنهم من ينتهي عن العمل لطلب الجنة أو لخوف النار، فلا يعمل إلا لوجه الله – تعالى–، وهو مقام من مقامات السلوك. ومنهم من يتنهي به الوقوف مع المراسم والعادة، وهذا للخبير. ومنهم من ينتهي عن الالتفات إلى ما سوى الله – تعالى–، وهو حال من أحوال المريدين. ومنهم من ينتهي عن أنْ يخطر في باله خاطر غير الله – تعالى–

، وهو مرتبة عوامّ العارفين. ومنهم من ينتهي عن الوقوف مع حُجب الأسماء والصفات، وذلك حال من أحوال العارفين. ومنهم من ينتهي عن الاحتجاب بالذات عن حقائق الأسماء والصفات. ومنهم من ينتهي عن الشهود والعيان لتحقّقه بحقيقة الوجدان؛ والله المستعان.

2- **لكلمة الثانية الباعث:** هو إلهام إلهيّ يكشف للعبد عن شهود معالي الأمور، فيحمله على تحصيلها. فمنهم من ينبعث به لفعل الطاعات، وهذا للعوامّ المسلمين. ومنهم من ينبعث به لدوام العبادة وتكثير عدد العمل، وذلك مرتبة السالكين. ومنهم من ينبعث به لتخليص العلم عن الرّياسة والسمعة والعُجب، وذلك لخواصّ النسّاك. ومنهم من ينبعث به للجدّ والاجتهاد في سلوك الطريق بأنواع المخالفة ودوام أصناف الذكر، وذلك مرتبة السالكين. ومنهم من ينبعث به للاطراح والانخلاع عن التمسك بأخذ الأسباب والأنساب. ومنهم من ينبعث به لمحبّة الله - تعالى- فتجد في قلبه نارًا تحرق ما سوى الله - تعالى- من قلبه، فلا يميل بعدها إلى كون من الأكوان، وهي مرتبة عوامّ المريدين. ومنهم من ينبعث به لمراقبة الحق - تعالى- في سائر أحواله وأقواله وأفعاله. ومنهم من ينبعث به للمحاسبة فلا يسهل لنفسه أنْ ينظر نظرة لغير الله - تعالى- فكيف بباقي أعماله. ومنهم من ينبعث به لارتكاب الأهوال ومقاسات الشدائد وحمل المشاق. ومنهم من ينبعث به لشهود فعل الحق - تعالى- في الوجود، فلو هبّت الرّيح لشهد في هبوبها فعل الله - تعالى- بها وقدرته التي أجرَاها، وكذلك في سائر الموجودات، حتى لو تكلم أو أكل أو شرب شاهد قدرة الله وفعله به في ذلك العمل، وهذا المقام إذا جُذِب إليه العبد من غير تصنّع ولا تعمّل فقد مُنح شهود تجليات الأفعال؛ وإنْ تعمّل وتصنّع فيه وشهد هذا العلم والعمل فقد مُنح شهود علم يقين تجليات الأفعال. ومنهم من ينبعث به إلى شهود انعدام نفسه، وفنائه تحت سلطان ظهور كبرياء الحق - تعالى- له. ومنهم من ينبعث به إلى شهود ما لله - تعالى- من الكمالات الإلهية، فيصطلم في هذا المشهد وتذهب نفسه مع الذاهبين. ومنهم من ينبعث به إلى تحصيل علم اليقين بتجليات الصفات تخلقا واتصافا بعد وجود، قبله شهود وفناء، وبعده بقاء وتمكين، قبله تلوين؛ هذا لمن كان مستوفيا في مقام من مقامات المعرفة...والله يقول الحق ويهدى السبيل.

3- **الكلمة الثالثة المقصد:** هو ما يكون العمل مبنيّا عليه، وهو أخصّ من النيّة، فكلّ قصد نيّة، وما كل نيّة قصد؛ لأنّ النيّة قد تحصل للعبد قبل العمل، وبعد الشروع، وعند الفراغ من العمل. والقصد لا يكون إلا قبل العمل، كما أنّ الشخص مثلا لو قصد في صدقته رياء أو سمعة فأخرج الدرهم من صُرّته، ثمّ عند العطاء ألهمه الله أنْ يرجع عن ذلك القصد فنوى بالصدقة أنْ يدفع الله عنه بليّة من البليّات، ثم بعد العطاء ألهمه الله - تعالى- أنْ يجعل ذلك خالصا لوجهه سبحانه من غير طلب دفع بلاء ولا غيره، فنوى تلك ورجع عن النيّة الأولى والثانية، فهذا تنعقد صدقته بالنيّة الأخيرة ولو كانت النيّتان سابقتين فإن المذهب جواز الانتقال من السنّة إلى الفرض، ولا عكس. وقد صرّح العلماء في المحرم المطلق وأنّ له صرف إحرَامه إلى ما شاء من الحج أو العمرة؛ والمحرم بالعمرة يجوز له أنْ يصرف إحرَامه إلى القِرَان بالحج، فيدخل عليه الحج فيصير مقارنا. وهذه المسالة في الظاهر نظير مسألتنا في الباطن. فالعمل معقود بأعلى النيّات، والمقصد هو الباعث الأوّل لذلك العمل. فمنهم من يكون مقصده بالعمل النجاة من النار أو الفوز بالجنة، وهذه مرتبة عوامّ المسلمين. ومنهم من يكون مقصده بالعمل طلب رضا الله عليه، وهذا أعلى من الأوّل. ومنهم من يكون مقصده من العمل تحقيق العبودية لوجه الله - تعالى- لا لجزاء، فكأنه يقول لا يطلب الجزاء إلا الأجير، والمملوك لا يستحق جزاء على مالكه. ومنهم من يكون قصده بالعمل يكون مشتغلا بالله بظاهره وباطنه. ومنهم من يكون قصده بالعمل تهذيب النفس وإبعادها عن عادتها وطبيعتها. ومنهم من يكون قصده بالعمل تعبّدا بسنّة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فهو مشرب مِن فضالة كأس (أفلا أكون عبدًا شكروا) [1] وهذا للعارفين. ومنهم من يكون قصده بالعمل تشريعا لمن يتّبعه، ويعمل بعلمه، فهو يغترف من بحر ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾ [الأحزاب: 21].

4- **الكلمة الرّابعة الإنابة (البابان: 82-83):** هي رجوع العبد إلى الله - تعالى-، وهي مقام. فمنهم من تكون إنابته رجوعه من المعاصي إلى الطاعات، وهذا للعوام. ومنهم من تكون إنابته رجوعه من الأسباب إلى المسبّب فلا يقف معها، وهذا نهاية مرقى المتنسِّكين. ومنهم من تكون إنابته رجوعه من الاشتغال بالأركان في العبادة إلى الاشتغال بالمعبود فيها، وهو

---

(1) رواه البخاري في صحيحه.

من السالكين. ومنهم من تكون إنابته رجوعه من رؤية عمل نفسه إلى شهود فعل الله به في جميع حركاته وسكناته. ومنهم من تكون إنابته رجوعه من الاشتغال بتهذيب أخلاق نفسه إلى الاشتغال بشهود ما لله – تعالى– من الكبرياء والجلال والجمال. ومنهم من تكون إنابته رجوعه من التفرقة مطلقا إلى الجمع مطلقا، وهم أنواع: فمنهم من يرجع من شهود الخلق إلى شهود الحق مجملا؛ ومنهم من يرجع تفصيلا؛ والذين يرجعون إلى شهود الحق تفصيلا على مراتب: فمنهم من يرجع من مطلق الإجمال (التوحيد) إلى شهود تجليات الأفعال، ومنهم من يرجع من شهود تجليات الأفعال إلى شهود تجليات الصفات، ومنهم من يرجع من شهود تجليات الصفات إلى شهود تجليات الذات، ومنهم من يرجع عن الاحتجاب عن الأسماء والصفات إلى شهود الذات والصفات معًا، ومنهم من يرجع من شهود الجمال إلى شهود الجلال، ومنهم من يرجع من معرفته للذات بالأسماء والصفات إلى معرفته للأسماء والصفات بالذات. ومنهم من يرجع من معرفته لله إلى معرفة الله لنفسه؛ فإنْ كان رجوعه هذا في عروجه وتدانيه فهو في البداية، وهو من أهل تجليات الأسماء والصفات؛ وإنْ كان رجوعه هذا في تدلِّيه ونزوله فهو من أهل النهاية، ممحوق عن خلقيته حالا وشهودا ذوقا ووجودا.

5- **الكلمة الخامسة التوبة (البابان 74– 75)**: هي إقلاع العبد عمّا كان عليه من العمل أو الحال أو الاعتقاد بتركه له مطلقا، وله في ظاهر الاصطلاح ثلاث علامات، الأولى: الندم، الثانية: ترك ذلك الفعل حالا، الثالثة: عدم الإتيان به في المستقبل. فتوبة العوام عن الذنب والمعصية. وتوبة السالكين عن خاطر الذنب. وتوبة المريدين عن خاطر يخطر لهم في ما سوى الله – تعالى–. وتوبة المرَادين عن الوقوف مع حجب أنوار الأسماء والصفات؛ فمنهم من تكون توبته إقلاعه عن شهود الإجمال إلى شهود التفصيل، ومنهم من تكون توبته إقلاعه عن شهود الذات بواسطة الواحدية فيشهد بواسطة الألوهية، ومنهم من تكون توبته إقلاعه عن شهود الذات بواسطة الألوهية إلى شهودها بواسطة الأحدية؛ وهذا الإقلاع بحسب الترقي الحاصل للولي؛ فما ثَمّ مشهد من المشاهد الإلهية إلا وفيه مراتب ومعارج ومدارج. فقد يكون من هو أدنى في مقام يشهد اسمًا ذاتيا، والأعلى يشهد اسما صفاتيا، لكن مشهد هذا الأدنى للاسم الذاتي يكون لأوّل بطن من بطونه، فهو بالنسبة مع قشر المعرفة؛ وشهود الأعلى للاسم الصفاتي يكون للبطن الثاني أو الثالث أو الرّابع أو الخامس أو السادس أو

السابع، كُلاّ على قدر مرتبته عند الله - تعالى-. فيكون شهوده مفيد له لبّ معرفة إلهية، والأوّل ما أفاده شهوده إلا معرفته بالنسبة إلى هذا، فكان مشهده من الاسم الصفاتي أعلى من مشهد ذاك الأوّل ولو كان مشهدٍه اسما ذاتيا، من أجل أنّ المدرج الذي كان فيه هذا مع الاسم الذاتي أنزل المدارج في مشهد ذلك الاسم، والمدرج الذي كان فيه ذلك أعلى المدارج في مشهد ذلك الاسم الصفاتي، فيدخل هذا علوّا في مدارج الاسم الصفاتي، فكان أعرف بالله - تعالى-. فلا يُحكم بتقديم من كان مشهده اسما أعلى، على من مشهده اسم دون ذلك، إلا إذا تساووا في مدارج الشهود من الاسم؛ فإنّ لكل اسم من أسماء الله وصفة من صفاته مشهد مخصوص يختص به، لكن لذلك المشهد سبعة بطون، كلّ بطن أعلى من بطن، وهي المدارج، وفيها تفاوت عظيم. مثلا تقول في رجل هو مع الله - تعالى- بواسطة اسمه "القادر"، فهذا في البطن الأوّل من مشهد هذا الاسم يرى قدرة الله - تعالى- وتصريفه بالأكوان علوا وسفلا؛ ورجل آخر في هذا المشهد مع الله بواسطة اسمه "القادر" لكنه في البطن السابع، فهذا يتصرّف في الأكوان بيد "القادر"، فيُحيي ويُميت، ويبري الأكمه والأبرص. فهذان الرجلان استويا من حيث العبادة في أنهما قد تجلى الحق عليهما سبحانه بصفة القدرة، لكن تفاوتا من حيث المدرج والمنظر الذي أقيم فيه كلّ واحد منهما، فافهم. وهذا لا يفهمه ذوقا إلا من حصل فيه. والله المستعان وعليه التكلان.

6- **الكلمة السادسة الزهد (البابان93- 94)**: هو ترك الشيء من اليد بشرط عدم الالتفات إليه بالقلب، وإلا فلا يكون زاهدا، بل يكون تاركا، وهو مقام. وهذا المقام جامع لخمس مراتب، المرتبة الأولى: الزهد في الحرام، المرتبة الثانية الزهد في الشبهة ولو كان ظاهره حلالا، المرتبة الثالثة: الزهد في الحلال، المرتبة الرابعة: الزهد في الزهد يتناول الأشياء بيد الله - تعالى-، المرتبة الخامسة: وهو الأعلى وذلك أن يكون الولي الكامل العارف باقيا على صفة أهل البداية في الزهد وترك الأشياء من غير التفات إلى ترك ولا إلى قبولها، بل اقتداء برسول الله - صلى الله عليه وسلم -حيث عُرضت عليه الدنيا بشرط أن لا ينقص من آخرته شيء، فاختار أن يكون فقيرا. فالزهد اسم لجميع هذه المراتب الخمس. فمنهم من يكون زهده عمّا في يده. ومنهم من يكون زهده عمّا في يد غيره، وهذا الزهد الثاني، فالقناعة شعبة منه. ومنهم من يكون زهده عن سائر الأمور الدنيوية سواء كانت في يده أو في يد غيره. وهذه الثلاث المراتب من الزهد مع مرتبتين بعدها كلّها زهد العوام. ومنهم من لا يكون في يده

شيء، بل يكون فقيرا من أصل الفطرة، فيكون زهده في طلب الدنيا وملذوذتها. ومنهم من يكون زهده فيها لمعرفته بحقارتها، فهو يطلب بزهده خيرًا منها عوضا عنها لمعرفته أنّ الآخرة أكبر درجات وأكبر نصيبا، وهذا الزهد هو زهد النسّاك. ومنهم من يزهد في الآخرة لوجه الله - تعالى- لأنه لو اشتغل بطلب الجنة يحتاج أنْ يجعل العبادة ممّا يطلب بها الجزاء، وهذا شرك في الإخلاص، فصاحب هذا المقام أوّلا يزهد في الدنيا، ثم يزهد ثانيا في الجنة حتى يعبد الله خالصا لوجه من غير نظر إلى جزاء، وهذا أوّل منازل السالكين في طريق الله - تعالى-. ومنهم من يزهد في رئاسته فيخلع العذار في حب الله، وهذا أوّل علامات المحبة والإرادة، فيترك مقام الترَسّم والتعزز إلى غاية الاطراح حقيرا ذليلا.

شعر:

تذلّل لمن تهوَاه إنْ كنتَ عاشقا   فما عاشق من لا يذلّ ويخضع

ومنهم من يزهد في حظه مطلقا، فهو كلما رأى عملا من الأعمال لابسه ترك ذلك الحظ وأخلصه لله، فإن لم يقدر على ترك الحظ في ذلك العمل ترك العمل ولا يعمله لحظ نفسه، إلى أن ينتهي به الأمر حتى يحبّ الله - تعالى- لا لأجل أنْ يكشف له عن جماله، ولا لكي يتصف بصفاته، بل يحبّه سبحانه لكونه أهلا أنْ يُحب. ومنهم من يزهد في رؤيته أفعال نفسه، فلا يرى أفعاله إلا أفعالا لله - تعالى-. ومنهم من يزهد في صفات الحق. ومنهم من يزهد في ذاته فيرحل عن شهوده لذاتِ نفسه إلى شهوده لذاتِ الحق - تعالى-. ومنهم من يزهد في الكون بأسره فيرحل عن شهود الكون مطلقا، فلا يقع مشهوده أبدًا إلا على الله - تعالى-، فهذا لا يخطر بباله أنّ في الوجود شيء سوى الله - تعالى- أبدا، بل لا يعرف إلا الله، ولا يجد إلا الله، ولا يبصر إلا الله، فهو لله ومع الله وبالله، قد أعماه الله عمّا سوى الله. ومنهم من يزهد في المشاهد الأفعالية لتحققه بولوج المشاهد الصفاتية. ومنهم من يزهد في المشاهد الصفاتية لتحققه بشهود المشاهد الأسمائية. ومنهم من يزهد في المشاهد الأسمائية لوجود التجليات الذاتية. ومنهم من يزهد في المجالي الذاتية لرجوعه من الحق إلى الخلق بالحق، فهو الوليّ الكامل. وهذا الزهد في المجالي المذكورة وما أشبهها معنى وحُكما يعرفه أهله، فلا يشكل عليك فإنه لا ينبغي أن يزهد العبد في الله، ولا في شيء من أسمائه ولا

صفاته، بل يزهد في سائر الأشياء ممّا سواه لأجله. ولكن في هذه المشاهد أمور ذوقية وجدانية، فإذا ترقوا في مشهد زهدوا فيما قبله، لأنه لا يتصوّر لهم أنْ يرجعوا عن معرفة الله – تعالى–، فزهدهم هذا لا باعتبار أنهم تاركون لتجلي الحق، بل باعتبار أنهم مأخوذون عن تجلي أدنى إلى تجلي أعلى، فافهم.

7- **الكلمة السابعة التوكل (البابان118- 119):** وهو إرجاعك أمرك إلى الله – تعالى–، وهو مقام.. فمنهم من يكون توكله على الله ليكفيه الله كما قال الله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: 3] وهذه مرتبة العوام في التوكل. ومنهم من يتوكل ليفعل الله به ما يريده، فهو متكل لا لغرض بل عبودية، وهذه مرتبة السالكين. ومنهم من يتوكل عليه تصحيحا لإيمانه لقوله: ﴿فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ﴾ [يونس: 84]. ومنهم من يكون توكله صرف نظره من الأكوان إلى نظره إلى صنع الرحمن. ومنهم من يكون توكله إرجاع عمله إلى الحق، فإذا عمل عملا صالحا رآه فِعل الله لأنه ما فعله إلا بقدرة الله، فلا يدّعي أنّ ذاك عملا له وله جزاء. ومنهم من يكون توكله إرجاعه أمر الوجود بأسره إلى الله، فيكل أمر الثقلين إليه، فلا يشهد في العالم متصرّفا سوى الله، ويستصحب هذا العلم في كل خطرة ونظره وكلمة وحالة. ومنهم من يكون توكله إرجاع أمر صفاته إلى الله – تعالى– لأنه يتحقق أنّ اللطيفة السامعة إنما تسمع بالله، واللطيفة الباصرة إنما تبصر بالله، واللطيفة العالمة إنما تعلم وتدرك بالله – تعالى–، فتحقق له من هذا أنّ سمعه منسوب إلى الله، وبصره وكذلك باقي صفاته النفسية من الحياة والقدرة والإرادة، فيحيل أمر هذه الصفات إلى من هي له حقيقة، ويرجع عن دعوى التصرف بها، فيكل الأمر فيها إلى صاحبه، فتكون حياته وعلمه وقدرته وإرادته وسمعه وبصره وكلامه منسوبا إلى الله – تعالى–. ومنهم من يكون توكله من حيث التجليات الإلهية، فلا يتعلق بتجلّ مخصوص، بل يصرف أمره إلى الله – تعالى– فيشهده مع الشؤون على اختلاف التجليات، وهذا للعارفين.

8-9- **الكلمة الثامنة والتاسعة: التفويض والتسليم (الباب 469):** فالتفويض هو ترك العبد اختياره لله – تعالى– في النفيس لداعية أمر مّا من الأمور؛ والتسليم ترك النزاع مع الاختيار جميعا لله – تعالى–. فبالتفويض ينقطع اختياره ظاهرا، وبالتسليم تنحسم مادّة الاختيار ظاهرا وباطنا. وهذا هو الفرق بينهما وبين التوكّل. إنّ المتوكل إنما توكّل في أمر يدّعي ملكيته،

والمفوض يبرأ من تلك الدّعوى، لكن في نفسه من حيث الباطن وجود طلب أمر مخصوص لو وقع لكان هو الأولى عنده؛ وذو التسليم بريئ من ذلك كله أيضا، فهو قد ألقى الأمر وسلّمه إلى من له الخلق والأمر. فمنهم من تفويضه وتسليمه في أموره احتساب لله، ناظرا إلى حسن ثوابه في الآخرة. ومنهم من تفويضه وتسليمه لعلمه أنّ الأمر مفروغ منه فلا يقع النزاع، وقد قال عليه السلام: (جفّت الأقلام ورُفعت الصحف)[1] ومنهم من تفويضه وتسليمه لنظره إلى كبرياء الله – تعالى- فلا ينبغي للعبد أنْ ينازعه في ملكه...يقول الإمام سهل بن عبد الله التسترى: (ما ثمّ إلا التسليم ولا وجه للقرار) يعني ما يمكنك إلا أنْ تسلِم الأمر له في مراده، لأنه كان من الله قدَرًا مقدورا، ولا وجه لك للقرار إنْ قدّر عليك بمعصية، فلا تسكن إليها، بل ينبغي لك ولو سلّمتَ أنْ ترجع إليه بالدعاء والابتهال ليرفع عنك ذلك، فإنه لا ينبغي لك القرار على ما نهاك عنه ولو لم يمكن لك الفرار عمّا قدّره عليك... وهذه رتبة أطفال هذا الطريق والمبتدئين الذين لنفسهم امتحنهم الله – تعالى- بأنواع الاختبارات حتى تصفى بواطنهم، وتزكى نفوسهم، وتنوّر ظواهرهم، ثمّ يصطفيهم لقربه، ويجعلهم من حزبه، لأن الأولياء المقرّبين محفوظين مِن أنْ يمرّ عليهم خاطر المعصية، فكيف المعصية؟ بل تصفّوا بالله عن كل ما يحجب عن الله ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ﴾ [المجادلة: 22]. ومنهم من يكون تسليمه وتفويضه من حيث المقامات، فلا يتشوّفون إلى ما فوقهم حتى ينتقلوا من مقامهم؛ وعندي أنّ هذا لا ينفع أنْ يتخذه السالك دأبا في سائر المقامات، بل في بعضها دون بعضٍ. ومنهم من يكون تسليمه وتفويضه في ما يطلق الله عليه من أمور الكون، فلا يتعرّض لشفاعة في زوال بليّة، ولا يتصدّى لكشف غمّة، وفي هذا المقام قال الجنيد للشبلي: (هذا ضيق وحرج) وقد كان الشبلي تنفّس الصّعداء، فكأنه – رضي الله عنه- كشف له عن بليّة نازلة بأهل الأرض فتنفّس لذلك، فقال له الجنيد ما قال.

10- **الكلمة العاشرة الرّضا (البابان128- 129):** وهم اسم لسكون العبد حيث أقيم، فلا يؤمّل تغييرًا أو تبديلا، ولا يروم تنقلا ولا تحويلا، فصاحبه كما قال القائل:

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متأخّر عنه ولا متقدّم

[1] رواه الترمذي.

وقال الإمام سهل بن عبد الله التستري: (الرّضا قبل القضاء عزم على الرضا، والرضا عند حلول القضاء هو الرضا). فمنهم من يكون رضاه بما فعل الله به من حسن أو غير ذلك، فلا يسخط حالة يكون هو فيها ولو أدخل النار رضي بقضاء الله - تعالى-، وعلامة صحّة حصول العبد في هذا المقام ثلاثة أشياء، أحدها: سكون النفس إلى الله في قطع الأسباب، ثانيها: قطع النظر عن الخلق بحسم مادّة إسناد الفعل إليهم، ثالثها: عدم طلب الجزاء من الله - تعالى- فيما يعمله من عمل أو يصيبه من مصيبة. ومنهم من يكون رضاه بالله ربّا فلا يجعل لغير الله ربانية عليه، فلا يكون قلبه مملوكا لغير الله - تعالى- بحال، وعلامة صحّة حصول العبد في هذا المقام الخاص أنْ لا يخطر به خاطر إلا في الله - تعالى-، فلا يخطر به ما سوى الله - تعالى- بحال قطعًا. ومنهم من يكون رضاه وقوفه في مقام التلوين بمقتضى التجليات، فهو في كلّ وقت مع تجلّ مخصوص غير ما كان فيه، فلا يتشوّف إلى شيء معيّن، ولا يطلب بقاء تجلّ واحد زمانين...

11- **الكلمة الحادية عشر: الإخلاص (البابان134- 135)**: هو عبادة الحق للحق لا لعلّة ترجع إلى النفس بحال. فمنهم من يكون إخلاصه في الأعمال، فيعمل لله لكونه أمَرَه بعبادته، لا ليجازيه على العمل بشيء من ثواب الدنيا والآخرة، ولصحة حصول العبد في هذا المقام علامتان أحدها: أنْ لا يلتفت إلى قول الناس فيه بوجه من الوجوه، فلا يعمل ليقولوا، ولا يترك العمل لئلا يقولوا؛ الثانية: علمه عند العمل أنّ ذلك الفعل بتوفيق الله وقدرته وإرادته. ومنهم من يكون إخلاصه رفع انتساب الفعل إلى نفسه بوجه من الوجوه، فلا يرى له عملا بحال، فتكون أعماله كلها بالله ولله. ومنهم من يكون إخلاصه براءته من صفات النفس لتعلقه بصفات الله - تعالى-، فيكون سمعه وبصره وعلمه وقدرته وحياته وإرادته وكلامه منسوبا إلى الله - تعالى-. ومنهم من يكون إخلاصه أنْ لا يرى للأشياء قيامًا بنفسها بحال، بل يكون دائم الشهود لقيام الأشياء بالله - تعالى-، فلا يرى حقيقة الوجود إلا لله - تعالى- كما قيل:

هذا الوجود وإن تعدد ظاهرًا وحياتكم ما فيه إلا أنتم

ومنهم من يكون إخلاصه تحققه بمقام الفناء الذاتي، فيخلص وجوده لله - تعالى-. ومنهم من يكون إخلاصه عدم رجوعه إلى النفس بحال، فيكون مسرحه في رياض الحضرة الكمالية بين تجليات الأسماء والصفات، وهو واقف بلا رسم في قدس الذات، وقد تخلص بالله من سائر البشريّات.

12- **الكلمة الثانية عشر: الصدق (البابان136- 137):** هو التوجّه الكلّي في طلب الحق قولا وفعلا وحالا وعزيمة، فلا تأخذه في الله لومة لائم. فمنهم من يكون صدقه في الأقوال فلا يقدر على الكذب بحال، ولا يُكذِّب أحدًا فيما يقول. ومنهم من يكون صدقه في الأفعال لله فيكون مُجدّا في طلب الله بصحّة التجريد والانخلاع والاطراح وترك الرياسة واستعمال أحكام الطريق على القانون المطلوب. ومنهم من يكون صدقه في الأحوال، فتكون أحواله الهيبة، وهذا الرجل هو الواقف مع الشؤون الذاتية. ومنهم من يكون صدقه في العزائم، فيركب الأهوال في طلب الله - تعالى- ويبلغ في الاجتهاد غاية الإمكان، وهذا الرجل هو الصادق قولا وفعلا وحالا، فلا يصح جمع أنواع الصدق من كل وجوهه إلا لهذا.

13- **الكلمة الثالثة عشر: الورع (البابان91- 92):** هو اجتناب العبد مواقع التهمات خوف الوقوع في الشبهات. فمنهم من يكون ورعه في المأكل والملبس، فلا يتناول مِن أحد شيئا إلا إذا تحقق عدم الشبهة في ذلك الشيء، وهذا من شرائط الزهد لأنّ الزاهد الذي يزهد فيما عنده ويتناول مطعمه وملبسه ما فيه تهمة شبهة لم يزد على أنْ ترك الحلال وتناول الشبهة؛ فورع العُبّاد والزُهّاد في المأكل والملبس. ومنهم من يكون ورعه في سماعه ما لا يعنيه من الكلام والتكلم به، وهذا من شرائط حسن الإسلام لقوله صلى الله عليه وسلم: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه) [1] ومنهم من يتورّع في الأربع الخصال المذكورة وهي: المأكل والملبس والكلام وسماعه، وهذه نهاية مرتبة النسّاك، وبداية مرتبة السالكين. ومنهم من يتورّع في الأمور الباطنية بعد ضبط الظاهرية، وهذه المرتبة الأولى في حفظ الباطن، فلا يقبل من نفسه خاطر غيبة في أحد خشية من الوقوع في قوله: ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: 12]. ومنهم من يتورّع حتى عن خاطر المعصية، فلا تكاد تخطر به المعاصي أبدًا، وهذه في المرتبة الثانية في حفظ الباطن، وهي لعامّة المريدين، كما أنّ الأولى لعامّة

---

(1) رواه الترمذي.

السالكين. ومنهم من يتورع في سائر الخواطر عن التفرقة، فلا يخطر به شيء سوى الله – تعالى– ، هذه هي المرتبة الثالثة في حفظ الباطن، وهي لخواص المريدين. ومنهم من يتورع عن كل خاطر لا يتعلق بالحضرة التي أقيم فيها عند الله – تعالى–، فلا يخطر به مما سوى تلك الحضرة خاطر حتى يخرج عنها، فإذا حصل في حضرة أخرى كان في تلك الحضرة بهذا الحُكم، فهذا هو الوليّ الكامل الواقف مع مقتضيات الشؤون الإلهية، وهذه المرتبة أعلى مرتبة في حفظ الباطن، وهي المرتبة الرابعة.

14- **الكلمة الرابعة عشر: الخوف (البابان100–101):** هو اضطراب باطن العبد بسبب توهّمه التلاف، ومرجع الخوف على النفس ومنشأه وجودها، ومصدره علمه بالعمل وجهله بالعاقبة. والخوف مخصوص بالعوامّ، ليس عند الخواص خوف لقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [يونس: 62]؛ وأمّا قوله عليه السلام: (أنا أعرفكم بالله وأشدكم خوفا منه) (أنا أعرفكم بالله وأشدكم له خشية) [1] فإنّ ذلك الخوف هو الهيبة الصادرة عن مطالعته إلى عظمة الجلال، وذلك لأنّ الهيبة من لوازم آثار الصفات الجلالية الإلهية، والخوف من لوازم وجود النفس البشرية المعلومة. والخائفون على مراتب: فمنهم مَن خوفه مِن نتائج عمله. ومنهم من خوفه من العاقبة بماذا يكون الختام لقوله عليه السلام (ما معناه): (لا يغرّكم عمل عامل حتى ترون بماذا يختم له) [2] ومنهم من خوفه من السابقة لأنّ العاقبة مبنيّة عليها، وهذا أعلى من الأوّل. ومنهم من خوفه من الله لكونه أنْ يكون أهلاً أن يخاف العبد منه، وهذا أعلى من الجميع، ولو كان الكل إنما يخافون من الله – تعالى– لكن التفاوت من حيث أسباب الخوف. واعلمْ أنّ الخوف للعبد أسلم من الرّجاء، وطريقه أخص من طريقه، وإنْ كان الرجاء أنفع لقوله: [أنا عند ظن عبدي بي) [3].

---

(1) رواه الإمام مسلم.

(2) روى أبو يعلى الموصلي في مسنده عَنْ أَنَسٍ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [لا تُعْجَبُوا بِعَمَلِ أَحَدٍ حَتَّى تَنْظُرُوا بِمَ يُخْتَمُ لَهُ، فَإِنَّ الْعَامِلَ يَعْمَلُ زَمَانًا مِنْ دَهْرِهِ بِعَمَلٍ صَالِحٍ لَوْ مَاتَ دَخَلَ الْجَنَّةَ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ فَيَعْمَلُ عَمَلا سَيِّئًا، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ زَمَانًا مِنْ دَهْرِهِ بِعَمَلٍ سَيِّئٍ لَوْ مَاتَ دَخَلَ النَّارَ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ فَيَعْمَلُ عَمَلا صَالِحًا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ"، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ؟، قَالَ: يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ ثُمَّ يَقْبِضُهُ].

(3) قال الله عز وجل: [أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء] رواه مسلم.

15- **الكلمة الخامسة عشر: الرجاء (البابان102- 103):** هو سكون باطن العبد إلى حصول الملائم بسبب نظره إلى الجود الإلهي، ومرجع الرّجاء للنفس، ومنشأه وجودها، ومصدره التماس العبد آثار صفات الجمال الإلهي. والرّجاء أيضا من خصوصيات العوامّ، فليس عند الخواص رجاء لِما ذكرناه من أنّ الرجاء مرجعه للنفس. وأما قوله عليه السلام: عن الوسيلة: (إنها أعلى درجة في الجنة، ولا تكون إلا لرجل واحد، وأرجو أنْ أكون أنا هو)[1] فإنه إنما أتى تلفظه "أرجو" تأدباً، وإلا فهو عين ذلك الرّجل الذي له الوسيلة، وقد وعده الله بها والله لا يخلف الميعاد. فليس عند الخواص إلا أنس وهيبة، كما أنه ليس عند العوامّ إلا رجاء وخوف. والرّاجون على مراتب: فمنهم من يرجو الأمور العزيزة من فضل الله – تعالى- وهو غير مستعدّ لها بالأعمال التي تصلح لها، فهذا رجل متمنّ. ومنهم من يرجو الأمور العزيزة من فضل الله وهو يعمل جهده من الأعمال الصالحة لها، وهذا رجل متعمّل، والله أكرم مِن أن يضيّعه. ومنهم من يرجو وليس عنده شيء من الخوف، وهذا رجل مغرور لا يبعد أنْ يكون مستدرَجا. كما أنّ منهم من يخاف وليس عنده شيء من الرّجاء، وهذا رجل قنوط، نعوذ بالله من الحالتين. فينبغي أنْ يكون العبد مع الله بين الخوف والرّجاء، فقد قيل: (إنّ الخوف والرجاء للعبد كالجناحين للطائر، فإنْ عُدم أحدهما هلك الطائر)؛ وأمّا قول الشيخ محيى الدين عبد القادر الجيلاني – رضى الله عنه-:

أصبحتُ لا أملاً ولا أمنية ... أرجو، ولا موعوده أترقّب

فإنه لتمحيصه بفناء النفس عن أوصافها البشرية، وتحققه بالاتصاف بالأخلاق الإلهية، لا لكونه استغنى عن مواهب الله – تعالى-، فليُفهم، لأنّ النفس إذا فنيت زال الخوف والرّجاء إذ هما من لوازمها. واعلمْ أنّ الأنس هو ما يتجدّد للخاصة عند تجليات صفات الجمال الإلهي على قلوبهم المظهرة ذلك.

16- **الكلمة السادسة عشر: المحبّة (الباب178):** هي نار لوْعة تنقدح عن ميْل القلب إلى محبوبه فتحرق ما سواه، فلا يبقى لغير المحبوب في القلب وجود. والمحبّون على أنواع، فمنهم من تحرق محبته ما سوى محبوبه وما سواه، فيكون المحبّ في هذه المرتبة باقيا مع محبوبه يناجيه

---

[1] أخرجه مسلم.

ويكلِّمه، وهذه مرتبة المكلّمين وهي لعوامّ الطائفة. ومنهم من تحرق محبته ما سوى المحبوب مطلقا، فتحرق نفسه والمحبّ أيضا، فيصير فانيا تحت سلطان ظهور المحبوب، وهذه مرتبة المصطفين وهي لخواص الطائفة. ومنهم من يُبقيه الله – تعالى- بعد الفناء فتكون محبته باقية وهو باق ببقاء الله؛ فالأوّل مريد، والثاني مراد، والثالث كامل؛ وإنْ شئت قلت الأوّل مريد، والثاني عارف، والثالث محقِّق. ويقال إنّ محبّة الأوّل إرادة، وإرادة الثاني هي المحبّة،. ومحبة الثالث هو العشق. واعلم أنّ العوامّ ليس عندهم من المحبة الحقيقية شيء، فمحبّتهم إنما هو ميل القلب لأجل الإحسان، فهم لا يعرفون ذوق المحبة الذاتية أبدًا، بل ولا يعرفون المحبة الصفاتية أيضا، لأنّ المحبّة الصفاتية أنْ تحب الله لكونه أهلا أنْ يُحب، لا لكي يقرّبك أو يُدنيك؛ والمحبة الذاتية هي التي تكون من الرّؤية، وليس عند العوام شيء من ذلك، وإنما عندهم المحبة الفعلية وهي محبة الإحسان؛ وأعنى بالعوام خواص العُبّاد والزّهاء والنسّاك، فافهم.

17- **الكلمة السابعة عشر: الشوق (الباب180):** هو طلب القلب وجدان المحبوب عند فقدان الصبر عنه؛ وقيل هو اسم لاضطراب القلب وعدم سكونه عن المحبوب. والمشتاقون على أنواع: فمنهم مَن شوقه إلى مطالعة الجمال الإلهي، وهذا أوّل مراتب المبتدئ. ومنهم من شوقه إلى الله مطلقا لا لأجل مطالعته الجمال، ولكن لما تستحقّه الصفات الإلهية. ومنهم من شوقه بضرورة حال المحبة، وهذا الشوق مِن لوازم العشق، وصاحبه في مشاهدة دائمة لأنّ القوة الشوقية تستحضر له جمال المحبوب، والقوة العشقية تَلْزَمه فلا يفارق تلك الصورة الروحانية تعشقا ذاتيا. ولا تسمى المحبة عشقا إلا إذا بلغ صاحبها فيها إلى هذا الحدّ. ومنهم من شوقه إلى تحققه بالصفات الإلهية، وهذا الشوق لا يكون إلا بعد المشاهدة الحقيقية، وهو شوق الواصلين.

18- **الكلمة الثامنة عشر: الصبر (البابان 124- 125):** هو السكون عند نزول البلاء، وله علامتان، الأولى: عدم الشكوى من المبتلي، الثانية: عدم الملل من دوام البلاء. والصابرون على مراتب: فمنهم من صبره احتساب لله طلبًا لجزيل الثواب، وسكونا إلى صدق وعد من لا يخلف الميعاد، وهذا هو صبر العُبّاد وكافة أهل النسك، وهو صبر معلول. ومنهم من صبره لله، لا من أجل الثواب، فيحمل أعباء البلاء لأجل المبتلي رضا بقضائه وقدَره، وهذا صبر السالكين. ومنهم من صبره في الله يعني في حبّ الله، فلا يجد مرارة الصبر، بل لا يجد

مشقة البلاء، ثم ينتهي في هذا المعنى إلى أنْ يلتذّ بالعذاب كما يلتذ بالنعيم نظرا إلى فعل المحبوب، كما قال سلطان المحبين وقدوة العاشقين الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض - رضى الله عنه-:

وتعذيبكم عَذب لديّ وجورُكم علّيّ بها يقضي الهوى لكم عَدلُ

ومنهم من صبره على الله، وهو صبر المريدين، فيصبر على حمل أعباء دوام التعلق بالله، فيضبط الإحساس، ويعدّ الأنفاس، ولا يشتغل أبدا إلا بالله، فلو اشتغل بشغل مّا لكان مشتغلا بالله في ذلك الشغل عن شغله، كما قيل:

جرى حبّها مجرى دمى في مفاصلي فأصبح لي عن كل شغل بها شُغْلُ

ومنهم من صبره مع الله، فلا يخطر به خاطر في غير الله، كما قال بعض الشيوخ: (كنتُ بوّاب قلبي ثلاثين سنة) يعني صبرت مع الله فيها وما تركت القلب يسرح ويرتع في شيء سواه، وهذا الصبر هو صبر العارفين. ومنهم من صبره على الله، لكن بالله، وذلك أنّ العبد إذا وصل إلى الله - تعالى- وتحقق بمقام البقاء في حضرة (كنت سمعه وبصره) قدْ يُرجعه الله إلى الخلق لتكميله أو لتكميل غيره على يده، فيرسل دونه حجابا رقيقا، فيقف العبد خلف ذلك الحجاب، وقد تأدب لكلّ مقام بما يلزمه من الأدب، فصبره في هذه المرتبة عن الكمالات الإلهية هو الذي يسمّى بالصبر عن الله، وهو أشقّ الصبر وأمرّه وأصعبه، ولكنه صبر المحقِّقين.

الكلمة التاسعة عشر: السفر والغربة (الأبواب: 174- 175-190 -191): اعلم أنّ الخلق كلهم غرباء، ولم يزالوا مسافرين من موطن إلى غيره فليس لهم قرار أبدًا.

(الأسفار عبر مراتب الوجود تنزّلا):

فأوّل مبتدإ سفرهم من الحضرة العلمية إلى الحضرة الإرادية، ومنها إلى الحضرة القوْلية (أي قول الل- تعالى- لمن يريد خلقه: كن فيكون)، ومنها إلى الحضرة القادرية، ومنها إلى الحضرة القلَمية (أي القلم الأعلى)، ومنها إلى الحضرة اللوحية (أي اللوح المحفوظ)، (ومنها إلى الحضرة العرشية)، ومنها إلى الحضرة الكرْسية، ومنها إلى الحضرة الرّوحية الكلِّية الإطلاقية، ومنها إلى الكرة الهيولانية،

ومنها إلى الكرة الهبائية، ومنها إلى الكرة العنصرية، ومنها إلى الكـرة الفلكيـة الأطلـسية، (ومنهـا إلى الكرة الفلكية الكوكبية)، ومنها إلى الكرة الفلكية الزحلية، ومنها إلى الكرة الفلكيـة المـشترية، ومنهـا إلى الكرة الفلكية المريخية، ومنها إلى الكرة الفلكية الشمسية، ومنها إلى الكرة الفلكية الزهرية، ومنهـا إلى الكرة الفلكية العطاردية، ومنها إلى الكرة الفلكية القمريـة، ومنهـا إلى الكـرة الناريـة، ومنهـا إلى الكرة الهوائية، ومنها إلى الكرة المائية، ومنها إلى الكرة الترابية، ومنها إلى المرتبة النباتية.

(سفر السعداء):

والخلق كلهم مستوون في الـسفر مـن الحـضرة العلميـة إلى الحـضرة النباتيـة، وبعـد ذلـك يتفاوتون. فمنهم من تسلك العناية الإلهية به طريق السعادة، ومنهم من تـسلك بـه طريـق الـشقاوة؛ فمن سلكت به طريق السعادة لا يرجع من المرتبة النباتية إلى المرتبة الترَابية، بل إذا صـار نباتـا يهيّـئ الله ذلك النبات غذاء لوَالديه فينتقل من النباتية إلى المرتبة الغِذائية، ثم ينتقل منها إلى المرتبة الدموية، ثم ينتقل منها إلى المرتبة المنيّة، ثم ينتقل منها إلى المرتبة العَلَقية، ثم ينتقل منها إلى المرتبة المُـضغية، ثـم ينتقل منها إلى الحيوانية الجنينية، ثم ينتقل منها إلى ظاهر الدنيا.

(سفرالأشقياء):

وأمّا من سلكتْ به طريق الشقاوة فإنه لا يزال يتكرّر في سفره من المرتبة النباتيـة إلى المرتبـة الحيوانية، بل يتغذاه حيوان غير والده، فيموت ذلـك الحيـوان وينتقـل هـو مـن المرتبـة الحيوانيـة إلى المرتبة الترابية، ثم ينتقل إلى المرتبة النباتية؛ وعلى قدر بُعده عن الله يسافر بين هـذه الـثلاث المراتـب فيتكرر فيها بقدر شقاوته وبُعده عن الله - تعالى- حتى تنسى قابليته تلك المواطن العلوية التي انتقل منها وسافر عليها فلا يتذكّرها في الدنيا، فلا يكون من أهل الذكر، وتنطبع في قابليته الأمور السفلية الترابية الكثيفة لطول تكـراره بـين تلـك الأطـوار والأكـوار، فـلا يميـل في ظهـوره إلا إلى الكثـائف الشهوانية، فيكون سفره بعد ذلك في ظلمات الجهل وكثائف الطبيعة، حتـى ينتهـي إلى مـستقره مـن الجحيم؛ بخلاف أهل السعادة فإنهم يسافرون في الأطـوار النورانيـة حتـى يـستقرّ بهـم الأمـر في دار القرار.

(مواطن اجتماع الطائفتين):

وكلٌّ مِن الطائفتين يجتمعون في هذه الأسفار في مواطن كثيرة، ثم يفترقون، ثم يجتمعون ويفترقون، ويجمع تلك الأطوار على الإجمال سبعة مواطن، الموطن الأول: يجتمعون في العلم الإلهي، الموطن الثاني: يجتمعون في المرتبة الذرّية (أي موطن: "ألست بربكم")، الموطن الثالث: يجتمعون في الأصلاب حُكما كما يجتمعون وجودا في الأرحام، الموطن الرابع: يجتمعون في الدنيا، الموطن الخامس: يجتمعون في البرزخ، الموطن السادس: يجتمعون في الجواز على شفير جهنم، الموطن السابع: يجتمعون في أرض المحشر. ومواطن الاجتماع كثيرة لا تكاد تنضبط، فاختصرنا منها على هذه السبعة لأنها أمّهاتها. واعلم أنّ الأسفار لكلّ واحد من الطائفتين كثيرة، وذلك معنى قوله – تعالى-: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: 14].

(مواطن تغرّب أهل السعادة):

ونحن نقتصر على ذكر أسفار أهل السعادة وتغرّبهم بعد الحصول في المرتبة الإسلامية. فأمّا أسفار أهل السعادة فاعلم أنها أربعة أسفار: سفر لله، وسفر إلى الله، وسفر في الله، وسفر بالله. فأمّا الأوّل وهو السفر لله، فهو عبارة عن تعلّم العبد العلوم النقلية والعقلية، وهذا السفر فرْض على كل مسلم فإنّ به يستقيم دينه، وهو سفر من الجهل إلى العلم. وأمّا الثاني وهو السفر إلى الله، فهو عبارة عن السلوك إلى الله على سنن الطريق الواضح بالذكر والمخالفات، أو بالمحبّة والجذبات؛ وهذا السفر بناؤه على الأعمال سواء كانت قلبية أو قالبية، والسفر الأوّل بناؤه على العلوم سواء كانت علوما بالله كأصول الدّين، أو بأمر الله كباقي الشرائع. وأمّا الثالث فهو السفر في الله، سفر الواصلين، فهو سفر الاتصاف بالأسماء والصفات. وأمّا الرابع وهو السفر بالله فعبارة عن الرجوع من الحق إلى الخلق.

(أصناف المسافرين):

والمسافرون على أقسام في الجملة. فمنهم من يسافرون من مواطن المعصية إلى مواطن الطاعة، وهو سفر عامّة المسلمين. ومنهم من يسافر من الغفلة إلى الذكر، وهو سفر السالكين في بدايتهم. ومنهم من يسافر من الأخلاق المذمومة إلى الأخلاق المحمودة، وهذا هو سفر السالكين في نهايتهم، وفي هذا الموطن يجتمع ساقة المريدين بمقدّمة السالكين – رضوان الله عنهم-. ومنهم من

يسافر من الخلق إلى الحق فلا يرى موجودا سوى الله - تعالى-، وهذه نهاية السفر إلى الله، وبدايته السفر في الله، ومن هنا بداية سفر العارفين. ومنهم من يسافر من صفاته إلى صفات الحق، فيشهد سمعه وبصره وعلمه وحياته وإرادته وقدرته وكلامه لله - تعالى- بالتبرّي من الحوْل والقدرة. ومنهم من يسافر من ذات نفسه إلى الله - تعالى- فيفنى عنها بالكلية. ومنهم من يسافر من فنائه إلى البقاء بالله، فيبقيه الله - تعالى- ببقائه. ومنهم من يسافر من صفة إلهية فِعْليه إلى صفة إلهية جمالية، وهذا ابتداء منازل الذاهبين في الله. ومنهم من يسافر من المجالي الصفاتية الفعلية إلى المجالي الصفاتية النفسية. ومنهم من يسافر من صفات الجمال إلى صفات الجلال. ومنهم من يسافر من صفات الجلال إلى صفات الكمال. ومنهم من يسافر من سائر المجالي الصفاتية إلى المجالي الذاتية. ومنهم من يسافر من المجالي الذاتية إلى الخلق نزولا بعد العروج، وتدلّيا بعد التداني، وهذا هو غريب الحضرة، والغريب المطلق. وكل غريب بنسبة أو بوجه مقيّد، وحقيقة الغربة هي لهذا الوليّ الكامل، فهو الغريب الحقيقي؛ وعلى سيّد الغرباء أفضل الصلاة والسلام.

20- **الكلمة الموفية عشرين: السكينة (الباب: 438):** هي روح إلهية يُمدّ الله بها قلوب أولياءه فيؤيّدهم حتى تسكن لمطالعة كماله، قال الله - تعالى- في حق عيسى: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة: 253]. وهذه السكينة مخصوصة بالأنبياء وبالكمّل من أولياء أمّة محمد - صلى الله عليه وسلم -. والسكينة التي نزلت على بني إسرائيل في التابوت هي ريح هفّافة قد تخلع قلوب الأعداء عند التقاء الصفّيْن في القتال، وتزيد قلوب أصحابها قوّة وشجاعة، وكانت آية النصرة لملوكهم ومعجزة لأنبيائهم. وسكينة أمّة محمد - صلى الله عليه وسلم - هو ذلك الرّوح الإلهية التي تسكن بها القلوب إلى مطالعة العظمة والكبرياء، ولها في العبد سبع علامات، أحدها: أنْ تغشى وجهه أنوار الهيبة والوقار، الثانية: أنْ ينطق بالحكمة الإلهية، الثالثة: أنْ يُنبّأ بالغيب، الرّبعة: أنْ لا يسكن إلى غير الله ظاهرا وباطنا، الخامسة: خمود أحكام النفس بحصول الطمأنينة، السادسة دوام الترقي بالذهاب في الله، السابعة: إجابة الدعوة عند طلبه للشيء بالقول أو بالهمّة أو لمجرّد الإرادة، وذلك أعلى درجات الإجابة. واعلم أنّ السكينة تتعلق بالقلب، والطمأنينة تتعلق بالنفس. فطمأنينة النفس على الإطلاق ذهاب الصفات المذمومة عنها، وسكينة القلب على الإطلاق سكونه إلى الله - تعالى-، والناس متفاوتون في هذا السكون. فمنهم من سكونه إلى صفة جمالية. ومنهم من سكونه إلى صفة

جلالية. ومنهم من سكونه إلى صفة ذاتية. ومنهم من سكونه إلى صفة كمالية. ومنهم من سكونه إلى الذات المقدسة بغير واسطة صفة بل سكون مطلق، فهذا العبد هو الكامل الواقف مع الشؤون الإلهية الذاتية، فهو متأدّب لكل تجلّ إلهي بما يلزمه من الآداب الكمالية، وهو أعلى عارف بالله.

21- **الكلمة الحادية والعشرون: الذكر (البابان: 142- 143):** هو عبارة عن الرجوع من الغفلة إلى الحضور على الجملة، وهو على مراتب: فذكر اللسان، وذكر القلب، وذكر الروح، وذكر السرّ، وذكر الجملة، وذكر الله. فأمّا ذكر اللسان فعبارة عن كلمة (لا إله إلا الله)، وقد جعلها الجنيد رُكنا من أركان الطريق، وسُئل إبراهيم بن أدهم - رضي الله عنه- عن الطريق إلى الله - تعالى- فقال: (دوام الذكر ودوام المخالفة- أي مخالفة النفس-).

(آداب الذكر):

واعلم أنّ الذكر في نفسه يقع على القرآن وعلى سائر التسبيحات والتهليلات والأدعية والأسماء والمناجات، ولكن اصطلاح الصوفية في مطلق الذكر على كلمة التوحيد، ولهم في الذكر هيئة مخصوصة وشروط منصوصة؛ فمنها أنّ المريد لا يشتغل بالذكر إلا بعد تلقين الشيخ له إيّاه، لأنّ الشيخ أعرف بمصالح المريد منه، فقد يكون لا يصلح لمزاجه إلا قراءة القرآن، أو ذكر كلمة (الله،الله) فقط، أو غيره من الأسماء، فليس له أنْ يتعاطى ملازمة شيء من ذلك إلا بتلقين الشيخ له إيّاه. ومنها هيئته في القعود للذكر، فينبغي أنْ يجلس جلسته للتشهّد لأنها جلسة المصلي، والذكر عندهم بمنزلة الصلاة. وينبغي أنْ يبسط كفّيْه على فخذيه لأنها جلسة جبريل - عليه السلام -حين نزل على صورة أعرابيّ ثمّ سأل النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الإسلام والإيمان، الحديث، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: (إنه جبريل أتاكم يعلّمكم أمر دينكم) [1]؛ فقالوا ويحتمل أنْ يكون الجلسة ممّا أرَاد بها جبريل تعليم الجلوس لنا بين يدي النبي - صلى الله عليه وسلم - فنحن نجلس تلك الجلسة بين يدي الله لذكره، والله جليس مَن ذكره. ومنها أنْ يبتدئ بأوّل الكلمة مِن صدره فيحرّك رأسه إلى شقه الأيمن ثم يرجع فينتهي بآخر الكلمة ورأسه محاذ لشقه الأيسر؛ واختاروا هذه الهيئة لمعنييْن أحدها: أنّ القلب في الجانب الأيسر، فأحبّوا أنْ تكون لفظة "الله" من آخر

(1) رواه مسلم.

كلمة التوحيد صادرة وفمه مقابل للقلب من الشق الأيسر، وقد وجدوا من بركات أثر هذه الهيئة ما لم يجدوه في غيرها؛ المعنى الثاني: اختاروا نفس حركة الأعضاء عند الذكر ليكون مشتغلا بكلّيته في الذكر فتقلّ الوساوس والخواطر، وهذا أمر مجرّب ظاهر لمن تتبعه.

(اختلاف الذاكرين في حضور القلب عند ذكر كلمة التوحيد):

ومنها - أعنى من شروط الذكر اللساني- حضور القلب لفهم معنى كلمة التوحيد، والناس مختلفون في ذلك على أنواع، بعضهم أعلى من بعض. فمنهم من يفهم من كلمة "لا إله إلا الله" نفي سائر الإلهية فيثبت ألوهية الحق وحده بقوله "إلا الله"، وهذا ظاهر ما يعطيه معنى الكلمة، وهو لعوامّ المسلمين؛ فأقلّ ما ينبغي عند الذكر استحضار هذا المعنى في ذهن الذاكر. ومنهم من يُفني بكلمة "لا إله" وجود ما سوى الله - تعالى- فلا يثبت موجودا سواه، فيستحضر هذا المعنى عند التلفظ بالكلمة. ومنهم من يُفني بالكلمة قوّته وقدرته وفعله وإرادته، فينسب جميع ذلك لله - تعالى- ويتبرّأ منها، فيستحضر عند النفي انتفاء هذه الأشياء عنه، ويتسحضر عند الإثبات إثباتها لله وحده. ومنهم من يستحضر عند كلمة النفي انتفاء صفات نفسه التي هي الحياة والعلم والكلام، وأمثال ذلك من السمع والبصر، ويستحضر عند كلمة الإثبات إثباتها لله - تعالى-. ومنهم من يستحضر عند النفي نفي ذات نفسه، وعند الإثبات إثبات ذات الله - تعالى-، وهذه أعلى مرتبة في استحضار النفي والإثبات عند الذكر.

(مراتب الذكر):

واعلم أنهم كما أطلقوا لفظة الذكر على كلمة التوحيد إلا باعتبار التوحيد الصادر من العبد عند أخذ الميثاق عليه في الأزل، فهم يذكرون تلك الهيئة وذلك العهد لمجرّد التلفظ بهذه الكلمة، وقد قال ذو النون المصري: (كأنه الآن في أذني) يعني قول الحق للخلق: ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ﴾ وقول الخلق ﴿بَلَىٰ﴾. هذا سماع إيماني بأذن اليقين، وسمع السرّ بالأفق المبين.

وأما ذكر القلب فإنه نتيجة ذكر اللسان، لأنّ العبد إذا داوم الذكر بحضور القلب وجمع الهمّة أيّاما قليلة ينتهي منها إلى أن يسمع ذكر القلب عند سكوت اللسان بعين الكلمة التي كان يذكرها بلسانه، فلا يزال قلبه ذاكرًا مهما سكت اللسان. وعلامة من حصل في هذا المقام أن يسمع

الأشياء بعضها أو كلّها تذكر بعين الذكر الذي هو ذاكر لله بـه، يـسمع ذلـك في بعـض الأحيـان أو غالبها على قدر تمكّنه في هذا المقام.

وأمّا ذكر الروح فإنه عبارة عن الحضور المطلق، وحينئـذ يكـون العبـد ذاكـرا لله بالخاصـية والطبع، فلا يغفل عن الله طرفة عين، وذلك لأنه يرى قيام الأشياء بالله ضـرورة، فتنجـذب روحـه طبعًا إلى توحيد الحق - تعالى- في الموجودات؛ ولأصحاب هذا المقام علامتان، إحداهما: أنْ يـسمع لكلّ شيء من الموجودات تسبيحًا مخصوصًا، العلامة الثانية: وهي لمن قد تمكّن في هذا المقـام، وهـي أن لا يرى لنفسه فعلا ولا لشيء من الموجودات، فلا يرى الأفعال الصادرة في الوجـود كلّهـا إلا لله - تعالى- وحده.

وأمّا ذكر السرّ فإنه يُفني الذاكر في المذكور عن نفسه وعن ذكره، وليس لذكر السر حدّ يعبّر به عنه سوى أنْ يقال: هو انجذاب العبد عن نفسه إلى حضرة المذكور - تعالى-. وذكـر الـسرّ عبـارة عن منظر من مناظر الشهود، وهو الذكر بالله، وما قبله فهو ذكر لله.

وأمّا ذكر الجملة فإنه عبارة عن ذكر جميع أجواء العبد لله - تعالى-، فيكون له ذكر اللـسان وذكر القلب وذكر السر، ويزيد على ذكر السرّ بأنْ يكـون الحـق - تعـالى- هـو الـذاكر لنفـسه عـن العبد، وهو المذكور على لسان العبد. وعلامة صحّة هذا المقام هو أن يجد نور الله في كلّيته مِن شَعره وبشرته ولحمه وعظمه وظاهره وباطنه وإنّيته وهويّته، مع فنائه عن جميع ما يُنسب إليـه، وفنائـه عـن الفناء أيضا؛ وهذا الذكر يصحّ في أوّل مناظر الوجود.

وأمّا ذكر الله للعبد فهو أعلـى مراتـب الـذكر، قـال الله - تعـالى-: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ [العنكبوت: 45] يعني ذكره لكم أكبر من ذكركم له، لأنّ ذكر العبد لله يُفنيه عن نفسه، وذكر الله له يُبقيه. فإنّ العبد يحصل به في مقام البقاء، والبقاء أوّل وصف يتـصف بـه العبـد مـن صـفات الله - تعالى-، فيكون باقيا ببقاء الله -عزّ وجلّ-، وفي هذا المقام قال من قال (أي أنّ القائل في هـذا المقـام هو الحق تعالى لا سواه): "أنا الحقّ" و"سبحاني ما أعظم شأني"، فافهم. وفي هذا المعنى قلت:

ظهـرتم بأوصـاف الكمـال لنـاظري	فغبـتُ وعـنكم لا تغيـب سـرَائري
وشـاهدتُ حـسنًا شـاملا كـلّ وجهـة	وكانت من الوجهات أيـضا مظـاهري
فغيّـبنى ذاك الـشهود عـن الـسوى	وغابـتْ بـه عـنّي هنـاك ضـمائري
فـأرجعني منـه إلـيّ بوصـفه	لأثـني عليـه عنـه في زيّ ذاكـر

فقــال ولكــن كنــت عنــه مترجمــا | مقالــة تحقيــق وحقّــي ناصــري
أنــا الحــقّ ســبحاني فــشأني معظــّم | أنــزّه عــن شــبه وتحديــد حاصــري
وحاشــاه مــا أنْ يحــلّ فيّ وُجــوده | ولا في جهــات شــاهَدَتْهُ نــوَاظري

تنبيه: في آخر هذا الكتاب سنضيف فصلا في بيان أهمّية ذكر الاسم المفرد (الله) وتشخيصه عند أهل السلوك، من كلام الشيخ محيي الدّين بن العربي وغيره (محقق هذا الكتاب).

22- **الكلمة الثانية والعشرون: السّماع (البابان: 182- 183)**: هو التلقي من الحقّ بالحقّ على طريق الاستماع، وهو الذكر الخفيّ، والناس فيه على ثلاثة أقسام: فمنهم من حركته طبيعية، ومنهم من حركته روحية، ومنهم من حركته رحمانية.

(بواعث الحركة عند السّماع):

وكل واحد من أهل السّماع لا يخلو أنْ تكون حركته إمّا عن باعث رغبة، أو رهبة، وإمّا عن باعث تهذيب وتأديب، وإمّا عن باعث عشق وشوق، وإمّا عن باعث أنس وبسط، وإمّا عن باعث قبض وهيبة، وإمّا عن باعث علم إلهامي، وإمّا عن باعث وُجْد، وإمّا عن شهود جمال، وإمّا عن شهود كمال. فهذه تسعة أقسام لا مزيد عليها.

فمَن كانت حركته عن باعث رغبة أو رهبة فسماعه في مواطن التفرقة. فمنهم من يسمع في قسم الأعمال، وهي عشرة: صلاة، وصيام، وصدقة، وسهر، وصمت، وعزلة، وبكاء، وندم، وعفّة، وخدمة.

ومنهم من يسمع في قسم البدايات، وهي عشرة: التيقظ، والتوبة، والمحاسبة، والإنابة، والتفكر، والتذكر، والاعتصام، والفرار، والرياضة، والسمع.

ومنهم من يسمع في قسم الأبواب، وهي عشرة: الحزن، والخوف، والإشفاق، والخشوع، والإخبات، والزهد، والورع، والتبتّل، والرّجاء، والرّغبة في الله أو في الجنة.

فهذه مراتب سماع المتحرّكين رغبة أو رهبة، سواء كانت الحركة طبيعية، أو روحية علمية، أو عيْنية. وسيأتي بيان الحركات في آخر الباب إن شاء الله – تعالى-.

وأما من كانت حركته عن باعث تهذيب وتأديب، فسماعه أيضا في مواطن التفرقة. فمنهم من يسمع في قسم المعاملات وهي عشرة أشياء، وهي: الرّعاية، والمرَاقبة، والحرْمة، والإخلاص، والتهذيب بالسلوك أو الخدمات، والاستقامة، والتوكل، والتفويض، والثقة، والتسليم.

ومنهم من يسمع في قسم الأخلاق، وهي عشرة: الصبر، والرّضا، والشّكْر، والحياء، والصدق، والإيثار، والخُلُق، والتواضع، والفتوّة، والانبساط.

ومنهم من يسمع في قسم الأصول، وهي عشرة: القصد، والعزم، والإرادة، والأدب، واليقين، والأنس، والذكر، والفقر، والغنى، ومقام المرَاد.

(أصناف مخالفات النفس):

ومنهم من يسمع في قسم المخالفات، وهي عشرة أشياء لا تكون المخالفات إلا في شيء منها، وما عداها فلا تصحّ فيه مخالفة، وهي هذه: مخالفة للنفس في النفس بارتكاب الأهوال، ومنعها من لذيذ الأحوال، ودوام الرّياضة بترك الطعام، وترك المنام، وترك الكلام، واحتمال الأذى من الأنام.

ومخالفة في المال بالإيثار مع الحاجة، وترْك التسبّب مع الفاقة.

ومخالفة في الأهل بترك الأزواج والأولاد، ونسيان الآباء والأجداد، والتجرّد عن سائر الأقارب والأحفاد.

ومخالفة في الأسفار بترك الأعطان، والترحّل عن الأوطان، وعدم تحديد السفر ببلد من البلدان.

ومخالفة في الحركات والسكنات من غير تأخّر وملل، أو ركون إلى كسل، فلو أرَادت نفسه القيام قعد، وإنْ أرادتهما معًا رقد. وينبغي أنْ لا يرتكب بالمخالفة معصية، ولا يهمل في طاعة.

ومخالفة في الرئاسات بترك الجاه، وبفعل ما يسقط به من عيون الناس وهذا االفنّ من المخالفات يوجد في أربعة مواطن، أحدها: عدم إظهار الخير مع فعله باطنا، الثانية: إظهار الشرّ مع عدم فعله باطنا، الثالثة: ترك العادات وعدم موافقة أرباب البطالات، الرابعة: استعمال الحِرَف الدنيّات، ومجالسة من لا يشغلك من الإسقاط ما لم يعتقد أنك من أهل الولايات.

ومخالفة في الأصدقاء بترك الأنساب، وهجر الأحباب، ومقاطعة المعارف والأصحاب.

ومخالفة في الأعـداء بالتذلــّل لـديهم، والاطـراح علـيهم، وإظهـار الحاجـة إلـيهم، ودوام الصفح عنهم مع الإحسان إليهم.

ومخالفة في الحواس الظاهرة وهي خمسة: مخالفة في النظـر، ومخالفـة في الـسمع، ومخالفـة في الشمّ، ومخالفة في اللمس، ومخالفة في الذوق. وهذه المخالفـة الذوقيـة تتفـرع إلى المأكـل، والمـشرب، والمسكن، والملبس، والمنكح، وهي سارية في جميع الأقسام التي قبلها، فاعلم.

ومخالفة في الأمور القلبية، وهذه المخالفة أصعب المخالفات، فلا يوافق نفـسه للانـشراح في خاطر من الخواطر حتى تستقيم همّته، فلا يخطر به شيء سـوى الله - تعـالى-. فالمخالفـات جميعهـا منحصرة في هذه العشرة أقسام.

(أنواع السّماع تبعا للحركات):

وأمّا من كانت حركته عن باعث عشق وشوق فسماعه قد يكون في مقام التفرقـة، ويكـون في مقام الجمع. فمنهم من يسمع في قسم الأحوال، وهي عشرة: المحبة، والغيرة، والـشوق، والقلـق، والعطش، والوُجد، والدّهش، والهيمان، والذوق، والبرق.

ومنهم من يسمع في قـسم الفـروع، وهـي عـشرة: الكـلام مـع المحبـوب، والـسّماع منـه، والبشارة، والتذكرة، والتوَعّد، والتهدّد، والقرب، والبعد، والفراق، والوصال.

وأما من كانت حركته عن باعث أنس وبسط، فسماعه قـد يكـون في مقـام التفرقـة، وقـد يكون في مقام الجمع. وهذا السّماع مخصوص بالواصلين، وأهله على قسمين: إمّا ذاهـب في الحـق، وإمّا راجع من الحق إلى الخلق.

فهذه جملة أقسام أهل السّماع على سبيل الإجمال. وجميع أقـسام أهـل الـسّماع تنحـصر في ثلاثة أصناف: واجد، ومتواجد، وموَافق. وحركاتهم تنحصر في أربعة مواطن، فتكون إمّا عـن علـم يقين، أو عين يقين، أو حقّ يقين، أو حقيقة يقين. وقد تقدّم في صدر الكتـاب تقـسيم أهـل الـسّماع على أربعة أقسام: ناسك، وسالك، ومحبّ، ومجذوب. وفيما بيّناه غنية. والله الموفق لا ربّ غيره.

(أنواع الحركات):

واعلم أنّ الحركة الطبيعيّة من لازم البشريّة، والمتنسِّـكون فغالب حرَكاتهم طبيعية، فكأنهـا مخصوصة بمقامهم؛ فلو صدرت منهم حركة روحيـة بحكـم النـادر التحـق أمـرُهم في ذلـك الـسّماع

بدرجة السالكين من هذا الوجه. ثمّ إنّ الحركة الطبيعية قد تصدر من الجاهل، وقد تصدر من أهل الطريق؛ ولحركة كلّ منهما علامة سيأتي بيانها في هذا الباب إن شاء الله - تعالى-.

وأمّا الحركة الرّوحية فهي من لازم التصفّي والخلوص من كدورات النفس، لأنّ الروح لا تتقوى إلا بضعف النفس، ولا تظهر آثارها إلا بخفاء آثار النفس. وهذه الحركة تصدر غالبا من السالكين؛ فإن صدرت منهم حركة رحمانية التحق أمرهم في ذلك السّماع بدرجة العارفين.

وأمّا الحركة الرّحمانية فهي من لازم الفناء عن سائر الأمور الخلْقيات، والبقاء بالصفات الإلهيات. وهذه الحركة مخصوصة بالمجذوبين من عالم الأكوان إلى حضرة الرحمن؛ والناس فيها على أطوار مختلفة: فمجذوب إلى تجليات الأفعال، ومجذوب إلى تجليات الصفات، ومجذوب إلى تجليات الأسماء، ومجذوب إلى تجليات الذات، ومجذوب فان، ومجذوب باق، ومجذوب مستمع، ومجذوب مشاهد، ومجذوب واجد، ومجذوب محقّق، ومجذوب كامل، ومجذوب أكمل.

وللحركة الطبيعية علامتان مخصوصتان بأصحابها؛ فعلامة تختص بأهل البطالة، وعلامة تختص بأهل الطريق. العلامة الأولى المختصة بأرباب البطلات، وسماعهم وإن كان مباحا فحرام على أهل الطريق، لأنه يكون المتحرّك غير ناظر إلى أمر معيّن، ولا ملاحظا المقام المطلوب ممّا يختصّ بأمر الحقّ، أو يلتحق بأمر الخلق، فتكون حركته طبيعية محضة. وذلك لأنّ النفس بما فيها من أشجان المحبّة الشهوانية الكامنة في سائر النفوس أو بما عندها من التعلّق بثمرات العبادات الظاهرة والباطنة، تنصرف بالكلّية إلى سماع الأغاني من المغاني، فلا تبقى عندها فضلة علم تميّز به ما يرد من ذلك الجناب، فتصدر عنها حركة طبيعية شبيهة بحركة المرتعش من غير اختيار، فإذا رجعت عن ذلك الانصراف إلى محلّ التمييز تجد عندها حرْقة ولوْعة يظنها الجاهل بأحكام الطريق أنها حرارة نار المحبّة الإلهية، أو مِن لهبات جذوة الندم على فوت الطاعة؛ وليس الأمر كذلك، إنما هي حركة النفس عند اشتعال نار الأهوية المتفرّقة. ولأجل هذا يجد عنده بعد ذلك ظلمة ووحشة، وهي ظلمة الطبع ووحشته. وهذا السّماع مخصوص بعبيد النفس، وليس صاحبه من الطريق على شيء، ولا تجد عنده لهذا السّماع نتيجة غير طرَبه عند الحركة.

العلامة الثانية المختصة بأرباب البداية من عوامّ أهل الطريق: وهو أنْ يكون الباعث الأوّل عن شهود علم من علوم التوحيد، أو وجود حال من أحوال المحبّة، فينهمك فيه العبد بالكلّية حتى يتحرّك وهو مأخوذ عن ذلك الشهود العلمي أو الوجود الحبّي، فيتحرّك بطبيعة النفس حركة ضرورية لضعفه عن الرّجوع بعد الانهماك، فلا يستطيع أنْ يمتنع من الحركة بعد فقدان ما تحرّك

بسببه من الباعث المذكور. فمثل هذا معذور لضعفه باطنا، وينهاه شيخه عن ذلك ظاهرًا وينبّهه لموضع الحرَج من هذا السّماع حتى تصيير حركته روحيّة. وصاحب هذه الحركة يجد عنده بعد الرجوع إلى التمييز فسحا وانشرحا، وزيادة في المحبة، وحسنا في المقعد؛ فهو أعلى من الأوّل ولو كان غير محمود عند الطائفة، فافهم.

وللحركة الروحية علامتان مختصان بأربابها، فعلامة تختصّ بأهل الحجاب من أهل الطريق، وعلامة تختصّ بأهل الكشف. العلامة الأولى المختصة بأهل الحجاب: وهي أنْ تكون حركة المتحرّك عن غلبة روحانية، لظهور سلطان المحبّة، أو بطون أحكام النفس، عند ورود علم لدنّي إلهي بطريق الإلهام على قلب العبد، فيتحرّك لا لحسن النغمات. ولا يزال في الحركة مأخوذا عنها إلى ما تحرّك بسببه من لوازم العشق والمحبة، أو من موارد العلم والمعرفة. وشرطه أنْ يسكن عن الحركة عند بطون ذلك الحال وذهاب ذلك الوارد، وإلا فتكون حركته طبيعية. وقد حُكي عن الجنيد - رحمه الله- أنه تحرّك يومً عن غلبة، فسقط عنه ثوبه فرفعه بيده، وسُئل عن ذلك فقال: (تحرّكتُ عن غلبة ثمّ رجعت إلى نفسي فاستحييت من الله - تعالى- أن أظهِر خلاف ما أنا عليه فرفعت ثوبى).

العلامة الثانية المختصة بأهل الكشف، وهي أنْ تكون حركة المتحرّك عن غلبة روحانية لسطوع بارق، أو ظهور شارق، من السواطع واللوامع، أو لشهود حكمة ترتيب الوضع الإلهي للعالم، أو للكشف عن أحوال الملكوت الأعلى، أو للوقوف على السرّ الإلهي المودع في النفس، أو في العقل، أو في الروح، أو للسير في عوالم الجبروت بمشاهدة العرش والكرسي واللوح والقلم والملائكة الكروبيين، أو للاطلاع على المناسبات الإنسانية لهذه العوالم، أو بالرّجوع إلى الأزل، أو اللحوق بالأبد، وأمثال تلك الأسرار الإلهية والحِكَم الربّانية، فافهم.

وللحركة الرّحمانية علامتان: أدنى وأعلى. أإحداها مختصة بأهل الفناء والسحق والمحق، والثانية مختصة بأهل البقاء والاتصاف والتحقق. العلامة الأولى أنْ تكون الحركة في العبد لله من غير اعتقاد حيّز أو حلول، ولا مزج ولا اتحاد، والعبد مأخوذ عن الحركة بالكلّية ليس له فيها تصنّع ولا بها علم، فلا يَنسب الحركة إلى نفسه بوجه من الوجوه. وسماع مثل هذا إمّا عن وجود للذات، وإمّا عن شهود للصفات، وإمّا عن غيبوبة بالفاعل الحقيقي عن الفعل في سائر الحركات والسّكنات.

العلامة الثانية أن تكون الحركة لله باطنا، وهي منسوبة إلى الله ظاهرًا. وسماع مثل هذا إمّا في الاتصافات الرّحمانية، وإمّا في مراتب الكمالات الإنسانية، وهو أعلى طبقات السّماع، فافهم. والله يقول الحق ويهدى للصّواب.

23- **الكلمة الثالثة والعشرون: التوحيد (البابان: 172- 173):** هو خصوصية إلهية تقوم عنك لك بالذات في وفاء كمال الإلوهية حقّها من الصفات، من غير إخلال بشروط العبودة في شيء من الأوقات. والموَحِّدون على أنواع: فمنهم من توحيده إفرَاد الحق في وجوده من غير شركة في ملكه، وهذا توحيد عامّة المسلمين. ومنهم من توحيده صرف الأمور إلى الله فلا يرى في الوجود متصرّفا سواه، وهذا توحيد عوامّ أهل الطريق. ومنهم من توحيده شهود فعل الله عند وجود حركة كل متحرّك من العالم. ومنهم من توحيده شهود أحدية الحق في سائر الكثرَات. ومنهم من توحيده شهود صفات الحق حيث صفات نفسه. ومنهم من توحيده شهود ذات الحق - تعالى- حيث ذات نفسه. ومنهم من توحيده قيامه بالكمالات في اتصافه بسائرالأسماء والصفات.

24- **الكلمة الرابعة والعشرون: المحاسبة:** هو توبيخ النفس على الغفلة بإقامة الحدّ عليها عند اليقظة. والمحاسِبون على أنواع: فمنهم من يحاسب نفسه على تفريط الأوقات فيقيم عليها الحدّ طلبًا لدوام العبادات. ومنهم من يحاسبها على الشهوات فيقيم الحدّ عليها طلب لترك العادات. ومنهم من يحاسبها على الغفلات في الحركات والسكنات فيقيم عليها الحدّ طلبًا لضبط الإحساس في سائر الأوقات. ومنهم من يحاسبها على الخطرَات فيقيم عليها الحدّ طلبا للقيام بآداب أرباب الإرادات. ومنهم من يحاسبها على الأنفاس فيقيم الحدّ عليها خوفا من الوقفة والالتباس. ومنهم من يحاسبها على الانبساط خوفا من السقوط عن البساط. ومنهم من يحاسبها على أحكام البقيّات طلبًا للترقي إلى الكمالات. ومنهم من يحاسبها على الخنوس عن الإلهيات طلبًا للتحقق بحقائق الأسماء والصفات. ومنهم من يحاسبها على شهود الصفات طلبًا للتحقق بوجود الذات. ومنهم من يحاسبها على التلوين طلبا للتمكين. ومنهم من يحاسبها على التصرّفات طلبًا للتأدب بآداب الحضرات. ومنهم من يحاسبها على إظهار حُكم آثار الربوبية طلبًا للتحقق بمقام العبودة، وهو أكمل عارف بالله.

25- **الكلمة الخامسة والعشرون: المراقبة (البابان: 126- 127):** هي ملاحظة الحقّ في الحركات والسكنات. واسم المراقبة يصدق على العبد في أوّل مرتبة من مراتب الإحسان، لأنّه إذا عبد الله معتقدًا أنّ الله يراه، فهو مراقب. وهذه الحالة كما جاء في الحديث عن مقام الإحسان لقوله - عليه السلام- حين سُئل عن الإحسان: (أن تعبد الله كأنك ترَاه فإن لم تكن تراه فإنّه

يرَاك)[1] المعنى: فإنْ لم تستطع أنْ تكون في عبادتك له كأنك تراه، فكن معتقدًا فيها أنه يرَاك. وشرط هذا الاعتقاد أنْ يكون الاعتقاد ملحوظا عند العمل، هذا أوّل مقام المراقبة في البداية؛ وآخره في النهاية أوّل مقام التجلي، وبينهما مراتب كثيرة. ولهذا الحديث تأويل آخر، وهو أنْ يكون المراد في قوله (فإن لم تكن) يعني أنت، أي: إنْ لم تكن أنت موجودًا فحينئذ ترَاه به، فتكون برؤيتك له عين رؤيته لنفسه؛ وإنْ شئت قلت عين رؤيتك لك؛ وإنْ شئت قلت رؤيته لك أو رؤيتك له، وإلى هذا أشار بقوله: (فإنه يراك)، أي فتكون الحالة بعد فنائك أنه يرَاك، فافهم.

والمراقِبون على درجات: فمنهم مَن يكون مراقبا لحروف اسمه (الله) فيصوّر حروف الاسم وتركيبه في خاطره، ويشاهدها ببصيرته. ومنهم من يكون مراقبا لحروف اسمه (الله) في الظاهر لا من موضع مخصوص، بل من سائر الأماكن والجهات، وكيفيته بأنْ يتولّع في استخراج قراءة هذا الاسم من كل مرمى؛ فلو تأمّل في يده لوجد الاسم مكتوبا، وذلك بأنْ يتخذ الخنصر ألِفا، والبنصر والوسطى لامين، والسبّابة والإبهام هاء لأنهما إنْ عقدا فهاء مدورة، وإن فتحا فهاء ممشوقة؛ وكذا يطالع وضع هذا الاسم في سائر أعضائه وفي سائر ما يراه من الأشجار والأحجار والحيوان وغير ذلك، فلا يمرّ بشيء ولا يمرّ به شيء إلا ويشاهد حروف هذا الاسم مكتوبة فيه. ومَن توغل في هذا الفنّ فُتح عليه فيه حتى ينتهي فيه فيترقى من الحروف إلى المعنى. وهذا باب كبير وسهل على من سهّله الله عليه. ومنهم من يكون مراقبا لاطّلاع الحق عليه. ومنهم من يكون مراقبا لمعيّة الحق - تعالى- من غير اتحاد ولا حلول. ومنهم من يكون مرَاقبا لاسمه العظيم فيستحضر صفة العظمة الإلهية في قلبه، وكذلك باقي الأسماء والصفات. ومنهم من يكون مراقبًا لذات الله - تعالى- فيصوّر في قلبه عجز نفسه وحقارتها وقد حضرَتْ بين يدي الله - تعالى- والحق يتجلى بعظمته وقدرته. ومنهم من يكون مراقبا لظهور الحق - تعالى- في الوجود من حيث اسمه "الظاهر"، وهذا أعلى مقام في المراقبة، وفيه يكون حصول البواده والبوادي، ومنه ينتقل إلى مقام التجلي.

[1] رواه البخاري.

26- **الكلمة السادسة والعشرون: البواده، والبوادي، والبوارق، واللوائح، والفوايح، والفواتح، واللوامع، والطوالع، والسّواطع (الأبواب: 259-211-258-196)**: اعلم أنّ هذه التسعة الكلمات بعضها قريبة الإشارة من بعض، وجميعها عبارة عن ما يظهر على قلب العبد في أوائل الأمر من أنوار التجليات الإلهية. وبين كل كلمة منها والأخرى لطيفة: فالبواده جمع بادهة، وهي اسم لِما يفاجئ قلب العبد من الحُكم بلا استشراف إليه، ويعقبه البسط أو القبض. والبوادي جمع بادية، وهي اسم لِما يظهر من الأنوار الإلهية للحس. والبوارق جمع بارقة، وهي اسم لِما للائح يلوح للقلب من الجناب الأقدس ثم ينطفئ سريعًا ويعقبه غالبًا فرح وسرور. واللوائح جمع لائحة، وهي اسم لِما يلوح من نور التجلي ثم ينستر؛ وهذه الكلمة تشير إلى أمر أعزّ ممّا أشارت إليه الثلاث الكلمات المتقدّمة. والفوايح جمع فائحة -بالياء المثناة من تحت- وهي اسم لِما تتعطّر به مشامّ القلب عند هبوب النفحات الرّحمانية على العبد، فتجد بذلك برْدا في الفؤاد. والفوَاتح جمع فاتحة -بالتاء المثناة من فوق- وهي اسم للطيفة تفتح للعبيد بابًا إلى حضرة القدس، فيجد عند ورودها قربا غير مكيّف إلى الحقّ. واللوامع جمع لامعة، وهي اسم لأوّل ما يبدو من التجليات الفعلية، فتُنزل في القلب علوما تتعلّق بجريان القدرة في الأشياء. والسّواطع جمع ساطعة، وهي اسم لأوّل ما يبدو من التجليات الصفاتية، وتُنزل في القلب علوما تتعلق بمعرفة الصفات. والطوالع جمع طالعة، وهي اسم لأوّل ما يبدو من التجليات الأسمائية على باطن العبد، وتنزل في القلب علوما تتعلق بالأسماء الذاتية.

27- **للكلمة السابعة والعشرون: المكالمة**: هو سماع العبد كلام الحقّ في الحضرة الإلهية بغير واسطة، ومن غير جهة، وهو أعلى المقامات في باب المناجاة. والفرق بين **المكالمة والمخاطبة والمحادثة والمسامرة**، أنّ **المكالمة** يسمعها العبد بسمع الله، فيكون مع الكلام بكلّيته، ولا يتقيّد بجهة دون أخرى، فهو بغير واسطة، ومن غير جهة. **والمخاطبة** يسمعها من جهة على لسان الخلق، ويعتقد عدم الجهة في المتكلم، ويعلم أنه كلام الله - تعالى- كما في قصة موسى عندما نودي من جهة النار: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ [طه: 14]. **والمحادثة** يسمعها من غير جهة لكن لا على لسان الخلق، بل يسمع كلام الحق من الحق بالحق من جهة مظهر معيّن للحق. **والمسامرة** يسمعها العبد من قلبه، ويعلم أنّ الله هو المتكلّم، وسماعه بكلّيته في جميع هذه المراتب، بحيث أنْ لا تبقى فيه فضلة كما قال:

إذا هـي لاحـتْ لـي فكلّـي نـــــوَاظر وإنْ هـــي نـــاجتني فكلّـــي مـــسامـــع

وقد بسطنا القول في هذا المعنى في كتابنا المسمّى بـ(المناظر الإلهية).

واعلم أنّ المكلَّمين على مراتب، فمنهم من يُكلّم وهـو في محلّـه. ومـنهم مـن يغيـب عـن إحساسه، فيصعد بروحه إلى السّماء الأولى، ويُكلم فوق سماء الدنيا. ومنهم من يكلم فوق الـسماء الثانية. ومنهم من يكلم فوق السماء الثالثة. ومنهم من يكلم فوق السماء الرابعة. ومنهم من يكلـم فوق السماء الخامسة. ومنهم من يكلم فوق السماء السادسة. ومنهم من يكلم فوق السماء السابعة. ومنهم من يكلم فوق سدرة المنتهى. ومنهم من يكلم فوق العرش. ومنهم من يثبت فلا يغيـب عـن إحساسه وهو أقوى. ومنهم من يُنصب له جسر من نور فيجلس فوقه ثم يسمع. ومنهم من تُضرب عليه خيمة من نور ثم يسمع. وقد بسطنا القول في أنواع المكلّمين وبيّناه في كتابنا الموسوم بـ(الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل). ويكفي هذا القدر من هذا الباب.

28- **الكلمة الثامنة والعشرون: التجلي (الباب: 206)**: وهو عبارة عن ظهور الحقّ بمعاينـة مـا تعلمه مِن الله - تعالى-. والتجليات كثيرة لا تحصى، وتجمعها أصول أربعـة، وهـي تجليـات الأفعال، وتجليات الصفات، وتجليات الأسماء، وتجليات الذات. فتجليات الأفعـال تـشهدك تعلّق القدرة الإلهية بالأكوان، حسب ما سبقت الإرادة بتقليـب الوجـود في أطـوار الأحـوال والمراتب والمقامات والحركات والسكنات. وتجليات الصفات تشهدك الشؤون الإلهيـة المعبّـر عنها بالجمال والجلال. وتجليات الذات تشهدك الكمالات الإلهية الظاهرة في أسماء المراتـب الإلهية، وقد وضعنا للتجليات المقدّسة كتابا سميناه بـ(المناظر الإلهية) وذكرنا فيه مائـة منظـر ومنظرا؛ فإنْ أحببتَ أنْ تعرف تفصيل هذه التجليات فعليك بذلك الكتاب.

29- **الكلمة التاسعة والعشرون: الشهود (الباب: 209)**: هو الكشف الأعظم المعبّر عنه بمطالعة الجمال الإلهي؛ وهو على ثلاثة مراتب بعضها أعلى من بعض.

المرتبة الأولى: شهود الحقّ بالحقّ في المظاهر الخلقية، وهذا الشهود مطالعـة عيانيـة بالبـصر الحسِّي، وذلك لأهل البداية في طريق الحق، يتجلّى الحقّ لهم في المظاهر الكونيّة منزّها بغـير حلـول، فيشهدونه بأبصارهم لأن الله - تعالى- قد أكسب أبصارهم نورا إلهيّا، فبه يرونه لا بنفوسهم. وهـذا النور الإلهي الذي أشرت إليه هو من فيض: (كنتُ سمعه وبصره) الحـديث. وعلامـة مَـن كمُـل في هذا المشهد أنْ يحجب الله عنه الأكوان جميعها فلا يرى شيئا سوى الله - تعالى-؛ ودون ذلك ثـلاث

مشاهد في هذه المرتبة، أحدها: أنْ يرى الله بعد أنْ يرى الأشياء، وإلى ذلك أشار القائل في قوله: (ما رأيتُ شيئا إلا ورَأيت الله بعده)؛ المشهد الثاني: أنْ يرى الله عند رؤية الأشياء، وإلى ذلك أشار القائل بقوله: (ما رأيت شيئا إلا ورأيت الله معه) أو قال (فيه)؛ والمشهد الثالث: أنْ يرى الله قبل رؤيته للأشياء، وإلى ذلك المعنى أشار القائل بقوله: (ما رأيت شيئا إلا ورأيت الله قبله). وكل واحد من هذه الثلاث المشاهد أعلى ممّا قبله. وأعلى من الجميع في منظر الشهود من ستر الله عنه الأكوان فما رأى إلا الله.

وهنا مسألة دقيقة أخاف اشتباهها عليك، فأقول منبّها لعلّك أنْ تقول: إنّ الذي يُجمع له بين رؤية الحق والخلق أكمل ممّن يقتصر على شهود الحق، فكيف قلت إنّ مَن لا يرى الخلق أكمل؟ الجواب: اعلم أنّ رؤية الحق والخلق لا تجتمع إلا لأهل مقام البقاء، والمشاهد في مقام الفناء؛ فمتى نظر إلى الخلق عُلم أنّ فيه بقيّة نظر بها إلى الخلق؛ فالمطلوب في مرتبة الشهود العيني الحسّي أنْ لا يشهد شيئا سوى الله، وأن لا يكون شهوده إلا بالله. وهذه المرتبة وإنْ جلّت فهي مخصوصة بعوامّ أهل الله.

المرتبة الثانية: شهود الحق بالحق في المظاهر الحقية، وهي الأسماء والصفات، وهذا الشهود لا يكون إلا قلبيّا، لأنّ الصفات معاني كمالات إلهية، والمعاني لا يمكن شهودها إلا بالبصيرة، لأنّ البصر مقيّد بالأجسام؛ والأرواح والبصيرة تشهد المعاني صوَرًا بخلاف البصر. وكان هذا المشهد أعلى من المشهد المتقدّم ذكره، لأنّ شهود البصر مقيّد بالمظاهر الخلقية، وشهود البصيرة غير مقيّد بذلك، بل مطلق؛ فتارة يشهده في مظاهره الحقية، وتارة يشهده في مظاهره الخلقية.

المرتبة الثالثة هو الشهود المطلق المخصوص بالكمّل؛ وأوّل مراتبه الوجود، وليس لآخره نهاية.

30- **الكلمة الموفية ثلاثين: الوجود (الباب: 237):** هو عبارة عن وجدانك الحقّ بأسمائه وصفاته متجلّيًا في ذاتك من غير حلول ولا اتحاد، بل تجده فيك من غير كيفيّة، وتكون أنت لا أنت، بل يكون هو هو على ما هو عليه في الأزل والآباد، بغير حدّ ولا حصر، تعالى الله. وفي هذا المقام يكون العبد كما لم يكن، والحق كما لم يزل، وتذهب صفات العبد وتأتى صفات الربّ، فتجد بالضرورة أنّ سمعك سمعه، وبصرك بصره، وكلامك كلامه، وعلمك علمه، وحياتك حياته، وإرادتك إرادته، وقدرتك قدرته. والفرق بين الشهود وبين الوجود أنّ

الشهود قد يُطلق على مطالعة الجمال مع بقاء الغيريّة لِما يقتضيه المقام، والوجود يُطلق على مطالعة الجلال مع عدم شهود الغيريّة. فالمشاهِد يرى الحق في الآفاق، وإليه الإشارة بقوله: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ﴾؛ والواجد يرى الحق في نفسه، وإليه الإشارة بتمام الآية في قوله: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ﴾ [فصلت: 53].

31- **الكلمة الحادية والثلاثون: الفناء (الباب: 220)**: هو عبارة عن فقدان لوازم البشريّة، إمّا ذهولا عن علمه به، أو علما بانعدامه، أو حالا حقيقيّا. والفناء على تسعة مراتب، لكل مرتبة منها اسم مخصوص.

- **المرتبة الأولى: الذهول** هو عبارة عن عدم شهود العبد بنفسه عند الاستغراق في ذكر الحق لأهل الحجاب، أو عند بروز أنوار الجمال لأهل الكشف.
- **المرتبة الثانية: الذهاب** (الباب: 197) هو عبارة عن فناء العبد عن أفعاله بسيْره في ذهابه في الحق، فتكون أفعاله جميعها أفعالا لله، ويكون العبد في هذه المرتبة مثله كمثل القلم بيد الكاتب تقلّبه الأصابع كيف شاءت اليد، والكتابة ولو كانت صادرة مِن القلم إنما هي فعل الكاتب لا فعل القلم، وهذا معنى الذهاب، لأنّ العبد ذهب عن فعله بشهود فعل الله؛ وقد يطلق اسم الذهاب على الترقي مطلقا سواء كان في سيره إلى الله أو في سيره في الله.
- **المرتبة الثالثة: السَّلب** هو عبارة عن فناء صفات الخلق بظهور صفات الحق، تُسلب في هذا المشهد جميع أوصاف العبد، وتكون صفات الله عوضا عنها، فيكون سمعه وبصره وعلمه وحياته وإرادته وقدرته لله، ويكون العبد نسبته كنسبة المرآة لا تنسب إليها ما ظهر لك من حسن الصورة فيها، بل الحسن والجمال للصورة المتجلية في المرآة، فتكون تلك الصفات الظاهرة في العبد غير منسوبة إليه، بل هي منسوبة إلى الله - تعالى- إذ هو المتجلي بصفاته في مرآة الكون؛ فالعبد في هذه المرتبة مرآة ظهر الحق فيها بصفاته، فالصفات لله والعبد مجلى ظهورها.
- **المرتبة الرّابعة: الاصطلام** (الباب: 232): هو عبارة عن فناء العبد عن ذاته لوجود ذات الحق، فينتقل العبد عن حُكم الوجود، فلا يكون له وجود، بل الوجود لله، والعدم للعبد، فلا يخطر بباله أنه موجود بحال لعلمه بعدمه ذاتا وصفاتا.

❖ **المرتبة الخامسة: الانعدام**: هو عبارة عن فناء العبد عن فنائه، فلا يبقى عنده شهود بأنه فان، بل تفنى عنده جميع صفاته وأحكامه وذاته بالكلّية، ولا تبقى عنده عنديّة – بالنون-، فيتحقق بمقام الانعدام. وفي هذه المرتبة يقال فيه: "واجدًا". ومن هذا المشهد ينتقل إلى مقام البقاء، وسيأتي بيان البقاء في محلّه. واعلم أنه لا يلزم من تحققه بالانعدام أنْ لا تبقى فيه أحكام البشريّة مطلقا، بل يجوز أنْ يتحقق بمقام الانعدام وفيه البقاء، لأنّ هذا التحقق إنما هو من حيث علمه وعنديّته، لا من حيث ما هو عليه في الظاهر، لأنّ جسمانيته على حالها باقية، وإنما هو محجوب بالله عن البشريّة وأحكامها. والذي تزول عنه البشرية بسائر أحكامها إنما هو في مقام الطمس والمحو، وسيأتي بيانهما في هذا المحلّ إن شاء الله – تعالى-.

❖ **المرتبة السادسة: السّحق**: هو عبارة عن زوال الخُنس من نفس العبد، فيقبل الأوصاف الإلهية من غير تعمّل ولا تعقّل ولا استحضار، بل يقبل صفات الحقّ كما يقبل صفات نفسه، لا يبقى عنده بينهما فرق. وهذه المرتبة من أوّل مقامات التحقيق فيه يلحق العبد بالله، وهو مقام عزيز لأنّ القلوب مجبولة على الأوصاف الخلقية من العجز والذلّ والحقارة والحدّ والحصر وأمثال ذلك ممّا هو طبع البشر ولازم المخلوقية. فإذا نُسب إليها شيء من صفات القدرة والعزّ والكبرياء والعظمة والألوهية لم تقبله بالطبع والضرورة، وإنْ قبلت شيئا من ذلك فعن تعمّل وتصنّع وبعد استحضار لأصليته، أو بإيمان تؤمن به ولم تطمئن له النفس ولا تسكن. ويشتبه ذلك على كثير من العارفين إذا وجد فيه شيئا من صفات الله – تعالى- فيظنّ أن الخُنس قد زال عن نفسه بالكلّية، وليس الأمر كذلك اللهمّ إلا إذا قد صار في مقام الانعدام فعلامته ثلاثة أشياء، أحدها: أنْ يقبل بذاته سائر الأوصاف الإلهية؛ الثاني: أنْ لا يجد فرْقا بين قبوله صفات الله وبين قبوله صفات نفسه، بل يقبل هذا كما يقبل هذا بالسّواء من حيث الوجدان؛ الثالث: أنْ لا يحتاج في قبوله صفات الله إلى استحضار اسم، ولا إلى تعقّل معنى، بل لمجرّد ما هو عليه يقبل ما يعلمه لله بذاته – سبحانه-.

❖ **المرتبة السابعة: المحق** (الباب: 255): هو عبارة عن زوال الحصر والحدّ مِن جسمانية العبد وروحانيته معًا؛ فإنّ اليد مثلا ليس في جبلّتها الطبيعية أنْ تكون فيها قوّة إبراء الأكمه والأبرص، والرّجل ليس في جبلّتها الطبيعية أنْ تكون فيها قوّة المشي على الهواء، على أنّ القابليّة الإنسانية فيها جميع ذلك، وإنما تقييد النفوس بالعادات منَعها عن ذلك وحصرها

على حدّ لا تتعدّاه الجوارح. فإذا زال ذلك الحصر عن الجارحة ظاهرًا، وعن النفس باطنا، فقد مُحِق هذا العبد وتحقّق بهذه المرتبة الشريفة؛ ومنها ينتقل إلى مقام الطمس.

- ❖ **المرتبة الثامنة: الطمس:** هو عبارة عن ذهاب أحكام البشريّة مطلقا من طبعه وعادته وظاهره وباطنه، فلا يغيّره الجوع المفرط، ولا السّهر الدائم، ولا الزّلازل العظام، بحيث أنْ لا تدعوه نفسه في ذلك إلى غيره. فإذا سهرلا تدعوه نفسه إلى النوم، وإذ جاع لا تدعوه إلى الأكل، وكذلك في سائر أحواله وأموره العادية والطبيعية، مع زوال الحصر عنه كما سبق في المرتبة الأولى التي قبل هذه المرتبة. والفرق بين المحق والطمس أنّ الممحوق ولو زالت عنه أحكام الحدّ والحصر المتعلِّقين بالأجسام لا يشترط أنْ تزول عنه أحكام البشريّة، والمطموس شرطه أنْ تزول عنه أحكامها.
- ❖ **المرتبة التاسعة: المحو** (الباب: 252): هو كمال الفناء لزوال سائر الآثار الخَلْقية بظهور الآثار الحقّية؛ فإنّ المحو شرطه ظهور آثار الحقّ على هيكل الإنسان، لأنها - أعني آثار الحق- لا ينستر ظهورها على جوارح العبد إلا لوجود بقيّة. وعلامة زوال البقيّة ظهور أثر الحقّ على سائر الجوارح. واعلم أنّ هذه المراتب الأربعة التي هي السحق والمحق والطمس والمحو هي مخصوصة بأهل مقام البقاء، دون المراتب الخمسة الأولى فإنها مخصوصة بأهل مقام الفناء، لأنّ الباقي بصفة من صفات الله لا يظهر عليه أثرُها إلا بعد التحقّق بمقام المحق، وهو نهاية الفناء عن الكيفيات والحدود الخلقية؛ وأمّا قبل التحقق بهذا المقام لا تظهر الآثار كلّها على جوارحه بحُكم الاختيار ولو كان في مقام البقاء. وهذا لا يُعرَف بطريق العقل والفكر. ولعلّ طائفة من المتصنّعين المتشدّقين بعلوم الحقيقة لا يُسلِّمون بذلك لزعمهم أنّ الباقي من شرطه أنْ يكون متّصفًا بسائر أوصاف الكمالات؛ وليس الأمر كذلك، بل الناس في مقامات البقاء على درجات. والله أعلم.

32- **الكلمة الثانية والثلاثون: البقاء (الباب: 221):** هو عبارة عن صفة إلهية يتصف بها العبد بعد فنائه عن نفسه. وقد تقرّر أنّ الفاني محجوب بالله عن وجود نفسه، فالباقي حينئذ مكاشف غير محجوب، يرى نفسه ويرى ربّه. والناس في مقام البقاء على درجات: فمنهم من هو مع الله بصفة أو صفتين. ومنهم من هو معه بصفات كثيرة: فمنهم من هو معه بأسماء المراتب؛ ومنهم من هو معه بالجمال؛ ومنهم من هو معه بالجلال؛ ومنهم من هو معه بالكمال. فمن كان معه بصفة أو صفتين لا يشترط فيه زوال سائر أحكام البشريّة من كل

جهة، بل يكفي ذلك إذا فني هو عنها بغيبوبته في الله. فإنه إذا تحقّقتْ غيبوبته تجلّى الله له فيما غيّبه عنه، فيرجع إلى نفسه بالله، ويعرف نفسه بغير تلك المعرفة التي كان يعرفه بها في مقام الفناء، لأنه كان يعرف نفسه بالعدم فصار يعرفها بالوجود المطلق؛ وسببه ظهور الحق له فيها من غير حلول. فلأجل ذلك يبقى ببقاء الله، لأنّ أمره إذا ذاك منسوب إلى الله، فهو الباقي. وأمّا من يكون مع الله بالكمالات الإلهية فشرطه زوال أحكام البشريّة وآثارها كما سبق بيانه.

33- **الكلمة الثالثة والثلاثون: الاتصاف:** هو عبارة عن ظهور صفات الربّ سبحانه على العبد؛ وله علامتان، العلامة الأولى: أنْ لا يحجب عنه سر من أسرار الكونين إذا توجّه لمعرفته تفصيلا وإجمالا؛ العلامة الثانية: أنْ لا يُرَدّ له أمر، فتنفعل له الأكوان حسب مشيئته وإرادته. والفرق بين الاتصاف **والتخلّق** (الباب: 149) هو عبارة عن تبديل الأخلاق المذمومة البشريّة بالأخلاق المحمودة الإلهيّة، فيصير بُخله كرمًا، وطيشه حلمًا، وجهله علمًا، إلى غير ذلك من الأخلاق المحمودة التي يمكن كسبها بالجدّ والاجتهاد لكل واحد؛ ومجموعها مكارم الأخلاق. والاتصاف أمرٌ عزيز لا يمكن كسبه، وإنما هو أمر وهبيّ لأنه عبارة عن تحقيق مقام الربوبيّة في العبد. والفرق بينه وبين **التحلّي** (الباب: 205) - بالحاء المهملة- أنّ التحلي هو عبارة عن وجود العبد الكامل صفات الربّ بكمالها في نفسه له مِن غير تعمّل ولا نسبة اتحاد، بل كما يجد صفات نفسه لنفسه في نفسه؛ وكل هذا يجده بالباطن ولا يقدر على إظهار الأثر في الظاهر، بخلاف المتّصف فإنه يجد ذلك في الباطن ويظهر أثره في الظاهر. فالمتحَلِّي على بيّنة من ربّه وليس له شاهد، والمتصف على بيّنة من ربّه ويتلوه شاهد منه، فافهم.

34- **الكلمة الرابعة والثلاثون: التلوين:** يُطلق به على تنقّل العبد في الأحوال السنيّة؛ فتارة يُرَاد به تنقل أهل الإرادات في أطوار المحبّة، كالشوق والحزن والبكاء والطرب وأمثال ذلك. وتارة يُرَاد به تنقّل أهل السلوك في أنواع المخالفات، كالانخلاع والاطراح والتهتك وركوب الأهوال وأمثال ذلك. وتارة يرَاد به تنقل العارفين في أحوال المعارف، من السكر والصحو والعروج والنزول والشهود والوجود وأمثال ذلك. وتارة يراد به تنقّل المحقِّقين في صفات الكمالات الإلهية، فيظهر تارة بصفات القهر، وتارة بصفات اللطف، وتارة بصفة الإيجاد، وتارة بصفة الإعدام، وتارة بصفة الحلم، وتارة بصفة الانتقام.

35- **الكلمة الخامسة والثلاثون: التمكين:** هو عبارة عن الاستواء على البساط، فتارة يُرَاد به كينونة العبد مع الحق في سائر أحواله؛ وتارة يراد به قوّة العبد على التحلّي بأيّ صفة إلهية شاء؛ والتحلي هنا - بالحاء المهملة-. وتارة يراد به قدرة العبد على إظهار أثر أيّ صفة شاء من صفات الكمالات. والله أعلم.

36- **الكلمة السادسة والثلاثون: الرّجوع:** قد يُطلق به على رجوع العبد إلى الله عن الأكوان. وقد يُطلق ويُرَاد به رجوع الوليّ من صفات نفسه وذاته إلى صفات الحق وذاته. وقد يُطلق فيرَاد به رجوع العبد من العالم العينيّ إلى العالم العلميّ، فيرى نفسه بالعين الثابتة في الأزل عند الله - تعالى- في الحضرة العلميّة. وقد يُطلق فيرَاد به رجوع المحقِّق من صفات الربوبيّة إلى صفات العبودية بالله - تعالى-. وقد يُطلق فيرَاد به رجوع أرباب النهايات إلى أعمال البدايات، إذا لم تدخل عليه الغفلة في وقت من الأوقات.

37- **الكلمة السابعة والثلاثون: الولاية (الأبواب: 152-153-154):** قيل إنها عبارة عن تولّي الحقّ العبد. وقيل إنها عبارة عن كينونة الحق عوضًا عن العبد. وقيل إنها عبارة عن التمكين. وقيل إنها عبارة عن إظهار آثار القدرة. وقيل إنها عبارة عن تولية الحق العبد في العالم. وقيل غير ذلك. ومجمل هذا الكلام أنْ تعلم أنّ الولاية على مراتب كثيرة، ويجمعها ثلاثة أنواع: ولاية صغرى، وولاية كبرى، وولاية مطلقة. فالولاية الصغرى لها ألف درجة، أوّلها الإيمان بالغيب، وآخرها الفناء في شهود الله - تعالى-. والولاية المطلقة لها ألف درجة، أوّلها الفناء في الشهود، وآخرها التحقق بالأوصاف الإلهية. والولاية الكبرى لها ألف درجة، أوّلها التحقق بالأوصاف الإلهية، وآخرها مقام العجز، وفيه يتحقق العبد بالكمال المطلق.

38- **الكلمة الثامنة والثلاثون: الكمال المطلق (الباب: 243):** هو عبارة عن مقام إلِـيّ فيه يُعطي الكامل حقائق الأشياء حقّها بالتمام والكمال، فيتصف بسائر صفات الربوبية، ويتصف بجميع أوصاف العبودية في آن واحد، ويعطى كل صفة من الصفات الكمالية والصفات النّقصية حقّها من ذاته بغير إخلال ولا اشتغال بشأن الهيّ عن شأن خلْقيّ، ولا بشأن خلقيّ عن شأن حقيّ. وصاحب هذا المقام هو الفرد الجامع.

39- **الكلمة التاسعة والثلاثون: العَجْز:** هو نهاية أهل النهايات، وغاية الترقي إلى الغايات، ليس وراءه لكامل مرْمى، ولا بعده لأكمل مرقى، فيه يقول سيّد أهل هذا المقام - عليه أفضل

الصلاة والسلام-: (لا أحصى ثناء عليك)[1]؛ ويقول خليفته ذو التحقيق أبو بكر الصديق - رضي الله عنه-: (العجز عن درك الإدراك إدراك). اعلم - وفّقك الله- أنّ هذا العجز ليس بالعجز المذموم الذي يسبق إلى فهوم المحجوبين، بل إنه عبارة عن غاية الكمال، فإنّ الكامل إذا تحقّق بالحقائق الإلهية، وترقى في مقام الاستواء بالحضرة العلميّة، تتجلى له ذاته الأقدسيّة بما هي عليه من الكمالات التي لا نهاية لها، فيعلم بالضرورة أنّ تلك الكمالات لا تتجلى إلا في تلك الحضرة الكُنهيّة، ولا سبيل إلى بروزها من تلك الحضرة الغيبيّة إلى هذا العالم الوجودي العيني لأنّ تلك الحضرة هي المسماة بـ**(حضرة الحضرات)** وبـ**(مقام: أو أدنى)**. فباقي الحضرات كلها تنشأ من هذه الحضرة الكبرى، فلا سبيل إلى أن تجمعها حضرة من الحضرات التي نشأت منها؛ لأنّ كلّ حضرة من حضرات الوجود بما عليه من الشأن الحقّي أو الأمر الخلقي شعبة من شعب هذه الحضرة الكبرى. ونهاية ما تجمع الشعبة ما هي الشعبة عليه. فلا سبيل إلى درك تلك الحضرة الكبرى لحضرة من الحضرات؛ وذلك هو العجز المشار إليه، فلا سبيل إلى درك هذا العجز عن هذا الإدراك إلا بعد الإدراك الإلِـيّ في حضرة الحضرات. فلأجل هذا كان العجز إدراكًا محقّقًا. وهذا كلام لا يفهمه إلا الكمّل من أهل الله، المتحقّقين بمقام العبودة.

40- **الكلمة الموفية أربعون: العبودة (البابان: 130-131):** هي عبارة عن نزول الكامل بربّه من مرتبة الربوبية إلى مرتبة العبودية، استيفاء للمراتب وشمولا للكمالات، لأنّ هذه الدّار دار حصر وتعيين، فيظهر فيه بما يليق بهذه الحضرة المحصورة المعيّن من أحوال العبودية والعجز والافتقار وأمثال ذلك، لئلا يصدر منه خلاف ما تقتضيه الحكمة، إذ هو الأوْلى بجمع الكمالات، وإعطاء الحقائق حقّها من النعوت والصفات، كلّ شيء على حسبه وفي محلّه، لأنّ القادر لا يخشى الفوْت. وفي هذا المقام مائة درجة، أوّلها: الرّجوع من الحق إلى الخلق بالحق، وآخرها درجت الوسيلة التي هي من خصوصيات رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وإليها أشار النبيّ- صلى الله عليه وسلم- بقوله: (إنّ الوسيلة أعلى درجة في الجنة ولا تكون إلا لرجل واحد وأرْجو أن أكون ذلك الرّجل)[2]؛ وهذه الجنة هي جنة الفردوس

---

[1] رواه البخاري

[2] الحديث أخرجه مسلم.

الأعلى التي تسمّى لبعض وجوهها: جنة الأسماء والصفات؛ وقد ذكرنا طرَفا من ذلك في كتابنا المسمى بـ(الإنسان الكامل) فليطالع هنالك.

واعلم أنّ الفرق بين العبودية والعبودة أنّ العبودية عبارة عن خلوص أعمال العبد لله، والعبودة عبارة عن قيامه في وظائف العبودية بالله، ولا يصحّ ذلك إلا للواصلين الكمّل من أهل الله الذين أشار إليهم الحق في قوله في الحديث القدسى: (أكون سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشى بها)، فهذا بالضرورة تكون أعماله بالله، لأنّ الحق - تعالى- كان ظاهره وباطنه. فظاهره من حيث الأعضاء الجسمانية لـذِكْره الرّجل واليد فإنهما أعضاء ظاهرة، وباطنه من حيث القوى الرّوحانية لذكره السمع والبصر اللذان هما باطنا دون الأذن والعين اللتان هما ظاهرتان. وعلامة من تحقّق بهذا المقام أنْ تنفعل الأكوان لجوارحه، فلو مرّ بيده على الأكمه والأبرص أبْرَاه بإذن الله، ولو قال لميّت: "عِشْ" لعاش، أو قال لحيّ: "مُتْ" لمات، وكذلك سائر جوارحه تظهر ما يناسبها من الانفعالات، كالرّجل في ظهورها بالخطوة، واليد بالقدرة، والقلب بالعلوم الغيبيّة، وأمثال ذلك. فالعبودة عبارة عن مقام هذا الرَّجُل إذا تنزّل من مقام الرّبوبية إلى مقام العبودية، وهذا هو المشار إليه بـ(ختم الأولياء)، وبه ختمنا الكتاب. والله الموفّق للصّواب.

وكان الفراغ من إملائه وتسويد أصله في منسلخ رجب الفرد سنة ثلاثة وثمانمائة بخط مؤلّفه العبد الفقير إلى الله - تعالى- عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الكيلاني الصوفي، لطف الله - تعالى- به، بالقاهرة المحروسة حرسها الله - تعالى-.

انتهى كتاب (غنية أرباب السماع) للشيخ عبد الكريم الجيلي.

ملحق لكتاب الجيلي

في هذا الملحق نذكر في غاية الاختصار أهمّ تعريفات جملة من أهمّ المصطلحات الصوفيّة التي أعطاها الشيخ في كتابه "الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل"، وهي التالية:

- الذات: مطلق الذات هو الأمر الذي تستند إليه الأسماء والصفات. وذات الله – سبحانه وتعالى- عبارة عن نفسه التي هو بها موجود لأنه قائم بنفسه، والتي تستند إليها الأسماء والصفات بهويّته فيتصوّر بكلّ صورة يقتضيها منه كلّ معنى فيه يقتضي الكمال. ومن جملة الكمالات عدم الانتهاء ونفي الإدراك، فحكم بأنها لا تُدرَك، وأنها مُدرَكة له لاستحالة الجهل عليه. فذاته- تعالى- غيب الأحديّة التي كلّ العبارات واقعة عليها من وجه، غير مستوفية لمعناها من وجوه كثيرة، فهي لا تدرَك بمفهوم عبارة ولا تفهَم بمعلوم إشارة، لأنّ الشيء إنما يُفهَم بما يناسبه أو بما ينافيه، وليس لذاته في الوجود مناسب، ولا مطابق، ولا مناف، ولا مضادّ.
- الاسم والصفة: الاسم هو ما يعيّن المسمّى في الفهم، ويصوّره في الخيال، ويدبّره في الفكر، ويحفظه في الذكر. والصفة: هي ما تبلّغك حالة الموصوف وتكيّفه عندك، وتوضّحه في فكرك. وأسماء الحق- تعالى- على قسمين: الأسماء الذاتية كالأحد الواحد الفرد الصّمد، والأسماء الصفاتية كالعليم والقدير؛ ولو كانت من الأوصاف النفسية كالمعطي والخلاق، ولوكانت من الأفعالية. وأصل الوصف في الصفات الإلهية اسمه "الرّحمن"، فإنه مقابل لاسمه "الله" في الحيطة والشمول، والفرق بينهما أنّ "الرحمن" مع جمعه وعمومه مظهر للوصفية، و"الله" مظهر للاسمية.
- الألوهيّة: هي أعلى مظاهر الذات الجامعة لحقائق الوجود والحافظة لمراتبها، أي للمراتب الإلهية وجميع المراتب الكونية، و"الله" اسم لربّ هذه المرتبة. فالألوهية أمّ الكتاب، والقرآن هو الأحديّة، والفرقان هو الواحديّة القرآنية، والكتاب المجيد هو الرّحمانية؛ كلّ ذلك باعتبار. وإلا فأمّ الكتاب بالاعتبار الأوّل الذي عليه اصطلاح القوم هو ماهية كنه الذات، والقرآن هو الذات، والفرقان هو الصفات، والكتاب هو الوجود المطلق..
- الأحديّة: عبارة عن مجلى الذات، ليس للأسماء ولا للصفات ولا لشيء من مِؤثراتها فيها ظهور، فهي اسم لصرافة الذات المجرّدة عن الاعتبارات الحقية والخلقية.

- الواحدية: هي عبارة عن مجلى ظهور الذات فيها صفة، والصفة فيها ذات، فيظهر كلّ من الأوصاف عين الآخر.
- الرّحمانية: هي الظهور بحقائق الأسماء والصفات، فهي اسم لجميع المراتب الحقية، ليس للمراتب الـخلقية فيها اشتراك.
- الرّبوبية: هي اسم للمرتبة المقتضية للأسماء التي تطلبها الموجودات، فدخل تحتها الاسم: العليم، والسميع والبصير، والقيّوم والمريد والملك وما أشبه ذلك؛ لأنّ العليم يقتضي المعلوم، والقادر يقتضي مقدورًا عليه، والمريد يطلب مرادًا.
- العماء: هو عبارة عن حقيقة الحقائق التي لا تتصف بالحقية ولا بالخلقية، فهي ذات محض لا تقتضي وصفا ولا اسما، وهذا معنى قوله- عليه الصلاة والسلام- عن العماء: "ما فوقه هواء وما تحته هواء[1] فصار العماء مقابلا للأحدية؛ والفرق بينهما أنّ الأحدية حكم الذات في الذات بمقتضى التعالي وهو الظهور الذاتي الأحدي؛ والعماء حكم الذات بمقتضى الإطلاق فلا يُفهم منه تعال وتدان، وهو البطون الذاتي العمائي.
- التنزيه: عبارة عن انفراد القديم بأوصافه وأسمائه وذاته، كما يستحقه من نفسه لنفسه بطريق الأصالة والتعالي، لا باعتبار أنّ المحدَث ماثله أو شابهه.
- التشبيه الإلهي: عبارة عن صورة الجمال، لأنّ الجمال الإلهي له معان وهي الأسماء والأوصاف الإلهية، وله صور وهي تجليات تلك المعاني فيما يقع عليه من المحسوس أو المعقول.
- الجمال الإلهي: عبارة عن أوصافه العليا وأسمائه الحسنى، هذا على العموم. وأمّا على الخصوص فصفات الرّحمة واللطف والنعم والجود والنفع وأمثال ذلك.
- الجلال الإلهي: عبارة عن ذاته بظهوره في أسمائه وصفاته كما هي عليه على الإجمال. وأمّا على التفصيل فهو عبارة عن صفات العظمة والكبرياء والمجد والثناء.
- الكمال الإلهي: عبارة عن ماهيته التي لا تقبل الإدراك والغاية.وأسماء الحق الكمالية جامعة للجمال والجلال، كالرحمن والربّ والمهيمن والظاهر الباطن الذي ليس كمثله شيء.

---

(1) حديث أبي رزين العقيلي - رضي الله عنه- قال: أين كان ربنا تبارك وتعالى قبل أن يخلق السماوات والأرض؟ قال- صلى الله عليه وسلم-: [كان في عماء، ما فوقه هواء وما تحته هواء، ثم خلق العرش ثم استوى عليه] رواه الترمذي وابن ماجه والبيهقي.

- هويّة الحقّ: هي غيبه الذي لا يمكن ظهوره ولكن باعتبار جملة الأسماء والصفات. وهي مأخوذة من لفظة (هو) المشيرة إلى الغائب، وهي في حق الله تعالى إشارة إلى كنه ذاته مع اعتبار أسمائه وصفاته مع الفهم بغيبوبة ذلك.
- إنـيّـة الحقّ: تحدّيه بما هو له، فهي إشارة إلى ظاهر الحق تعالى باعتبار شمول ظهوره لبطونه.
- الأزل: عبارة عن معقولية القبلية المحكوم بها لله تعالى من حيث ما يقتضيه في كماله، لا من حيث إنه تقدّم على الحادثات بزمان متطاول العهد. فأزله موجود الآن كما كان قبل وجودنا، فلم يزل أزليًا في أبد الآباد. وأمّا أزل الوجود الحادث فهو عبارة عن الوقت الذي لم يكن للحادث فيه وجود.
- الأبد: عبارة عن معقولية البَعْدِية لله تعالى، وهو حُكم له من حيث ما يقتضيه وجوده الوجوبيّ الذاتي القائم بنفسه، فلهذا صحّ له البقاء لأنه غير مسبوق بالعدم، بخلاف الممكن. والبَعْدية والقبلية لله تعالى حكميّان في حقه لا زمانيان، لاستحالة مرور الزمان عليه.
- القِدَم: عبارة عن حُكم الوجوب الذاتي للحق تعالى، فهو غير مسبوق بالعدم. وإلا فتعالى عن القدم الذي يعني تطاول مرور الزمان على المسمّى به. فليس بينه تعالى وبين خلقه زمان ولا وقت جامع، بل تقدّم حكم وجوده على وجود المخلوقات هو المسمّى بالقِدَم، وطروّ المخلوق لافتقاره إلى موجد يوجده هو المسمّى بالحدوث.
- أيّام الله: هي تجلّياته وظهوره بما تقتضيه ذاته من أنواع الكمالات. ولكلّ تجلّ حُكم إلهيّ هو المعبَّر عنه بالشأن، ولذلك الحكم في الوجود أثر لائق بذلك التجلّي. فاختلاف الوجود، أي تغيّره في كلّ زمان إنما هو أثر للشأن الإلهيّ الذي اقتضاه التجلي الحاكم على الوجود بالتغيّر. وتنوّع التجلّيات هو المعبّر عنه بالتحوّل في الصّوَر.
- صلصلة الجَرَس: عبارة عن انكشاف الصفة القادرية عن ساق بطريق التجلي بها عن ضرب من العظمة، وهي عبارة عن بروز الهيبة القاهريّة. وذلك أنّ العبد إذا أخذ يتحقق بالحقيقة القادريّة يجد أمرًا يقهره بطريق القوّة العظموتية فيسمع لذلك أطيطا من تصادم الحقائق بعضها على بعض كأنه صلصلة الجرس في الخارج.
- فاتحة الكتاب: هي السبع المثاني، وهي السبع صفات النفسيّة التي هي الحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام.
- جانب الطور الأيمن: جانب النفس.

- الكتاب المسطور: عبارة عن الوجود المطلق على تفاريعه وأقسامه واعتباراته الحقية والخلقية، وهو مسطور أي موجود مشهود في الملكوت.
- الرّقّ المنشور: عبارة عن قابلية روح الإنسان من حيث وجود الأشياء فيها بالانطباع الأصليّ الفطريّ كما هي في اللوح المحفوظ.
- البيت المعمور: هو المحلّ الذي اختصه الله لنفسه فرفعه من الأرض إلى السماء، وعمره بالملائكة؛ ونظيره قلب الإنسان فهو محلّ الحقّ، ولا يخلو أبدًا ممّن يعمره، إمّا روح إلهيّ قدسيّ، أو مَلَكيّ، أو شيطانيّ، أونفسانيّ وهو الرّوح الحيواني.
- الرّفرَف الأعلى: عبارة عن المكانة الإلهية من الموجودات، ومن الأمور الذاتية التي اقتضتها الألوهية بنفسها، مثل العزّة والكبرياء والعظمة.
- السرير والتاج: السرير عبارة عن المرتبة الرّحمانية التي هي في المكانة الإلهية. والتاج عبارة عن عدم التناهي.
- القدَمان والنعلان: القدَمان عبارة عن حُكمين ذاتيين متضادّين، كالحدوث والقِدم، والوجود والعدم، والتشبيه والتنزيه وأمثال ذلك، ممّا هو للذات من حيث عينها ومن حيث حكمها الذي هو لها. وأمّا النعلان فعبارة عن الوصفان المتضادّان كالرحمة والنقمة، والغضب والرّضا وأمثال ذلك. والفرق بين القدمين والنعلين، أنّ القدمين عبارة عن المقتضيات المخصوصة بالذات، والنعلان عبارة عن المتضادّات التي تطلب الأثر في المخلوقات.
- العرش: هو مظهر العظمة ومكانة التجلي وخصوصية الذات، ويُسمّى: جسم الحضرة ومكانها، لكنه المكان المنزّه عن الجهات الستّ. وهو المنظر الأعلى والمحلّ الأزهى، والشامل لجميع أنواع الموجودات، فهو في الوجود المطلق كالجسم للوجود الإنسانيّ، اعتبار أنّ العالم الجسمانيّ شامل للعالم الرّوحانيّ والخيالي والعقلي إلى غير ذلك. فالعرش محيط بجميع الأفلاك المعنوية والصوريّة، وسطح هذا الفلك المكانة الرّحمانية. ونفس هوية ذلك الفلك هو مطلق الوجود عينيا كان أو حكميّا. وباطنه عالم القدس وهو عالم أسماء الحق تعالى وصفاته . وعالم القدس ومجلاه هو المعبّر عنه بالكثيب الذي يخرج إليه أهل الجنة يوم سوْقهم لمشاهدة الحق. وظاهر العرش عالم الأنس، وهو محلّ التشبيه والتصوير والتجسيم، ولهذا كان سقف الجنّة.

- الكرْسي: عبارة عن تجلي جملة الأسماء الفعلية، فهو مظهر الاقتدار الإلهي، ومحلّ نفوذ الأمر والنهي؛ وفيه أوّل توجّه الحقائق الحقية لإبراز الحقائق الخلقية. وقدَما الحق متدلّيتان عليه، وذلك لأنه محلّ الإيجاد والإعدام، ومركز الضرّ والنفع، والفرق والجمع، فيه ظهور آثار الصفات المتضادّة على التفصيل، فهو محلّ فصل القضاء، والقلم محلّ التقدير، واللوح المحفوظ محلّ التدوين والتسطير.
- القلم الأعلى: عبارة عن أوّل تعيّنات الحق في المظاهر الخلقيّة على التمييز. وهو أنموذج ينتقش فيه ما يقتضيه في اللوح المحفوظ، كالعقل فإنه ينتقش فيه ما يقتضيه في النفس. فالعقل بمكانة القلم، والنفس بمكانة اللوح. والقلم هو العقل الأوّل، وهما وجهان للروح المحمّديّ. والرّوح المحمّديّ عبارة عن جوهر فرد، وهو بنسبته إلى الحق يسمّى القلم الأعلى، وبنسبته إلى مطلق الخلق يسمّى العقل الأوّل، وبإضافته إلى الإنسان الكامل يسمى روحا محمّديا صلى الله عليه وسلم.
- اللوح المحفوظ: هو عبارة عن عن نور إلهيّ حقّي متجلّ في مشهد خلقي، انطبعت الموجودات فيه انطباعا أصليّا، فهو أمّ الهيولى، لأنّ الهيولى لا تقتضي صورة إلا وهي منطبعة في اللوح، لأنّ القلم الأعلى جرى في اللوح بإيجادها. وهذا اللوح هو المعبّر عنه بالنفس الكلّية. ثمّ الإدراك لما كتبه القلم في ذلك النور اللوْحي لا يكون إلا بوجه من وجوه ذلك النور، وذلك الوجه هو المعبّر عنه بالعقل الكلّي؛ كما أنّ الانطباع في النور هو المعبَّر عنه بالقضاء، وهو التفصيل الأصلي الذي هو يقتضي الوصف الإلهي، وقد عبّرنا عن مجلاه بالكرْسي.ثمّ التقدير في اللوح هو الحكم بإبراز الخلق على الصورة المعيّنة بالحالة المخصوصة في الوقت المفروض، وهذا هو المعبّر عن مجلاه بالقلم الأعلى، وهو في اصطلاحنا: العقل الأوّل.فاللوح المحفوظ نبذة من علم الله تعالى على قانون الحكمة حسب ما اقتضته حقائق الموجودات الخلقية. ولله علم وراء ذلك هو حسب ما تقتضيه الحقائق الحقية على نمط اختراع القدرة في الوجود لا تكون مثبتة في اللوح. وجميع ما في اللوح هو علم مبتدإ الوجود الحسّي إلى يوم القيامة، وما فيه من علم أهل الجنة والنار شيء على التفصيل، لأنّ ذلك من اختراع القدرة، وأمر القدرة مبهم لا معيّن.

- سدرة المنتهى: هي نهاية المكانة التي يبلغها المخلوق في سيره إلى الله تعالى. وقد تمثلت في مقام جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم في صورة شجرة سدر لها أوراق كآذان الفيلة.
- الإنسان الكامل: هو القطب الذي تدورعليه أفلاك الوجود من أوّله إلى آخره، وهو واحد منذ كان الوجود إلى أبد الآبدين. وهو مقابل لجميع الحقائق الوجودية الحقية والخلقية بنفسه.ثمّ له تنوّع في ملابس، فيّسمّى به باعتبار لباس، ولا يسمّى به باعتبار لباس آخر. فاسمه الأصليّ الذي هو له: محمّد، وكنيته: أبو القاسم، وصفه: عبد الله، ولقبه: شمس الدّين. وله في كلّ زمان اسم مّا يليق بلباسه في ذلك الزمان. وإيّاك أن تتوهّم شيئا في قولي من مذهب التناسخ، حاشا الله وحاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكون ذلك مرادي. بل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم له من التمكين في التصوّر بكل صورة حتى يتجلى في هذه الصورة، وقد جرت سنّته صلى الله عليه وسلم أنه لا يزال يتصوّر في كلّ زمان بصورة أكملهم ليعلي شأنهم ويقيم ميلانهم، فهم خلفاؤه في الظاهر، وهو في الباطن حقيقتهم.
- المضاهاة الرّمزية بين أشراط الساعة الكونية الكبرى وأشراط الساعة الصغرى الخاصة بالفرد الإنساني: ينظر التفصيل في الباب 61 من كتاب "الإنسان الكامل".

تذييل على الكلمة 21 المتعلقة بالذكر

ممّا اتفق عليه جميع شيوخ التربية الرّوحيّة أنّ أفضل وأعلى الذكر هو الذكر باسم الجلالة الأعظم: (اللــّـه). وعنه يقول الشيخ محيي الدّين بن العربي في الباب 142 من "الفتوحات المكية":

[الذكرُ نعتٌ إلهيّ، وهو نفسيّ ومَلَـئِي، في الحق وفي الخلق. ومع كونه نعتـًا إلهياً فهو جزاء ذكر الخلق، قال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: 152]، فجعل وجود ذكره عن ذكرنا إيّاه. وكذلك حاله، فقال تعالى-في الحديث القدسي الثابت-: "ان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم". فأنتج الذكرُ الذكرَ، وحالُ الذكرِ حالَ الذكرِ. وليس الذكر هنا بأن نذكر اسمه، بل لتذكر اسمه من حيث ما هو مدح له وحمد؛ إذ الفائدة ترتفع بذكر الاسم من حيث دلالته على العين، لا في حقك ولا في حقه. فإن قلتَ: فقد رجّح أهل الله ذكر لفظة (الله) وذكر لفظة (هو)، على الأذكار التي تعطي النعت، ووجدوا لها فوائد؟ قلتُ: صدقوا وبه أقول. ولكن ما قصدوا بذكرهم: (الله الله) نفس دلالته على العين، وإنما قصدوا هذا الاسم أو الـ"هو" من حيث إنهم علموا أن المُسمَّى بهذا الاسم أو هذا الضمير، هو من لا تقيده الأكوان، ومن له الوجود التام؛ فإحضار هذا في نفس الذاكر، عند ذكر الاسم بذلك، وقعت الفائدة؛ فإنه ذكر غير مقيّد. فإذا قيّده بـ"لا إله إلا الله" لم ينتج له إلا ما تعطيه هذه الدلالة؛ وإذا قيّده بـ"سبحان الله" لم يتمكن له أن يحضر إلا مع حقيقة ما يعطيه التسبيح؛ وكذلك "الله أكبر" و"الحمد لله" و"لا حول ولا قوة إلا بالله". وكل ذكر مقيد لا ينتج إلا ما تقيد به، لا يمكن أن يجني منه ثمرة عامة، فان حالة الذكر تقيده. وقد عَرَّفَنا اللهُ أنه ما يعطيه إلا بحسب حاله في قوله: "ان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي" الحديث. فلهذا رجّحت الطائفة ذكر لفظة (الله) وحدها أو ضميرها، من غير تقييد. فما قصدوا اللفظة دون استحضار ما يستحقه المُسمَّى. وبهذا المعنى يكون ذكر الحق عبده باسم عامّ لجميع الفضائل اللائقة به، التي تكون في مقابلة ذكر العبد ربه بالاسم (الله). فالذكر من العبد باستحضار، والذكر من الحق بحضور، لأنا مشهودون له معلومون، وهو لنا معلوم لا مشهود. فلهذا كان لنا الاستحضار وله الحضور. فالعلماء يستحضرونه في القوة الذاكرة، والعامّة تستحضره في القوة المتخيّلة. ومن عباد الله العلماء بالله من يستحضره في القوتين: يستحضره في القوة الذاكرة عقلاً وشرعاً، وفي القوة المتخيّلة شرعاً وكشفاً. وهذا أتم الذكر، لأنه ذكره بكله؛ ومن ذلك الباب

يكون ذكر الله له. ثم انّ الله ما وصف بالكثرة شيئا إلا الذكر؛ وما أمر بالكثرة من شيء إلا من الذكر. قال: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الأحزاب: 35]، وقال: ﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 41]. وما أتى الذكر قط إلا بالاسم (الله) خاصة مُعَــرَّى عن التقييد. فقال: ﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ﴾، وما قال بكذا؛ وقال: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾ [العنكبوت: 45]، ولم يقل بكذا، وقال: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖ﴾ [البقرة: 203]، ولم يقل بكذا، وقال ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا﴾ [الحج: 36] ولم يقل بكذا؛ وقال صلى الله عليه وسلم: (لا تقوم الساعة حتى لا يبق على وجه الأرض من يقول: الله الله)، فما قيده بأمر زائد على هذا اللفظ، لأنه ذكر الخاصّة من عباده، الذين يحفظ الله بهم عالم الدنيا، وكل دار يكونون فيها. فإذا لم يبق في الدنيا منهم أحد لم يبق للدنيا سبب حافظ يحفظها الله من أجله، فتزول وتخرب. وكم من قائل: (الله) باق في ذلك الوقت، ولكن ما هو ذاكر بالاستحضار الذي ذكرناه؛ فلهذا لم يعتبر اللفظ دون الاستحضار].

وفي الباب361 من الفتوحات يقول:

[...فكقوله – صلى الله عليه وسلم–: "لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول: الله الله"، فأتى به مرّتين ولم يكتف بواحدة؛ وأثبت بذلك أنه ذكر على الانفراد؛ ولم ينعته بشيء؛ وسكّن الهاء من الاسم؛ وهو تفسير لقوله تعالى: ﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 41]، وهو تكرار هذا الاسم، وقوله: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾ [العنكبوت: 45]، ولم يذكر إلا الاسم(الله) خاصة. وهو مأمور من الله أن يبيّن للناس ما نزل إليهم. فلولا أنّ قول الإنسان: (الله الله) له حفظ العالم الذي يكون فيه هذا الذكر، لم يقرن بزواله زوال الكون الذي زال منه وهو الدنيا. وهذا الاسم كان ذكرنا وذكر شيخنا الذي دخلنا عليه. وما في فوائد الأذكار أعظم فائدة منه. فلما قال الحق:﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾، ولم يذكر صورة ذكر آخر مع كثرة الأذكار بالأسماء الإلهية، فاتخذه أهل الله ذكرًا وحده؛ فأنتج لهم في قلوبهم أمرًا عظيمًا لم ينتجه غيره من الأذكار. فإن بعض العلماء بالرّسوم لم ير هذا الذكر، لارتفاع الفائدة عنده فيه، إذ كل مبتدأ لا بدّ له من خبر. فيقال له: لا يلزم ذلك اللفظ، بل لا بدّ له من فائدة، وقد ظهرت في الذاكر به حين ذكره بهذه الكلمة خاصة، فأنتج له في باطنه من نور الكشف ما لا ينتجه غيره؛ بل له خبر ظاهر في اللفظ، كإضافة إلى تنزيه، أو ثناء بفعل. ومعلوم أنه

إذا ذكر أمر مَا، وكُرر على طريق التأكيد له، أنه يعطي من الفائدة ما لا يعطيه من ليس له هذا الحكم، ولا قصد به، فهو أسرع وأنجح في طلب الأمور].

ويقول في الفصل الرّابع من الباب 371 المتعلق بمنزل سورة الرّعد:

[وأمْسَكَ اللهُ صورة السماء على السماء لأجل الإنسان الموحّد، الذي لا يمكن أن ينفي، فذكره: (الله الله)، لأنه ليس في خاطره إلا الله؛ فما عنده أمر آخر يدّعى عنده ألوهية فينفيه بـ: "لا إله إلا الله". فليس إلا الله الواحد الأحد. ولهذا قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: "لا تقوم الساعة حتى لا يبقى على وجه الأرض من يقول: (الله الله)"؛ وهو الذكر الأكبر الذي قال الله فيه: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: 45]. فما قال الرسول- صلى الله عليه وسلم- من يقول: "لا إله إلا الله". فهذا الاسم هو هِجّير هذا الإمام الذي يُقبَضُ آخراً [أي آخر قطب خليفة]، وتقوم السّاعة، فتنشق السماء. فإنّ هذا وأمثاله كان العَمَد، لأن الله ما أمسكها إلا من أجله أن تقع على الأرض، ولذلك قال فيها إنها: "واهية"، أي: واقعة ساقطة.]

وفي الباب67 يقول:

[دخلت على شيخنا أبي العبّاس العريبيّ من أهل العليا، وكان مستهتراً بذكر الاسم (الله)- أي مواضبًا عليه مع الأنفاس- لا يزيد عليه شيئا، فقلت له: "يا سّيدي لِمَ لا تقول: لا إله إلا الله؟ فقال لي: يا ولدي الأنفاس بيد الله ما هي بيدي، فأخاف أن يقبض الله روحي عند ما أقول: "لا إله" فأقبَض في وحشة النفي. وسألتُ شيخاً آخر عن ذلك، فقال لي: ما رأت عيني ولا سمعت أذني من يقول: "أنا الله" غير الله، فلم أجد من أنفي، فأقول كما سمعته بقول: "الله الله". وإنما تعبّدنا بهذا الاسم في التوحيد، لأنه الاسم الجامع للنعوت بجميع الأسماء الإلهية؛ وما نـُقِل أنه وقعت من أحد من المعبودين فيه مشاركة، بخلاف غيره من الأسماء مثل "إله" وغيره].

وفي الباب 463 الذي خصصه لمعرفة الاثني عشر قطبا الذين يدور عليهم عالم زمانهم، يقول عنهم: [وهِجّيرهم - أي ذكرهم الدائم المتواصل- واحد وهو: "الله الله"، بسكون الهاء وتحقيق الهمزة،ما لهم هِجّير سواه].

وقد وضّح الشيخ بأنّ ذكر الاسم المفرد الأعظم هو السبيل لتحصيل العلم اللـّدُنيّ الموهوب للخضر وأمثله، فقال ما ملخصه من الباب396:

[وليس له طريق إلى ذلك إلا بأن يترك جميع المعلومات وجميع العالم من خاطره، ويجلس فارغ القلب مع الله، بحضور ومراقبة وسكينة وذكر إلهي بالاسم: (الله) ذكر قلب، ولا ينظر في دليل

يوصله إلى علمه بالله. فإذا لزم الباب، وأدمن القرع بالذكر – وهذه هي الرحمة التي يؤتيها الله من عنده – فيتولَّى الحق تعليمه شهودًا، كما تولَّى أهل الله كالخضر وغيره، فيعلّمه من لدنه علمًا من الوجه الخاص الذي بينه وبين الله، فلا يطلع عليه غيره. وقد فتح الله بيننا وبينه، فلزمتُ واسترحتُ. وعلامة من يدّعيه لزوم الأدب الشرعي، فيرى المعصية في مخالفة الشرع. وإن اعتقد خلاف هذا، فما هو من أهل الوجه الخاص، وإنما هو شخص لا يعبأ الله به].

ومن أعظم ثمرات ذكر الاسم الأعظم (الله) التحقق بمعرفة الله - تعالى- التي خصّص الشيخ الأكبر لبيان أقسامها الباب177 من الفتوحات، وفيه يقول: [ان المعرفة في طريقنا عندنا لّما نظرنا في ذلك فوجدناها منحصرة في العلم بسبعة أشياء، وهو الطريق التي سلكت عليه الخاصة من عباد الله. الواحد: علم الحقائق وهو العلم بالاسماء الألهية؛ الثاني: العلم بتجلي الحق في الأشياء. الثالث: العلم بخطاب الحق عباده المكلفين بألسنة الشرائع. الرّابع: علم الكمال والنقص في الوجود. الخامس: علم الانسان نفسه من جهة حقائقه. السادس: علم الخيال وعالمه المتصل والمنفصل. السابع: علم الأدوية والعِلل. فمن عرف هذه السبع المسائل فقد حصل المسمى معرفة].

يقول الشيخ المربّي العارف أبو عبد الله الساحلي المالقي الأندلسي (ت: 754هـ) في أواخر كتابه (بغية السالك في أشرف المسالك) عند ذكره لكرامات منزل المعرفة:

[اعلمْ أنّ «كلّ الصّيْد في جوف الفَرا» ، وهل العارف إلا إكسير هذا العالَم، به يصلح الفساد، وتنجذب موارد الرشاد، فكلما قابل بسرّه شيئا من الموجودات قَلَبَه إلى مقتضى إشارة سرّه. وهذه الحالة هي التي تجري في كلام بعضهم إنّما هي عن الاسم الأعظم لما يرون من نفوذ تصريفه في هذا الوجود، حتى إنّهم ليقولون: فلان استفاد من فلان اسم الله الأعظم، وحقا ما قالوا، لكنهم ربّما جهلوا حقيقة الأمر في ذلك.

واعلم أن الاسم الأعظم هو الذكر المفرد، وهو قولك: (الله). وليس هذا الاسم بحيث يخفى على قوم دون قوم، بل هو ظاهر معلوم، لكنه يقتضي سرا عظيما حصل عليه أفراد الرجال كما تقدم ذكره من التصفية وطهارة النفس، حيث أُخرجَتْ النفسُ عن جميع الحجب التي تحجبها عن حقيقة هذا الاسم العظيم. فالسرّ في السكان لا في المنزل. فالاسم واحد، لكن استعمله رجل على شرطه من الطهارة والتصفية، حتى عثر على حقيقته، فهو بتلك الحقيقة يتصرّف، ومنها يُنفِق. ورجل آخر يذكره آناء الليل وأطراف النهار، لكنه عريّ عن شروطه ووظائفه من التصفية والطهارة، وإنْ كان لا يَعْرُو عن الأجر والثواب. فهو يقرع الباب من وراء حجاب. ولَمَّا استعمل

الكافة هذا الاسم، فلم يظهر لهم ما ظهر باستعماله للخاصة، ظَنَّ بعضهم أنّ الاسم الأعظم هو غير ما ذكِر، وذلك جهلٌ بوجه الحكمة] انتهى.

وبالتالي فإنّ السّلوك بذكر الاسم االمفرد، والتحقق والتخلق بأسراره، هو باتفاق جميع العارفين، أشرف وأعلى وأقرب طريق للفوز بالمعرفة بالله – تعالى- والوصول إلى حضرته العليّة في مقعد صدق عند مليك مقتدر. ومينى السلوك بذكره يتمثّل في تركيز الفكرة في مشاهدٍ، تتجَوْهَر فيها فكرَة الذاكر ونفسُه وروحُه بالتوجّه الخاص لله – تعالى- عبودية محضة ومحبّة في ذاته العليّة بمحض توفيقه تعالى، إذ هو في الحقيقة الذاكر المذكور، فلا يذكره حق ذكره إلا مَن يعرفه- سبحانه-. لكن لا يعلم حقّ قدره سواه، ولا يعلم الله إلا الله: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الزمر: 67]، ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: 17]. كذلك: "ما ذكرتَ إذ ذكرتَ ولكن الله ذكر". ومن عناية الله بعبده أنْ جعل ذكره لنفسه- تعالى- متجليًا في عبده الذاكر. وروح الذكر هو الحضور بالفكرة تشخيصا للمشاهد التي يُرشِد إليها المربّي. فحضور القلب، وتركيز الفكرة خلال الذكر، هو روح الذكر وحياته، وشعاع نوره الكاشف، وهو مادّة السير والترقي.

يقول الشيخ البنّاني- الذي كان من شيوخ الطريقة الدّرقاوية الشاذلية بالمغرب في شرحه للصلاة المشيشية، في هذا المعنى:

[وكيفية ذكره عندنا: أنْ تشاهد في حال الذكر صورة الاسم ولفظه، ومعرفة مرتبة حروفه في عالمها، ومعناه وحقيقته، وأن تشاهد سائر الشؤون التي احتوتْ عليها ذاتك بزَعمك، وأنّ لسانك وحنكك وأسنانك ويدك وغير ذلك من جوارحك كلها صورة شؤون الحق. وتعلم حقيقة الشأن في نفسك، وحقيقة كل شيء من حيث هذه الشوون، وحقيقة الشأن الجامع لها الذي صورته هي صورة ذاتك. فيكون في حال الذكر مستحضرًا لجميع ما ذكِرَ ومتحققا به تفصيلا وإجمالا. ويكون ذكرُك إنما هو مساعدٌ للشؤون فقط. وهذا كله قبل التمكين في شهود المذكور. فيكون الذكر بهذه الحالة مُعِينا له على التمكّن فيه. فإذا تمكّن فيه وتحقق، فإن الذكْر والذاكر والمذكور شيء واحد، فإنه لا يُتصوّر سلب الذكر عنه حتى يتلبَّس به ويُعدّ ذاكرا، فهو المذكور حينئذ عند غيره. وإذا علمتَ هذا ظهر لك سرّ التشخيص الذي تعنيه الطائفة الدرقاوية.- زادها الله شرفا وتأييدا- إذ لا معنى للذكر سوى حبس النفس عن الجولان في أقطار بلادها، وجمع الهمّة على قبول الواردات

الإلهية الحقيقية من أصلها ومعدنها، ودفع الوسوسة المخرجة عن جادة الطريق وواسطتها.... فالتشخيص مُعين على حبس النفس عن الجولان في بلادها لمن كان ضعيفا. وأمّا القويّ فلا كلام معه. وهذا كله مع المريد الصادق الذي سلب الإرادة، وكان مراده مولاه. وأمّا من يذكر بنفسه لنفسه، كأنْ يذكر لأجل الثواب الأخرويّ، وكذا الدنيويّ من الحفظ والعافية ونحو ذلك، فإنَّ هذا لا كلام معه أيضا. بل كلامنا مع من لا مطلب له قط في عِلم أو شهود أو تحقيق وتمكّن وغير ذلك ممَّا فيه قيْد الوجهة والطلب والتشوّف وغير ذلك مما يجلّ ذكره....].

وفي البداية تكون الفكرة كما بيّنها الشيخ العربي الدّرقاوي (توفي سنة 1239هـ.) في قوله:

[وأمّا ذكر الاسم المفرد، فنرى – والله أعلم – أنّ الصّواب أنْ يذكره الذاكر كما أقول له: بسكينة ووقار، وإعظام وإجلال، وحالة نظيفة سَنِيّة شريفة، واعتماد على الله. وأنْ لا يذكر «الله الله» بلا مدّ قط؛ وليذكرْ: «اللَهَ اللَهَ اللَه» بوقف الإشباع ولا بدَ ولا بدَ. وليُشخِصْ حروفه الخمس، ويستحضر تشخيصها بعين قلبه دائما، وهي: الألف، واللامان، والألف المحذوفة، والهاء؛ من غير أنْ يكتبها في شيء. ومهما زهق عن تشخيصها رجع إليه من حينه، ولو زهق عنه ألف مرّة. فإنه – أي الذاكر – يُفتح عليه الفتح الكبير في أقرب مدّة...] انتهى.

وفي رسالة أخرى له يقول: [وكيفية ذكره كما ذكرناه، هو سجن النفس عن الخوض فيما ليس بصواب. لأنّ الحس ضدّ المعنى، والضدّان لا يجتمعان. وبنفس ما ينقطع عن الذاكر الخوض فيه، ترد عليه حينئذ معاني من الغيب كان لا يعرفها، فيشتغل بها عن التشخيص، وتفيض عليه إذ ذاك معاني قويّة أقوى، فحملته في أقرب مدّة إلى حضرة ربّه –سبحانه-. وهناك يدرك من الأسرار والخيرات، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. والله على ما نقول وكيل.] انتهى.

وهذه الكيفية في تشخيص الاسم، هي المعهودة عند شيوخ التربية في كل زمان. مثال هذا قول الشيخ عبد الوهاب الشعراني (في القرن العاشر الهجري) في كتابه (لطائف المنن والأخلاق):

[وقد أرشدتُ الأخ يوسف الطهواني إلى هذا الذكر لّما طلب مني الإرشاد، وذكر أنه حصل له أمارة الفتح: وهو رسم الجلالة بالنور في محلّ تصوّره وحضوره، ثم انتشر من الجلالة نور فملأ الأفق أو أكثر مع غير وجود شيء آخر معه. هذا وهو مُلاحِظ الجلالة بعيْن الرّوح مع التلاوة لها

باللسان، حتى يتمكّن تمكّن الرّجال، وتنتفي عنه الخواطر والأكدار، إذ الجلالة مِصْقَلة تصقل قَذى الأغيار عن وجود الأسرار].

انتهى بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه الجميل، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

الجزْء الثاني

إنّ الوجــود لحــرْفٌ أنــت معنــاه ... ولــيس لــي أمَــلٌ في الكــون إلاّ هــو

الحـرْف معنى ومعنـى الحـرف سـاكنه ... ومــا تــشاهد عــينٌ غــير معنــاه

حقائق السّماع عند ابن العربي

الباب 178 من "الفتوحات المكّيّة"- حقائق السّماع عند ابن العربي

قبل الشيخ الأكبر نجد في التراث الإسلامي العرفاني حول السّماع والموسيقى اتجاهين مختلفين:

- ❖ - **الاتجاه الأول:** هو الاتجاه الصوفي الذي كتب فيه أعلام من الصوفية كأبي طالب المكي (ت: 325هـ) في كتابه "قوت القلوب"، وأبي بكر الكلاباذي (ت: 385هـ/ 995م) في كتابه "التعرف لمذهب أهل التصوّف"، وعبد الله بن علي السّرّاج الطوسي (ت: 378هـ) في كتابه "اللمع" الذي خصّص فيه أبوابا فصّل فيها المسائل المتعلقة بالسّماع والوجد تفصيلا وافيا في غاية الدقة والحسن. واقتفى أثره في ذلك بعض أئمّة التصوف في القرن الخامس الهجري مثل تلميذه أبي عبد الرحمٰن السلمي (ت: 412هـ) في كتابه "السّماع"، والإمام عبد الكريم أبي القاسم القشيري (ت: 465هـ) في رسالته القشيرية المشهورة، والشيخ علي بن عثمان الهجويري (ت: 470هـ) في كتابه " كشف المحجوب " حيث خصّص آخر أبوابه للسماع الصوفي والفرق بينه وبين سماع العامّة، ثم حجّة الإسلام أبي حامد الغزالي (ت: 505 هـ) في موسوعته الشهيرة "إحياء علوم الدين"، وشيخ بغداد في عصر الشيخ الأكبر شهاب الدين عمر السهروردي (ت: 632هـ) في كتابه المشحون تربية وحكمة: "عوَارف المعارف" الذي خصص فيه أربعة أبواب رائعة حلّل فيها مسائل السّماع قبولا وإيثارًا، أو رَدّا وإنكارًا، أو ترَفّعًا واستغناء، أو تأدّبًا واعتناء. وقد عبّر الطوسي في "اللّمع" عن موقف جُلّ الشيوخ من السّماع فقال ما خلاصته:

[السّماع على ثلاثة أوجه: بالطبع، أو بالحال، أو بالحقّ. فمَن يسمع بطبعه اشترك فيه الخاصّ والعامّ، وكلّ ذي روح يستطيب الصوْت الطيّب. ومَن يسمع بحاله إذا طرق سمعه ممّا يوافق حاله ينقدح سرّه على قدر صفاء وقته وقوّة قادحه فيفيض ذلك على جوارحه. ومَن يسمع بالحق ومِن الحق فإنه لا يلتفت إلى هذه الأحوال، لأنها وإن كانت شريفة فهي ممزوجة بحظوظ البشريّة، ولا يُؤمَن عليها الزّلل حتى يكون سماعه بالله ولله ومن الله وإلى الله، وهم الذين فنوا عن الأقوال والأفعال والأحوال، ووصلوا إلى الحقائق ومحض الإخلاص وصفاء التوحيد، فخمدت بشريتهم

وفنيت حظوظهم وبقيت حقوقهم، فشهدوا موارد الحق بالحق بلا علّة للنفس ولا حظ للرّوح بالنغمة، فشهدوا مِن موارد السّماع على أسرارهم مظاهر حكمته وآثار قدرته وعجائب لطفه وغرَائب علمه: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد: 21].

وهذا التقسيم الثلاثي للسّماع أي: الطبيعي والرّوحاني والإلٰهي هو نفس التقسيم الذي فصله الشيخ الأكبر في البابين 182/ 183 لمعرفة مقام السّماع وتركه من "الفتوحات المكية" كما خصّص الأبواب 235،236 و237 لما ينتجه السّماع من تواجد ووجد ووجود. هذا الوجد الذي يقول عنه الطوسي ما خلاصته:

[إنّ مقصود القوم في السّماع ليس كله للتلذذ بحسن النغمة، لأنّ الرّقة والهيجان والوُجد كامن فيهم أيضا عند فقدان الأصوات، والسكينة والهدوء كامن فيهم عند وجدان النغمات. فالمقصود في جميع ما يسمعون ما يناسب ما انخنس في قلوبهم من المَواجيد والأذكار. ولا يصحّ السّماع للمريد حتى يعرف أسماء الله وصفاته فلا يضيف إليه إلاّ ما أضاف إلى نفسه هو تعالى، ولا يكون قلبه ملوّثا بحبّ ما سوى الله، حافظا لحدوده متعاهدًا لوقته. فإذا كان كذلك يسمع ما يحثه على المعاملة والمجاهدة، ولا يسمع للتلذذ لكيلا يصير عادته فيشغله عن عبادته ورعاية قلبه] (1).

وهذا الموقف المعتدل الحذر قريب من موقف الشيخ الأكبر حيث يقول عن السّماع ما سنورده في الجزء الثاني من هذا الكتاب.

وتحذير الشيخ من الاستسلام إلى تأثير الأنغام لا يعني أنه ينكر استحسانها على الإطلاق، بل يعني وجوب معرفة مرتبتها، وهي مرتبة الطبيعة التي هي دون العقل والنفس، فهي تدخل ضمن السّماع الطبيعي لا السّماع الروحاني ولا الإلٰهي. بل يؤكد الشيخ أن تأثير النغمات أشدّ وأبلغ من تأثير الكلمات ويبين سبب ذلك فيقول عن الأنغام: [لا يستطيع أحد أن يدفع عن نفسه سلطانها إذا صادفت محلّها لأن الحقائق الإلٰهية التي استندت إليها هذه النغمات أقوى من التي استند إليها الكلام] (2).

---

(1) ف: الفتوحات المكية لابن العربي – دار صادر بيروت المجلدات I، II، III، VI، ب = باب، ص= صفحة.
"اللمع" للطوسي – دار الكتب الحديثة بمصر 1380هـ–1990م ص: 338-389

(2) فII ب 182 ص 367 – 368

يعني أنّ الكلام يستند إلى أسماء إلهية عددها يكاد يكون محصورا في أربعة هي: "القائل، المتكلم، السميع، الشكور". وأمّا الأنغام فتستند إلى عين هذه الأسماء مع أسماء حسنى أخرى مثل: الحكيم، الجميل، الطيّب، الواجد، اللطيف، القابض، الباسط، المحسان...

وإذا كان الشيخ يُحَذِر من تأثير النغمات في السّماع الطبيعي مخافة اعتبارها نتيجة تأثير سماع إلٰهي أو روحاني، فهو يقرّر بأنّ مبنى الوجود كله على الأوزان الإلٰهية التي لا نهاية لحسنها، فيقول في مقدمة ديوانه الكبير واصفا حاله في معراجه الروحاني: [إلى أن اسمعني صريف الأقلام في صدري بالألحان، ونطقت المثاني والمثالث بحسب المطلوب من النقص والرجحان، فقلت: ما لهذا الإيقاع؟ فقيل: السّماع. فقلت مالي وللشعر؟ فقيل: هو أصل هذا الأمر. النظم هو الجوهر الثابت والنثر هو الفرع النابت. لا يظهر نثر إلاّ في عالم الكون، لا في حضرة العين. وإذا حقق هذا الأمر فما ثمّ نثر. أليس الشعر عين المقادير والأوزان، فانظر فيه تجده في وجود الأعيان... فتحقق أوزان تغاريد الأطيار، ومقادير حركاتها بالآصال والأسحار، وانظر في نغمات كل مكنون في الوجود تجده على وزن محفوظ وترتيب ملحوظ] إلى آخر ما فصله بأسلوب في غاية الحسن.

- ❖ – **الاتجاه الثاني** الذي نجده في الثقافة الإسلامية قبل الشيخ الأكبر هو الذي ظهر عند بعض الحكماء والفلاسفة، خصوصاً عند فيلسوف العرب يعقوب بن إسحاق الكندي (ت: 258هـ/ 873م) الذي قيل عنه أنه صاحب أوّل مدرسة للموسيقى في الإسلام[1]- كما كان إسحاق الموصلي (ت: 258هـ / 873م) صاحب أوّل مدرسة للغناء – وتطوّرَت مدرسة الكندي على يد الفارَابي (ت: 342هـ / 953م) مؤلف كتاب «الموسيقى الكبير» الذي وضع فيه أسس التعاليم الصوتية، وبلغت المدرسة ذروتها عند الشيخ الرّئيس ابن سينا (ت: 428هـ/ 1037م) الذي ميّز في كتابه «جوامع علم الموسيقى» بين الموسيقى كعلم وبينها كفنّ وصنعة.

ويمكن إدراج إخوان الصفا ضمن مدارس هذا الاتجاه الثاني حيث إنهم خصصوا للموسيقى في رسائلهم الرّسالة الخامسة المؤلفة من أربعة عشر فصلاً. ومفاهيمهم في هذا الموضوع مطابقة لِما فصّله قبلهم الكندي والحكماء القدامى في اليونان ومصر وفارس والهند حول التناسب بين الألحان في عالم الإنسان وبين الأنغام في عوالم الأفلاك والأملاك. ففي الفصل السابع من تلك

---

[1] كل ما يذكر عن الكندي في هذا البحث مرجعه إلى باب (الموسيقى) من كتاب أحمد فؤاد الأهواني الذي عنوانه: "الكندي فيلسوف العرب" – العدد 26 من سلسلة "أعلام العرب" ص: 161... 188

الرسالة نقرأ مثلاً: [ويقال إنّ فيثاغورس الحكيم (القرن السادس قبل الميلاد) سمع بصفاء جوهر نفسه وذكاء قلبه نغمات حركات الأفلاك والكواكب، فاستخرج بجوْدة فطرته أصول الموسيقى ونغمات الألحان... ثمّ بعده نيقوماخس وبطليموس واقليدس وغيرهم من الحكماء].

وعن الصلة الأصيلة بين الموسيقى والنفس البشرية تكلم أفلاطون في "الجمهورية" وأرسطو في "كتاب الشعر". وكلاهما بيّن ما يحسن منها ويجب تعليمه، وما يقبح وينبغي استبعاده لسوء أثره. وتبعهما الكندي وطبّقه على الموسيقى العربية والشعر العربي، كما استخدم الموسيقى للعلاج، وفصّل في رسائله حولها أنواع تأثيراتها في النفوس، والمناسبات بين أنواع الألحان وساعات النهار، وبينها وبين البروج والكواكب السبعة، بل بينها وبين عقائد أهل كل ملة: فذكر أن أهل الهند يستعملون آلة ذات وتر واحد لاعتقادهم في الواحد المطلق. والثنوية الذين يعتقدون أنّ مبنى الوجود على الازدواجية صنعوا آلة بوَترَيْن، وشدّوا سبعة دساتين أو أكثر تنتقل عليها أصابع اليد، والرّوم المسيحيون أهل التثليث صنعوا آلة بثلاثة أوتار وثلاثة دساتين، والحكماء - خصوصا الفيثاغوريون - يؤكدون على التربيع الطبيعي والعددي، ويقدسون العشرة لأنها مجموع الأعداد من واحد إلى أربعة، ووافقهم الشيخ الأكبر في ذلك.

ومن طريف ما يذكره الكندي أنّ العود كان جسما مستديرا مخروطا شُقَّ نصفين فخرج منه عودان، حتى يكون مشاكلا للنصف المرئي من الفلك. وإنما كانت أوتار العود أربعة لتشاكل الأربعة وتناسبها ومناسباتها مع الرّباعيات الوجودية الكثيرة زمانا ومكانا وأعيانا. ثم رُكِّب على العود عشر طاقات لتوجد منها الأعداد العشرة، فجعلوا في الزير طاقة، وفي المثنى طاقتان، وفي المثلث ثلاث طاقات، وفي البمّ أربع. ثم «صبغوا» كل وتر بما يناسب أخلاط البدن حسب الترتيب التالي: فالزير للصفراء المناسبة لركن النار، والمثنى للدم المناسب للهواء، والمثلث للبلغم المناسب للماء، والبمّ للسوداء المناسبة للتراب. كذلك الأنغام السبعة تناظر الكواكب السبعة: فلزحل مطلق البم وسبابته للمشتري، وللمريخ وسطى البم وخنصره للشمس، وللزهرة سبابة المثلث ووسطاه لعطارد وخنصره للقمر.

والشيخ الأكبر يقرّ بهذه التراتيب والمناسبات ويستحسنها، ويقرّ بأنّ التناسب بين أنغام السّماع ونشأة الإنسان مصدره السماء الثالثة حيث تجلى تعالى باسمه «المصوّر الجميل» في يوسف - عليه السلام- وكوْكب الزهرَة، وعنها يقول ما خلاصته: [ومن هذه السماء يعلم معنى الإتقان والحسن الملائم لمزاج خاص، ويعلم سر ترتيب الأركان التي تحت فلك القمر: نار تحتها هواء فماء

فتراب، وسر ترتيب أخلاط الجسم على الإتقان الأبدع، فجعل مما يلـي نظـر الـنفس المـدبرة المـرة الصفراء يليها الدم ثم البلغم ثم المرة السوداء وهو طبع الموت. ومن هذه الـسماء ظهـرت الأصـول الأربعة التي يقوم عليها بيت الشعر: فالوتد المفروق يعطي التحليل، والوتد المجموع يعطي التركيـب، والسبب الخفيف يعطي الروح، والسبب الثقيل يعطي الجسم، وبالمجموع يكون الإنـسان][1]. ويبـيّن تناسب الأخلاط الأربعة مع الألحان فيقول: [كلّ خلط يطلب بذاته مَن يحرّكه لبقائه وبقـاء حُكمـه، فإنّ السكون عدم. فأوجد في نفوس العلماء حين سمعوا صريف الأقلام ما ينبغي أنْ تحرّك بـه هـذه النشأة الطبيعية، فأقاموا لها أربع نغمات، لكل خلط نغمة في آلة مخصوصة وهي المسمّاة في الموسـيقى بالبمّ، والزير، والمثنى، والمثلث. كل واحد من هذه يحرك خلطا مـا بـين حركـة فـرح وحركـة بكـاء وأنواع الحركات. وهذا لها بما هي نشأة طبيعية لا بما هي روحانية][2].

كذلك نجد عند الشيخ الأكبر تأكيدا على تناسب عميق للمنازل الفلكية بحركـات كواكبهـا مع مخارج الحروف باهتزازات ألحانها، فيقول إنّ في فَـلَـك المنازل ثمـان وعـشرون منزلـة لأنّ عـدد الحروف ثمان وعشرون، وليس العكس[3]. يعني أنّ حروف الكلمات الإلٰهية قديمة صفة الموصوف بالقدم، وأمّا المنازل الفلكية فهي حادثة، والحادث تابع للقديم وليس العكس. ويفصِّـل هذا المعنـى بدقّة أكثر في باب فلك الكواكب الثابتة من كتابه "عقلة المستوفز" فيقول:

[وهذا الفلك فلك الحروف، ومِن هنا نشأتْ في عـالم الأجـسام علـى الثمانيـة والعـشرين منزلة من ثمانية وعشرين حرْفا على المخارج المستقيمة. ثمّ حروف خرجت عـن حـدّ الاسـتقامة في الإنسان وغيره من الحيوانات، وهي بعدد ما بقي من الأقسام مقدار بمقدار لا يزيد ولا ينقص (...) وأخبرني بعض العلماء عن تلميذ جعفر الصادق - رضي الله عنه - أنه أوْصلها إلى سـبعة وسـبعين حرْفا في الحيوانات.. ولمّا كانت الحروف مِن هذا الفلك فـلا تعطـي خواصـها إلاّ مـا يعطيـه حكـم المنازل].

بعد هذه الجولة السريعة في ميدان السّماع عند من تقدّموا من الصوفية والحكماء، وصـدى مفاهيمهم عند الشيخ الأكبر، تلاحـظ أصـالته في بيـان الأصـل الالهـي للـسماع. فكعادتـه في ربـط الوقائع الكونية بأصولها الإلٰهية، فإنّ السّماع عنده حقيقة إلهية لها مظاهر عبر مراتب الوجـود تنـزلاً

---

(1) ف II ب 167 ص 275

(2) ف II ب 182 ص 367

(3) ف II ب 198ص 440

من حضرات الأسماء الحسنى إلى حضرات ديوان التسطير عند القلم الأعلى واللوح المحفوظ وما تحتهما من أقلام وألواح، ومرورا بالمنازل الفلكية إلى أن تتجلى في النفَس الإنساني نطقا وسمعًا فوَجدًا ووجودًا.

ففي الحضرة الإلٰهية في الآن الدائم ثمّة سماع دائم متبادل بين الحق - تعالى -والأعيان الثابتة في علمه التي يسمِّيها الشيخ بالحروف العاليات، وهي صور الأسماء الإلٰهية التي هي حقائق الذات العلية. فهي بلسان حالها الثبوتي تطلب بروزها لنفسها في الوجود العيني، فيسمعها - تعالى - ويلبّي ندائها بقوله لها: كن، فتكون. أي بسماعها الثبوتي للأمر الالهي: "كن"، تجد نفسها متعيّنة بالوجود الحق المطلق في عين تقييده بأحكامها.

وفي هذا السّماع الدائم المطلق المتبادل بين الوجود الحق المطلق ومظاهر تعيّناته المقيدة الثابتة، تظهر أربعة أصول: ذات باسمها "الحي"، ونسبة بين الحق والأعيان الثابتة لها الاسم "العليم"، وتوجه بالاسم "المريد"، وقوْل بالاسم "القائل القدير". ومن هذا التربيع الأصلي ظهرت كلّ الرّباعيات الكونية، ومنها رباعيات السّماع بمختلف مراتبه. ومن الاسم الرابع، أي القدير، تفرعت ثلاثة أسماء هي: المتكلم السميع البصير. وبالمجموع تكون الأسماء الأمهات الحاكمة في الكون سبعة، ومنها ظهرت كل سباعيات الوجود، ومنها سباعيات السّماع.

وفي العديد من نصوصه يقرر الشيخ أن أصل الوجد الذي يجده الواجدون عند السّماع هو التناغم والتجاوب ومناغاة الحنين العلوي بين قلم الروح الأعلى المذكّر ولوْح النفس الكلِّيّة المؤنثة. وهو ما يعبّر عنه السهروردي في الباب الرّابع والعشرين من كتابه "عوارف المعارف" فيقول: [إنما يستلذ الروح النغمات لأنّ النغمات بها نطق النفس مع الروح بالإيماء الخفي إشارة ورمزا بين المتعاشقين، وبين النفوس والأرواح تعاشق أصلي ينزع ذلك إلى أنوثة النفس وذكورة الرّوح].

ولهذا السّماع الروحاني عند الشيخ في العالم العلوي مرتبتان: الأولى ملكوتية فوق الطبيعة بين القلم الأعلى واللوح المحفوظ،، والثانية جبروتية تحت حكم الطبيعة بين العرش والكرسي باطنا، وبين فلك البروج وفلك الكواكب ظاهرا، أي في مراتب الجنان فوق سدرة المنتهى.

يقول الشيخ عند وصفه لمعراج الرسول - صلى الله عليه وسلم - في الباب 367 من "الفتوحات" المتعلق بسورة الإسراء، بعد تجاوزه سدرة المنتهى: [إلى أن ظهر لمستوى سمع منه صريف القلم والأقلام في الألواح بما يكتب الله بها ممّا يُجريه في خلقه، وما تنسخه الملائكة من أعمال عباده، وكلّ قلم مَلَك، ثم زُجّ في النور وأصابه الوجد فأخذ يميل ذات اليمين وذات الشمال،

واستفرَغه الحال، وكان سببه إيقاع تلك الأقلام وصريفها في الألواح، فأعطت من النغمات المستلذة ما أدّاه إلى ما ذكرناه من سرَيان الحال فيه والحُكم عليه، فتقوّى بذلك الحال وعلم ما لم يكن يعلمه قبل ذلك].

وحيث أنّ مرتبة هذا السّماع فوق فلك الكواكب، نجد الشيخ في الباب 167 من الفتوحات في "معرفة كيمياء السعادة" الذي فصّل فيه تفصيلا رائعا بديعا الفرق بين معراج الحكيم بفكره ومعراج التابع لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – بروحه، نجده بعد وصفه لنزول التابع في الكرسي يقول ما ملخصه:

[ثم إنه يفارق هذا الموضع ويُزج به في النور الأعظم فيغلبه الوجد. وهذا النور هو حضرة الأحوال الظاهر حكمها في الأشخاص الإنسانية. وأكثر ما يظهر عليهم في سماع الألحان، فإنها إذا نزلت عليهم تمرّ على الأفلاك، ولحركات الأفلاك نغمات طيّبة مستلذة تكسو الأحوال وتنزل بها على النفوس الحيوانية في مجالس السّماع].

وقد نبه العديد من الصوفية على أن مبدأ السّماع الروحاني كان في الموطن الأول للأرواح حين خاطبها الحق في عالم الذر: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ﴾ [الأعراف: 172] فالسّماع يحرك الحنين إلى ذلك الوطن الأصلي المطلق حيث القرب والصفاء، وإلى هذه الآية أشار الشيخ عبد الكريم الجيلي في العديد من مواضع كتابه "غنية أرباب السّماع" الذي هو الجزء الأوّل من كتابنا هذا، وذلك أيضا ما تشير إليه معاني قصيدة مشهورة تنسب إلى كبير أساتذة الشيخ الأكبر أي سيدي شعيب أبي مدين (ت: 589هـ)، ولا تزال إلى اليوم تنشد في حلق السّماع الصوفي وفيها يقول[1]:

نعيش بذكراكم إذا لم نرَاكمُو	**ألا إنّ تذكار الأحبّة ينعشنا**
يحرّكنا ذكر الأحاديث عنكمُو	**ولولا هواكم في الحشا ما تحرّكنا**
فقل للذي ينهي عن الوجد أهلهِ	**إذا لم تذق معنى شراب الهوى دعنا**
وسلِّم لنا فيما ادّعينا فإننا	**إذا غلبت أشواقنا ربّما صحنا**

(1) هذه القصيدة ذكرها كاملة الشيخ عبد الحليم محمود في كتابه "شيخ الشيوخ أبو مدين الغوث" وقال إنها نقلت منسوبة إلى أبي مدين من كتاب "السفينة" و"قاموس الأناشيد" و"سبيل السعادة" و"أشعة الأنوار" وكلها كتب أناشيد صوفية.

وتهتـــــزّ عنـد الاسـتماع حواسّـنا	**وإنْ لم نطـق حمـل التواجـد نوّحنـا**
أمـا تنظـر الطـير المقفـّص يـا فتـى	**إذا ذكـر الأوطـان حـنّ إلى المغنـى**
وفـرّج بالتغريـد مـا في فـؤاده	**فيفلـق أربـاب القلـوب إذا غنّـى**
ويهتـز في الأقفـاص مـن فـرْط وجـده	**فتضطرب الأعـضاء في الحـس والمعنـى**
كـذلك أرواح المحـبّين يـا فتـى	**تهزهزهـا الأشـواق للعـالم الأسـنى**
أتلزمهـا بالـصبر وهـي مـشوقـة	**وكيف يطيق الصبر مـن شـاهد المعنـى**
إذا اهتـزت الأرواح شـوقا إلى اللقـا	**نعم ترقص الأشباح يـا جاهـل المعنـى**
فيـا حـادي العـشاق قـم واحْـدُ قائمـا	**وزمـزم لنـا باسـم الحبيـب وروّحنـا**
ويـا عـاذلي كـرّر علـيّ حـديثهم	**فأعيننـا مـنهم وأعيـنهم منـّا**

والشيخ الأكبر يوافق الصوفية في إنشادهم الأشعار التي تحثّ على حبّ الله تعالى ودوام ذكره ولو بأساليب التشبيب والغزل اللطيف ويقول في ذلك:

[ولا ينبغي لواعظ أن يُنشد إلاّ الشعر الذي قصد فيه ذكر الله بلسان التغزل أو بغيره، فإنه من الكلام الذي يقوله أهل الله، فهو حلال قولا وسمعا، فإنه ممّا ذكر اسم الله عليه. ولا ينبغي أن ينشد في حق الله شعرا قصد به قائله في أوّل وضعه غير الله، فإنه بمنزلة من يتوضأ بالنجاسة. فإنّ القول في المُحدَث حَدَث بلا شك، فإنّ للنية أثر في الأشياء] (1). وسنعود إلى وظيفة الشعر عند الشيخ في الجزء الثاني من هذا الكتاب.

خلاصة القول:

ما بيّنه الشيخ الأكبر من حقائق حول السّماع هو محصلة التكامل بين مفاهيم كانت قبله مختلفة منفصلة عن بعضها البعض، فزاوج الشيخ بينها في ترتيب شرعي عرفانيّ حكيم منسجم كامل التناسق، جامع للأحكام الشرعية وآدابها، وللأذواق الصوفية العرفانية في سلسبيل شرابها، ولعلوم دقائق الحكمة الخالدة ولبابها، في إطار الوحدة القرآنية للوجود التي روحها قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 115].

---

(1) ف III ب 398 ص 562.

وصدق الله العظيم في قولـه: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة: 83].

وفي ما يلي نصوص الشيخ الأكبر محيي الدّين محمّد بن علي بن العربي حول السّماع وما يتعلق به، من كتابه (مواقع النجوم ومطالع أهلـّة الأسرار والعلوم) وكتابه (الفتوحات المكّيّة) وكتابه (التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية).

الفَـلَك الأذني السّمعيّ من كتاب "مواقع النجوم"

يا صاحب الأذن إنّ الإذن نـــاداكا	رفع الخـــطاب إذ الرّحمن ناجاكـا
فإنْ وَعيتَ الذي يُلـْقيه مِن حِكَم	عليك كـــانت لـك الأسرَار أفـْلاكا
وَإنْ تصامَمْتَ عن إدراك مـا نثــــرَتْ	لديك كـــانت لك الأكـوَان أشـْرَاكا

اعلمْ يا بُنيّ- وفـّقـك الله- أنّ السّمع لا يحضر إلاّ مع الحضور، أعني حضور القلب، قـال الله – تعالى-: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: 37] فحقيقة السّمع(هي) الفهم عن الله فيما يتلوه عليك – سبحانه وتعالى-. ولا تظـن – يـا بُـنيّ- أنّ تلاوة الحق عليك، وَعلى أبناء جنسك من هذا القران العزيز خاصّة، ليس هـذا حـظ الـصوفي، بـل الوجود بأسره: ﴿وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٍ ۝ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ [الطور: 2-3] تلاه عليك – سبحانه وتعالى- لتعقِـل عنه إن كنت عالمًا، قال الله – تعالى-: ﴿وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 43].

ولا تُـحجَب عن ملاحظة المختصر الشريف من هذا المسطور، الذي هو عبارة عنـك، فـإنّ الحق – تعالى- تارة يتلو عليك من الكتاب الكبير الخارج، وتارة يتلـو عليـك مـن نفـسك؛ فاستمعْ وتأهّـبْ لخطاب مولاك إليك في أيّ مقام كنت، وتحفـّظ من الوقر والصّمم. فالصمم آفة تمنعك مِـن إدراكَ تلاوته عليك، من الكتاب الكبير المُعَـبَّر عنه بالفرْقان؛ والـوقر آفـة تمنعـك مـن إدراك تلاوتـه عليك من نفسك المختصرة، وهو الكتاب المعبَّر عنه بالقرْآن، إذ الإنـسان محـلّ الجمـع لِمـا تفـرّق في العالم الكبير. ومعنى التلاوة أذكرُها في عضو اللسان بعد هذا إنْ شاء الله – تعالى-.

علامة السّامعين المحقّقين

علامة السّامعين المحقِّـقين في سماعهم، انقيادهم إلى كلّ عمل مقرّب إلى الله - تعالى- من جهة سماعه، أعني من التكليفات المتوجّهة على الأذن من أمر ونهي، كسماعه للعلم والذِكر والثناء على الحق- تعالى-، والموعظة الحسنة، والقول الحسن. ومن علامته أيضاً: التّصامم عن الغيبة، والنّميمة، والبهتان، والسّوء من القول، كالخوض في آيات الله - تعالى-، والرَّفث، والجدال، وسماع القيان، وكل محرّم حَجر الشارع عليك سماعه.

وقد وصف الله - تعالى- مَن هذه أوْصافه في كتابه العزيز، في معرض الثناء عليهم، ليُقتدَى بهم ويُعرَف أنّا إذا سلكنا مسلكهم، كان لنا نصبب من ذلك الثناء، الذي صحّ لهم من الحقّ - جلّ اسمه-؛ قال - تعالى-: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [القصص: 55].

لمّا يئسوا من إرْشادهم وفلاحهم، سلّموا الأمر لله - تعالى-، واشتغلوا بما يزلفهم لديه، فأعرَضوا شرْعًا، وسلّموا حقيقة. وقال - تعالى-: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: 83-85]. فانظر كيف جعل الله - تعالى- السّامعين من الكتاب الخارج عنك، ممّن حاله البكاء لمعرفتهم بما سمعوا، ومقامهم الإيمان، ومأواهم الجنّة مع المحسنين من عباده. وقال - تعالى-: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ [الأنعام: 36] فأثنى عليهم، لمّا سمعوا داعية بالإجابة التي أمرَهم بها سبحانه في قوله - تعالى-: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف: 31].

وكَرامة عنده - سبحانه وتعالى-، إجابته لهم إذا دعوه، لارتباط الحكمة في المناسبة، فلا يُجاب إلا مَن يجيب، ألا تراه - سبحانه وتعالى- كيف قال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ

﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي﴾ [البقرة: 186] فإذا صحّت لهؤلاء الإجابة لِما دعاهم إليه، وهو حقيقة السّماع، صحّ لهم إجابته إذا دَعوه، والله ذو الفضل العظيم.

وقال – تعالى-: ﴿إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓۚ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡ﴾ [النساء: 140].

فانظرْ قوله – تعالى-: ﴿إِذَا سَمِعۡتُمۡ﴾، فمن لم يحضر عند الكلام بسمعه لم يُعرَف، هل كفر بها أم لم يكفر، ولا يصدق في دعواه أنه سمع، فإنه لا يغنيه سماع الأذن من الله شيئا.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾ [الأنفال: 21]، وقال – تعالى-: ﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ﴾ [فاطر: 14] وقال – تعالى-: ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة: 171] فلا يعقل إلاّ مَن سمع، ولا يسمع إلاّ مَن حضر. فلمّا أخبر – سبحانه وتعالى-: إنّ النين يخوضون في آيات الله إذا قعد معهم سمّاعًا لهم، أنه في مقامهم، وأنه يُجزَى من جزائهم للاشتراك، ولا يرضى بهذه المنزلة إلا منافق، ولهذا قال في نفس هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: 140].

فالكافرالخائض،وَالمنافق الجليس السّامع لخوضه، كذلك. فمَن جالس الصدّيقين والعارفين، في مجالهم المطهّرة وأنديتهم المقدّسة، فإنه شريك لهم في كلّ خير ينالونه وقد قال – صلى الله عليه وسلم- فيهم: (هم القوم الذين لا يشقى جليسهم).

فالمرء مع مَن جالس، لأنّ المجالسة والاستماع يَنتجان عن المحبّة. وقال – صلى الله عليه وسلم-: (المرء مع من أحبّ). وهذا سرّ، يريد – صلى الله عليه وسلم- في الدّنيا والآخرة، في الدّنيا بالطاعة والأدب الشرْعيّ، وفي الآخرة بالمعاينة والقرب المَشهديّ. فمن لم يتحقّق بما سمع، وادّعى أنه عقل، فدعوَاه كاذبة. ولهذ السّماع المبارك كرَامات ومنازل، كما تقدّم للحسن البصري.

الكرَامات السّمعيّة

ومن كرَاماته إثبات البُشرى له، بأنه من أهل الهداية والعقل عن الله – تعالى-، وهي الكرَامة الكبرى، فإنه كما سمع أيضًا إجابة الحق له بالبُشرى، بأنه من المهتدين، فتفطنْ لهذا

المعنى فإنه حَسن، قال - تعالى-: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [الزمر: 17-18]، وقال - تعالى-: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [يونس: 63-64].

والإيمان لا يكون إلاّ بعد سماع الخبر وَعقله، وقال –صلى الله عليه وسلم-: (مَن خـُلِق للنعيم فسييسره لليسرى) وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الليل: 5-7] ولا يكون هذا كله إلأ بعد السّماع والعقل.

ومنها سماع نطق الجمادات على مراتب، نطقها في العوائد وخرْقها. وخرق العادة فيها على قسمين: قسم راجع إليك، وقسم راجع إليها. فالرّاجع إليك فهمك لحقائقها، والذي يرجع إليها (هو) نطقها في نفسها على طريق الإعجاز والكرَامة.

وكيف ما كانت، فالفائدة بذلك التحريض على الطاعة، والدّوام على الاستقامة لترْقي الهمم في المنازل العليّة، وهذا آخر الميرَاث النبويّ، من تسبيح الحصى في كفّ النبي – صلى الله عليه وسلم- ومن شاء الله من الصحابة، وحنين الجلع، وسلام الحجرعليه، وكتف الشاة المسمومة، وقال - تعالى-: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: 44].

فإذا تحقّق به، تطرأ عليه حالة لا يشاهد فيها شيئا من الموجودات، إلاّ مسيّحًا بلسان ناطق كنطق زيد وعمرو، يفهمه صاحب الحال المشاهد له، لا بالحال كما يرَاه بعض المنكرين، الذين لم يذوقوا من الطريق إلاّ رَسمه. فإنْ سمعتَ نطقها، وهي غير ناطقة في نفسها، فذلك قوّة خيال، وهي عندك تخيّلتَ أنّ الأمر خارج عنك وهر فيك، وإلى هذا المقام يثير المنكرون الذين ذكرْناهم، وهذه حالة أكثر المريدين في زماننا هذا، لكنهم لا يشعرون بذلك، وقد شاهدناه في أنفسنا في بدايتنا، ولله الحمد على ذلك.

ومنها أن يكون صاحب هذا المقام مُحَدَّثًا، ولا يرى مَن يحدّثه من جهة هذه الحضرة، فإنْ رآه فمِن جهة حضرة تحققه بالبصر. فيُلحِقُك السّماع بدرجة المُحدَّثين، ويُهتَف بك، وتسمع الخطاب إمّا بديهاّ وإما جوابًا عن سؤال منك، وردّ السلام عليك، وقد شاهدنا هذه الأمور كلّها.

وأخبرني غير واحد عن أبي العباس الخشاب - رضي الله عنه- أنه كان محدَّثا، اشتهرهذا عنه. ومِن هذا الباب سماع سارية صوت عمر من المدينة وبينهما أيّام. فكلّ كرامة يكون خطاب فيها، فهي من هذا الباب. فإنْ زاد على الخطاب أمر آخر، فمن تحققه من حضرة أخرى، إذا طلبتها وجدتها.

وهكذا ربط الله - سبحانه وتعالى- العادة عندنا في الطريق، واقتضته مناسبة الحكمة مع جواز التبدّل عقلا. فإذا صحّ ما ذكرناه وليس يُشترط وجوده، بل يكون التحقيق والولاية مع عدم هذه الكرَامات، ولكن أرَدنا في هذا الكتاب أنْ نبيّن مرَاتبها إذا ظهرَتْ، ليَعلم من ظهرت له مِن أين صحّت له، وأين مقامها في الحضرَات الوجوديّة،. وإذ[1] تقرّرهذا، فلننتقل إلى ما تيسّر من المنازل لهذه المقامات؛ والله المستعان.

منازل هذا العضو(أي الأذن)

أصل حصول هذه المنازل، تفرغ الخاطر من كلّ شاغل يشغلك عن تحققك بما سمعتَ، أو رأيتَ، أو تكلّمتَ، في أيّ مقام كنتَ من أعمال الجوارح. فإنْ لم تتفرّغ الخواطر للسّماع، لم تتفرّغ الأعضاء للتخلّق؛ وإذا لم يصح التخلّق، لم يكن التحقّق. والتحقّق له مقامات متفاضلة، وهو الذي أرَدناه بالمنازل.

فاسعَ - يا بُنيّ- في تغريغ الخاطر، للسّماع المرَاد منك، في أيّ مكان كنتَ، مِن خلأ أو ملأ. وإنْ لم يضرّالملأ ووجدتَ، فلا حرج عليك في مجالسه. وإنْ حُرِمْتَ من أجله فالزم الخلوة، فهي خير جليس، حتى يتقوّى حالك. فإذا مازجك الماع امتزاج العرض اللازم للجوهر، حينئذ لا تبالي بالملأ ولا غيره، فإذا انتقلتَ إلى المنازل تولَاك الحقّ بعنايته، وطرَد عنك كلّ خطاب خارج حتى لا يحجبك، وصار الخطاب لك من نفسك، على قدر مقامك منزلة بعد منزلة، وحالا بعد حال، طبَقًا عن طبق: ﴿فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الانشقاق: 20] بما يسمعون ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ﴾ [الانشقاق: 21].

ناداهم الحقّ في أنفسهم مِن أحوالهم تشريفاً بأسرارهم، فعرفوا حقائق العبوديّة، فوَجب عليهم السجود والنزول إلى ذواتهم، فتـُرْزَق حينئذ الفهم عن الله منك به. فلا تنادَى بأمر من الأمور بسرّ أو حال منك، إلاّ وُهِبْت روح ذلك المنادي به، فتكون صاحب سماعٍ، وما حظّك

منه، وما حظّه في الوجود، وعلى كم مرتبة ينقسم. فلا تـزال هكذا تترَقى في أطـوار الـسّماع، مـن المقامات المحمّديّة الحاصلة في الإنسان.هكذا ينتهي بك إلى سماع الأشياء من المقامات الإلهيـة مقامـاً بعد مقام، حش ينتهي بك إلى ما قـُدِر لك في هذه الدّار.

ثمّ هذه الصّفة لا تزال بك، حتى تسمع الكلام القديم، حيث أراد - سبحانه وتعالى- مـن الوجود. فإنْ قلتَ: وإذا كان غدًا ويُسمع كـلام الله - سـبحانه- القـديم، شـاركني فيـه كـل سميـع هناك. فأين الاختصاصي الذي أورثني هذه الصفة، حنى أزالتني عن درجة البله؟

فاعلم أنّ الذي قلتُ لـك صـحيح، غـير أنّ الاختـصاص والفائـدة، لـيس في أن الحـقّ - تعالى- يكلِّمنا فقط، وإنما الفائدة فيما يكلِّمنا به وفيما نفهم عنه، واللذة على قدر الفهـم. فهنالـك يقع التفاضل ويتميّـز المختصّ من غيره، وكلّ حزب بما لديهم فرحون. وكلّ مَن تحقـّق بسماعه مِـن ورَاء حجابه، تخلـّق على ذلك القدر بسمعه على الكشف وارْتفاع الوسائط.

فكن مِن أيّ حزب يُرَاد بك بمشيئة التكليف. فالعبـد المحقـّق في الـسماع، لا يـزال يـسمع بالحقّ، حتى يسمعه الحق، وحتى يسمع الحقّ به، حتى لا يستمع ولا يسمع فيه، فيبقى الحـقّ يـسمع للحقّ على وجه مّا، والعبد في الحق موجود، في حقيقته مفقود. حقـّقنا الله بحقائقه.

في معرفة مقام السّماع من الباب 182 من "الفتوحات المكّية"

خـذها إليـك نـصيحة مـن مـشفـق ... لـيس الـسّماع سـوى الـسّماع المطلـق
واحـذرْ مِـن التقـييد فـيه فـإنـه ... قـول يُفنـّد كـلّ عـنـد مـحقـِّق
إنّ الـسّماع مـن الكتـاب هـو الـذي ... يدريـه كـلّ معلـّم ومـطـرّق
إنّ التغنِّـي بـالقرآن سـماعُنـا ... والحـقّ ينطـق عنـد كـل مُنَطّـق
والله يـسمع مـا يقـول عـبيده ... مـن قولـه فـسماعه بـتحقـّق
أصل الوجود سماعنـا مـن قـول: كُـنْ ... فبـه نكـون ونحـن عـين المنطـق
انظـرْ إلـى تـقـديمه فـي آيـة ... تعـثر علـى العلـم الـشريف المرهـق
فالـسّمع أشـرف مـا تحقـّق عـارف ... بتعلـّق وتـحقـّق وتـخلـّق

قال تعالى: ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 181] وقال: ﴿سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: 75] فقدّمه على العلم والبصر. أوّل شيء علمناه من الحقّ وتعلـّق به منا (هو): القول منه والسّماع منا؛ فكـان عنـه الوجود. وكذلك نقول في هذا الطريق: كلّ سماع لا يكون عنه وَجْـد، وعـن ذلـك الوَجْـد وجـود، فليس بسماع. فهذه رتبة السّماع التي يرجع إليها أهل الله، ويسمعون. فقوله – تعالى- للـشيء قبـل كونه: "كن" هو الذي يرَاه أهل السّماع في قول القائل؛ وتهيؤُ السّامع المقول لـه: "كـن" للتكـوين بمنزلـة الوجد في السّماع؛ ثمّ وجوده في عينه عـن قولـه: "كـن" كمـا قـال – تعـالى-: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ بمنزلـة الوجود الذي يجده أهل السّماع في قلوبهم مِن العلم بالله الذي أعطاهم السّماع في حال الوجد.

فمن لم يسمع سماع وجود فما سمع؛ ولهذا جعل القوم الوجود بعد الوجد. ولمّـا لم يـصح الوجود -أعني وجود العالم- إلا بالقول من الله والسّماع من العالم، لم يظهـر وجـود طـرُق الـسّعادة وعلم الفرق بينهما وبين طرُق الشقاء إلا بالقول الإلهيّ والـسّماع الكـونيّ فجـاءت الرّسـل بـالقول جميعهم: من قرآن وتوراة وإنجيل وزبور وصُحف. فما ثمّ إلاّ قول وسماع، غير هذين لم يكن. فلولا القول ما عُـلِم مراد المريد ما يريده منـّا؛ ولوْلا السّمع ما وصلنا إلى تحـصيل مـا قيـل لنـا. فبـالقول نتصرّف، وعن القول نتصرّف مع الـسّماع، فهمـا مرتبطـان، لا يـصحّ اسـتقلال واحـد منهمـا دون الآخر، وهما نسبتان. فبالقول والسّماع نعلم ما في نفس الحقّ، إذ لا علم لنا إلا بإعلامـه، وإعلامـه بقوله. ولا يُشترط في القول الآلة، ولا في السّماع، بل قد يكون بآلة وبغير آلـة. وأعـني بآلـة القـول: اللسان، وآلة السّماع: الأذن.

فإذا علمتَ مرتبة السّماع في الوجود، وتميّزه عن غيره من النِسّب، فاعلم أنّ السّماع عنـد أهل الله مطلق ومقيّد. فالمطلق هو الذي عليه أهل الله، ولكن يحتاجون فيه إلى علم عظيم بـالموازين حتى يفرّقوا بين قول الامتثال وبين قول الابتلاء، وليس يدرك ذلك كلّ أحد. ومَن أرْسله مـن غـير ميزان ضلّ وأضلّ. والمقيّد هو السّماع المقيّد بالنغمات المستحسنات التي يتحـرّك لهـا الطبـع بحـسب قبوله، وهو الذي يريدونه غالباً بالسّماع، لا السّماع المطلق.

فالسّماع على هذا الحدّ ينقسم على ثلاثة أقسام: سماع إلهـي، وسمـاع روحـاني، وسمـاع طبيعي. **فالسّماع الإلهي** بالأسرار، وهو السّماع مِن كلّ شيء وفي كل شيء. والوجود عندهم كلـّه كلمات الله، وكلماته لا تنفد. ولهم في مقابلة هذه الكلمات أسماع لا تنفد، تحدث لهم هذه الأسماع في سرَائرهم بحدوث الكلمات، وهو قوله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ﴾

[الأنبياء: 2] فمنهم مَن أعرَض بعد السّماع، ومنهم من وقف عند ما سمع. وهـذا مقـام لا يعلمـه كلّ أحد، وما في الوجود إلاّ هو، ولكن يُجهَل ولا يُعلم؛ وهو يتعلـّق بأسمـاء الله – تعـالى- علـى كثرتها. فلكلّ إسم لسان، ولكلّ لسان قـوْل؛ ولكـلّ قـول منـّا سَـمْعٌ، والعـين واحـد مـن القائـل والسامع. فإنْ كان نداء أجبنا وامتثلنا. وكان من قوله أنْ قال لنا: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: 60] فكما قال؛ وسمعنا أمرنا عندما جعل فينا قوّة القول أنْ نقول، فيسمع هو – تعالى-. فمنـّا مـن يقول به كما قال: (إنّ الله قال على لسان عبده: "سَمِعَ الله لمن حمده"). فكلام صاحب هذا المقام كلـّه نيابة. ومنـّا مَن يقول بنفسه في زعمه، وما هو كذلك في نفس الأمر، فإنّ الله عند لـسان كـلّ قائـل. فكما أنه ليس في الوجود إلاّ الله، كذلك ما ثمّ قائل ولا سامع إلاّ الله. وكما قـسّمنا قولنـا بـين مَـن يقول بالله، ومن يقوله بنفسه؛ كذلك سماعنا منـّا من يسمع بربّه وهـو قولـه: (كنـتُ سمعـه الـذي يسمع به)، ومنـّا من يسمع بنفسه في زعمه، والأمر على خلافه. فهذا هو السّماع الإلهيّ؛ وهو سـار في جميع المسموعات.

وأمّا **السّماع الرّوحاني** فمتعلـّقه صريف الأقلام الإلهية في لوْح الوجود المحفوظ من التغيير والتبديل. فالوجود كلـّه رقّ منشور، والعالـَم فيه كتاب مـسطور. فـالأقلام تنطـق، وآذان العقـول تسمع، والكلمات تـُرْتقـَم فتـُشهَد؛ وعين شهودها عين الفهم بغير زيادة. ولا ينال هـذا الـسّماع إلا العقول التي ظهرت لمستوى. ولمّا كان السّماع أصله على التربيع؛ وكان أصله عن ذات، ونـسبة، وتوجّه، وقول، فظهر الوجود بالسّماع الإلهي؛ كـذلك الـسّماع الرّوحـاني عـن ذات، ويـد، وقلـم، وصريف قلم. فيكون الوجود للـنفس الناطقـة في سمـاع صـريف هـذه الأقـلام في ألـواح القلـوب بالتقليب والتصريف.

وكذلك **السّماع الطبيعي** مبناه على أربعة أمور محققة. فـإنّ الطبيعـة مربّعـة، معقولـة مـن فاعلين (يعني: الحرارة والبرودة) ومنفعلين (يعني اليبوسة والرطوبة)، فأظهرتْ الأركان الأربعة أيضاً (أي: النار والهواء والماء والتراب)؛ فظهرت النشأة الطبيعيّة على أربعـة أخـلاط (أي المِـرّة الـصفراء والدّم والبلغم والمِرّة السوداء)، وأربع قوى قامت عليها هذه النـشأة (أي القـوّة الجاذبـة، والماسـكة، والهاضمة، والدّافعة). وكلّ خلط منها يطلب بذاته مَن يحرّكـه لبقائـه وبقـاء حُكمـه، فـإنّ الـسكون عدم. فأوجد في نفوس العلماء حين سمعوا صـريف الأقـلام مـا ينبغـي أنْ تحـرّك بـه هـذه النـشأة الطبيعية. فأقاموا لها أربع نغمات، لكل خلط من هذه الأخلاط نغمة في آلة مخصوصة، وهي المـسمّاة في الموسيقي، وهو علم الألحان والأوزوان، بالبمّ، والزّير، والمثنى، والمثلث. كلّ واحد من هذه يحرّك

خلطًــا من هذه الأخلاط، ما بين حركة فرح وحركة بكاء وأنواع الحركات. وهذا لها بمـا هــي نـشأة طبيعية، لا بما هي روحانية؛ فإنّ الحركة في النشأة الطبيعية.

والسّماع الطبيعيّ لا يكون معه علم أصلاً، وإنما صاحبه يجد طربًا في نفسه أو حزنـاً، عنـد سماع هذه النغمات من هذه الآلات، ومن أصوات القوّالين، ولا يجد معها علماً أصلاً؛ فإنـه لـيس هذا حظ السّماع الطبيعي، مع الحال الصحيح، والوَجد الصحيح الذي يطلبـه الطبـع؛ وهـو سمـاع الناس اليوم. والسّماع الرّوحاني يكون معه علم ومعرفة في غير موادّ جملة واحدة. والسّماع الإلهـي يكون معه علم ومعرفة في موادّ وفي غير موادّ، عامّ التعلق، يجـده في الـسّماع الطبيعـي والروحـاني، لكن بالسمع الإلهي الذي يخصّ الطبع والعقل خاصة. ومنهم من يعلم ذلك، ومـنهم مـن لا يعلمـه مع كونه يجده، ولا يقدر على إنكار ما يجد. فـسماع الحـقّ مطلـق كمـا أنّ وجـوده مطلـق، وتمييـزه عسير.

وللنغمات في الكلام الإلهي والقول أصل تستند إليه، وهو أقوى الأصول، ولهذا لهـا القـوّة والتأثير في الطباع، فلا يستطيع أحد أنْ يدفع عـن نفـسه عنـد ورُود النغمـة وتعلـق الـسمع بهـا إذا صادفتْ محلـّها ذلك الطرب أو الأثر الذي يجـده الـسامع في نفـسه. فـسلطانها قـويّ، وذلـك لقـوّة أصلها الذي تستند إليه. فإنّ الإسماء الإلهية وإنْ كانت لعين واحدة، فمعلوم عند أهل الله مـا بينهـا من التفاوت. ولمّا كان التفاوت معقولاً فيها، وعُلِـم ذلـك بآثارهـا، علِمنـا أنّ الحقـائق الإلهيـة الـتي استندت إليها هذه النغمات أقوى من الذي أستند إليه الكلام. فإنـّا نـسمع قارئـاً يقـرأ، أو منـشداً ينشد شعرًا، فلا نجد في نفوسنا حركة لذلك، بل ربّما نتبرّم من ذلك في أوقات، لأنه جاء علـى غـير الوزن الطبيعي. فإذا سمعنا تلك الآية أو الشعر من صاحب نغمة وَفـّي حقـّها في الميـزان، أصـابنا وجد، وتحرّكنا، ووجدنا ما لم نكن نجد. فلهذا فرّقنا بين ما استندت إليه النغمات الطبيعية، وبـين مـا استند إليه القول؛ هذا ميزان المحسوس.

وأمّا ميزان العقل، فينظر حكمة الترتيب الإلهي في العالم. فإنْ كان من أهل الـسّماع الإلهـي فينظر ترتيب الأسماء الإلهية، فيكون سماعه من هناك. وإنْ كان من أهل الـسّماع الروحـاني فينظـر ترتيب آثارها في العالم الأعلى والأسفل، فيجد في كل مسموع؛ فإنّ المـسموعات كلــّها نغـم عنـده. فمنهم من تكون له حركة محسوسة، ومنهم من لا تكون له. وأمّا الحركة الروحانية فلا بدّ منها.

ولله طائفة خرجتْ عن الحركات الروحانية إلى الحركات الإلهية، وهو قول الجنيد: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: 88] ولكن في الحال التي تحسيها جامدة. فتنسب الحركة إلى هذا الشخص نسبتها إلى الجناب الأقدس في فرَحه بتوبة عبده، وتبشبشه لمن أتى بيته. فهذه أحوال إلهية يجب الإيمان بها، ولا تُعقل لها كيفية إلا مَن خصّه الله بها، وكانت حركته في سماعه إلهية، وهي مِن العلوم التي تنال ولا تنقال. وليس الخبر بالنزول إلى السماء الدنيا كلّ ليلة يشبه هذا الفرح، ولا التبشبش، لأنّ هذا الفرح عن سبب كوني ظهر وجوده سمع الحق عليه، والنزول إلى السماء الدنيا عن أمر يُتوقّع، لا عن أمر واقع. فالأوّل يلحق بباب السّماع، والثاني لا يلحق به، فاعلم ذلك.

وقد رَبطناً السّماع بما يجب له وحققناه، ولم نترك منه فصلاً ولا قسمًا إلا ذكرناه بأوْجز عبارة ليوقف عنده، وحكاياته كثيرة لا يحتاج إلى إيرادها؛ فإنّ كتابنا هذا مبناه على تحقيق أصول الأمور، لا على الحكايات، فإنّ الكتب بها مشحونة. والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل.

في معرفة مقام تـرْكُ السّماع من الباب 183 من "الفتوحات المكية"

اللـــه اللـه لا عقـل يصوّره	**والوَهم يعبده في صورة البشر**
فالشرْع يُطلقه وقتاً ويحصرُه	**والكوْن يثبته في سائر الصور**
ترْكُ السّماع مقامٌ ليس يدركه	**ألا القويّ مِن الأقوام في الخبر**
إن قال: "كن" فلمن؟ والعين واحدة	**ولم يكن غيره في العين والأثر**
فما لـ"كُنْ" عند هذا القول من أثر	**بل عين" كن" لم تكن إنْ كنت ذا نظر**
ولم يقل بسماع القول غير فتى	**متيّم بمعاني الآي والسّوَر**
لوْلا الكلام لَما كان السّماع وقد	**جاء الكلام فكن منه على حذر**

السّماع المطلق لا يمكن تركه؛ والذي يتركه الأكابر إنما هو السّماع المقيّد المتعارَف، وهو الغناء. قيل لسيّدنا أبي السعود ابن الشبلي البغدادي: ما تقول في السّماع؟ فقال: هو على المبتدئ حرام، والمنتهى لا يحتاج إليه. فقيل له: فلِمن؟ فقال: لقوم متوَسّطين أصحاب قلوب. وجاءت امرأة إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم– فقالت: يا رسول الله أني نذرت أنْ أضرب بين يديك

بالدّف، فقال لها: إنْ كنتِ نذرتِ وإلاّ فلا. فهو وإنْ كان مباحًا فالتنزيه عنه عند الأكابر أوْلى. وكان أبو يزيد البسطامي يكرهه ولا يقول به. وقيل لابن جريج فيه، فقال: ليتني أخرج منه رأسًا برأس، لا عليّ ولا لي.

وأمّا مذهبنا فيه: فإنّ الرّجل المتمكِّن من نفسه لا يستدْعيه، وإذا حضر لا يخرج بسببه؛ وهو عندنا مباح على الإطلاق لأنه لم يثبت في تحريمه شيء عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- . فإنْ كان الرّجل ممّن لا يجد قلبه مع ربّه إلا فيه، فواجب عليه تركه أصلاً، فإنه مكرٌ إلهي خفيّ. ثم إنْ كان يجد قلبه فيه وفي غيره وعلى كل حال، ولكنه يجده في النغمات أكثر، فحرَام عليه حضوره. ولا أعني بالنغمات المسموعة في الشعر فقط، وإنما أعني بوجود النغمة في الشعر وفي غيره، حتى في القرآن إذا وجد قلبه فيه لحسن صوت القارئ، ولا يجد قلبه فيه عندما يسمعه من قارئ غير طيّب الصوت، فلا يعوّل على ذلك الوجد، ولا على ما يجد فيه من الرّقّة في الجنات الإلهي، فإنه معلول، وتلك رقّة الطبيعة. فإنْ كان عارفاً بالتفصيل، ويفرّق بين سماعه الإلهي والرّوحاني والطبيعيّ، ما يلتبس عليه ولا يخلط، ولا يقول في سماع الطبيعة إنه سماعه بالله، فمِثل هذا لا يحجر عليه، وترْكه أوْلى، ولا سيما إنْ كان ممّن يُقتَدي به من المشايخ، فيستتر به المدّعي الكاذب، أو الجاهل بحاله وإن لم يقصد الكذب.انتهى.

الفرقان بين السّماع العقلي والسّماع النفسي، وأسباب الزفرات والوجبات والتحرّك عند السّماع من كتاب "التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية".

فصّل الشيخ هذا الموضوع في الباب الحادي والعشرين من كتابه"التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية"، فقال:

السّماع سرّ من أسرار الله - تعالى- في الوجود العليّة؛ واحد في نفسه، والسامعون شخصان: شخص يسمع بنفسه، وشخص يسمع بعقله، وليس ثمّ سامع آخر.

ومن قال: إنه يسمع بربّه، فإنه نهاية دُرَج سماع العقل؛ لكن للعقل سمعان: سمْعٌ مِن حيث فطرته، وسمْعٌ من حيث الوَضْع. فالذي له من حيث الوَضْع هو الذي قيل عنه: "يسمع بربّه" وقوفا عند قوله – عليه الصلاة والسلام – عن ربّه: (كنت سمعه الذي يسمع به). فالذي يسمع بعقله يسمع في كلّ شيء، ومن كلّ شيء، وعلى كلّ شيء، لا يتقيّد؛ وعلامته في ذلك البهت وخمود البشرية.

والـذي يـسمع بنفـسه لا بعقلـه لا يـسمع إلا في النغمـات والأصـوات العذبـة الـشهيّة؛ وعلامته أنْ يتحرّك عند السّماع بحالة فناء عن الإحساس. ومهمـا أحـسّ المتحـرّك في الـسّماع فإنـه مَسْخَـرَة الشيطان. وإنْ لم يحس، وفني عن كلّ شيء فهـو صـاحب نفـس، وتحـت سـلطانه؛ وحالـه صحيح صحّحه الفناء، ولا يأتي بعلم أبدًا عقيب هذا الفناء والحركة في السماع. فإنْ ادّعى أنـه أتـى بعلم فلم يكن فانيًا، ولم يكن سمعه بعقله فإنه قد تحرّك، فلم يبق له أن يكون إلاّ كاذبا، فـإنّ سمـاع النفس لا يأتي بعلم البتّـة. وسماع العقل لا تكون معه حركة؛ فمن جمـع بـين الحركـة والعلـم فهـو كاذب جاهل بالحقائق.

واعلم أنه إذا أرَاد الله تنزّل المعارف على قلب عبده بضرب مـن ضـروب الوَجـد، أرْسـل بَرْد القرْب على القلب المعقول، فيبرُد سمْع القلب، فيأخذ سفلا، فيجد الحرَارة الغريزيّة صـاعدة إلى الدِماغ، فيعتمد عليها، فتنعكس الحرَارة فتأخذ سفلا حتى تحلّ بـساحة القلـب، فيتوَلـّـد عـن ذلـك الحلول نار، فتصعد، فإنْ وَجدت في سحاب بَرْد اليقين والقرْب خللا صـعدت، فكـان ذلـك التـأوّه الذي يُسمّى الزّفرة. وإنْ لم تجد خللا حلـّلتْ رُطوبات السحاب الأعلى من جمـده، فمِـن ذلـك هـو البكاء الذي يطرَأ على صاحب الحال في حاله، فإنّ تلك النار قد أنـضجت الكبـد، تـُـشمّ في ذلـك التأوّه رَائحة الحرق. وتصعد تلك النار في تجويف القلب بالانضغاط الـذي هـو فيـه، فيُـسمع لـه في ذلك الوقت أزيز يُسمّى: الوَجْبة والصّيحة والرّجفة ؛ في ذلـك الوقـت تقـع الـصيحة مـن صـاحب الحال. فمن كان في قلبه جلاء من الحاضرين صعق من حينه لتلك الـصّيْحة، وهـي صلـصلة الفكـر الطبيعي بالقلب، وتنصدع لها القلوب إذا قويتْ عليها. ومَن كثرَتْ الرّيون على قلبه من الحاضـرين أخمدته لتلك رَعدة و قرْع، ووقع الإنكار منه على صاحب الحال، و قال: "هذا ما سمعنا عنه أنه كان في السَّـلف، و قد كانت الموارد ترد على النبي - صلى الله عليه وسلم - وما سمعنـا أنـه صـاح ولا صعق"، فلا يُـلتفـَت إلى قوله، فإنّ قلبه مطبوع.

وقد فرّقنا بين سماع العقل وسماع النفس، وكلّ في بابه صحيح. وفي خروج تلك الزّفرَات تكون حياة العارف. فإذا أرَادت النار الخروج مِن خلل السحاب الذي ذكرناه، ووجدته مترَاكما مـا فيه خلل، انعكست و طبخت القلب والكبد في الحين، وأحرقتهما، فمات صاحب الحال من فـوره. وعند زجّ تلك النار من القلب إلى الدّماغ تكون الحركة والشطح من صاحب الحال غير موزونة ولا مربوطة بطريقة. وأكثر ما يظهر منهم الدّورَان، لأنّ شكل الإنسان في الحقيقة مستدير، والنـار مجـرى على شكله، فإنْ كان ذلك السحاب رقيقا، واسع الخلال، فإنّ الحرَارة تـتنفـّس فيـه فـلا يظهـر مـن

صاحبه زفرَة، ولا يُسمع لقلبه وَجبة، ولكن يغلب عليه الضحك ما دام في ذلك الحال، للاتساع الذي يجده.

فلا تغالط نفسك أيها المريد، فقد أثبتّ لك صورة الأمر، فإنْ شئتَ أنْ تكون صاحب عقل، وإنْ شئتَ أنْ تكون صاحب نفس. والله تعالى يُصلحنا وإيّاك وجميع المسلمين.

التمييز بين آثار السماع الإلهي والسماع الطبييعي والسماع الشيطاني

في رسالة «روح القدس» وكتاب «التدبيرات الإلٰهية»، يُحذر الشيخ من انحراف السّماع الطبيعي إلى السّماع الشيطاني عندما يبتعد صاحبه عن أحكام الشرع وآدابه وعن مراقبة الله له، ويعطي علامات التمييز بين السّماع الرباني المحمود والسّماع الشيطاني الممقوت. فمن علامات السّماع العقلي الالهي خمود البشرية والفناء التام عن الحس، ويحصل له في تلك الغيبة علم يعقله هناك ويعقله إذا رجع، ويعبّر عنه على قدر ما أعطاه الله من العبارة، ويجد القلب عند الإفاقة منه سروراً. أما إذا غيّب ثم رُدّ ولم يجد شيئا كالمصروع، فهذا حال صحيح ولكن من المزاج ولا فائدة فيه، وهذا حال السّماع الطبيعي. أما الحال الشيطاني فهو الذي لا يغيب صاحبه عن نفسه ولا عن حسه ويتحرك، إذ ليس في قوّة الشيطان أن يفني الشخص عن حسّه ثمّ يلقي إليه ويعقل عنه وإنما هو على أحد وجهين على البدل: إمّا أن يفنيه مثل الصرع ولكن لا يلقي إليه شيئا لأنّه لا يجد من يأخذ عنه. وإمّا أنْ لا يفنيه عن حسِّه ويلقي إليه فيحس بمواقع الخطاب في نفسه ويخبر عمّا وجده، لكن كونه ينسب ذلك إلى الحق باطل، ويقنع إبليس منه بأن يعتقد أنّ ذلك من الله فيستولي عليه طول عمره.

ارتباط السّماع بحضرة الجمال

حيث أنّ السّماع مرتبط عمومًا بالجمال، نورد في ما يلي ما ذكره الشيخ ابن العربي عن حضرة الجمال من اسمه تعالى "الجميل"، في الباب 558 من "الفتوحات المكّية". قال:

«"الجميل": حضرة الجمال»

يُدعى صاحب هذه الحضرة: "عبد الجميل". قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – للرجل الذي قال له: يا رسول الله إني أحبّ أنْ يكون نعلي حَسنا، وثوبي حسَنا، فقال له – صلى

الله عليه وسلم -: [إنّ الله جميل يحبّ الجمال]، خرّجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان. وفي حديث عنه – صلى الله عليه وسلم -: [الله أوْلى مَن تـُجُمِّـل له]. ومن هذه الحضرة أضاف الله الزينة إلى الله، وأمرَنا أنْ تتزيّن له، فقال: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمۡ﴾ وهي زينة الله ﴿عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف: 31] يريد وقت مناجاته، وهي قرّة عين محمد – صلى الله عليه وسلم - وكلّ مؤمن لِما فيها من الشهود، فإنّ الله في قبلة المصلِّي، وقد قال: [اعبد الله كأنك تراه].

ولا شك أنّ الجمال محبوب لذاته، فإذا انضاف إليه جمال الزينة فهو جمال على جمال، كنور على نور، فتكون محبّة على محبّة. فمن أحبّ الله لجماله، وليس جماله إلا ما يشهده من جمال العالَم، فإنه أوجده على صورته، فمن أحبّ العالم لجماله فإنما أحبّ الله. و ليس للحقّ مَنـْزَه ولا مجلى إلا العالَم. وهنا سرّ نبويّ إلهيّ خـُصِصتُ به من حضرة النبوّة، مع كوني لست بنبيّ، وإني لوَارث:

إني خصصتُ بسرّ ليس يَعلمه	**إلا أنا والذي في الشرع نتبعه**
ذاك النبيّ رسول الله خير	**فتى لله نتبعه فيما يشرّعه**

فأوجد الله العالَم في غاية الجمال والكمال، خلـْقـًا وإبداعًا؛ فإنه – تعالى- يحبّ الجمال، وما ثـَمّ جميل إلا هو، فأحبّ نفسه، ثم أحبّ أنْ يرى نفسه في غيره، فخلق العالَم على صورة جماله، ونظر إليه فأحبّه حبّ مَن قيّده النظر.

ثمّ جعل - عزّ وجلّ- في الجمال المطلق السّاري في العالم جمالا عَرَضيّا مقيّدا يفضل آحاد العالم فيه بعضه على بعض، بين جميل وأجمل؛ ورَاعى الحقّ ذلك على ما أخبر نبيه – صلى الله عليه وسلم- فقال المؤمن لرسول الله – صلى الله عليه وسلم- الحديث الذي ذكرناه في هذا الباب الذي خرّجه مسلم في صحيحه: [إنّ الله جميل]، فهو أوْلى أنْ تحبّه، إذ وقد أخبرتَ عن نفسك إنك تحبّ الجمال، وأنّ الله يحبّ الجمال. فإذا تجمّلتَ لرَبّك أحبّك، وما تتجمّل له إلاّ باتـّباعي، فاتباعي زينتك، هذا قوله – صلى الله عليه وسلم-. قال الله – تعالى-: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: 31] أي تزيّنوا بزينتي يحببكم الله، فإنّ الله يحبّ الجمال. فأعذر الله المحبّين بهذا الخبر، لأنّ المحبّ لا يرى محبوبه إلا أجمل العالم في عينه، فما أحبّ إلا ما هو جمال عنده، لا بد من حُكم ذلك.

ألا ترى إلى قوله: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ [فاطر: 8] فما رأى سوء العمل حسنا، وإنما رأى الزينة التي زُيّن له بها. فإذا كان يوم القيامة ورأى قبح العمل فرّ منه، فيقال له: هذا الذي كنتَ تحبّه وتتعشّق به وتهواه؛ فيقول المؤمن: لم يكن حين أحببته بهذه الصورة، ولا بهذه الحِلية، أين الزينة التي كانت عليه وحبّبته إليّ تـُرَدّ عليه؟ فإني ما تعلـّقتُ إلا بالزينة لا به، لكن لمّا كان محلـّها كان حبّي له بحُكم التـّبع؛ فيقول الله لهم: "صدق عبدي، لوْلا الزينة ما استحسنه، فرُدّوا عليه زينته"؛ فيبدِّل الله سوءه حُسنا، فيرجع حبّه فيه إليه ويتعلق به. فما قال الحقّ هذا القول- أعني: ﴿زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ إلا ليلقِّن عبده الحجّة إذا كان فطنا. فلا ينبغي للمؤمن الكيّس أنْ يُهمل شيئا من كلام الله، ولا كلام المبلـِّغ عن الله، فإنّ الله – تعالى- يقول فيه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ [النجم: 3].

وقد ذمّ قومًا اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا، وهم في هذا الزّمان أصحاب السّماع، أهل الدفّ والمزمار، نعوذ بالله من الخذلان:

ما الدّين بالدفّ والمزمار	**واللعب لكنما الدين بالقرآن الأدب**
لمّا سمعتُ كتاب الله حرّكني	**ذاك السّماع وأدناني من الحُجُب**
حتى شهدتُ الذي لا عين تبصره	**إلا الذي شاهد الأنوار في الكتب**
هو الذي أنزل القرآن في خلدي	**يوم الخميس بلا كدّ ولا نصَب**
إلا عناية ربّي حين أرسلها	**إلى فؤادي فنادتني على كثب**
أنت الإمام الذي ترْجى شفاعته	**في المذنبين وأنت السرّ في النصَب**

فإنّ كلام المبلـِّغ عن الله ما جاء به إلا رحمة بالسّامع؛ وهو إنْ كان فطنا كان له، وإنْ كان حمارا كان عليه.

ولمّا كان الجمال يُهاب لذاته، والحق لا يَهاب شيئا، وقد وصفه العالِم – صلى الله عليه وسلم- بأنه جميل، والهيبة تجعل صاحبها أنْ يترك أمورًا كان في نفسه في وقت حديث النفس أنْ يفعلها مع محبوبه عند الاجتماع به واللقاء؛ فتمنعه هيبة الجمال ممّا حدّثته به نفسه؛ وقد وصف الله

نفسه بالحياء من عبده إذا لقيه؛ فقام الحياء لله مقام الهيبة في المخلوق. فما اقتضى مِن حال العبد أن يؤاخذه به الله، ولمّا لقيه استحيى منه، فترك مؤاخذته. ولذلك قال فيمن أخِذ منهم: ﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: 15] فأرسل الحجاب بينهم وبينه فلم يروه. فلو كانت الرّؤية لكان الحياء القائم بالحقّ مقام الجمال في الخلق، فالحُكم واحد والعلـّة تختلف.

فحقِّقْ هذه الحضرة، وتزيّنْ وتجمّـلْ، تـارة بنعتـك مِـن ذلـّة وافتقـار وخـشوع وخـضوع وسجود وركوع، وتارة بنعته -عزّ وجلّ- مِن كرم ولطف ورأفة وتجاوز وعفو وصفح ومغفرة وغير ذلك ممّا هو لله، ومن زينة الله التي ما حرّمها الله على عباده. فإذا كنـتَ بهـذه المثابـة أحبّـك الله لمّـا جمّلك به من هذه النعوت، وهو الحبّ الذي ما فيـه منـّة، لأنّ الجمـال اسـتدعاه، كـالمغفرة للتائـب والمغفرة لغير التائب. فالمغفرة للتائب ما فيها منّة، فإنّ التوبة من العبـد اسـتدعت المغفـرة مـن الله؛ والمغفرة لغير التائب منـّة محضة. قال تعالى في مغفرته الواجبة: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الأعراف: 156]؛ وغير المتقي وغير التائب يطلب رحمة الله ومغفرته مـن عـين المنـّة. فتجمّلْ إنْ أردتَ أنْ ترتفع عنك منـّة الله من هذا الوجه الخاص، ويكفيك حُكم الامتنان بما وُفِّقتَ إليه من التجمّل بزينة الله، فإن ذلك إنما كان برحمة الله كما قال: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: 159]. وَالله يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ.

المصطلحات الصوفية والرّموز العرفانية

يتحـدّث القـشيري في رسـالته عـن المـصطلحات الـصوفية فيقـول: [... وهـذه الطائفـة يستعملون ألفاظا فيما بينهم، وقصدوا بها الكشف عن معانيهم لأنفسهم، والإجمال والستر على من باينهم في طريقتهم، لتكون معاني ألفاظهم مستبهمة على الأجانب،غيرة منهم على أسـرارهم أن تشيع في غير أهلها، إذ ليست حقائقهم مجموعة بنوع تكلـّف، أو مجلوبة بـضرب تـصرّف، بـل هـي معان أودعها الله – تعالى – قلوب قوم، واستخلص لحقائقها أسرار قوم][1].

(1) الرسالة القشيرية، تحقيق عبدالحليم محمود ومحمود بن الشريف، دار الكتب الحديثة بمصر، ج1،ص187.

وظيفة الرّموز والإشارات عند ابن العربي:

وضّح الشيخ هذه الوظيفة في الباب 26 من "الفتوحات المكية" الذي عنوانه: في معرفة أقطاب الرّموز وتلويحات من أسرارهم وعلومهم في الطريق، فقال:

ألا إن الرموز دليل صدق	على المعنى المغيّب في الفؤاد
وإنّ العالمين له رموز	وألغاز ليدعى بالعباد
ولوْلا اللغز كان القول كفرًا	وأدّى العالمين إلى العناد
فهم بالرّمز قد حسبوا فقالوا	بإهرَاق الدماء وبالفساد
فكيف بنا لو أنّ الأمر يبدو	بلا ستر يكون له استنادي
لقام بنا الشقاء هنا يقينا	وعند البعث في يوم التنادي
ولكنّ الغفور أقام سترًا	ليُسعدنا على رغم الأعادي

اعلم أيّها الوليّ الحميم- أيّدك الله بروح القدس وفهّمك- أنّ الرّموز والألغاز ليست مرَادة لأنفسها، وإنما هي مرَادة لِما رُمِزَتْ له، ولِما ألغِز فيها. ومواضعها من القرآن آيات الاعتبار كلِّها، والتنبيه على ذلك قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ [العنكبوت: 43]. فالأمثال ما جاءت مطلوبة لأنفسها، وإنما جاءت ليُعلم منها ما ضُرِبَت له وما نُصِبتْ مِن أجله. مَثلاً: مِثل قوله تعالى:﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾ [الرّعد: 17] فجعله كالباطل كما قال: ﴿وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الإسراء: 81] ثمّ قال ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [الرّعد: 17] وقال: ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [الحشر: 2] أيْ: تعجّبوا وجوزوا واعبروا إلى ما أردته بهذا التعريف، وإنّ في ذلك لعبرة لأولي الأبصار؛ مِن: "عبَرتُ الوادي" إذا جزته. وكذلك الإشارة والإيماء، قال تعالى لنبيّه زكريّا: ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾ [آل

عمران: 41] أي بالإشارة. وكذلك: ﴿فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ﴾ [مريم: 29] في قصة مريم لمّا نذرت للرّحمن أنْ تمسك عن الكلام.

وعاد الشيخ إلى هذا الموضوع في "الفتوحات"، فخصّص لـه البـاب 54 وهـو في معرفـة الإشارات، فقال:

عِلـــم الإشـــارة تقريـــب وإبعـــاد	**وســـيرُها فيـــك تأويـــب وإســـئاد**
فابحـــث عليـــه فـــإنّ اللـــه صـــيّره	**لمـــن يقـــوم بـــه إفـــك وإلحـــاد**
تنبيـــه عـــصمة مـــن قـــال الإلـــه لـــه	**كـــن فاســـتوى كائنـــاً والقـــوم أشـــهاد**

اعلم – أيّدنا الله وإياك بروح منه– أنّ الإشارة عند أهل طريق الله تؤذن بالبُعد، أو حضور الغير. قال بعض الشيوخ في "محاسن المجالس" (أي كتـاب ابـن العريـف): [الإشـارة نـداء علـى رأس البُعد، وبَوْح بعيْن العِلـّة]، يريد أنّ ذلك تصريح بحصول المرَض، فإنّ العلـّة مـرض، وهـو قولنـا: "أو حضور الغير"، ولا يريد بالعلـّة هنا السّبب، ولا العلـّة الـتي اصـطلح عليهـا العقـلاء مـن أهـل النظر. وصورة المرض فيها أنّ المشير غاب عنه وجه الحقّ في ذلك الغير، ومن غاب عنه وجـه الحـق في الأشياء تمكـّنتْ منه الدّعوى، والدعوى عين المرض. وقد ثبت عند المحقِّقين أنـه مـا في الوجـود إلا الله ونحن؛ وإنْ كنـّا موجودين فإنما كان وجودنا به؛ ومن كان وجوده بغيره فهو في حُكم العـدم. والإشارة قد ثبتت وظهر حُكمها، فلابدّ مِـن بيان ما هو المراد بها.

فاعلم أنّ الله – عزّ وجلّ– لّما خلق الخلق، خلق الإنسان أطوارًا، فمنـّا العـالِم والجاهـل، ومنا المنصف والمعاند، ومنا القاهر ومنا المقهور، ومنـا الحـاكم ومنـا المحكـوم، ومنـا المتحكِـّم ومنـا المتحكـَّم فيه، ومنا الرئيس والمرؤوس، ومنا الأمير والمـأمور، ومنـا الملـك والـسوقة، ومنـا الحاسـد والمحسود. وما خلق الله أشقّ ولا أشدّ من علماء الرّسوم على أهل الله،المختصِّـين بخدمته، العـارفين به من طريق الوهب الإلهيّ، الذين منحهم أسرَاره في خلقه، وفهّمهم معاني كتابه وإشارات خطابـه؛ فهم لهذه الطائفة مثل الفراعنة للرّسل –عليهم السلام–. ولّما كان الأمر في الوجود الواقـع علـى مـا سبق به العلم القديم كما ذكرناه، عدل أصحابنا إلى الإشارات، كما عدلت مريم – عليهـا الـسلام– من أجل أهل الإفك والإلحاد إلى الإشارة. فكلامهم – رضي الله عنهم– في شرح كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إشارات، وإنْ كان ذلك حقيقـة وتفـسيرًا لمعانيـة النافعـة،

وردّ ذلك كلِّه إلى نفوسهم، مع تقريرهم إيّاه في العموم، وفيما نزل فيه، كما يعلمه أهل اللسان الذين نزل ذلك الكتاب بلسانهم. فعمّ به سبحانه عندهم الوجهين كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْأَفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [فصلت: 53] يعني الآيات المنزّلة في الآفاق وفي أنفسهم. فكل آية منزّلة لها وجهان: وجه يرونه في نفوسهم، ووجه آخر يرونه فيما خرج عنهم؛ فيُسمّون ما يرونه في نفوسهم إشارة، ليأنس الفقيه صاحب الرّسوم إلى ذلك، ولا يقولون في ذلك إنه تفسير، وقاية لشرّهم وتشنيعهم في ذلك بالكفر عليه، وذلك لجهلهم بمواقع خطاب الحقّ. واقتدوا في ذلك بسنن الهدى، فإنّ الله كان قادراً على تنصيص ما تأوّله أهل الله في كتابه، ومع ذلك فما فعل، بل أدرج في تلك الكلمات الإلهية التي نزلت بلسان العامّة، علوم معاني الاختصاص التي فهمها عباده، حين فتح لهم فيها بعين الفهم الذي رزقهم.

ولو كان علماء الرّسوم ينصفون، لاعتبروا في نفوسهم إذا نظروا في الآية بالعين الظاهرة التي يسلِّمونها فيما بينهم، فيرون أنهم يتفاضلون في ذلك، ويعلو بعضهم على بعض في الكلام في معنى تلك الآية، ويقرّ القاصر بفضل غير القاصر فيها، وكلهم في مجرى واحد، ومع هذا الفضل المشهود لهم في ما بينهم في ذلك ينكرون على أهل الله إذا جاؤوا بشيء ممّا يغمض عن إدرَاكهم؛ وذلك لأنهم يعتقدون فيهم أنهم ليسوا بعلماء، وأنّ العلم لا يحصل إلا بالقلم المعتاد في العُرْف؛ وصدقوا، فإنّ أصحابنا ما حصل لهم ذلك العلم إلا بالتعلم، وهو الإعلام الرّحمانيّ الربّانيّ، قال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: 1-5]. فصدق علماء الرّسوم عندنا فيما قالوا إنّ العلم لا يكون إلا بالتعلم، وأخطؤوا في اعتقادهم أنّ الله لا يعلِّم مَن ليس بنبيّ ولا رسول؛ يقول الله: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾[البقرة: 269] وهي العلم، وجاء بـ"مَن" وهي نكرة. ولكنّ علماء الرّسوم لمّا آثروا الدنيا على الآخرة، وآثروا جانب الخلق على جانب الحق، وتعوّدوا أخذ العلم من الكتب ومن أفواه الرجال الذين من جنسهم، ورأوا في زعمهم أنهم من أهل الله بما علموا وامتازوا به عن العامّة، حجبهم ذلك عن أن يعلموا أنّ لله عباداً تولّى الله تعليمهم في سرائرهم بما أنزله في كتبه وعلى ألسنة رُسله، وهو العلم الصحيح عن العالم المعلم الذي لا يشك مؤمن في كمال علمه ولا غير مؤمن... فتولّى الله بعنايته لبعض عباده تعليمهم بنفسه بإلهامه

وإفهامه إيّاهم "... فينبغي أن يكون أهل الله العاملون به أحق بشرْحه، وبيان ما أنزل الله فيه من علماء الرّسوم؛ فيكون شرحه أيضاً تنزيلاً من عند الله على قلوب أهل الله، كما كان الأصل، وكذا قال عليّ بن أبي طالب- رضي الله عنه- في هذا الباب: [ما هو إلا فهم يؤتيه الله من شاء من عباده في هذا القرآن] فجعل ذلك عطاء من الله، يعبّرعن ذلك العطاء بالفهم عن الله؛ فأهل الله أوْلى به من غيرهم.

فلمّا رأى أهل الله أنّ الله قد جعل الدولة في الحياة الدنيا لأهل الظاهر من علماء الرسوم، وأعطاهم التحكم في الخلق بما يفتون به، وألحقهم بالذين يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون، وهم في إنكارهم على أهل الله يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، سلَّم أهل الله لهم أحوالهم، لأنهم علموا مِن أين تكلَّموا، وصانوا عنهم أنفسهم بتسميتهم الحقائق إشارات، فإنّ علماء الرسوم لا ينكرون الإشارات. فإذا كان في غد يوم القيامة، يكون الأمر في الكلّ كما قال القائل:

سوف ترى إذا انجلى الغبار ... أفرَس تحتك أم حمار

كما يتميّز المحقّق مِن أهل الله مِن المدّعي في الأهلية غداً يوم القيامة، قال بعضهم:

إذا اشتبكت دموع في خدود ... تبيّن مَن بكى ممّن تباكى(...)

ثم لتعلم إن أصحابنا ما اصطلحوا على ما جاؤوا به في شرح كتاب الله بالإشارة دون غيرها من الألفاظ، إلا بتعليم إلهيّ جهله علماء الرسوم. وذلك أن الإشارة لا تكون إلا بقصد المشير بذلك أنه يشير، لا من جهة المشار إليه. وإذا سألتهم عن شرح مرادهم بالإشارة أجروها عند السائل من علماء الرسوم مجرى الغالب. مثال ذلك الإنسان يكون في أمر ضاق به صدره وهو مفكر فيه، فينادي رجل رجلاً آخر اسمه فرج، فيقول: يا فرج، فيسمعه هذا الشخص الذي ضاق صدره، فيستبشر ويقول: جاء فرج الله إن شاء الله؛ يعني من هذا الضيق الذي هو فيه، وينشرح صدره، كما فعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم- في مصالحة المشركين لما صدّوه عن البيت، فجاء رجل من المشركين اسمه "سهيل"، فقال رسول- صلى الله عليه وسلم-: "سهل الأمر"، أخذه فألا، فكان كما

تفاءل به رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، فانتظم الأمر على يد سهيل، وما كان أبوه قصد ذلك حين سماه به، وإنما جعله له اسماً عَلماً يعرف به من غيره؛ وإن كان ما قصد أبوه تحسين اسم ابنه إلا لخير.

ولّما رأى أهل الله أنه قد اعتبر الإشارة، استعملوها فيما بينهم، ولكنهم بيّنوا معناها ومحلها ووقتها، فلا يستعملونها فيما بينهم ولا في أنفسهم إلا عند مجالسة من ليس من جنسهم، أو لأمر يقوم في نفوسهم. واصطلح أهل الله على ألفاظ لا يعرفها سواهم إلا منهم. وسلكوا طريقة فيها لا يعرفها غيرهم، كما سلكت العرب في كلامها من التشبيهات والاستعارات، ليفهم بعضهم عن بعض؛ فإذا خلوا بأبناء جنسهم تكلموا بما هو الأمر عليه بالنص الصريح. وإذا حضر معهم من ليس منهم تكلموا بينهم بالألفاظ التي اصطلحوا عليها، فلا يعرف الجليس الأجنبي ما هم فيه ولا ما يقولون.

ومن أعجب الأشياء في هذه الطريقة ولا يوجد إلا فيها، أنه ما من طائفة تحمل علماً من المنطقيين والنحاة وأهل الهندسة والحساب والتعليم والمتكلمين والفلاسفة، إلا ولهم اصطلاح لا يعلمه الدخيل فيهم، إلا بتوقيف من الشيخ أو من أهله، لابد من ذلك؛ إلا أهل هذه الطريقة خاصة، إذا دخلها المريد الصادق، وبهذا يُعرف صدقه عندهم، وما عنده خبر بما اصطلحوا عليه، فإذا فتح الله له عين فهمه وأخذ عن ربه في أول ذوقه، ولم يعلم أن قوماً من أهل الله اصطلحوا على ألفاظ مخصوصة، فإذا قعد معهم وتكلموا باصطلاحهم على تلك الألفاظ التي لا يعرفها سواهم أو من أخذها عنهم، فَـهِمَ هذا المريد الصادق جميع ما يتكلمون به؛ حتى كأنه الواضع لذلك الاصطلاح؛ ويشاركهم في الكلام بها معهم، ولا يَستغرب ذلك من نفسه، بل يجد علم ذلك ضرورياً لا يقدر على دفعه، وكأنه ما زال يعلمه ولا يدري كيف حصل له. والدخيل من غير هذه الطائفة لا يجد ذلك إلا بمُوَقّف. فهذا معنى الإشارة عند القوم، ولا يتكلمون بها إلا عند حضور الغير، أو في تآليفهم ومصنفاتهم لا غير. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل] انتهى.

الـشـعر بـين محمـود ومـــَــذموم ... لـــذا أتـــى ربنـــا فيـــه بتقـــسيم

في كــــلّ واد تـــرَاه جـــائلا أبـــدا ... يهـــيم فيـــه لإيـــصال وتفهـــيم

لـو يعلـم النـاس مـا القـرآن جـاء بـه ... فيـــه لقـــالوا بـــه في كـــلّ منظـــوم

ذكر الشيخ هذه الأبيات في ديوانه المطبوع.

من فتوح العبارة تدفق الشعر غزيرا فـيّاضا من روح الشيخ على لـسانه، فـنظم أزيـد مـن خمسين ألف بيت. وفي الفتوحات وحـدها نحـو 7100 بيـت. ولـه مجموعــات شعــرية مـستقلـّة كـديوان (ترجمان الأشواق) وجزء الزينبيات، وديوان: (إنزال الغيوب على سرائر القلوب).

وتنسب له تائيتان في بضع مئات من الأبيات، واحدة منها تتألف من 436 بيتا، وأخرى في ألف بيت، ولكن صحّة نسبتهما له غير ثابتة. وقبل وفاتـه بنحـو أربـع سـنوات، جمـع الـشيخ جـل أشعاره في ديوان ضخم واحد عنوانه [ديوان المعارف الإلهية واللطائف الروحانية في بعض ما لنا من النظم]، وجعل له مقدّمة رائعة نوردها كاملة إثر هذا الفصل، وفيهـا يـذكر سـبب نظمـه للـشعر في واقعة روحية خلال خلوة

دخلها حسبما ذكره في الباب 358 من الفتوحات المتعلق بسورة الـشعراء والـذي افتتحـه بقوله:

إنّ المقـــــادير أوزان مـنظمـــــــة ... تــأتي بهــا ظـُــلل مــن فوقهــا ظلــل

مــن الغمـام ومــن غـير الغمـام يُــرَى ... عنـــد التـــنزّل في أعجازهـــا كلـــل

تحـوي علـى كـلّ معنـى لـيس تُظهـره ... إلا الخطـــابة والأشـــعار والمثُـــل

فمنـــه مـــا هـــو محمـــودٌ فمرتفـــعٌ ... ومنـــه مـــا هـــو مـــذمومٌ فمنـــسفل

ومـــَن ينـــازعني فيـــما أفـــوه بـــه ... فالنـــاس كلـــهم أعـــداء مـــا جهلـــوا

وما تلك الشمس التي اقتبس من شعاعها شعرة الشعر إلا شمس فتوح العبـارة مـن المقـام المحمدي الذي ورثه وعبّر عنه في خطبة الفتوحات. حيث خاطبـه رسـول الله ﷺ قـائلا: [فـإنّ فيـك

شعرة مني لا صبر لها عنّي، هي السلطانة في ذاتيتك، فلا ترجع إليّ إلاّ بكليتك، ولابدّ لها من الرجوع إلى اللقاء، فإنها ليست من عالم الشقاء، فما كان مني بعد بعثي شيء في شيء إلا سعد].

وهذا هو مقام خاتم الولاية المحمدية الذي نبّه الشيخ على صلته بتلك الشعرة في قوله عنه (ج3ص.514): [ومنزلته من رسول الله ﷺ منزلة شعرة واحدة من جسده ﷺ، ولهذا يشعر به إجمالا، ولا يَعلم به تفصيلا إلا من أعلمه الله به أو صدّقه إنْ عرّفه بنفسه في دعواه ذلك].

وفي غالب الأحيان، يقول الشيخ بأنّ قصائده تنساب على لسانه من غير فكر ولا رويّة يقظة أو مناما، كالقصيدة التي نظمها في مدح الأنصار بأمر النبي ﷺ وذكرها في الباب 49 من "الفتوحات"، أو كالأبيات الأربعة التي افتتح بها الباب 132 في معرفة مقام الاستقامة وقال عنها: [جاءت هذه الأبيات لزوم ما لا يلزم من غير قصد، وكذلك أمثالها، فإنّما أنطق بما يجريه الله فينا من غير تعمل و لا رويّة]. وفي واقعة أخرى يقول في الباب 71 من "الفتوحات":

[... كلّ نفس مطلوبة من الحق في نفسها، لا تجزي نفس عن نفس شيئا، وإنْ تقلب الإنسان في العبادة من وجه بذاته ومن وجه بربّه، ليس لغيره فيه مساغ ولا دخول. وأراني ذلك في واقعة، فاستيقظت من منامي وأنا أحرّك شفتيّ بهذه الأبيات التي ما سمعتها قبل هذا لا منّي ولا من غيري وهي هذه:

قال لي الحق في منامي ... ولم يكن ذاك من كلامي
وقتا أناديك في عبادي ... وقتا أناجيك في مقامي
وأنت في الحالتين عندي ... في كنف الصون والذمام

إلى آخر الأبيات.

كذلك في الباب 353 المتعلق بسورة لقمان، يذكر واقعة علمية يقول إثرها: [ولما فرغ هذا الإلقاء الإلهي والتعريف الرباني، وسكن عندي ما كنت أجده من ألم هذا التجلي في هذه الصورة، وسُرّي عني، نظمت نظم إلهام لا نظم رويّة ما أذكره:

لنا حبيب نزيه لا أسميه ... وهو الحبيب الذي حار الورى فيه

إلى آخر الأبيات...

وقد عبّر الشيخ بالشعر عن الحقائق والمشاعر والأذواق والإشارات التي لا يسمح النثر بها، فاستعمل كل أنواع البحور والموشحات بمختلف أشكالها. يؤكد هذا المعنى في الباب 293 المتعلق بسورة الشمس ، فيقول عن القصيدة التي افتتح بها الباب: [اعلم – أيّدنا الله وإيّاك– أنّ هذه القصيدة – وكلّ باب من هذا الكتاب– ليس المقصود منها إجمال ما يأتي مفصّلا في نثر الباب والكلام عليه، بل الشعر في نفسه من جملة شرح ذلك الباب، فلا تكرار في الكلام الذي يأتي بعد الشعر . فليُنظر الشعر في شرح الباب، كما يُنظر النثر من الكلام عليه. ففي الشعر من مسائل ذلك الباب ما ليس في الكلام عليه بطريق النثر، وهي مسائل مفرَدات تستقلّ كل مسألة في الغالب بنفسها، إلا أنْ يكون بين المسألتين رابط فيطلب بعضها بعضا]. والقصيدة التي افتتح بها هذا الباب المتعلق بسورة الشمس تحتوى على 56 بيتا. بينما عدد كلمات السورة بلا بسملة 54، ومع البسملة 58، فجاء عدد الأبيات وسطا بينهما من حيث اعتبار البسملة كآية من السورة أو عدم اعتبارها. والعدد 56 هو ضعف العدد 28 أي عدد المنازل الفلكية التي يقطعها القمر كما تقطع الشمس البروج التي تنتمي إليها المنازل، وفي ذلك إشارة لفاتحة السورة: (والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها). واختار في تلك القصيدة قافية (ها)، إشارة إلى الحرف الذي تنتهي به آيات السورة. فلكلّ كلمة عند الشيخ دلالات دقيقة. وحتى عدد أبيات القصيدة، وأحيانا حتى عدد كلماتها وحروفها، له دلالات. لكن هذا الجانب يدخل ضمن الجانبالخفيّ من تلويحات الشيخ. فمثلا نجده يفتتح الباب 69 من الفتوحات الخاص بالصلاة بـ: 17 بيتا، لأنّ 17 هو عدد الركعات المفروضة يوميّا. ويفتح الباب 70 الخاص بالزكاة بسبعة أبيات إشارة إلى بركة الزكاة المذكورة في الآية 261 من سورة البقرة: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

مثال آخر: بعد أن أنهى الشيخ الباب 415 من الفتوحات بكلمته المعتادة ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾ [الاحزاب: 4]، أضاف جملة هي: [واجعل بالك في كل منظوم في أول كل باب من أبواب هذا الكتاب، فإنّه يتضمن من علوم ذلك الباب على قدر ما أردت أن أنبّه فيه عليها، تجد في النظم ما ليس في الكلام في ذلك الباب، فتزيد علما بما هو عليه ما ذكرته في النظم وعلى الله قصد السبيل] ثم يدخل في الباب التالي 416 الذي عنوانه (في معرفة منازلة عين القلب)

وهو راجع لسورة الإسراء حسب الترتب الخفي لأبواب الفصل الخامس من الفتوحات. ومعلوم أنّ عين القلب هي واسطة الرؤية أو الرؤيا. فيفتح الشيخ هذا الباب بستة أبيات مؤلفة من ستين كلمة. والملاحظ أنّ الآية 60 من الإسراء هي التي تتكلم عن الرؤيا: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ﴾. كما أن كلمة "لنُريَه" في آياتها الأولى ترد بعد نحو ستين حرفا من بدايتها.

وفي كتابه الكبير حول ذي النون المصري (ت: 266هـ) وعنوانه: (الكوكب الدري في مناقب ذي النون المصري)، نظم الشيخ قصيدة في مدح ذي النون تتألف من 38 بيتا. فلماذا اختار لها هذا العدد؟ الجواب هو أنّ العدد 38 هم مجموع أعداد حروف (ذو النون) بحساب الجمل الصغير وباعتبار تضعيف النون الأولى. كما نجد في ديوانه الكبير قصيدة رثاء ومدح للشيخ أبي مدين (ت: 589هـ)، تتألف من 51 بيتا، لأنّ هذا العدد هو مجموع أعداد حروف لقبه واسمه بحساب الجمل المغربي الصغير: (أبي النجا شعيب أبي مدين = 4+18+11+4+14=51). وقد ذكر الشيخ في الباب 24 من "الفتوحات" أنّ لقب أبي مدين هو: (أبو النجا). ومثل هذا يدخل ضمن الرّموز العددية.

ونظرا لعلاقة الشعر بالخيال، فقد خصّص الشيخ فقرة رمزية خياليّة حول الشعر في الباب الثامن من الفتوحات الذي يصف عوالم المثال والبرزخ والخيال في أرض الحقيقة أو السمسمة التي خلقت من بقية خميرة طينة آدم عليه السلام فقال:

[ورأيت في هذه الأرض بحرا من تراب يجري مثل ما يجري الماء. ورأيت حجارة صغارا وكبارا يجري بعضها إلى بعض كما يجري الحديد إلى المغناطيس، وليس في قوّته أن يمتنع. فإذا ترك وطبعه جرت بعضه على بعض على مقدار من المساحة مخصوص، فتنضمّ هذه الحجارة بعضها على بعض، فينشأ منها صورة سفينة. ورأيت منها مركبًا صغيرًا وشينبين، فإذا التأمت السفينة من تلك الحجارة، رموا بها في بحر التراب وركبوا فيها وسافروا حيث يشتهون] إلى آخر ما وصفه... فأشار ببحر التراب إلى بحور الشعر، وأشار بالحجارة إلى الكلمات والحروف، وأشار بالسفينة إلى القصيدة.

وكما قارن الشيخ في مقدّمة ديوانه الكبير بين بُنية بيت الكون، كذلك قارن بينها وبين بُنية الإنسان. فهو يقول: إن السالك العارج بروحه في السماوات يكشف في كل سماء عن أنواع من العلوم. والشعر مخصوص بالسماء الثالثة التي لها كوكب الزهرة وقطبها يوسف عليه السلام، فهي سماء الحسن والجمال والخيال والرّؤيا والتعبير. ويقول في ذلك ما خلاصته من الباب 167: [من علوم

هذه السماء علم التعبير للمرائي، والتمثل، والخيال، وأرض السمسمة التي خلقها الله من بقيّة طينة آدم عليه السلام، وسوق الجنة، وعلوم الإتقان والحسن والترتيب الحكيم. ومِن هذه السماء يكون الإمداد للشعراء والنظم، والصور الهندسية في الأجسام. ومنها ظهرت في هذه النشأة الجسمية الأخلاط الأربعة على النظم الأحسن: فجعل مما يلي النفس المدبّرة المرّة الصفراء، ثم يليها الدم، ويليه البلغم و يليه المرّة السوداء؛ كما ظهرت الأربعة الأصول التي يقوم عليها بيت الشعر، كما قام الجسد على الأربعة الأخلاط. فالوتد المفروق يعطي التحليل، والوتد المجموع يعطي التركيب، والسبب الخفيف يعطي الروح، والسبب الثقيل يعطي الجسم، و بالمجموع يكون الإنسان (...) وكذلك السّماع الطبيعي مبناه على أربعة أمور محققة،. فإنّ الطبيعة مربّعة معقولة من فاعلين – يعني الحرارة والبرودة – ومنفعلين – يعني اليبوسة والرطوبة –. فأظهرت الأركان الأربعة، أي النار والهواء والماء والتراب. ولكلّ خلط من أخلاط الجسم الأربعة نغمة مخصوصة تحرّكه، وهو علم الألحان والأوزان بالبمّ و الزير والمثنى والمثلث، كلّ واحد من هذه يحرّك خلطًا ما بين حرَكة فرَح وحرَكة بكاء وأنواع الحرَكات...].

وقد نظم الشيخ الأكبر أزيد بكثير من خمسين ألف بيت من الشعر من حضرتي السّماعين الالهي والروحاني وجمع بعضها في ديوانه الكبير الذي ختمه بأزيد من خمسمائة وستين منظومة في الغزل والتشبيب المشيرة كلها إلى معارف إلٰهية، ومن ضمنها قصائد ديوانه «ترجمان الأشواق» مع شرحه في «ذخائر الأعلاق»، وافتتح كل منظومة بعنوان يدعوا إلى التأمل العميق. وعناوين المنظومات المائة واثنين وثلاثين الأولى فيها وصف للروح والخاطر وصفا مناسبا لمعاني الأبيات التي تتلوها. وعناوين المنظومات الأخرى، وعددها أزيد من أربعمائة وثلاثين، فيها وصف للروح والخاطر والسّماع، كقوله مثلا:

- والرّوح همّة شريفة والخاطر تقديس والسّماع ليس كمثله شيء.
- والرّوح تمليك والخاطر تشريك والسّماع تحقيق.
- والرّوح طيب أعراق والخاطر كريم أخلاق والسّماع حق واستحقاق.
- ومن عناوين قصائد «ترجمان الأشواق»:
- والرّوح حيرة والخاطر غيرة والسّماع تعريف.
- والرّوح عراقي والخاطر حلبي والسّماع روح علم.
- والرّوح سكر والخاطر زيادة والسّماع عبادة.

فهذه العناوين لكل من أزيد من 560 منظومة شعرية تستحق تحليلا دقيقا ودراسة معمّقة في بحث مستقل.

مقدّمة (ديوان المعارف الإلهية واللطائف الرّوحانيّة) لابن العربي

خلال السنوات الأخيرة من حياته أراد الشيخ محيي الدّين جمع بعض أشعاره المبثوثة في دواوينه وكتبه الكثيرة في ديوان ضخم واحد عنوانه: [ديوان المعارف الإلهية واللطائف الرّوحانية في بعض ما لنا من النظم]، وقد طبع منه جزء كبير طبعات متعدّدة تحت عنوان: "ديوان ابن عربي"، أو "ديوان الشيخ الأكبر"، منها طبعة قديمة- ربما تكون هي الأولى- في بومباي بلا تاريخ، ونُسخت منها طبعة ثانية في بولاق سنة 1271هـ/ 1855م. وأمّا جزءه الباقي الأكبر فلا يزال مخطوطا في المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم: 2348/ 35-273، كما توجد المقدّمة الرّائعة لهذا الدّيوان مع رسائل أخرى للشيخ في مكتبة السليمانية باسطنبول (فاتح 5322)، ومن هذين المخطوطين حققنا هذه المقدّمة، وفيها يذكر فيها سبب نظمه للشعر، ونصّها في ما يلي:

[الحمد لله الذي خلق الإنسان، وعلّمه البيان، وأنزل المقادير والأوزان، وأبدع الأرواح وخلق الأبدان، ورتّب الأمور في جميع الأكوان، على أحسن نظام وأبدع إتقان، عطف بآخره على أوّله، وألحق أبده في نفي النهاية بأزله، وجعله متجانس الصّوَر، متماثل السُّوَر (أي: المراتب والمنازل)، فكأنّه قريض على رُويّ التوحيد، ينطق بلسان التحميد، فهو كلماته التي لا تنفد، وسلطانه الذي لا يبعد. جعل الوجود سبحانه كبيت الشعر في التركيب والنظم، وخصّه بما خص به الشعر من الحُكم، فجعله قائمًا على سَبَبَيْن، محفوظا بوَتَديْن: سبَبٌ خفيف وهو عالم الأرواح، وسبب ثقيل وهو عالم الأشباح، ووَتد مجموع وهو حال الترْكيب والإنشاء، ووتد مفروق وهو حال تحلل الأجزاء، فمدار جميع الخلائق على هذه الحقائق.

والعالَم كله موْزون مرْبوط الرّويّ، على الصراط السّويّ. وإنّ الله- جلّ ثناؤه وتقدّست أسماؤه- نظم جواهر المعارف في سلك النظم والنثر عناية، وصيّرها في جيد أرواح العارفين عِقدًا، وحَكّم سرَائر اللطائف في مُلك القلم والزّجر ولاية، وجعلها في بيِدِ أرواح الواقفين قصدًا، فاقتنصوا بحبالة النظم طيور المعارف من جوّ التقديس، وحصّلوها محفوظة بسمي العصمة من التخمين والتلبيس، سدلوا على محاسن وجوه الأسرار المقدّسة براقع الرّموز والألغاز، خيفة عليها عند وقوعها على شاطئ المجاز، من صائبات ألحاظ المدّعين عند الاتعاظ، وألبسوها السّابغات الذيول

الصّافيات الأرْدان من حُلل العبارات والإشارات والألفاظ حذارًا من المنكرين عند الاتعاظ، وَاصلوا فأجملوا، وفصّلوا فأجملوا فرَضي الله عن تلك النفوس الطاهرة المتنسِّمات أرواح القدس المتظاهرة.

وصلى الله على أفصح الفصحاء، وأبلغ البلغاء، سيّد الأنبياء، المؤتى جوامع الكَلِم، المخصوص بفنون الحِكَم، وعلى آله وسلّم.

أمّا بعد:

فهذا كتاب: تنزّل الأرواح — بالرّوْح والرّيحان والإرْواح
ومعارفُ الأنوار مِن سُبُحاته — ولطائف الأسرار والأرواح (جمع رُوح)
جاءت بها الأملاك من ملكوته — بالغيب عند تصرّف الأرْواح (جمع ريح)

وإني أذكر في هذا الكتاب الذي سمّيته: [ديوان المعارف الإلهية، واللطائف الرّوحانيّة] بعض ما أجرى الله على لساني من الأبيات المرْتجلات، والقصائد الحاويات على الجواهر العلويّة والفرائد ما لم أستعمل فيه الرّويّة، بل ظهر عن الواردات الربّانية، والنفثات الرّوحيّة؛ وهو يحوي على أسرار ذاتية، وأنوار صفاتية، ومشارق يوحيّة (أي شمسيّة)، وأغوار ملكيّة، وأدوار فلَكية وألواح موسويّةّ، وأرواح عيسويّة، ومواصلات إنزاليّة، ومفاصلات رساليّة، ومجاهدات نفسيّة، ومشاهدات قدسيّة، ومخاطبات قبسيّة، ومعاينات حَرَسيّة، وأعلام ختميّة، وأحكام حتميّة، وطوالع مهديّة، ولوامع نجديّة، ومناسك نقليّة، ومسالك عقليّة، وتنبيهات إدريسيّة، وتمويهات بلقيْسيّة، وأغراض حِكميّة، وأيّام أصليّة، وطهارات وصلوات واعتمارات وزكوات وأصناف عبادات..

كلّ ذلك نزلت به الأمناء على جنّات القلوب، من حضرة علاّم الغيوب، فظهر في ذلك ما بين طبقات أهل الله ودرجاتهم، وإشاراتهم في حرَكاتهم وسكناتهم، فبانت للناظر مراتبهم، وتميّزت مذاهبهم.

فظهرتْ مرْتبة القطب الذي هو الغوْث، مِن الفرد الإلـّي، مِن الإلهي، من العارف، من العالِم، من المحقّق، من الأديب، من الإمامين، من الوَتد، من البَدَل، من النجيب، من النقيب، من

الوليّ، من الصالح، من صاحب القلب. والكلّ أتباع الرّسول، وكلّهم على السّبيل، ووقعت الإنابة في الرّسول وفي النبيّ من الخليفة.

وأعْرَبت عن ربّ كلّ وقت، ومقام وحال، وقبض وبسط، وهيبة وأنس، وتوَاجد ووَجد ووُجودِ وُجودٍ، وجلال وجمال، وجمع وفرْق، وفناء وبقاء، وغيبة وحضور، وصحو وسكْر، وذوْق وشرب وريّ، ومحو وإثبات، وسَحْق ومَحْق، وستر وتجلّ وتخلّ، ومحاضرة ومكاشفة ومشاهدة ومحادثة ومسامرة، ولوائح وطوالع ولوامع وبواده وهجوم، وتلوين وتمكين، وقرب وبُعد، وشريعة وحقيقة، ونفَس- بفتح الفاء- وخاطر، وعلم يقين وعين يقين وحقّ يقين، ووارد وشاهد، ونفْس وروح وسرّ، ووَله ووقفة وفترة، ورغبة ورهبة، ومكر، واصطلام، وغرْبة، وهمّة، وغيرة، وحرّية، ومطالعة، وفتوح، وانزعاج، ووَصْل، وأدب، واسم، وعينُ التحكّم، ورَسْم، وزوائد، وتجريد، وتفريد، ومرَاد ومُريد، وسالك ومسافر وسفر وطريق،ولطيفة، وعلّة،ورياضة، وفصل، وذهاب، وشطح، ومكان، وزمان، وزجر، وواقعة، وعنقاء، وورقاء،وعُقاب، وغراب، وشجرة لا شرقية ولا غربية، وسمسمة، وشعيرة، ودرّة بيضاء، وزمرّدة خضراء، وسَبْجَة سوْداء، وحرف، وسكينة، وتدان وتدلّ، وترقّ وتلقّ وتولّي، وخوف ورجاء، وصعق، وخلوة وجَلوة، وحجاب، وجرس، وقلم ونون ولوْح، وختم وطبْع، وإنّيّة وهُويّة، وإنابة، واتحاد، ونوالة ومخدع، ومنصّة، وسوى، وجسد، ونور وظلمة، وضياء وظلّة، وقشر ولبّ، وعموم وخصوص،وإشارة وغيب، وكوْن، ورداء وإزار، وكمال، وبرزخ، ورَحَموت، وجبَرُوت، ومُلك وملكوت، وملك الملك، وملك البهاء، وملك الضياء، ومطلع وغُرّة، ومثل ومثال، وعرش وكرسيّ وقَدَم، واستواء وعَماء، وعبد وحرّ، وصفة ونعت، ورؤية، وكلمة الحضرة، والفهوانيّة، والهُو، واللّسَن، والعبودة، والانتباه واليقظة، والعُود الرّطب، والعنبر الأشهب، والكبريت الأحمر، والبحر الأخضر، والياقوت الأحمر والأصفر والأكهب؛ وما جرى من هذه الألفاظ التي تواطأ عليها أهل طريق الله، واعتمد عليها أهل التحقيق من أهل الانتباه، ليكتموا بها الأسرار عن الأجانب، إذ جرَت عادة أهل كلّ علم أن يتوَاطئوا على ألفاظ يستعملونها فيما بينهم لا يعرفها غير من سلك مسلكهم، والغيرة من الإيمان،ولاسيما التعبير عمّا حصل من العيان.

فصل: واعلموا أنّه لم يكن الشعر من شأني، ولا نطق به قبل هذا المشهد الذي أنا أذكره لساني،فإني ما زلت مُذ قُلِّدتُ الحمائل بدَلا من التمايم، أمتطي الجياد، وأقدم الأجواد، شنشنة

ورثتها من الأسلاف و الأجداد، وأنظر في صفائح التواتر، لا في صحائف الدّفاتر، وأجول بميادين العساكر، لا بمجالس التناظر، لم أغْش قط معان الأدب، ولا أنضيْتُ إليه ركاب الطلب، لست أعرف سوى دين العجائز، وأرى أنه من أسنى المواهب والجوائز، لا أفرّق بين العلم وأضداده، ولا أميّز مراتب وجوده في عباده. ولم أزل على ذلك مدّة من الزّمان إلى أن نظر إليّ بعين عنايته الرّحمان. فوجّه إليّ في المنام: محمّدًا وعيسى وموسى - عليهم الصلاة والسلام-. فأمّا عيسى فأمرني بالزّهد والتجريد، وأمّا موسى فأعطاني قرْص الشمس وبشرني بالعلم اللدني من علوم التوحيد، وأمّا محمد ﷺ فقال لي: (استمسك بي تسْلَمْ). فاستيقظت باكيًا، وقطعتُ بقيّة ليلي تاليًا، وتجرّدتُ في زعمي على طريق الله، وأعملتُ ركاب الهمّة في نيْل ما ناله كلّ حليم أوّاه. فصحبتُ رجالا صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وعاشرتُ سادات ما أعرَضوا عنه قط مِن وقت نظرهم إليه، فانتفعتُ بخدمتهم، ومُنِحتُ لطائف الأسرار بهمَّتهم، وعقدتُ على أني لا أرْضى منه سبحانه إلا به، فإني ما أحببتُ أن آخذ عن كون إلا عنه، كما قال أبو يزيد (البسطامي): "أخذتم علمكم ميّتا عن ميّت، وأخذنا علما عن الحيّ الذي لا يموت"؛ فهو الإمام الملهم والمؤدّب المعلّم،

فكان أجزل ما أتحفني به من المواهب، أنْ أنكحني حروف المعجم وجميع الكواكب، إلى أن أسمعني صريف الأقلام في صدري بالألحان، ونطقت المثاني والمثالث بحسب المطلوب من النقص والرّجحان، فقلتُ: ما لهذا الإيقاع؟ فقيل: السّماع؛ فقلت: ما لي وللشعر؟ فقيل: هو أصل هذا الأمر، النظم هو الجوهر الثابت، و النثر هو الفَرْع النابت، لا يظهر نثْرٌ إلا في عالم الكون، لا في حضرة العين، وإذا حُقِّق هذا الأمر، فما ثمّ نثر؛ أليْس الشعر عين المقادير والأوزان؟ فانظرْ فيه تجده في وجود الأعيان. أين أنت من قوله- تعالى-: ﴿وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ﴾ [الرحمن: 7]، ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ﴾[الحجر: 21]، ﴿وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ﴾[الرّعد: 8].

ولمـّا كان صعب المنال، لم تقدر كلّ فطرة عليه.فتحققْ أوزان تغاريد الأطيار، ومقادير حركاتها بالآصال والأسحار؛ وانظرْ في نغمات كلّ مصوّت في الوجود، تجده على وزن محفوظ، وترتيب ملحوظ. والتفتْ إلى حركات الحيوان، وعِمارة ما عمره من الأكوان، مثل ما تعمله الزّنابير والنّحل والعناكب من البنيان، تجده موزون الزّوايا، معقود الرّقائق والخبايا.

وما مُنِع النبي ﷺ من الشعر لهوانه، ولا لانحطاط مكانته ومكانه، لكن لمـّا كان مبنيّا على الإشارات وَالرّموز، فإنه من الشعور، والمطلوب من الرّسول البيان للكافّة بأوضح العبارات. لهذا لم

يجيء به الرّسول. فما قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ﴾[يس: 69] إلا لأجل قولهم: "إنه شاعر"، فأخبر الله – تعالى- أنّ الذي جاء به من عند الله وعلمه، إنما هو: ﴿ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ﴾[يس: 69]، ما هو شعر كما زعمتم. وما في هذا ذمّ للشعر ولا حمد، وإنما جاء ليبيّن ما أرْسِل به، فهو إنباء وحقيقة.

وكان سبب تلفظي بالشعر أني رأيتُ في الواقعة مَلَكًا جاءني بقطعة نور بيضاء كأنها قطعة نور الشمس، فقلتُ: ما هذا؟ فقيل لي: سورة الشعراء. فابتلعتها، فأحسستُ بشعرة انبعثتْ من صدري إلى حلقي إلى فمي حيوانا لها رأس ولسان وعينان وشفتان، فامتدّتْ من فمي إلى أن ضرَبتْ برأسها الأفقين، أفق المشرق والمغرب، ثم انقبضتْ ورجعتْ إلى صدري. فعلمتُ أنّ كلامي يبلغ المشرق والمغرب، ورجعتُ إلى حسّي وأنا أتلفظ بالشعر من غير رُويّة ولا فكرة؛ وما زال الإمداد عليّ هلمّ جرّا. فلأجل هذا المشهد الأسنى، قيّدتُ ما تيسّر على ذكري في هذا الديوان، والذي فاتني أكثر؛ فكلّ ما فيه – بحمد الله- إنما هو إلقاء إلهيّ، ونفْثٌ قدسيٌ روحي، ورْثٌ عُلويٌ وإحساني. فالمشكور خالقه لا كاسبه، والعبد الضعيف مقيّده وكاتبه.

وربّما تقع العبارة من هذه المعارف الإلهيّة عند أهل الطريق بألْسُن مختلفة تواطأ عليها أهل هذا الشأن، من لسان طهارة وصلاة وحج وصيام وزكاة وسائر العبادات، ولسان مدائح ومنائح، وألغاز ورموز، وأزمان وأيّام، وكواكب وأنوار، وأرواح وملائكة، ومواعظ ونصائح ووصايا، وآداب وحِكَم وأمثال، ومخاطبات ملوك وإخوان، ومفاخرة وشرف نفوس، وأسماء ونعوت وصفات وحروف، وأماكن وأحوال ومقامات، وأعضاء، ودم وغضب في غير حقّ،ورياض وأزهار، وكيمياء، وخلْق وإبداع ونشآت.

وكلّ لسان في العالم معبّر يمكن التعبير عنه يستعمله أهل الله؛ ولهذا يسمعون من كلّ شيء وفي كلّ شيء.

وربما يقع في هذا النظم ذكر قوم من العارفين وغيرهم على طريق المدح، والتزْكية، والغزل، والتشبيب، وليس المرَاد الشخص المذكور، وإنما المرَاد اسم ذلك الشخص من الأسماء الإلهية المحجوبة بحُجُب الأنوار؛ كـ"عبد العزيز" وهو حال العبد في مشهد العزّة الإلهية؛ وشبه هذا. فإنّا روينا عن أبي بكرة عن أبيه قال: (أثنى رجل على رجل عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم- فقال النبي- صلى الله عليه وسلم-: "ويحك قطعتَ عنق صاحبك مرارًا"، ثمّ قال: "مَن كان

مادحًا أخـًا لا محالة فليقلْ: أحسب فلانا والله حسبه، ولا أزكّي على الله أحدًا، أحسبه كذا وكذا إن كان يعلم ذلك منه"؛ وقال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: 32]. فلهذا أضرَبنا عن ذكر الأشخاص، والله- تعـالى- يقـول: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾ [الأحزاب: 21]، وقال تعالى: ﴿سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: 19]. فإذا أثنيـتُ فإنمـا أثني على الحال والمقام الذي لا يقبل التعبير. فإنّ الكلام على المقامات وما تعطيه هو شأن المحققـين، ليس الكلام في الناس من شأنهم.

وكذلك إذا وقع في ديواني هـذا مـا يتعلـق بـالغزل والتـشبيب والخمـور ومجـالس الأنـس والنساء وأسمائهنّ والغلمان، فليس المقصود بذكري ما يذهب إليـه الـشعراء مـن الغـزل في أعيـان المذكورين، وإنما قصدي علومًا إلهية وأسرارًا ربّانيّـة. وقـد شـرَحتُ بعـض مـا ذكرتـُه في جـزء لنـا سميناه: (الـذخائر والأعـلاق)، شـرحنا بـه مـا قـصدناه بـالغزل في جـزء لنـا فيـه يُـسمّى (ترجمـان الأشواق). وسبب ذلك أنّ بعض الفقهاء عـرّض بنـا في شـيء مـن ذلـك، وذكـر أنّ الـذي ذكرنـاه دعوى، وأنّ هذا الكلام لا يناسب المعارف الإلهية؛ فلمّا بلغه ما شرحنا من ذلك استغفر الله ورجـع عن ذلك.وأمّا إذا كان النظم بالألفاظ المستعمَلة في العُـرْف في جانـب العـالم وجانـب الحـقّ، فـذلك ظاهر فيه كفاية. ولنا في التنبيه على ذلك ما قلناه:

كلّما أذكرُه من طَلَلِ ... أو رُبوع أو مغان كلّما

وَكَذا إن قلتُ: ها، أو قلتُ: يا ... وألا، إنْ جاء فيه، أو: أما

وَكَذا إنْ قلتُ: هي، أو قلتُ: هو ... أو: هُمو، أو: هنّ جمعًا، أو: هما

وَكَذا إنْ قلتُ: قد أنجدَ لي ... قَدَرٌ في شعرنا أو أتْهَما

وَكَذا السّحبُ، إذا قلتُ: بكتْ، ... وكذا الزّهر إذا ما ابتسَما

أوْ أنادي بحُداة يَمّموا ... بانة الحاجر أو وُرْق الحِمى

أو بُدورٌ في خدور أفَلَتْ، ... أو شموسٌ أو نبات أنْجَما

أو بُروقٌ أو رعودٌ أو صَبا، ... أو رياحٌ أو جَنوبٌ، أو سَما

أو طريقٌ، أو عقيق، أو نَقا، ... أو جبالٌ، أو تلالٌ، أوْ رِمَا

أو خليلٌ، أو رحيلٌ، أو رُبَى، ... أو رياض،أو غِياض، أو حِمى

أو نـــساء كاعـــباتٌ نُـهَّــــدٌ طالعـــات كـــشمُوس أو دُمَـــى

كلّـــما أذكـــره ممّـــا جـــرَى ذكـــرُه أو مثلـــهُ أنْ تَفـــهْما

منـــه أســـرَارٌ وأنـــوارٌ بـــدَتْ أو عَلـــَتْ جـــاء بهـــا ربّ الـــسّما

لفـــؤادي أو فـــؤاد مَـــن لَـــه مِثـــلُ مـــا لـــي مـــن شـــروط العُلـــما

صفـــــة قدْســـيّة عُلـْويّـــــة أعْلمَـــتْ أنّ لـــصدقي قَـدَمَـــا

فاصـرفِ الخاطـــر عـــن ظاهـــرها واطلـــب البـــاطن حتـــى تعلمَـــا

ومن ذلك:

لـــي حبيـــب قـــد تـــسمّى باســـم كـــلّ مـــن سَمَـــا

وأنــــا عـــــن ذاك أكـــــني في صـــريح أو مُـعَـمّـــــى

لـــستُ أعـــني بربـــاب وبـهـــــند وبـــــسَلمى

غيرهــــا فاعـــــتبروا فهـــو الاســـم والمـــسمّى

والـــذي يجهـــل قـــولي عـــن طريـــق الحـــق أعمـــى

وليس في كلامي كله منثوره ومنظومه "واو" ولا كلمة ولا حرف زائد، ولا حشو أصلا؛ فما أقصد منه حرفا ولا ترتيبًا خاصّا إلا لمعنى. وإني لا أرى المُنَطِّقَ إلا الله، ولا يفعل شيئا عبثا ولا أمرًا لغير حكمة. وإنْ لم يفهم ذلك الغير فلا أبالي. وإذا سُئلتُ عن شيء من ذلك بيّنتُه. وقد سُئلتُ وأبنتُ عن ذلك غير مرّة، ولا يعطى طريقنا غير هذا. وبهذا يزيد أهل الله عن كل مَن عبّر عن شيء، وإلا فبماذا يتميّزون عن عامّة الناس؟ و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: 43]. هدانا للسبيل، والله يقول الحق ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم. وقد قلنا في ذلك:

شـــعرنا مـــا فيـــه حـــشوٌ لا ولا فيـــه فـــضول

كـــل لفـــظ يـــحتويه تـــحته معنـــى جزيـــل

لـــــيس يدريـــــه كثـــــير	**والـــــذي يـــــدري قليـــــل**
والـــــذي يُـــوحَى إليـــــه	**هـــو.يـــدري مـــا أقـــول**
جُـمَـــــلٌ فيـــــه لقـــوم	**ولأقـــــوام فـــــصول**
فأصولـــــــه عَـــــوَال	**وفرُوعـــــــه تطـــــول**
نزلـــــت مـــــن مـــستواها	**عنـــــدنا فهـــــي تـــجول**
ونزولـــــــها صعـــــود	**وصـــــعودها نـــــزول**
وأصولـــــــها فـــــرُوع	**وفروعـــــــها أصـــــول**
مـــــا لشمـــــسها إذا مـــــا	**بَـــــزَغَتْ عنّـــــا أفـــول**
أيـــــن إبـــــراهيم بـــــصرى	**مـــــا أقـــــوْلَه الخليـــــل**

والله يقول الحق وهو يـهدي السبيل. انتهى صدر الـدّيوان. الحمـد لله وصـلواته وسـلامه على سيّدنا محمّد وآله وصحبه.

ملاحظة: في البيت قبل الأخير أشار إلى بزوغ الشمس وأفولها كما في قصة سيدنا إبـراهيم -عليه السلام-، لكن شمس سورة الشعراء التي نفثها الرّسول الملكي من الحـق – تعـالى- في قلـب الشيخ الأكبر ففاضت شعرا سلسبيلا لا أفول لها، خاصة أنّ الحروف اللفظيـة - كمـا ذكـر ذلـك في الباب 26 من الفتوحات- لا تتلاشى فلا أفول لها... وفي البيـت الأخـير يـشير إلى إمـام المـتكلمين المعتزلة في عصره إبراهيم النظام البصري (تـوفي مـا بـين: 221 و229هــ) شـيخ الجـاحظ وغـيره، والذي كان آية في الاحتجاج الذي يذكوّر بالحجة التي آتاها الله لإبراهيم على قومـه المتعلقـة بـأفول النجم والقمر والشمس، كما كان مشهورًا بحسن الكلام نثرا وله شعر رقيق، ولقبه النظّـام مناسـب لنظم الشعر عمومًا، وللنظم الأكبري خصوصا لأنّ اسم "نِظام" هو اسم عين الـشمس والبهـاء الـتي ألهمت الشيخ قصائد ديوانه: "ترجمان الأشواق". واسم "إبراهيم" كما هو مناسب لسيدنا إبراهيم الخليل -عليه السلام- المشار إليه في البيت السابق، مناسب أيضا لمقام إبراهيم عند الكعبة الذي كان يجتمع الشيخ فيه لسماع الحديث النبوي من كتاب الترمذي مع أبي شجاع زاهر بن رسـتم بـن أبـي النجـا الاصفهاني والد الفتاة "نظام" حسبما ذكره في بداية مقدّمة "ترجمـان الأشـواق". وقـد صـحب إبـراهيم النظام وهو صغير الخليل بن أحمد الفراهيدي (توفي: 170هـ) واضع علم العروض، وهو المشار إليه

في آخر الشطر الثاني من آخر بيت، فناسب اسمه لقب سيدنا إبراهيم الخليل- عليه السلام- أب العرب المشهورين بنظم الشعر.

مصطلحات التصوّف كما بيّنها الشيخ محيي الدّين بن العربي

بيّن الشيخ معاني هذه المصطلحات في رسالة له مستقلة عنوانها: (كتاب اصطلاح الصوفية) افتتحها بقوله:

[الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، وعليك ايها الوليّ الحميم والصفيّ الكريم ورحمة الله وبركاته. أمّا بعد: فإنك أشرتَ إلينا بشرح الألفاظ التي تداولها الصوفية المحققون من أهل الله بينهم لّما رأيت كثيرًا من علماء الرّسوم قد سألونا في مطالبة مصنفاتنا أهل طريقنا من عدم معرفتهم بما تواطأنا عليه من الألفاظ التي بها نفهم بعضنا عن بعض، كما جرت عادة أهل كلّ فنّ من العلوم، فأجبتك إلى ذلك، ولم أستوعب الألفاظ كلها، ولكن اقتصرتُ منها على الأهمّ فالأهمّ، وأضربت عن ذكر ما هو مفهوم من ذلك عند كلّ من ينظر فيه بأقلّ نظرة لما فيها من الاستعارة والتشبيه. وقد أوردنا ذلك لفظة لفظة. والله المؤيّد والنافع بمنّه، لا ربّ غيره].

وختم كتابه هذا بما يلي: [جملة هذه الألفاظ مائة وثمان وتسعون. ألّفه المؤلف- رضي الله عنه- بمدينة ملطية (من بلاد تركيا) في عشر صفر سنة خمس عشرة وستمائة. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا].

ثمّ عاد الشيخ إلى بيان هذه المصطلحات في موسوعته (الفتوحات المكية)، وذلك في جوابه عن السؤال الثالث و الخمسون و مائة من أسئلة الحكيم الترمذي التي عددها 155 سؤالا، وأجاب الشيخ عليها جميعا في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات.وقد جعل بيان معاني هذه المصطلحات متسلسلة مترابطة على شكل أجوبة على أسئلة عددها 173 سؤالا. وفي بعض الأحيان نجدفي نفس الجواب بيانا لأكثر من مصطلح واحد، **ممّا يجعل عدد المصطلحات المذكورة نحو المائتين**. وفي ما يلي تفصيلها، وسنذكر مع بعضها بين قوسين رقم الباب من كتاب الفتوحات، الذي خصّصه الشيخ للتعريف بها على التمام.

(السؤال الثالث والخمسون ومائة) أين خزائن علم الله من خزائن علم البدء؟

الجواب: في المساوقة الوجودية، لأنّ الله لم يزل عالما بأنه الإله، وأنّ الممكن مألوه، وأنّ العدم للممكن نعت أزليّ، وأنه لم يزل مظهرًا للحق. فخزانة علم الله من علم البدء هو معرفة مرتبة الاسم (الله) من الاسم (المبدئ)، كما يقال: أين خزانة علم (المبديء) من علم (المعيد)؟ فإنّ الظرفية لا تخلوا إمّا أن تكون مكانية أو زمانية، ولا مكان ولا زمان فإنهما هما اللذان يعطيان المقدار، وأين كذا من كذا؟ يطلب المقدار. فغاية أنْ يقال: في المرتبة الأولى التي لا تقبل الثاني، وهي مرتبة الواجب الوجود الذاتي، كما نقول في الممكن إنه في مرتبة الوجوب الإمكاني الذاتي.

والعلم بهذا هو علم سرّ السرّ وهو الأخفى، وهو العلم الذي انفرد به الحق دون ما سواه، ولا يعلم هذا إلا بالتحلّي - بالحاء المهملة-

1- فإن قلتَ: وما التحلّي؟

قلنا: الاتصاف بالأخلاق الإلهية المعبّر عنها في الطريق بالتخلّق بالأسماء. وعندنا: التحلّي ظهور أوصاف العبودة دائما مع وجود التخلّق بالأسماء. فإن غاب عن هذا التحلّي كان التخلّق بالأسماء عليه وبالا، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: 35]. وتحلي العبد بأوصاف العبودة هو من تخلقه بالأخلاق الإلهية، و لكن أكثر الناس لا يعقلون، فلو عرفوا معنى ما ورد في القرآن والسنة من وصف الحق سبحانه نفسه بما لا يقبله العقل إلا بالتأويل الأنزه ما نفروا من ذلك إذا سمعوه من أمثالنا. فإنّ العبودة- أعني معقولها- إنْ كان أمرا وجوديّا فهو عينه، فإنّ الوجود له؛ وإنما الحق لما كانت أعيان الممكنات مظاهره، عظم على العقول أن تنسب إلى الله ما نسبه لنفسه. فلمّا ظهر المقام الذي وراء طور العقل بالنبوّة، وعملت الطائفة عليه بالإيمان، أعطاهم الكشف ما أحاله العقل من حيث فكره، وهو في نفس الأمر ليس على ما حَكم به. وهذا من خصائص التصوّف (الباب 204) .

2- فإن قلت: وما التصوّف؟

قلنا: الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهرا وباطنا، وهي مكارم الأخلاق، وهو أن تعامل كلّ شيء بما يليق به مما يحمده منك. ولا تقدر على هذا حتى تكون من أهل اليقظة (الباب 164).

3- فإن قلت: وما اليقظة؟ حتى أكون من أهلها.

قلنا: اليقظة الفهم عن الله في زجره؛ فإذا فهمت عن الله انتبهت.

4- فإن قلت: فما الانتباه؟

قلنا: هو زجر الحق عبده على طريق العناية، وهذا لا يحصل إلا لأهل العبودة.

5- فإن قلت: وما العبودة؟

قلنا: نسبة العبد إلى الله لا إلى نفسه؛ فإن انتسب إلى نفسه فتلك العبودية لا العبودة. فالعبودة أتمّ حتى لا يحكم عليه مقام السّواء (الباب 131).

6- فإن قلت: وما السّواء؟

قلنا: بطون الحق في الخلق، وبطون الخلق في الحق؛ وهذا لا يكون إلا فيمن عرف أنه مظهر للحق، فيكون عند ذلك باطنا للحق، وبهذا وردت الفهوانية.

7- فإن قلت: وما الفهوانية؟

قلنا: خطاب الحق مكافحة في عالم المثال، وهو قوله صلى الله عليه وسلم في الإحسان: [أن تعبد الله كأنك تراه]؛ ومن هناك تعلم" الهُو".

8- فإن قلت: وما الهو؟

قلنا: الغيب الذاتي الذي لا يصح شهوده، فليس هو ظاهرا ولا مظهرا، وهو المطلوب الذي أوضحه اللّسَن.

9- فإن قلت: وما اللسن؟

قلنا: ما يقع به الإفصاح الإلهي لآذان العارفين، وهي كلمة الحضرة.

10- فإن قلت: وما كلمة الحضرة؟

قلنا: "كُنْ"، ولا يقال: "كن" إلا لذي رؤية، ليعلم من يقول له"كن" على الشهود.

11- فإن قلت: وما الرّؤية؟

قلنا: المشاهدة بالبصر لا بالبصيرة حيث كان؛ وهو لأصحاب النعت.

12- فإن قلت: وما النعت؟

قلنا: ما طلب النِّسب العدمية، كالأوّل؛ ولا يعرفه إلا عبيد الصفة.

13- فإن قلت: وما الصفة؟

قلنا: ما طلب المعنى الوجودي، كالعالم، والعلم لأهل الحدّ.

14- فإن قلت: والحدّ؟

قلنا: الفصل بينك وبينه، لتعرف من أنت، فتعرف أنه هو، فتلزم الأدب معه، وهو يوم عيدك.

15- فإن قلت: وما العيد؟

قلنا: ما يعود عليك في قلبك من التجلي بعوْد الأعمال، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: [إن الله لا يملّ حتى تملّوا] (أخرجه الطبراني في ((الكبير))، و((الأوسط)) و((الدعاء)) والحاكم والبيهقي في ((شعب الإيمان)) كلهم من طريق عبد الله بن صالح عن الليث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير عن عقبة بن عامر مرفوعًا). فطوبى لأهل القَـدَم.

16- فإن قلت: وما القَـدَم ؟

قلنا: ما ثبت للعبد في علم الحق به، قال تعالى: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾ [يونس: 2] أي سابق عناية ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ في علم الله؛ ويتميّز ذلك في الكرسي.

17- فإن قلت: وما الكرسي؟

قلنا: علم الأمر والنهي؛ فإنه قد ورد في الخبر أنّ الكرسي موضع القدميْن: قَـدَم الأمر وقدَم النهي، الذي قيّده العرش (الفصل من الباب 198).

18- فإن قلت: وما العرش؟

قلنا: مستوي الأسماء المقيّدة، وفيه ظهرت صورة المِثل من: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: 11] وهذا هو المِثل الثابت (الفصل من الباب 198).

19- فإن قلت: وما المِثل؟

قلنا: المخلوق على الصورة الإلهية الواردة في قوله - صلى الله عليه وسلم-: [إن الله خلق آدم على صورته][1]، وقال تعالى فيه: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30]، وهو نائب الحق الظاهر بصورته: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: 84] أظهره النائب. ومشهد هذا النائب حجاب العزة لئلا يغلط في نفسه.

[1] رواه البخاري ومسلم في الصحيحين

20- فإن قلت: وما حجاب العزة؟

قلنا: العما والحيرة، فإنه المانع من الوصول إلى علم الأمر على ما هو عليه في نفسه؛ ولا يقف على حقيقة هذا الأمر إلا أهل المطلع.

21- فإن قلت: وما المطلع؟

قلنا: الناظر إلى الكون بعين الحق، ومن هنالك يُعلم ما هو ملك الملك.

22- فإن قلت: وما هو ملك الملك؟

قلنا: هو الحق في مجازاة العبد على ما كان منه، مما أمِر به وما لم يـُؤمر به؛ ويختص بهذا الأمر عالم الملكوت.

23- فإن قلت: وما عالم الملكوت؟

قلنا: عالم المعاني والغيب، والارتقاء إليه من عالم الملك.

24- فإن قلت: وما عالم المـُلك؟

قلنا: عالم الشهادة والحـَرْف، وبينهما عالم البرزخ.

25- فإن قلت: وما عالم البرزخ؟

قلنا: عالم الخيال، ويسميه بعض أهل الطريق: عالم الجبروت، وهكذا هو عندي. ويقول فيه أبو طالب صاحب" القوت": عالم الجبروت هو العالم الذي أشهد العظمة، وهم خواص عالم الملكوت، ولهم الكمال (الباب 63).

26- فإن قلت: وما الكمال؟

قلنا: التنزّه عن الصفات وآثارها، ولا يعرفها إلا الساكن بأرين (الباب 243).

27- فإن قلت: وما أرين؟

قلنا: عبارة عن الاعتدال في قوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: 50] فإنّ أرين موضع خط اعتدال الليل والنهار، فاستعاروه؛ وقد ذكره منهم عبد المنعم بن حسّان الجلباني في مختصره "غاية النجاة" له، ولقيته وسألته عن ذلك، فقال فيه ما شرحناه به. وصاحب هذا المقام هو صاحب الرّداء.

28- فإن قلت: وما الرّداء؟

قلنا: الظهور بصفات الحق في الكون.

29- فإن قلت: وما الكون؟

قلنا: كل أمر وجودي، وهو خلاف الباطل.

30- فإن قلت: وما يريد أهل الله بالباطل؟

قلنا: العدم، ويقابل الباطل الحق.

31- فإن قلت: وما الحق عندهم؟

قلنا: ما وجب على العبد القيام به من جانب الله، وما أوجبه الربّ للعباد على نفسه إذ كان هو العالِـم والعِلم.

32- فإن قلت: وما العالِـم والعلم؟

قلنا: العالم من أشهده الله ألوهته وذاته، ولم يظهر عليه حال، والعلم حاله، ولكن بشرط أنْ يُفرّق بينه وبين المعرفة والعارف.

33- فإن قلت: وما المعرفة والعارف؟

قلنا: مَن مشهده" الربّ"، لا اسم إلهي غيره، فظهرت منه الأحوال، والمعرفة حاله، وهو من عالم الخلق كما أنّ العالِـم من عالَـم الأمر (الباب 177).

34- فإن قلت: وما عالم الخلق والأمر، والله يقول: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: 54]؟

قلنا: عالم الأمر ما وُجد عن الله لا عند سبب حادث؛ وعالم الخلق ما أوجده الله عند سبب حادث، فالغيب فيه مستور.

35- فإن قلت: وما الغيب في اصطلاحكم؟

قلنا: الغيب ما ستره الحق عنك منك، لا منه، ولهذا يشار إليه.

36- فإن قلت: وما الإشارة؟

قلنا: الإشارة نداء على رأس البعد، وتكون في القرب مع حضور الغير، وتكون مع البعد في العموم والخصوص (الباب 26).

37- فإن قلت: وما العموم والخصوص عندهم؟

قلنا: العموم ما يقع في الصفات من الاشتراك؛ والخصوص ما يقع به الانفراد، وهو أحديّة كل شيء، وهو لبّ اللبّ.

38- فإن قلت: وما لبّ اللبّ؟

قلنا: مادّة النور الإلهي: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖ﴾ [النـور: 35]. فلبّ اللبّ هو قوله: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖ﴾.

39- فإن قلت: وما اللبّ؟

قلنا: ماصِين من العلوم عن القلوب المتعلقة بالسِّوى وهو القشر.

40- فإن قلت: وما القشر؟

قلنا: كل علم يصون عين المحقق من الفساد لما يتجلى له من خلف حجاب الظـــل.

41- فإن قلت: وما الظل؟

قلنا: وجود الراحة خلف حجاب الضياء.

42- فإن قلت: وما الضياء؟

قلنا: ما ترى به الأغيارَ بعين الحق. فالظل من أثر الظلمة، والضياء من أثـر النـور، والعـين واحدة.

43- فإن قلت: وما الظلمة والنور اللذان عنهما الظلّ والضياء؟

قلنا: النور كل وارد إلـهي ينفر الكون عـن القلـب. والظلمـة قـد يطلقونهـا علـى العلـم بالذات، فإنه لا يكشف معها غيرها. وأكثر ما يعلم هذين أرباب الأجساد.

44- فإن قلت: وما الجسد؟

قلنا: كل روح أو معنى ظهر في صورة جسم نوري أو عنصري حتى يشهده السِّوى.

45- فإن قلت: وما السِّوى هنا؟

قلنا: الغيْر الذي يتعشق بالمنصات.

46- فإن قلت: وما المنصّة؟

قلنا: مجلى الأعراس، وهي تجليات روحانية إلـــيّة.

47- فإن قلت: وما الإلّ؟

قلنا: كل اسم إلهـي أضـيف إلى مَلَـــك أو روحـاني، مثـل جبريـل وميكائيـل أو عبـدئل، وبأيديهم الطبع والختم.

48- فإن قلت: وما الطبع والختم ؟

قلنا: الختم علامة الحق على قلوب العارفين. والطبع ما سبق به العلم في حقّ كلّ مختصّ من الإلهيين.

49- فإن قلت: وما الإلهية؟

قلنا: كل اسم إلهي يضاف إلى البشر، مثل عبد الله وعبد الرحمن، وهم الخارجون عن الرّعونة

50- فإن قلت: وما الرّعونة؟

قلنا: الوقوف مع الطبع، بخلاف أهل الإنية، فإنهم وافقون مع الحق.

51- فإن قلت: وما الإنية؟

قلنا: الحقيقة بطريق الإضافة، وهم المعتكفون على اللوح، المشاهدون للقلم، الناظرون في النون، المستمدّون من الهويّة، القائلون بالأناية، الناطقون بالاتحاد لأجل الجرس.

52- فإن قلت: وما هذه الألفاظ التي ذكرتها:

قلنا: أمّا اللوح فمحل التدوين والتسطير المؤجّل إلى حدّ معلوم (الفصل من الباب 198).

وأمّا الهويّة فالحقيقة الغيبيّة.

وأمّا النون فعالم الإجمال.

وأمّا الأناية فقولك بك.

وأمّا القلم فعلِم التفصيل (الفصل من الباب 198)..

وأمّا الاتحاد فتصيير الذاتين ذاتا واحدة، فإمّا عبد، وإمّا ربّ، ولا يكون إلا في العدد وفي الطبيعة، وهو حال.

وأمّا الجرَس فإجمال الخطاب بضرب من القهر لقوّة الوارد.

وهذا كله لا يناله إلا أهل النوالة.

53- فإن قلت: وما النوَالة؟

قلنا: الخلِـَع التي تخصّ الأفراد من الرّجال؛ وقد تكون الخلع مطلقا، ومع هذا فهم في الحجاب.

54- فإن قلت: وما الحجاب؟

قلنا: ما ستر مطلوبك عن عينك إذا كان الحجاب ممّا يلي المخدع.

55- فإن قلت: وما المخدع؟

قلنا: موضع ستر القطب عن الأفراد الواصلين عند ما يخلع عليهم، وهو خزانة الخِلع، والخازن هو القطب. قال محمد بن قائد الأواني: "رقيتُ حتى لم أر أمامي سوى قدم واحدة فغِرتُ، فقيل: هي قدم نبيّك، فسكن جأشي"، وكان من الأفراد، وتخيّل أنّ ما فوقه إلا نبيّه، ولا تقدّمه غيره، وصدق – رضي الله عنه- فإنه ما شاهد سوى طريقه، وطريقه فما سلك عليها غير نبيّه؛ و قيل له: هل رأيت عبد القادر (الجيلاني المعاصر له)؟ قال: ما رأيت عبد القادر في الحضرة ؟فقيل ذلك لعبد القادر، قال: صدق ابن قائد في قوله، فإني كنت في المخدع، ومن عندي خرجتْ له النوالة، وسمّاها بعينها؛ فسُئل ابن قائد عن النوالة ما صفتها؟ فقال مثل ما قال عبد القادر. فكان أحدهما من أهل الخلوة، والآخر من أهل الجلوة.

56- فإن قلت: وما الخلوة والجلوة؟

قلنا: الجلوة خروج العبد من الخلوة بنعوت الحق، فيحرق ما أدركه بصره. والخلوة محادثة السرّ مع الحق حيث لا ملك ولا أحد؛ و هناك يكون الصعق (الباب78 والباب 79).

57- فإن قلت: وما الصعق؟

قلنا: الفناء عند التجلي الرباني، وهو لأهل الرجاء ولأهل الخوف.

58- فإن قلت: وما الرجاء والخوف؟

قلنا: الرجاء الطمع في الآجل، والخوف ما تحذر من المكروه في المستأنف، ولهذا يجنح إلى التوَلي وهو رجوعك إليك منه بعد التلقي (الأبواب: 100-101-102-103).

59- فإن قلت: وما التلقي؟

قلنا: أخذك ما يرد من الحق عليك عند الترقي.

60- فإن قلت: وما الترقي؟

قلنا: التنقل في الأحوال والمقامات والمعارف نفسا وقلبا وحقا، طلبًا للتداني.

61- فإن قلت: وما التداني؟

قلنا: معراج المقربين إلى التدلي.

62- فإن قلت: وما التدلي؟

قلنا: نزول الحق إليهم، ونزولهم لمن هو دونهم بسكينة.

63- فإن قلت: وما السكينة؟

قلنا: ما تجده من الطمأنينة عند تنزل الغيب بالحرْف.

64- فإن قلت: وما الـحَـرْف؟

قلنا: ما يخاطبك به الحق من العبارات، مثل ما أنزل القرآن علـى سـبعة أحـرف، والحـرف صورة في السبجة السوداء.

65- فإن قلت: وما السبجة؟

قلنا: الهباء الذي فتح فيه صور أجسام العالم المنفعل عن الزمردة الخضراء (الفصل 14 مـن الباب 198).

66- فإن قلت: وما الزمرّدة الخضراء؟

قلنا: النفس (الكلّية أو اللوح المحفوظ) المنبعثة عن الدرّة البيـضاء (الفـصل 12 مـن البـاب 198)؟

67- فإن قلت: وما الدرّة البيضاء؟

قلنا: العقل الأول (أو القلم الأعلـى) صـاحب علـم السمـسمة (الفـصل 11 مـن البـاب 198).

68- فإن قلت: وما السمسمة؟

قلنا: معرفة دقيقة في غاية الخفاء، تدقّ عن العبارة، ولا تدرَك بالإشـارة، مـع كونهـا ثمـرة شجرة.

69- فإن قلت: وما هذه الشجرة؟

قلنا: الإنسان الكامل مدبّر هيكل الغراب.

70- فإن قلت: وما الغراب؟

قلنا: الجسم الكلّ الذي ينظر إليه العُقاب بوساطة الوَرْقاء (الفصل 15 من الباب 198)..

71- فإن قلت: وما العُقاب

قلنا: الروح الإلهي الذي ينفخ الحق منه في الهياكل أرواحها المحرّكة لها والمسكِّنة. والوَرْقـاء النفس التي بين الطبيعة والعقل(الأوّل). ودون الطبيعة هي العنقاء.

72- فإن قلت: وما العنقاء؟

قلنا: الهباء، لا موجود و لا معدوم؛ على أنها تتمثل في الواقعة.

73- فإن قلت: وما الواقعة؟

قلنا: ما يرد على القلب من العالم العلوي بأيّ طريق كان، من خطاب، أو مثال، أو غير ذلك، على يد الغوث

74- فإنقلت: وما الغوث؟

قلنا: صاحب الزمان وواحده؛ و قد يكون ما يعطيه على يد إلياس.

75- فإن قلت: وما إلياس؟

قلنا: عبارة عن القبض. وقد يكون ما يعطيه على يدالخضر.

76- فإن قلت: وما الخضر ؟

قلنا: عبارة عن البسط . وهذه العطايا من بحر الزوائد(الباب 25).

77- فإن قلت: وما الزوائد؟

قلنا: زيادات الايمان بالغيب و اليقين، ولها رجال مخصوصون ذكرناهم في أوّل الباب (الثالث والسبعين من الفتوحات المكية)؛ فإنهم موقنون؛ هم عشرة أشخاص لا يزيدون ولا ينقصون، غير أنهم قد يكون منهم نساء؛ يوجدهم الاسم والرّسم (الباب 225).

78- فإن قلت: وما الاسم والرّسم؟

قلنا: الرّسم نعت يجري في الأبد بما جرى في الأزل. والاسم: الحاكم على حال العبد في الوقت من الأسماء الإلهية عند الوصل (الباب 217)..

79- فإن قلت: وما الوصل؟

قلنا: إدراك الفائت، وهو أول الفتوح (الباب 200-201)..

80- فإن قلت: وما الفتوح؟

قلنا: فتوح العبارة في الظاهر، وفتوح الحلاوة في الباطن ، وفتوح المكاشفة لتصحيح المطالعة (الباب 216).

81- فإن قلت: وما المطالعة؟

قلنا: توقيعات الحق تعالى للعارفين ابتداء، وعن سؤال منهم، فيما يرجع إلى حوادث الكون، وفيها أقول:

خــرج التوقيــع لــي بالأمــان	**ولتحــاذر غــائلات الأمــاني**
ينقــضي الــدهر ولا شــيء منهــا	**حاصــل قــد ملكتــه اليــدان**
فاشــتغل بــي لا تخــالط ســواي	**فــسواي شــأنه غــير شــأني**
لا يغرنــــك عبــــدي المثــــاني	**فأنــا الثــاني ولــست بثــاني**
يــشتهي مَــن ظــل بــي مــستهاما	**أن يرانــي أو يــرى مــن رآنــي**
وأنــــا أقــــرب منــــه إليــــه	**فليُــزل عنّــي حُكــم المكــان**
فيرانــــي منــــه فيــــه بعــــيْني	**إنّ عــين الغــير ليــست ترانــي**

والمطالعة لا تكون إلا لأهل الحرية (الباب 196)..

82- فإن قلت: و ما الحرية؟

قلنا: إقامة حقوق العبودية لله – تعالى-، فهو حرّ عمّا سوى الله لأجل الغيرة الإلهية، فإنّ الله غيور، ومن غيرته حرّم الفواحش (البابان: 140-141).

83- فإن قلت: وما الغيرة؟

قلنا: تطلق في الطريق بإزاء ثلاثة معان: غيرة في الحق لتعدّي الحدود، وغيرة تطلق بإزاء كتمان الأسرار والسّرائر، وغيرة الحق ضنته على أوليائه، وهم الضنائن أصحاب الهمم (البابان: 150-151).

84- فإن قلت: وما الهمّة؟

قلنا: تطلق بإزاء تجريد القلب للمُنىَ، وبإزاء أوّل صدق المريد، وبإزاء جمع الهمم بصفاء الإلهام؛ هذا عند أهل الغربة (الباب: 229).

85- فإن قلت: وما الغربة؟

قلنا: مفارقة الوطن في طلب المقصود؛ و غربة عن الحال من حقيقة النفوذ فيه؛ وغربة عن الحق من الدهش عن المعرفة لحكم الاصطلام (الباب: 230).

86- فإن قلت: وما الاصطلام؟

قلنا: نعت و له يرد على القلب فيسكن تحت سلطانه حذر المكر (الباب: 232).

87- فإن قلت: وما المكر؟

قلنا: إرداف النعم مع المخالفة، وقد رأيناه في أشخاص؛ وإبقاء الحال مع سوء الأدب وهو الغالب على أهل العراق، وما نجا منه في علمنا إلا أبو السّعود بن الشبل سيّد وقته؛ وإظهار الآيات والكرامات من غير أمر ولا حدّ، وهي عندنا خرق عوائد لا كرامات إلا أن يقصد بها المتحدِّث التحدّث بالنعم، ولكن تمنع العارفين من مثل هذا الرّهبة (الباب: 231).

88- فإن قلت: وما الرّهبة؟

قلنا: رهبة الظاهر لتحقيق الوعيد؛ ورهبة الباطن لتقلب العلم؛ ورهبة لتحقيق أمر السبق، ولكن بعد سبق الرغبة (الباب: 234).

89- فإن قلت: وما الرغبة؟

قلنا: رغبة النفس في الثواب؛ ورغبة القلب في الحقيقة؛ ورغبة السرّ في الحق، وهو مقام التمكين (الباب: 233).

90- فإن قلت: وما التمكين؟

قلنا: عندنا هو التمكن في التلوين؛ وعند الجماعة حال أهل الوصول، وعدلنا نحن فيه إلى ما قلناه لقوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٍ﴾ [الرحمن: 29]؛ وعدلت الجماعة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ﴾ [فاطر: 41] وهذه الآية أيضا تعضدنا فيما ذهبنا إليه؛ فالتمكين في التلوين أوْلى.

91- فإن قلت: فما التلوين؟

قلنا: تنقّل العبد في أحواله، وهو عند الأكثرين مقام ناقص، وعندنا هو أكمل المقامات لأنه موضع التشبّه بالمطلوب للإنسان، وسببه الهجوم (الباب: 212).

92- فإن قلت: وما الهجوم؟

قلنا: ما يرد على القلب بقوّة الوقت من غير تصنّع منك عقيب البَوادِه (الباب: 259).

93- فإن قلت: وما البَوادِه؟

قلنا: ما يفجأ القلب من الغيب على سبيل الوهلة، إمّا موجب فرح، أو موجب ترح؛ ولكن مع كونها بواده لا بدّ أن يتقدّمها لوامع (الباب: 259).

94- فإن قلت: وما اللوامع؟

قلنا: ما ثبت من أنوار التجلي وقتين؛ وقريب من ذلك بعد الطوالع (الباب: 258).

95- فإن قلت: وما الطوالع؟

قلنا: أنوار التوحيد تطلع على قلوب أهل المعرفة، فتطمس سائر الأنوار عند ما تحكم على الأسرار اللوائح (الباب: 196).

96- فإن قلت: وما اللوائح؟

قلنا: ما يلوح للأسرار الظاهرة من السموّ من حال إلى حال، هذا عند القوم. وعندنا هي ما يلوح للبصر إذا لم يتقيّد بالجارحة من الأنوار الذاتية، لا من جهة السّلب، وهي من أحوال أهل المسامرة (الباب: 211).

97- فإن قلت: وما السّمر؟

قلنا: خطاب الحق للعارفين من عالم الأسرار والغيوب: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: 193-194]، وهو خصوص في المحادثة.

98- فإن قلت: وما المحادثة؟

قلنا: خطاب الحق للعارفين من عباده من عالم المـُلك، كالنداء من الشجرة لموسى، وهو فرع عن المشاهدة .

99- فإن قلت: وما المشاهدة؟

قلنا: رؤية الأشياء بدلائل التوحيد؛ وتكون أيضا رؤية الحق في الأشياء؛ وتكون أيضا حقيقة اليقين من غير شك؛ وهي تتلو المكاشفة، وقد قيل تتلوها المكاشفة (الباب: 209).

100- فإن قلت: وما المكاشفة؟

قلنا: تحقيق الأمانة بالفهم، وتحقيق زيادة الحال، وتحقيق الإشارة التي تعطيها المحاضرة (الباب: 210).

101- فإن قلت: وما المحاضرة؟

قلنا: حضور القلب بتواتر البرهان، وعندنا مجاراة الأسماء بينها بما هي عليه من الحقائق في وقت التخلي (الباب: 257).

102- فإن قلت: وما التخلي؟

قلنا: اختيار الخلوة، والإعراض عن كلّ ما يشغل عن الحق؛ طلبُ التجلي - بالجيم- (الباب: 205).

103- فإن قلت: وما التجلي؟

قلنا: ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب بعد السّتر (الباب: 206).

104- فإن قلت: وما السِّتر؟

قلنا: كل ما سترك عن ما يفنيك، وقيل: هو غطاء الكون، وقد يكون الوقوف مع العادات، وقد يكون الوقوف مع نتائج الأعمال، ما لم يغلب سلطان الحق (الباب: 254).

105- - فإن قلت: وما المحق؟

قلنا: فناؤك في عينه بعد تحكم السحق (الباب: 255).

106- فإن قلت: وما السحق؟

قلنا: تفرّق تركيبك تحت القهر لأجل الزاجر (الباب: 252).

107- فإن قلت: وما الزاجر؟

قلنا: واعظ الحق في قلب المؤمن، وهو الدّاعي بحكم الزمان.

108- فإن قلت: وما الزمان؟

قلنا: السلطان، فإنه قد يحول بينك وبين الذهاب.

109- فإن قلت: وما الذهاب؟

قلنا: غيبة القلب عن حسّ كلّ محسوس بمشاهدة محبوبه، كان المحبوب ما كان، قبل الفصل (الباب: 179).

110- فإن قلت: وما الفصل؟

قلنا: فوْت ما ترجوه من محبوبك، وهو عندنا تميّزك عنه بعد حال الاتحاد الذي هو نتيجة المجاهدة (الباب: 201).

111- فإن قلت: وما المجاهدة ؟

قلنا: حمل النفس على المشاقّ البدنية، ومخالفة الهوى على كل حال، ولكن لا يتمكّن له مخالفة الهوى إلا بعد الرّياضة (البابان: 76-77).

112- فإن قلت: وما الرّياضة؟

قلنا: رياضة الأدب وهو الخروج عن طبع النفس، ورياضة الطلب وهي صحّة المراد به، وبالجملة فهي عبارة عن تهذيب الأخلاق النفسية، وذلك عن علـــّة .

113- فإن قلت: وما العلـّـة؟

قلنا: تنبيه الحق لعبده بسبب وبغير سبب، وهو من عين اللطف، وتسميه أهل الطريق "اللطيفة" (الباب: 207).

114- فإن قلت: وما اللطيفة؟

قلنا: كل إشارة دقيقة المعنى تلوح في الفهم، لا تسعها العبارة، وهي المؤدّية إلى التفريد. و قديطلقون اللطيفة على حقيقة الإنسان (الباب: 215).

115- فإن قلت: وما التفريد؟

قلنا: وقوفك بالحق معك، ومن شرطه التجريد.

116- فإن قلت: وما ا لتجريد؟

قلنا: إماطة السِّوي والكون عن القلب والسرّ من أجل حُكم الفترة.

117- فإن قلت: وما الفترة؟

قلنا: خمود نار البداية المحرقة، وهي حالة تشبه حالة الوقفة التي للواقفين.

118- فإن قلت: وما الوقفة؟

قلنا: الحبس بين المقاميْن مع العصمة من الوله.

119- فإن قلت: وما الوله؟

قلنا: إفراط الوجد بمشاهدة السرّ.

120- فإن قلت: وما السرّ؟

قلنا: سرّ العلم (هو) بإزاء حقيقة العالم به؛ وسرّ الحال (هو) بإزاء معرفة مراد الله فيه؛ وسرّ الحقيقة (هو) بإزاء ما تقع به الإشارة من الروح (الباب: 199).

121- فإن قلت: وما الروح؟

قلنا: الملقي إلى القلب علم الغيب على وجه مخصوص، تتلقاه منه النفس(الباب: 268).

122- فإن قلت: وما النفْـس؟

قلنا: ما كان معلولا من أوصاف العبد بحكم الشاهد (الباب: 267).

123- فإن قلت: وما الشاهد؟

قلنا: ما تعطيه المشاهدة من الأثر في قلب المشاهِد، وهو على صورة ما يضبطه القلب من رؤية المشهود؛ وعلى الشاهد يرد الوارد (الباب: 266).

124- فإن قلت: وما الوارد؟

قلنا: ما يرد على القلب من الخواطر المحمودة من غير تعمّل، وكلّ ما يرد على القلب من كلّ اسم إلهي، وهو الذي يعطي أحيانا حقّ اليقين (الباب: 265).

125- فإن قلت: وما حق اليقين؟

قلنا: ما حصل من العلم بالعلـّة، ولكن بعد عين اليقين (الباب: 269).

126- فإن قلت: وما عين اليقين؟

قلت: ما أعطته المشاهدة والكشف ابتداء، وبعد علم اليقين (الباب: 269).

127- فإن قلت: وما علم اليقين؟

قلنا: ما أعطاه الدليل الذي لا يحتمل الشبه الواردة من الخاطر (الباب: 269).

128- فإن قلت: وما الخاطر؟

قلنا: ما يرد على القلب والضمير من الخطاب، ربّانيا كان أو غير ربّاني، ولكن من غير إقامة؛ فإنْ أقام فهو حديث نفس، فصاحبه مفتقر إلى النـَّفَس (الباب: 264).

129- فإن قلت: وما النـَّفَس؟

قلنا: روح يسلطه الله على نار القلب ليطفئ شررها لأجل سلطان الحقيقة (الباب: 198).

130 - فإن قلت: وما الحقيقة؟

قلنا: سلب آثار أوصافك عنك بأوصافه، بأنه الفاعل بك فيك منك، لا أنت: ﴿**مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ**﴾ [هود: 56]، فكأنه حال البـُعد (الباب: 263).

131- فإن قلت: وما البـُعد؟

قلنا: الإقامة على المخالفات؛ وقد يكون البعد منك؛ و يختلف باختلاف الأحوال، فيدُلّ على ما تعطيه قرائن الأحوال؛ وكذلك القرب (الباب: 261).

132- فإن قلت: وما القرب؟

قلنا: القيام بالطاعة؛ وقد يطلق على حقيقة" قاب قوسين"، وهو قدر الخط الذي يقسم قطري الدائرة فيشقها بقسمين، وهو غاية القرب المشهود، ولا يدركه إلا صاحب إثبات لا صاحب مَحْو (الباب: 260).

133- فإنقلت فما المحو؟ وما الإثبات؟

قلنا: الإثبات إقامة أحكام العبادات، وإثبات المواصلات. وأمّا المحو فرفع أوصاف العادة، وإزالة العلـّة؛ وهو أيضا ما ستره الحق ونفاه؛ وعنه يكون الذوق (البابان: 252-253).

134- فإن قلت: وما الذوق؟

قلنا: أوّل مبادي التجلي المؤدّي إلى الشرب (الباب: 248).

135- فإن قلت: وما الشرب؟

قلنا: الوسط من التجلي من مقام يستدعي الريّ؛ وقد يكون من مقام لا يستدعي الرّي؛ وقد يكون مزاج الشارب لا يقبل الريّ (الباب: 249).

136- فإن قلت: وما الريّ؟

قلنا: غايات التجلي في كل مقام. فإن كان المشروب خمرًا أدّى إلى السّكر (البابان: 250-251).

137- فإن قلت: وما السّكر؟

قلنا: غيبة بوارد قويّ مفرح، يكون عنه صحو في الكبير (الباب: 246) .

138- فإن قلت: فما الصّحو؟

قلنا: رجوع إلى الإحساس بعد الغيبة بوارد قويّ (الباب: 247).

139- فإن قلت: وما الغيبة؟

قلنا: غيبة القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق، لشغل الحسّ بما ورد عليه من الحضور (الباب: 244).

140- فإن قلت: وما الحضور؟

قلنا: حضور القلب بالحق عند غيبته، فيتصف بالفناء (الباب: 245).

141- فإن قلت: وما الفناء؟

قلنا: فناء رؤية العبد فعله بقيام الله على ذلك وهو شبه البقاء (الباب: 220).

142- فإن قلت: وما البقاء؟

قلنا: رؤية العبد قيام الله على كلّ شيء من عين الــفَــرْق (الباب: 221).

143- فإن قلت: وما الفــَرْق؟

قلنا: إشارة إلى خلق بلا حق؛ وقيل مشاهدة العبودة وهو نقيض الجمع (الباب: 223).

144- فإن قلت: وما الجمع؟

قلنا: إشارة إلى حق بلا خلق، وعليه يرد" جمع الجمع" (الباب: 222).

145- فإن قلت: وما جمع الجمع؟

قلنا: الاستهلاك بالكلية في الله عند رؤية الجمال.

146- فإن قلت: وما الجمال؟

قلنا: نعوت الرحمة والألطاف من الحضرة الإلهية باسمـه" الجميـل"، وهـو الجمـال الـذي لـه الجلال.

المشهود في العالم (الباب: 242).

147- فإن قلت: وما الجلال؟

قلنا: نعوت القهر من الحضرة الإلهية الذي يكون عنده الوجود (الباب: 241).

148- فإن قلت: وما الوجود؟

قلنا: وجدان الحق في الوَجْد (الباب: 237).

149- فإن قلت: وما الوَجْد؟

قلنا: ما يصادف القلب من الأحوال المفـنية له عن شـهوده وإنْ تقدّمـه التواجـد (البـاب: 236).

150- فإن قلت: وما التواجد؟

قلنا: استدعاء الوَجد، و إظهار حالة الوجد من غير وجـد لأنـس يجـده صـاحبه (البـاب: 235).

151- فإن قلت: وما الأنس؟

قلنا: أثر مشاهدة جمال الحضرة الإلهية في القلب، وهو جلال الجمـال، فإنـه لا يكـون عنـه الهيبة (الباب: 240).

152- فإن قلت: وما الهيبة؟

قلنا: هي مشاهدة جمال الله في القلب؛ وأكثر الطبقة يرون الأنس والبسط من الجمال، وليس كذلك (الباب: 239).

153- فإن قلت: وما البسط؟

قلنا: هو عندنا مَن يسع الأشياء ولا يسعه شيء؛ وقيل: هو حال الرّجاء؛ وقيل هو وارد توجبه إشارة إلى قبول ورحمة وأنس، وهو نقيض القبض (الباب: 219).

154- فإن قلت: وما القبض؟

قلنا: حال الخوف في الوقت؛ ووارد يرد على القلب توجبه إشارة إلى عتاب وتأديب؛ وقيل: أخذ وارد الوقت. وهاتان الحالتان قد توجدان لأهل المكان (الباب: 218).

155- فإن قلت: وما المكان؟

قلنا: منزلة في البساط لا تكون إلا لأهل الكمال، الذين تحققوا بالمقامات والأحوال وجازوها إلى المقام الذي فوق الجلال والجمال، فلا صفة لهم ولا نعت. قيل لأبي يزيد (البسطامي) كيف أصبحت؟ قال: لا صباح لي ولا مساء، إنما الصباح والمساء لمن تقيّد بالصفة، ولا صفة لي. واختلف أصحابنا في هذا القول، هل هو شطح؟ أو ليس بشطح؟ فإن المكان اقتضاه له (الباب: 194).

159- فإن قلت: وما الشطح؟

قلنا: عبارة عن كلمة عليها رائحة رُعونة ودعوى، وهي نادرة أنْ توجد من المحقِّقين أهل الشريعة (الباب: 195).

160- فإن قلت: و ما الشريعة؟

قلنا: عبارة عن الأمر بالتزام العبودية الذي لا يكون معها عين التحكّم (الباب: 262).

161- فإن قلت: وما عين التحكم؟

قلنا: تحدّي الوليّ بما يريده إظهارا لمرتبته لأمر يراه فيزعجه (الباب: 224).

162- فإن قلت: وما الانزعاج؟

قلنا: أثر الواعظ الذي في قلب المؤمن، وفي أصحاب الأحوال التحرّك للوجد والأنس (الباب: 208).

163- فإن قلت: وما الحال؟

قلنا: هو ما يرد على القلب من غير تعمّل ولا اجتلاب، ومن شرطه أن يزول ويعقبه المِثْلُ بعد المِثل إلى أن يصفو، وقد لا يعقبه المِثل؛ ومن هنا نشأ الخلاف بين الطائفة في دوام الأحوال؛ فمن رأى تعاقب الأمثال- ولم يعلم أنها أمثال- قال بدوامه، واشتقّه مِن الحلول؛ ومن لم يُعْقِبه مِثل قال بعدم دوامه واشتقه مِن: "حال يحول" إذا زال، وأنشدوا في ذلك:

لو لم تحُل ما سُمِّيت حالا   وكلّ ما حال فقد زالا

وقد قيل: الحال يغيّر الأوصاف على العبد، فإذا استحكم وثبت فهو المقام (الباب: 192).

164- فإن قلت: وما المقام؟

قلنا: عبارة عن استيفاء حقوق المراسم على التمام؛ وغاية صاحبه أنْ" لا مقام"؛ وهو الأدب (الباب: 193).

165- فإن قلت: وما الأدب؟

قلنا: وقتا يريدون به أدب الشريعة؛ ووقتا أدب الخدمة؛ ووقتا أدب الحق. فأدب الشريعة: الوقوف عند مراسمها وهي حدود الله. وأدب الخدمة: الفناء عن رؤيتها مع المبالغة فيها برؤية مجريها. وأدب الحق: أن تعرف ما لك وما له، والأديب من كان بحُكم الوقت، أو مَن عرف وقته (البابان: 168-169).

166- فإن قلت: وما الوقت؟

قلنا: ما أنت به، من غير نظر إلى ماض ولا إلى مستقبل، هكذا حكم أهل الطريق.

167- فإن قلت: وما الطريق عندهم؟

قلنا: عبارة عن مراسم الحق المشروعة التي لا رخصة فيها، من عزائم ورُخص في أماكنها. فإنّ الرّخص في أماكنها لا يأتيها إلا ذو عزيمة. فإنّ كثيرا من أهل الطريق لا يقول بالرّخص، وهو غلط، فإنه تفوته محبة الله في إتيانها، فلا يكون له ذوق فيها؛ فهو كمثل الذي يقضي ولا يتنفّل دائما، وهو غاية الخطإ، بل المشروع أن يتطوّع، فإنْ نقصت فرائضه كملت له من تطوّعه وهو النوافل؛ وإن لم ينتقص منها شيئا كانت له نوافل كما نواها، ويحصل له ذوق محبة الله إيّاه من

أجلها. فقد أبطل شرع الله مَن لم تكن هذه حاله. فإنه إنْ كانت فريضته تامّة لم يجز قضاؤها، فقد شرع ما لم يُشرع له ولم يأذن به الله، وأنّ الله ما يكتبها له نافلة، فإنه ما نواها، وقد أساء الأدب مع الله حيث سمّاها الله تطوّعًا، وقال هذا: قضاء، فلا يحصل له ثمرة النوافل لأنها غير منويّة، ولا ورد في ذلك شرع أنه يكتب له ما نواه قضاء نافلة. هذا هو الطريق الذي يكون فيه سفر القوم (الباب: 191).

168- فإن قلت: وما السفر؟

قلنا: القلب إذا أخذ في التوجّه إلى الحق – تعالى- بالذكر بحقّ أو بنفس، كيف كان يسمّى مسافرا (الباب: 190-191).

169- فإن قلت: وما المسافر؟

قلنا: هو الذي سافر بفكره في المعقولات، وهو الاعتبار في الشرع، فعبر من العُدوة الدنيا إلى العُدوة القصوى، وهو العامل السالك (البابان: 189-190).

170- فإن قلت: وما السّالك؟

قلنا: هو الذي مشى على المقامات بحاله، لا بعلمه: وهو العمل؛ العلم له عيْنا. قال ذو النون (المصري): لقيت فاطمة النيسابورية فما ذكرتُ لها مقاما إلا كان ذلك المقام لها حالا. وقد يحصل هذا للمراد والمريد (الباب: 229).

171- فإن قلت: وما المراد؟ وما المريد؟

قلنا: المراد عبارة عن المجذوب عن إرادته، مع تهيّؤ الأمر له، فجاوز الرّسوم كلها والمقامات من غير مكابدة. وأمّا المريد فهو المتجرّد عن إرادته. وقال أبو حامد (الغزالي): "هو الذي صحّ له الأسماء، ودخل في جملة المنقطعين إلى الله بالاسم". وأمّا المريد عندنا فنطلقه على شخصين لحالين، الواحد: مَن سلك الطريق بمكابدة ومشاق، ولم تصرفه تلك المشاق عن طريقه؛ والآخر: مَن تنفذ إرادته في الأشياء، وهذا هو المتحقق بالإرادة لا المراد (البابان: 227- 228).

172- فإن قلت: وما الإرادة؟

قلنا: لوْعة في القلب يُطلقونها ويريدون بها إرادة التمنّي وهي منه؛ وإرادة الطبع ومتعلقها اللحظّ النفسي؛ وإرادة الحق ومتعلقها الإخلاص؛ وذلك بحسب الهاجس (الباب: 226).

173- فإن قلت: وما الها جس؟

قلنا: الخاطر الأول، وهو الخاطر الرّباني الذي لا يخطئ أبدا، ويسمّونه السّبب الأوّل و نقر الخاطر. (وإذا تحقق في النفس سمّوه: إرادة؛ وإذا تردّد الثالثة سمّوه: همّا؛ وفي الرّابعة سمّوه: عزْمًا؛ وعندالتوجّه إلى الفعل إن كان فعلا سمّوه: قصدًا؛ ومع الشروع في الفعل سمّوه: نيّة) (الباب: 264).

فهذا قد بيّنا لك ارتباط المقامات و المراتب بضرب من التناسب، وتعلق بعضها ببعض. وقليل مَن سلك في إيضاحها هذا المسلك، وهذا مساق المسلسل في لغات العرب. وهي طريقة غريبة أشار إليها إبراهيم بن أدهم وغيره - رضي الله عنهم- وبان منها شرح ألفاظ اصطلاح القوم. فحصل من ذلك منها فائدتان، الواحدة: معرفة ما اصطلحوا عليه، والثاني: المناسبات التي بينها. والله الموفق.

174- العَدْل، والحق المخلوق به:

هو عبارة عن أوّل موجود خلقه الله، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الحجر: 85].

175- الأفراد:

عبارة عن الرجال الخارجين عن نظر القطب.

176- القطب:

هو الغوث، وهو عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله من العالَم في كلّ زمان، وهو على قلب إسرافيل عليه السلام (البابان: 270-271).

177 - الأوتاد:

عبارة عن أربعة رجال منازلهم على منازل الأربعة الأركان من العالَم: شرق وغرب وشمال وجنوب؛ مقام كلّ واحد منهم مقام تلك الجهة (والتقسيم من الكعبة) (الباب 16).

178- الأبدال:

هم سبعة. ومن سافر من القوم من موضع وترك جسدًا على صورته حتى لا يعرف أحدٌ أنه فـُقِد، فذلك هو البدَل لا غير؛ وهم على قلب إبراهيم عليه السلام (الباب: 15).

179- النقباء:

هم الذين استخرجوا خبايا النفوس، وهم ثلاثمائة (وهم على قلب آدم عليه السلام).

180- النجباء:

هم أربعون، وهم المشغولون بحمل أثقال الخلق فلا يتصرّفون إلا في حقّ الغير.

181- الإمامان:

هما شخصان أحدهما عن يمين الغوث ونظره في الملكوت، والآخر عن يساره ونظره في الملك، وهو أعلى من صاحبه، وهو الذي يخلف الغوث (الباب 270).

182 - الأمناء وهم الملامية:

هم الذين لم يظهر على ظواهرهم ممّا في بواطنهم أثر ألبتّة، وهم أعلى الطائفة، وتلامذتهم يتقلبون في أطوار الرّجوليّة (الباب: 309).

183- الأخفى:

هو سرّ السّرّ، وهوما انفرد به الحق عن العبد

184- ما عدد الأولياء الذين لهم في طبقاتهم أعداد ثابتة في كلّ زمان؟

أجاب الشيخ عن هذا السؤال في جوابه عن السؤال الأوّل من أسئلة الحكيم الترمذي في الباب 73 من الفتوحات، فقال:

أمّا عدد الأولياء الذين لهم عدد المنازل فهم ثلاثمائة وستة وخمسون نفسا؛ وهم الذين على قلب آدم، ونوح، وإبراهيم، وجبريل، وميكائيل، وإسرافيل. وهم (على التتالي): ثلاثمائة، وأربعون، وسبعة، وخمسة، وثلاثة، وواحد. فيكون المجموع ستة وخمسين وثلاثمائة، هذا هو عند أكثر الناس من أصحابنا، وذلك للحديث الوارد في ذلك. وأمّا طريقتنا وما يعطيه الكشف الذي لا مرية فيه فهو المجموع من الأولياء الذين ذكرنا أعدادهم في أوّل هذا الباب، ومبلغ ذلك خمسمائة نفس وتسعة وثمانون نفسا (منهم الرجبيون الأربعون، ومنهم رجال عالم الأنفاس و هم على قلب داود -عليه السلام- ولا يزيدون ولا ينقصون)؛ منهم واحد لا يكون في كل زمان و هو الختم المحمّديّ (ويعني الشيخ بهذا الختم هو نفسه كما صرّح بذلك في العديد من أشعاره ونصوص له أخرى). وما بقي فهم في كل زمان لا ينقصون و لا يزيدون. وأما الختم فهذا زمانه وقد رأيناه وعرفناه تمم الله سعادته، علمته بفاس سنة خمس وتسعين وخمسمائة. والمجمع عليه من أهل الطريق أنهم على ست طبقات أمّهات: أقطاب، وأئمة، وأوتاد، وأبدال، ونقباء، ونجباء. وأمّا الذين زادوا

على هؤلاء في الكشف فطبقات الرجال عندهم الذي يحصرهم العدد ولا يخلو عنهم زمان: خمس و ثلاثون طبقة لا غير (وقد فصّل الشيخ أعداد أولياء كل طبقة وحالهم وما يتميّزون به في بداية الباب 73)، ومرتبة الختمين، و لكن لا يكونان في كل زمان، فلهذا لم نلحقهما بالطبقات الثابتة في كل زمان. (أي الختم المحمّدي الخاص الذي هو الشيخ نفسه، والختم الآخر هو ختم الولاية العامّة وهو عيسى عليه السلام عندما ينزل في آخر الزمان تابعا للشرع المحمّديّ)

رموزعرفانية للشيخ محيي الدّين ابن العربي

شَحَن الشيخ ابن العربي ديوانه المشهور (ترجمان الأشواق) بعشرات الرّموز المشيرة إلى مواجيد صوفية وحقائق عرفانية، ثمّ شرحها مبيّنا دلالاتها عنده في كتاب (ذخائر الأعلاق في شرح ترجمان الأشواق)؛ ونفس هذه الرّموز وغيرها نجدها في ديوان المعارف الكبير الذي لا يزال قسمه الأكبر مخطوطا.

فمنها رموز دينيّة، كاستعماله لأسماء بعض الأنبياء رموزا (إدريس- داود – سليمان- آدم- موسى- عيسى...) وكذلك الكتب المقدّسة (القرآن والتوراة والإنجيل والزبور) ورجال الدّين (القِسّيس- البطاريق – الشماميس- الرّهبان- الأوثان) والأماكن المقدّسة (الكعبة- الدّير...).

ومنها رموز فلكية وزمانية: الشموس- البدور- النجم- الليل- السَّحَر- الشفق- الشروق- الضحى- الغروب.

ومنها رموز طبيعية: الخميلة- العود المورق- المياه- الجداول- البستان – الأزهار- الأراك- البان- الغصون- الرّوض- السحاب- البرق- الرّعد- المطر- الطلّ- الوبْل- الندى- الظل الظليل- الورد- الفَنَن- اليباب- القفر- البلقع- الرّمال- الصخر.

ومنها رموز حيوانية: الإبل- الظباء- الغزلان- الحمامات- النسور- الطواويس.

ومنها رموز أسماء أشخاص اشتهروا بالحبّ: قيس وليلى- جميل وبثينة – لبنى – سلمى- زينب- عنان- ميّة- بشر- هند.

وفي ما يلي مجموعة من هذه الألفاظ ومعها معناها الرّمزي الذي أعطاه الشيخ لها. وكنموذج لشروح الشيخ لرموزه نورد شرحه للقصيدة الأولى التي افتتح بها ديوان (ترجمان الأشواق)، ثمّ تحليله وانتقاده لأبيات في المحبّة أوردها في بداية الباب 198 من الفتوحات وهو في معرفة النّفَس- بفتح الفاء-

{أ}

1- **الأبرَقـيْن:** يرمز إلى مشهديْن من مشاهد الذات الإلهية، مشهد في عالم الغيب، ومشهد في عالم الشهادة، وذلك استلهاما من لفظة "البرق". وهو في الأصل اسم مكان.

2- **أبيض:** منزّه عن الشهوة .

3- **الأحبّة:** الأنبياء ، وكذلك رمز للأسماء الإلهية .

4- **أحمر:** رمز للشهوة، وللجمال.

5- **أجياد:** هو في الأصل اسم جبل يشرف على الحرم المكي، فيرْمز به إلى مقام إلهي.

6- **إدريس:** مقام الرّفعة والعلو، قول الله – تعالى – عنه: ﴿وَرَفَعْنَهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: 56].

7- **أرَاك:** نوع من الشجر يرمز به لمقام التقديس والرّضا.

8- **أوانس:** الأرواح الحافون من حول العرش، سماهم أوانس لوقوع الأنس بهم.

{ب}

9- **بان:** شجر البان يُرمز به للبُعد، وللنور وللتنزيه، والشوق والتوقان .

10- **بان النقا:** روضة الكثيب الذي هو مشهد الرّؤية.

11- **بدور:** تأتي عادة مقرونة بـ"الخدور"، ويكون معنى "البدور في الخدور": الحسان المستّرات ، وهي رمز إلى العلوم وأسرارها. وأيضا ترمز "البدور" إلى الحقائق الإلهية. ويرْمز" البدر" إلى النور الإلهي، وغروب البدر في خلدي" معناه غروبه عن عالم الحسّ، وترجيحه جانب الستر على جانب الكشف.

12- **برق:** مشهد الذات الإلهية، ويذهب بالأبصار ولا يكاد يتحقق؛ فالبرق لا يريك إلا اللمعان حجابا عليه، فنحن لا نرى البرق وإنما نرى سناه. والبروق ترمز أيضا إلى الصور في عالم الشهادة، لتنوّعها وسرْعة زوالها؛ ومن هنا كان "البرق" رمزا إلى رؤية الحق في الخلق.

13- **برقة ثهْمَد:** اسم مكان، وتأتي مرادفة لكلمة برق.

14- **بُرْقع:** رَمز عن ما يحتجب به العارفون عن عامّة الناس..

15- **بستان:** حضرة الحق- سبحانه-، والأزهار في البستان هي مخلوقاته .

16- **بلقيس**: الحكمة الإلهية التي تجمع بين العلم والعمل، لأنه قيل عنها إنها ولدت من لقاء بين الجن والإنس، ففيها من الجن علمه اللطيف، ومن الإنس عمله الكثيف، أي أنها رمز لاجتماع الروح والجسد في الإنسان.

17- **بنات الملوك**: الزّاهدات .

18- **بياض**: الوضوح والتعيين .

19- **البيضاء**: الشمس ، وترمز البيضاء إلى الحكمة الإدريسية، لإقامة إدريس – عليه السلام- في السماء القطبية الرّابعة المناسبة لفلك الشمس، وفيها من العلوم ما في الشمس من الحقائق.

{ت}

20- **توراة**: إشارة إلى النور، مِن: ورى الزّند، أي أخرج ناره.

{ث}

21- **ثكلى**: هي التي فقدت وحيدها، ولذا فهي رمز على مَن فقد خصائصه الفرْدية المميّزة

22- **ثنايا**: نور المناجاة لتعلـّقها بالفم.

{ج}

23- **جبال**: السّبل التي يهدي الحق إليها بعد الجهاد.

24- **جداول**: فنون العلوم الكونية .

25- **جَـنَى**: ما يتلقاه الملقَى إليه من الملـقِّي، كالمريد من الشيخ، والنبي من الملك، و"الجاني" هو المحصِّل لثمرات الإلقاء بيد اللطف، لا بيد القهر.

26- **جُـيـوب**: الحُجب والملابس التي هي النعوت العلوية المقدّسة.

{ح}

27- **حاجر**: اسم مكان، يرمز إلى موضع الحِجْر الذي يحول بين الطالب وبين مطلوبه؛ ويرمز أيضا إلى عالم البرزخ.

28- **حادي**: الشوق الذي يحدو بالهمم إلى منازل الأحبّة.

29- **حِـبْـر**: رمز إلى التوراة.

30- **حِسان**: الحِكَم الإلهية، وتشير أحيانا إلى مقام المشاهدة والرّؤية.

31- **حَمام**: الواردات الإلهية .

{خ}

32- **خدور**: الأعمال التي كـُلِـّف بها الإنسان، وهي "خدور" لأنها تحتوي على أسرار من العلوم والمعارف.

33- **خـُرّد**: الحِكم الإلهية، وتشير أيضا إلى العلم الإيماني لأنّ الخرّد هنّ ذوات الحياء، والحياء من الإيمان.

34- **خميلة**: قلب الإنسان بما يحمله من المعارف الإلهية.

35- **خيام**: مقامات الحُجب.

{د}

36- **داود**: رمز للزّبور.

37- **دُجى**: الغيب، فهو الليل الذي هو محلّ الستر.

38- **دُرّ**: الحكمة الإلهية – وعرش الدرّ: رمز إلى أنّ الحكمة الإلهية إذا حصلها العبد أفنته عن مشاهدة ذاته، كأنها ملكة تجلس على عرش.

39- **دمقس**: يرمز إلى التنزيه، لأنه الحرير الذي لم يصطبغ بلون.

40- **دُمَى**: إشارة إلى المعابد السّرْيانية العيسوية. وترمز أيضا إلى الحسان المستترات في الخدور، وهي المعارف.

41- **الدّيار**: المقامات.

42- **الدِّيــر**: حالة سرْيانية.

{ذ}

43- **ذو سَــلَــم**: اسم مكان يرمز إلى الجمال الطبيعي.

{ر}

44- **رَاعي النجم**: حافظ ما تحمله العلوم.

45- **رَاقد الليل**: الغافل عن الحق، انشغالا بالأكوان الطبيعية.

46- **رَبّة الحِمَى**: الحقيقة الموسوية.

47- **رُبوع دارسات**: ما بقي في مقامات العارفين من آثار في سيرهم إلى التحقق بالمعرفة والعلم.

48- **رَعد**: مناجاة إلهية .

49- **رَكائب**: السّحاب.

50- **رَوْض**: مكان أو حضرة الجمع. و"الرّوض النـّدِي": مقام نشأة الاعتدال.

51- **رَوْضة**: حضرة الأسرار الإلهية المتعلقة بحقائق الأسماء، لأنّ الروضة جامعة لفنون الأزهار.

52- **روضة الوادي**: الشجرة التي ظهر فيها النور لموسى.

53- **رياض**: رياض المعارف.

54- **ريح**: الأنفاس الشوقية .

{ز}

55- **زَرُود**: هي رَمْلة في قفر، ترمز إلى عدم الاستقرار، لأنّ الرّمل تنقله الرياح عن حالاته وعن أمكنته. وترمز أيضا إلى المجاورة من غير ألفة، لأنّ الرّمل يتجاور ولا يلتفّ.

56- **زهــــر**: الأزهار ترمز أحيانا إلى الخلق.

57- **زَوْرَاء**: حضرة القطب لميلها إلى الحق المشروع.

{س}

58- **سحاب**: الأحوال التي تنتج المعارف.

59- **سحاب مطير**: المعارف والعلوم الربّانية.

60- **سَحَـر**: موضع الفصل بين حقائق الجسد الظلمانية وحقائق الروح النورانية.

61- **سَـنا**: الحِكمة الإلهية.

62- **سَـلْع**: جبل يشرف على المدينة، وهو رمز للمقام المحمّدي.

63- **سلمى**: الحالة السليمانية الواردة من مقام النبوّة.

64- **سواد**: عالم الجلال والهيبة.

{ش}

65- **شراب**: المرتبة الثانية من مقام التجلي (فمقامات التجلي أربع: ذوق، شراب، ريّ، سكر).

66- **شرق**: موضع الظهور الكوني، أي عالم الحسّ والشهادة.

67- **شَـفَــق**: حمرة الخَـفَــر الذي هو شدّة الحياء.

68- **شمس**: الحكمة الإلهية (كالشمس يتوقف أثرها على نوع ما تهبط عليه، فإمّا مُثمرة أو مُهلكة). وأنوار الشموس: الأرواح الحافون حول العرش. وتشير الشمس إلى النصوع ، والرفعة، والمنفعة.

69- **شمس ضحى**: وضوح التجلي عند الرؤية.

70- **شِملة**: هِمّة معيّنة لأمر مخصوص وقع العشق به.

71- **شِيح**: مَيْل، لأنّ فعا "أشاح" يعني أعرض ومال بوجهه.

{ص}

72- **صَبا**: عالَم الأنفاس؛ وهي الريح الشرقية، والشرق يرمز إلى مطلع الظهور الكوني، أي عالم الحسّ والشهادة.

73- **صَخَرات**: الصور الحسّية التي تتجسّد فيها المعاني المجرّدة؛ وترمز أيضا إلى الأجساد التي تخفي أرواحًا.

{ط}

74- **طَلّ**: معارف نزلتْ على قلوب ساذجة.

75- **طَلَل**: ما بقي من الأثر الطبيعي، فهو يرمز إلى ما بقي من مقامات العارفين من آثار سيرهم إلى العلم بالله.

76- **طلول**: أثر منازل الأسماء الإلهية في قلوب العارفين .

77- **طنافس**: البرّ والإكرام اللذان يمهّد بهما الحقّ منازل الوَاردين من عالم الأكوان.

78- **طواويس**: الأرواح في جمالها وحسنها. وترمز أحيانا إلى عالم الملأ الأعلى. وأحيانا إلى الأحبّة.

{ظ}

79- **ظبْي**: اللطيفة الإلهية. وترمز للحكمة الإلهية في تجرّدها،لأنّ الظباء فيها شرود وملازمة للفيافي. والظبي ذو العنق الطويل رَمز للنور، لأنّ العُنق يشير إلى النّور.

80- **ظبي مبرْقع**: الحكمة الإلهية محجوبة بحال نفسية من أحوال العارفين.

81- **ظِل الظليل**: هو المقام المحمّدي الموسوي. قال الله – تعالى – عن موسى – عليه السلام-: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾.

82- ظلام الليل: حجاب الغيب. ظلام الليل أرخى سدوله: النشأة الحيوانية أخفت اللطائف الرّوحانية.

{ع}

83- **عرفات:** مقام الجمعية في باب المعرفة.

84- **عنان:** الأمر الذي يُسيّر على الطريق الأقوم .

85- **عُودٌ مُورق:** الإنسان وقد اكتسى بالمعارف الرّبانية.

86- **عِيس:** الهمم؛ كما ترمز إلى مراكب الأعمال، والأعمال التي يصعد عليها الكلِم الطيب.

87- **عيسى:** إحياء الموتى بوساطة النطق. وعيسى – عليه السلام- متولّد من غير شهوة طبيعية، ولذا كان له سلطان على الطبيعة.

88- **العِين في الخيام:** حقائق العلوم، وهي محجوبة ولكنها كاشفات عن الحق حالة التستر، وفيها إشارة إلى مقام الرّجال الأكابر الملامتية.

{غ}

89- **غادة:** الحقيقة حين يكون لها تعطف بالكون؛ وهي تشير إلى المَيْل، كالأسماء الإلهية حين يكون بها ميل إلى عالم الكون.

90- **غديرة:** ضفيرة، وهي إشارة إلى الدلائل والبراهين لتداخل المقدِّمات بعضها في بعض كتداخل جدائل الضفيرة.

91- **غرب:** عالم التنزيه و الغيب.

92- **غزال:** الحكمة الإلهية المحبوبة، والغزال إشارة إمّا إلى "الغَزَل" الذي يكون للمحبوب، وإمّا إلى إلفه القفار ممّا يرمز إلى التجرّد.

93- **غزلان:** العلوم الشوارد التي لا تنظبط .

94- **غصون:** النفوس المهيّمة بجلال الله؛ و"ملابس الغصون": الأخلاق الإلهية.

95- **غصن نَقا:** الصفة القيّوميّة في روضة الأسماء الإلهية.

96- **غَضا:** مقام المجاهدة.

97- **غيضة الغضا:** شجرة مشتعلة الغصون، ترمز إلى لهب الحب.

98- **غَوْر:** الغيب.

{ف}

99- **فاتكة بالطرْف الأحْوَر**: علم المشاهدة الذي يحول بين صاحب الخلوة وبين نفسه.

100- **فتاة عَــرُوب**: الصورة الذاتية التي هي مطلب العارفين.

101- **فلك**: الصورة التي يقع بها التجلي؛ التبدّل والتحوّل في الصور.

102- **فنون**: أنواع المعارف.

{ق}

103- **قباب**: القبّة – لاستدارتها – رمز للامتناهي، وترمز أيضا للعمل المكسوب.

104- **القباب الحُمر**: اللون الأحمر رمز للجمال وللشهوة. فالقباب الحمر رمز لاحتجاب الحقائق المطلوبة ذات الجَمال.

105- **قِسِّــيــس**: رمز للإنجيل.

106- **قضيب رَطب**: نشأة الاعتدال.

107- **قطا**: رمز للصدق، يُقال: أصدق من القطا.

108- **قَــفْــر**: التجرّد.

109- **قــلْــب**: من التقليب، فهو يرمز إلى التغيّر من حال إلى حال.

110- **قــمَــر**: هو حالة بين البدر والهلال، فهو رَمز للمشهد البرزخي.

111- **قــمْريّــة**: نفس عارفة نطقت بأمر علويّ.

{ك}

112- **كَوَاعِــب**: الحِكم الإلهية.

{ل}

113- **الليل**: الغيب.

{م}

114- **ماء**: سرّ الحياة.

115- **مخضوبة البنان**: ما استترت به القدرة القديمة بالقدرة المحدثة على مذاهب أهل النظر.

116- **مَـرَض**: ميل.

117- **مطايا**: الهِـمم.

118- **المُـطوّقــة**: اللطيفة الإنسانية وما أخِـذ عليها مِن ميثـاق؛ وكـذلك ترمـز إلى الـنفس الكليـة مشارا إليها بالأثر الذي لها في النفس الجزئية التي ظهرت على صورتها.

119- **ملابس الغصون**: الأخلاق الإلهية.

120- **المنازل**: المقامات التي ينزلها العارفون بالله. وهي أيضا سُور القرآن الكريم.

121- **مَــيّــاد**: الحرَكة المستقيمة التي هي نشأة الإنسان.

{ن}

122- **نار**: المكاره التي يقتحمها السالك حتى يصل إلى المنازل العليّة.

123- **ناووس**: هو المدفن، ويرمز إلى المعارف إذا فارقهـا العـارفون، إذ المعـارف لا وجـود لهـا إلا بالعارفين.

124- **الـنــّـدى**: المعارف إذا نزلت على قلوب فيها جهالة.

125- **نِسْر**: الرّوح البرْزَخي الذي هو أقرَب إلى الملأ الأعلى.

126- **نور**: الخير المحض، أو الحكمة الإلهية، أو الناموس.

127- **نسيم الرّيح**: الرّقيقة الرّوحانية التي يتخذها العارفون سفيرا بينهم وبين ما يريدونه.

{هـ}

128- **الهادي**: الآتي بالملاطفة، قياسا على "الحادي" وهو الآتي بالزّجر. الإمام الهادي: الغوث قطب العالم.

{و}

129- **الوادي المقدس** –روضة الوادي: الشجرة التي ظهر فيها النور لموسى- عليه السلام-.

130- **وَبْـل**: معارف نزلت على قلوب فيها تشكيك.

131- **ورد روضي**: حمرة الوجنات يشير إلى مقام الحياء.

132- **الوُرْق**: الأرواح البرْزَخية.

شرح الشيخ للقصيدة الأولى من ديوانه : "ترجمان الأشواق"

أسقفة من بلاد الرّوم

الرّوح تقليب، والخاطر ارتجال، والسّماع اتّباع

مـا رَحلـوا يـوم بـانوا البُـزّل العِيـسا   إلاّ وقـد حملـوا فيهـا الطوَاويـسا

فيها: بمعنى عليها. البزّل: الإبل المسمّنة. رَحلوا: جعلوا رحالها عليها. الطواويس: كناية عن أحبّته شبههم لحسنهم.

المقصد: البزّل، يريد الأعمال الباطنة والظاهرة، فإنها التي ترفع الكلم الطيب إلى المستوى الأعلى، كما قال تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر: 10]. والطواويس: المحمولة في أرواحها، فإنه لا يكون العمل مقبولا ولا صالحا ولا حسنا إلا حتى يكون له روح مزيّنة عاملة أو همّة؛ وشبّهها بالطيور لأنها روحانية، وكنّى عنها أيضا بالطواويس لتنوّع اختلافها في الحسن وفي الجمال.

مِـن كـلّ فاتكـة الألحـاظ مالكـة   تخالهـا فـوق عـرش الـدرّ بلقيـسا

الفتك: القتل في صورة. مالكة: حاكمة. تخالها: تحسبها. العرش: السرير. بلقيس: المذكورة في القرآن في قصة سليمان-عليه السلام-.

المقصد يقول: مِن كلّ حكمة إلهية حصلت للعبد في خلوته، فقتلته عن مشاهدة ذاته وحكمتْ عليه، فإذا رأيتها حسبتها فوق سرير الدرّ، يشير إلى ما تجلّى لجبريل والنبي - عليهما الصلاة والسلام- في بعض إسراءاته في رَفرَف الدرّ والياقوت عند السّماء الدنيا، فغشي على جبريل وحده لعلمه بمن تجلّى له في ذلك الرّفرَف الدرّي. وسماها بلقيسا لتولّدها بين العلم والعمل، فالعمل كثيف والعلم لطيف، كما كانتْ بلقيس متولّدة بين الجنّ والإنس، فإنّ أمّها من الإنس وأباها من الجنّ؛ ولو كان أبوها من الإنس وأمّها من الجن لكانت ولادتها عندهم، وكانت تغلب عليها الروحانية، ولهذا ظهرت بلقيس عندنا.

إذا تمشّتْ على صَرْح الزّجاج ترى شمسًا على فَلَك في حِجْر إدريسا

إذا تمشّت: أي إذا سرَت وسارت.

المقصد: ذكَر صرح الزّجاج لّما شبّهها ببلقيس؛ وشبّه الصرح بالفلك؛ وكنّى بإدريس عن مقام الرّفعة والعلوّ؛ وكونْها في حِجره أي في حُكمه من جهة تصريفه إيّاها حيث يريد، كما قال - عليه الصلاة والسلام-: [لا تعطوا الحكمة غير أهلها]؛ فلولا الحُكم عليها ما صح التحكّم فيها، بخلاف المتكلم بغلبة الحال عليه، فيكون في حُكم الوارد. فينبّه في هذا البيت على تملكه ميرَاثا نبويّا، فإنّ الأنبياء يملكون الأحوال، وأكثر الأولياء تملكهم الأحوال. وقرَن الشمس وإدريس لأنها سماؤُه. وشبّهها بالشمس دون القمر تعريفا بمقام هذه الحكمة من غيرها، فكأنه يقول: قوّة سلطان هذه الحكمة إذا وردت على قلب صاحب التجريد أثمرتْ فيه ثمارًا حسانا ومعارف مختلفة، وإذا وردت على قلب متعشّق بما حصل فيه من المعارف أحرقتها وأذهبتها. وذكر المشي دون السّعي وغيره لنخْوتها وعجبها وانتقالها في حالات هذا القلب من حال إلى حال بضرب من التمكّن.

تحي ، إذا قتلت باللحظ ، منطقها كأنّها عندما تحيي به عيسى

المقصد: نبّه على مقام الفناء في المشاهدة بقوله: "قتلت باللحظ". وكنّى بالإحياء عند النطق لتمام التسوية لنفخ الروح. ووقع التشبيه بعيسى- عليه السلام- دون التشبيه بقوله: ﴿وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [ص: 72]، أو بقوله تعالى: ﴿أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن﴾ [النحل: 40] من وجهين، الوجه الواحد: الأدب، فإنا لا نرتفع إلى التشبيه بالحضرة الإلهية إلا بعد أنْ لا نجد في الكون مَن يقع التشبيه به فيما قصد؛ والوجه الآخر: أنّ عيسى لّما وُجِد مِن غير شهوة طبيعيّة، فإنه كان من باب التمثّل في صورة البشر، فكان غالبًا على الطبيعة، بخلاف من نزل عن هذه المرتبة؛ ولّما كان الممثل به روحا في الأصل، كانت في قوّة عيسى إحياء الموتى، ألا ترى السّامري لمعرفته بأنّ جبريل معدن الحياة حيث سلك، أخذ مِن أثَره قبضة فرَماها في العِجل فخار وقام حيّا؟

توْرَاتها لوْح ساقيْها سنا، وأنا أتلو وأدرسها كأنني موسى

الساق هنا جيء به لمّا كنّى عنى بلقيس والصرْح؛ وكانت قد كشفتْ عن ساقيها، أي بيّنـتْ أمرَها، ومنه قوله: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: 42]: الأمر الذي يقـوم عليـه بيـان الآخـرة، ومنه: ﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ [القيامة: 29] أي التفّ أمر الدنيا بأمرالآخرة. والتورَاة من وري الزّند: فهو رَاجع إلى النور، ويُـنسب إلى التوراة أنّ لها أربعة أوجه، فشبّه ساقيْها بـالتوراة في الأربعـة أوجه والنور، والأربعة الذين يحملون العرش الآن، و الكتب الأربعـة، وسـتأتي الإشـارة إليهـا مـع مناظرَتها مع أصحاب الكتب الأربعة في هذه القصيدة.

فكأنه يقول: إنّ أمر هذه الحكمة قام على نور، ولذا قال: "سنا"، فـإنّ النـور الـذي وقـع بـه التشبيه إنما وقع بأربعة: المشكاة، والمصباح، والزجاجـة، والزّيـت المـضاف إلى الزيتونـة المنزّهـة عـن الجهات، الثابتة في خط الاعتدال. ولمّا كنّى عن ساقيها بالتوراة، احتـاج إلى مـا يناسـب مـا وقـع بـه التشبيه من التلاوة والدّرس وذكر من أنزلت عليه. و"أتلو" هنا: أتبع. وأدرُسها: أي أطأ أثرَها، فيتغيّـر بصفتي كما يطأ أحدكم أثر غيره فيغيّره بوطئه إلى شكل ما وطئه به، فإنّ الدّرس التغيير.

أسـقفة مـن بنـات الـرّوم عاطلـة ... تـرى عليهـا مـن الأنـوار ناموسـا

الأسقف: عظيم الرّوم. والعاطلة: الخالية من الحلي. والناموس: الخير.

المقصد يقول: إنّ هذه الحكمة عيسويّة المَحْتد، ولهذا نسبها إلى الروم. وقولـه: عاطلـة، أي هي من عين التوحيد، ليس عليها من زينة الأسماء الإلهية أثر، كأنـه جعلـها ذاتيـة، لا أسمائيـة ولا صفاتية؛ لكن يظهر عليها من الخير المحض ما يكنّي عنه بـ"الأنوار"، وهي السُّبُحات المحرقة التي لو رفع سبحانه الحجب النورانية والظلمانية لأحرقتْ سبُحات وجهه، فهذه السّبحات هي الـتي كنّـى عنهـا بــ"لأنوار" التي في قوّة هذه الحكمة العيسوية، فهي الخيرالمحض، إذ هي الذات المطلقة.

وَحـشيّة مـا بهـا أنـس قـد اتّخـذتْ ... في بيـت خلوَتهـا للـذكر ناوُوسـا

الناووس: قبر من رخام كانت ملوك الرّوم تدفن فيه.

المقصد يقول: إنّ هذه الحكمة العيسوية لا يقع بها أنس، فإنّ مـشاهدتها فنـاء، لـيس فيهـا لذة، كما قال السيّاري: (ما التذ عاقل بمشاهدة قط)، لأنّ مشاهدة الحق فناء، ليس فيها لذة. وجعلها

"وحشية" أي أنها تشرد إلى مثلها النفوس الشريفة، وهي لا تألف إليها لعدم المناسبة، فلهذا جعلها "وحشية".

وقوله: "يت خلوتها"، فكنّى بالبيت عن قلبه، وخلوتها فيه نظرُها إلى نفسها؛ فإنّ الحق يقول: [ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن]. ولّما كان هذا القلب الذي وسع هذه الحكمة الذاتية العيسوية في مقام التجريد والتنزيه، كان كالفلاة، وكانت في كالوحش، فلهذا قال أيضا: "وحشية". ثمّ ذكر مدفن ملوك الروم تذكرة لها، أي تتذكر الموت الذي هو فرَاق الشمل؛ فألفت من التألّف بعالم الأمر والخلق من أجل الفراق، فيذكِّرها ذلك القبر حالة الفراق، فيزَهِّدها في اتخاذ الألفة.

قد أعجزتْ كلّ علاّم بملّتنا وداوُديّا وحبْرًا ثمّ قِسِّيسا

لّما كانت هذه المسألة ذاتية، وكانت الكتب الأربعة لا تدلّ إلا على الأسماء الإلهية خاصّة لها، لم يقاومها ما تحمله هذه الكتب من العلوم، وكنّى عنها بحاملها. فكنّى عن القرآن بـ"العلاّم"، وعن الزبور بالمنسوب إلى داود، وعن التوراة بالحبر، وعن الإنجيل بالقسيس.

إنْ أوْمَأتْ تطلب الإنجيل تحسبها أسقفة أو بطاريقا شَماميسا

يقول: إنْ كان من هذه الرّوحانية إشارة من كوْنها عيسوية إلى الإنجيل، بطريق التأييد له فيما وضع له بحسب الخواطر هنا، كُنّا لديها بمنزلة هؤلاء المذكورين الذين هم حُمّال هذا العلم وساداته والقائمون به، خادمون بين يديها لِما بقي عليها من العزّة والسلطان.

ناديتُ إذ رَحلتْ للبيْن ناقتها: يا حادي العيس لا تحدو بها العيسا

يقول: هذه الرّوحانية الذاتية لّما أرَادت الرّحيل عن هذا القلب الشريف، لرُجوعه من مقام: [لي وقت لا يسعني فيه غير ربّي] إلى النظر في مصالح ما كُلِّف به من القيام بالعوالم بالنظر إلى الأسماء، رحلتْ الهمّة التي جاءت عليها لهذا القلب، وكنّى عنها بالناقة. والملائكة المقرّبون

المهيّمون هم حُداة هذه الهمم؛ فأخذ يخاطب رُوحانيّا بكناية "الحادي" أنْ لا يسيروا بها لِما لها من التعشق والتعلق والإنسانية، تمنّى استدامة هذه الحالة.

عَبَّيْتُ أجيادَ صبري يوم بيْنهِمُ ... على الطريق كرَاديسًا كرَاديسَا

سألتُ إذ بلغتْ نفسي ترَاقيَها ... ذاك الجمال وذاك اللطف تنفيسا

أراد بالطريق: المعراج الرّوحاني. والكرَاديس: الجماعات، واحدها كرْدوس.

وقوله: تنفسيا، يريد ما أراد النبي - صلى الله عليه و سلم - بقوله: [إنّ نفَس الرّحمن يأتيني مِن قِبَل اليمن].

يقول: أريد - إذ ولا بدّ من رحيلها- فلا يزال عالم الأنفاس من جهتها يأتيني مع الأحوال، وهو الذي أيضا تشير به العرب في أشعارها بإهداء التحيّة والأخبار مع الرّياح إذا هبّت، فكنّى عن هذا المقام هنا بالأنفاس.

فأسلمتْ، وَوَقانا الله شرّتها ... وزحزح الملكُ المنصورُ إبليسا

يقول: فأجابتْ وانقادت إلى سؤاله، ووقانا الله سطوتها، كما قال: [وأعوذ بك منك]، هذا مقامه. "وزحزح الملك": يريد خاطر العلم والهداية، "إبليسا": خاطر الاتحاد. فإنّ هذا مقام صعب قلّ من حصل فيه فسلِم من القول بالاتحاد والحلول، فإنه المشار إليه بقوله: [كنتُ سمعه وبصره] ،الحديث.

نقد أبيات لطيفة المبنى كثيفة المعنى

من الباب 198 من "الفتوحات المكّية" وهو في معرفة النّفَس

وقد رأينا من رجال الرّوائح جماعة، وكان عبد القادر الجيلي منهم، يعرف الشخص بالشمّ. أخبرني صاحبي أبو البدر عنه أنّ ابن قائد الأوَاني جاء إليه؛ وكان ابن قائد يرى لنفسه حظاً في الطريق، فأخذ عبد القادر يشمّه نحو ثلاث مرّات، ثم قال له: "لا أعرفك"؛ فكان ذلك تربية في حقّه،

فعَلت همّة ابن قائد إلى أن التحق بالأفراد. والنـــّفَس أبداً أكثر ما يظهر حُكمه في المحبّين العـشاق، هو مقامهم ومرتيتهم، ويضيفون ذلك إلى نفــَس الرّياح، لا إلى نفــَس الأرْواح، كما قال بعضهم:

ناشــدتك الله نــسيم الــصّبـــا	**مِــن أيــن هــذا النّفــَس الطــيّب**
هــلْ أوْدَعْــتَ بُـرْداك عنــد الـضحى	**مكـانَ ألقــــتْ عِــقـدَهــا زينــب**
أو ناسَــــمتْ ريّــاك رَوْض الحمَــى	**وذيْلـــُها مــن فوقـــها تَـــسْحَبُ**
فهــات أتحــفــــــني بأخبـارهـــا	**فعــهْـــدك اليــــوم بـهــا أقــرَبُ**

هذه الأبيات - على لطافتها ورقــّتها- مِن أكثـف مـا قيـل في عـشق الأرْواح، لأنّ نـسيم الأرواح ألطف من نسيم الرّياح، لأنها بعيدة المناسـبة عـن عـالم الطبيعـة، والرّيـاح ليست كـذلك. فالأرواح إذا تنسّمتْ لا تسوق إلا طيّبًا، فإنها تهبّ من الحضرة الذاتية، مـن الغيـب الأقـدس، فـلا تأتي إلا بكلّ طيّب وطيّبة. والرّياح ليست كذلك لأنها من عـالم الطبيعـة، فـإنْ مـرّت علـى خبيـث جاءت بخبيث، وإنْ مرّت بطيّب جاءت بطيّــب. ونـسيم الأرواح إذا مـرّ بخبيـث ردّه طيّبـا، وإذا مـرّ بطيّب زاد طِيبًا. فلو كان هذا القائل عاشقاً حقيقـة لا يـتكلم بـدعوى زور، لم يجعـل الطِــّيب مِـن زينب وإنْ كانت طيّبة. فلو ذكر أنّ طِيبها زاد به طِيب المكان طِيبًـا، وجعل محبوبته تـنمّ بأسـرَارها الرّياح فليست بمنيعة الحمى، وعالم الطبيعة يخترقها، وهو الرّيح. وأخذ يهجو الـرّيح حيـث تعجّـب من أين له هذا النّفَس الطيّب؟ فلو ساق الطيب بطريق المفاضلة بأنْ يقول: مِـن أيـن هـذا الـنفس الأطيب؟ فإنه لم يكن الرّيح بأمر زائد على نفــَس محبوبته إذا حقــّقتَ، لأنهـا عــيْن الطيـب، حيـث ظهر طيبٌ.

وسألني بعض أصحابي أن أشرح له هذه الأبيات لو قالها عارفٌ من المحبّين الإلهيين فأجبتـه إلى ذلك. فأنا أشرحها - إن شاء الله- ثم أعود إلى الكلام على تحقيق النفــَس في هذا الباب. فنقول - والله يقول الحق وهو يهدي السبيل-:

قوله يخاطب نسيم الصَّبا: "**ناشدتك الله**": اعلمْ أنّ الصّبا هـي ريـح القبـول؛ والـصّبا(هـو) الميْل، والميْل قبول. وسُمِّيتْ الصّبا قبولا لأنّ العـرب لّمـا أرادتْ أنْ تعـرّف الرّيـاح حتـى تجعـل لهـا أسماء تذكرها بها لتــُعرَف، فاستقبلت مطلع الـشمس، فكـلّ ريـح هبّـت عليهـا مـن جهـة مطلـع الشمس، استقبلته، إذ كان وجهها إلى تلك الجهة، فسمّتها: "قبولاً". وما أتى إليها من الـريح عـن دُبُـر

في حال استقبالها ذلك سمّته: "دبورًا"، وهي الريح الغربية. وما أتاها منها في هبوبها عن الجانب الأيمن سمّته: "جنوباً"؛ وعن جانب الشمال سمّته: "شمالاً". وكل ريح بين جهتين من هذه الجهات تهبّ سمتها: "نكباء"، من النكوب وهو العدول، أي عدلتْ عن هذه الأربع الجهات. والنسيم أوّل هبوب الرّيح؛ والشيء المستلذ إذا فاجأك ابتداء فهو ألذ من استصحابه، مثل قوله "أحلى من الأمن عند الخائف الوَجل". ولهذا نعيم الجنان جديد في كل نفَس. فلذلك ما ناشد إلا النسيم لالتذاذه به؛ وجعله نسيم الصّبا لأنها ريح شرقية، قبول. فأعطته الريح من أخبارها بما جاءت به من طِيبها ما يعطيه قبولها لو أقبلتْ، ورؤيتها لو طلعتْ عليه كما تطلع الشمس؛ لأنّ الصّبا ريح شرقية، والشروق طلوع الشمس، والإشراق ضوء الشمس. وقوله: "ناشدتك" أي طالبتك مقسماً بالله، والناشد الطالب، فهو كالمستفهم. وهذا يدلّك على قلّة معرفته بمحبوبه، حيث جعل له أمثالاً، لقوله: "مِن أين هذا النفس الطيّب؟"، فإنه ثَمّ مَن له أنفاس طيّبة. فلو استفرغ في شغله بمحبوبه، ولم ير مشهوداً له سواه، ما استفهم، إذ كلّ من استفهم فقد أحضر ذلك في ذهنه.

فهذا شاعر أحضر الاشتراك في ذهنه، فشهد على نفسه بنقصان المعرفة إنْ كان عارفاً، ونقصان المحبّة إنْ كان مُحِبّا عاشقاً. فإنْ أراد مِن المحبوب كثرَة وجوهه وتجلّيه في أعيان متعدّدة، كالأسماء الإلهية لله مع كونه ذاتاً واحدة، ومع هذا فله تسعة وتسعون اسماً فما فوق ذلك، فيريد: في أيّ اسم كان، لمّا هبّت هذه الرّيح، وهي نسمة قبول إلهيّ، لطيفة الهبوب، أوْرَثتْ في القلب لطفا ورقّة بهبوبها؟ فاستفهم الرّيح لما جاءت به من الطيب المستلذ فقال:

هل أوْدَعتْ بُرْداك عند الضّحى — مكانَ ألقتْ عِقدَها زينبُ

اعلم أنّ هذا البيت مِن أدلّ دليل على أنه ليس بمحبّ، وأنّ هذا القول هو إلى هجاء المحبوب أقرب منه إلى الثناء والمدح. وذلك أنه لمّا جاءته الرّيح بهذا النفَس الطيّب، أضاف ذلك الطِيب إلى ما حصل للمكان الذي ألقت عِقدها زينب فيه، فهو ثناء على العِقد؛ فإنّه يريد أنّ عقدها كان عنبريّة، ذا طيب، فطاب المكان بذلك العقد؛ وما ذكر أنّ العقد إنما اكتسب الطِّيب من روائح زينب، أو عَرْفها، أو أنفاسها. فلو سلك في كلامه أنّ طيب المكان(إنما كان) ممّا تنفّست فيه زينب، فلو قال مثل ماقلنا:

هـل أودعـتْ بُـرْداك عنـد الـضحى	**طيـب مكـان طَـيّـَبـَتْ زينـبُ**
أنفاسُـه مـن طِيـب أنفـاسهـا	**فطِيبُها مِن طِيبه أعجـبُ**

ولنا في هذا المعنى في غير هذا الرّوي:

ما الطِّيبُ في المسك إلا طِيبُ رَيّاهـا	**والنـورُ في الـشمس إلا مـن مُحَيّاهـا**
الخُلْدُ مأوَى الحِسان الحور تـسكنـه	**وَذاتـها لجنان الخلـد مـأواهـا**

وأما قوله بعد هذا:

أوْ ناسَمَت رَيّاك رَوْض الحِمى	**وذيلـُها مِن فوقـه تَسْحَبُ**

فهذا مِثل الأوّل جعل الطيب للرّوْض مِنْ ذيْل زينب، لّما سحبته على ذلـك المكـان طـاب من طيب ذيلها، وطيب ذيلها من طيب طيّبتْ ثيابها به مِثل العِقد سواء. فما ذكر مـا يـدلّ علـى أنّ طيب هذه الأماكن مِن طيب أنفاسها. وإذا كان هذا فلا يطيب إلا مَن ليس بطيّب أو ليس لـه ذلـك الطِّيب، ولذا قلنا لو قال: "النفَس الأطيب" لا الطيّب لكان أشعر وأثبت في المدح. ثم قوله للنسيم:

فهـات أتحفـني بأخبارهـا	**فعهـدك اليـوم بهـا أقـرب**

كلام غير محقّق، فإنّ نسيم الرّيح ما له عهد قريبٌ إلا بالمكان ورَوْض الحمى، لا بزينـب؛ والطِّيب للمكان من العِقد، وللروض من الذيْل، فلم ينقل هذا النسيم شيئا مـن طيبهـا المختصّ بذاتها. ولو كانت مشهودة للنسيم حين هبّ على المكان والروض بقوله: "وذيلها"، فـذكر مـا يدخلـه الاحتمال في الحال، فإنه يحتمل أنْ يكون الحال في قوله: "وذيلها" أي في حـال مرورهـا أكـسبتْ هـذا الروض الطِّيب من ذيلها، ويحتمل أنْ يكون شهود الريح لها في حال مرورها علـى روض الحمـى وهذا بعيد، والأوّل أقرب، فإنه لو مرّ بها مشاهدًا لها في حال انسحاب ذيْـلها علـى الـرّوض، لنقـل

طيب ذيلها، لا طيب الروض من ذيلها. فدلّ أنه ما شاهدها نسيمُ الرّح؛ وإذا لم يشاهدها فليس عهده بها قريبًا، وإنما عهده قريب بالمكان الذي مرّت عليه.

ثم فيه من النقص بقوله: "أقرب" وصفها بالأمر العام في كل طيب، إذ المكان الذي يبقى فيه الطيب إنما يكون قريب العهد بالطيب، في جلوسه فيه أو مروره عليه، وهذا ليس بمخصوص بها، بل لو قال: إنّ طيبها في المكان لا يزول بعد أنْ أكتسبه منها، وأنه بها بعيد عهد ومع هذا فالطيب باق لقوّة سلطانه، لكان أشعر. والنسيم ما نقل إليه إلا طيب المكان والروض، فكان ينبغي أنْ يصدق، فكان يقول: "فعهدك اليوم به أقرب"، يعني بالمكان، أو بكلّ واحد منهما يعني الروض والمكان؛ أو يقول: "بهم أقرب"، فكذب بقوله: "بها أقرب".

ثم إنه لا يلزم طيب المكان ولا طيب الروض من إلقاء العقد ولا من طيب الذيل. قد يكون طيب الروض من الزهر، وطيب المكان من أمر آخر مع وجود العِقد فيه، وانسحاب الذيل على الروض. فهو قاصر بكلّ وجه.

فهذا شعر لطيف اللفظ مليح، وهو بالمعنى ليس بشيء، لأنّ جمال الشعر والكلام أنْ يجمع بين اللفظ الرّائق والمعنى الفائق، فيحار الناظر والسامع، فلا يدري اللفظ أحسن، أو المعنى، أو هما على السواء؟ فإنه إذا نظر إلى كلّ واحد منهما أذهله الآخر من حسنه، وإذا نظر فيهما معاً حيّراه. فما يَستحسِن مثل هذا الشعر ألا ذو قلب كثيف، فإنّ اللفظ لطيف والمعنى كثيف.

وإذا كان المعنى قبيحاً عند الصحيح النظر، لم يحجبه حُسن اللفظ عن قبح المعنى. فإنّ مثاله عندي مثال من يحبّ صورة في غاية الحسن، منقوشة في جدار، مزيّنة بأنواع الأصبغة، تامّة الخَلْق لا روح لها. فإنّ المعنى للّفظ كالروح للصورة، هو جمالها على الحقيقة. انظر في إعجاز القرآن، تجده كما ذكرنا: حَسَن النظم مع توفير المعنى، وحسن مساقه، وجَمع المعاني بعضها إلى بعض، في اللفظ الحسن النظم الوجيز، مع وجود تكرار القصّة الموجب للملل. ولا تجد هذا في القرآن، فتجد مع تكرار القصّة الواحدة، مِثل قصص الأمم كآدم وموسى ونوح وغيرهم، ممّا تكرّر بزيادة لفظ أو نقصه، ما تجد إخلالاً في المعنى جملة واحدة. وسبب ذلك أنه قول حقّ ما فيه تزوير.

ولّما أتينا على تنبيه ما في قول هذا الشاعر، مع كونه لم يخرج عن حقيقة هذا الباب في ذلك، فإنه باب النفَس - بفتح الفاء-، والشعر من الكلام فهو من باب الأنفاس؛ فثَمّ أنفاس يخرج معها تحقيق المعاني على ما هي عليه، في تركيب بعضها مع بعض، وثَمّ أنفاس بالعكس.